

المسلمون في غير ديار الإسلام

دراسة عقدية تاريخية فقهية

مقدمة من الطالب : محمد زكريا الشافعي

لنيل درجة الدكتوراه

تحت إشراف :

أستاذ بروفيسور مولانا

غلام مصطفى قاسمي

كلية الدراسات الإسلامية

جامعة السند

جمهورية باكستان الإسلامية

CERTIFCATE

Certified The Mr. *Muhammad S/O Zakaria El- Shafie* has Carried out research on the topic *MUSLIMS IN NON - MUSLIM COUNTRIES AN IDEOLOGICAL, JURISTICAL AND HISTORICAL STUDY* Under My Supervision and that his work is original and distinct and his dissertation is worthy of presentation of the UNIVERSITY OF SINDH for award of degree of Doctor Of Philosophy.

Signature
Supervisor

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا وحبيبنا وسيدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وذريته وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين...وبعد :

فإنني أتوجه بالحمد والشكر إلى المولى العلي القدير الذي منّ عليّ بنعمٍ لاتحصى ووفقني لإكمال هذا البحث العلمي،الذي أرجو أن أكون به قد أسهمت مع العاملين المخلصين في خدمة الإسلام وشريعته الغراء.

ثم أتوجه إلى الله تعالى بالدعاء الخالص أن يجزي شيخي الفاضل العلّامة مولانا/ غلام مصطفى قاسمي حفظه الله على تفضله الكريم بالإشراف على هذا البحث رغم كثرة أعماله ومسئولياته . جزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين كل خير وأمد في عمره لما يحبه ويرضاه .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى جامعة السند والسادة المسئولين وبخاصة السيد الأستاذ البروفيسور/مدير الجامعة ، وإلى كلية الدراسات الإسلامية والسادة المسئولين فيها وبخاصة السيدة الأستاذة/عميدة الكلية والسيدة الأستاذة/رئيسة القسم ،وإلى كل من ساهم بالمساعدة والتوجيه من أساتذتي وإخواني في الله .

كما لا أنسى أن أوجّه شكري وتحياتي لأهل باكستان المسلمة ودعائي لهم بأن يحفظهم الله تعالى من كل مكروه وسوء وأن يجعلهم دائماً في خدمة الإسلام والمسلمين.

وفق الله الجميع للخير والسداد وأخذ بأيدينا لرفع راية الحق وإعلاء كلمة الله إنه سميع مجيب

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك،أشهد أن لاإله إلا أنت،أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد زكريا الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى برحمته ومنه وكرمه قد شرع للناس من الدين ما وصى به نوحاً، والذي أوحى إلى من بعده من الرسل حتى خاتم النبيين والمرسلين محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، فكان له الدين القيم حيث قال سبحانه وتعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) والإسلام ليس مجرد مجموعة من الأفكار والشعائر، وإنما هو إلى جانب ذلك نظام له حاكمية كاملة على كل مظاهر النشاط الإنساني، في الاعتقاد والفكر والتصرف والسلوك، والارتباط بين الدين والدولة، ارتباط القاعدة بالبناء، إذ لا حياة ولا بقاء لأي وجود منظم ولا استمرار للقيم والعقيدة والأخلاق والفضائل بدون وجود السلطة السياسية، ولكنه لما كانت الدولة الإسلامية لم تشمل العالم بأسره، فقد ظل خارج سلطتها شعوب ودول تقودها سلطة كفرية، ولذا حصل انقسام العالم إلى قسمين :

قسم يُسمى بدار الإسلام، والآخر يُسمى بدار الحرب

فالدار التي يعيش فيها أناس يخضعون لسلطة الإسلام ويلتزمون بشريعته هي دار إسلام والعكس هو دار الحرب.

ولقد اهتم كثير من الكتاب بذكر أحوال المسلمين في ديار الإسلام، وكذلك أحوال وأحكام أهل الذمة وغيرهم في ديار الإسلام، ولكنه لم يكتب أحد حتى الآن عن أحكام

المسلمين الفقهية والعقدية في بلاد غير المسلمين، وكل ما كتب لا يعدو أن يكـــون بيانـــاً لأوضاعهم وعلاقاتهم بغيرهم من غير المسلمين.

ومن ناحية أخرى: لم تركز هذه الكتب على تطور حركة المسلمين العالمية التاريخيـــة في غير ديار الإسلام، وبخاصة في فترتي المد الإسلامي ــ الفتوحات الإسلامية منذ عهد النبيﷺ والخلافة الراشدة وما بعدها إلى عهد الخلافة الإسلامية العثمانية التركية، والتـــي تعد آخر معاقل الخلافة الإسلامية في العالم المعاصر ــ وفترة الانحسار والتراجع والتي تلت سقوط الخلافة الإسلامية وتوقف الفتوحات الإسلامية، وبالتالي تغيرت كثيرٌ من بلدان العالم من دار إسلام إلى دار كفر، حيث صارت الغلبة والحكم بأيدي الكفـــار، وأصبـــح المسلمون أقلية أو أكثرية مغلوبة، وبحكم عالمية الدعوة الإسلامية فإنه لابد مـــن وجـــود علاقات ومعاملات لازمة بين أهل دار الإسلام وبين أهل دار الحرب.

وهنا تكمن أهمية هذا البحث، إذ أنه سيحاول بيان أحوال المسلمين فـــي المجتمعـــات الغير إسلامية من الناحية الفقهية والعقدية والتاريخية، مع بيان حكم الإسلام فيها.

وفي الحقيقة أن هذا الموضوع يستحق بذل الجهد الجهيد لتجليته وتبيينه للناس، وذلـــك لأنه بمثابة إطار عام شامل لبيان دوافع وأهداف ووسائل الأمة الإسلامية في انطلاقتـــها الكبرى عبر تاريخها الممتد، منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر وآفاقـــها المســـتقبلية التي بشر بها النبيﷺ .

طريقة البحث :

وقد التزمت في بحثي هذا بالنصوص الشرعية، وحرصت على أن يكون بحثي علمياً وموضوعياً، سهل العبارة قريب المنال مترابط الأفكار، لتوضيح الهيكل والبنـــاء العـــام للدراسة مدققا في تسوية لبناتها وحسن منظرها وجوهرها.

ولقد التزمت في بحثي بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وبقية مصادر التشريـــع الإسلامي ففيها الكفاية التامة لكل طالب حق وقال تعالى:(ما فرطنا في الكتاب من شيء) كما أني اذكر أقوال العلماء في المسائل بأمانة ودقة، غير أنني أميل دائمـــا إلـــى أيســـر

الآراء إن كان فيه سعة شرعية، وما خيّر النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسـرهما مـالم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه.

مع الانتباه الشديد إلى الفرق بين التيسير والسعة، وبين تمييع القضايا الشرعية وتقليـل شأنها في نفوس المسلمين، فهذه تعتبر جريمة شرعية محرمة بالإجمـاع، فديننـا ديـن العزيمة ويأتي بالرخصة ولكن في موضعها الشرعي ولكل مقام مقال، وأمـا أن تثبّـت الرخصة وتُلغى العزيمة فذلك مناقض لدين الله تعالى.

ومن ناحية أخرى: لم أهتم في بحثي هذا بتقريرات المستشرقين وأتباعهم فـي تقريـر حسن الإسلام، أو إثبات قضايا شرعية أو التعليق عليها وتوجيهها وذلك لأمرين هامين :

الأول : أن ديننا ليس في حاجة إلى تقريرات هؤلاء، فلقد وصـف الله دينـه بـأكمل وصف وأتمه حيث قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيـت لكم الإسلام دينا) كما أن الركون والاستماع إليهم والنقل عنهم يعطيهم قداسة وحجة حتى يكونوا بمثابة القضاة على ديننا يحسنون ماشاءوا ويقبحون ما شاءوا، وإذا كان المسلم لا يجوز له أن يكون قاضياً على الإسلام وحاكماً عليه، فشريعة الله حاكمـة علـى البشـر وليست محكومة من البشر، فكيف يحكّم أولئك وهم يكفرون بالرحمن أصلاً؟

الثاني : أن هؤلاء المستشرقين وأتباعهم دينهم الكذب، ولا تقبل شهادتهم، وهم دائمـاً وأبداً يدسّون السم في العسل، ويلبّسون على الأمة الإسلامية دينها، وسيأتي بيان ذلـك إن شاء الله تعالى في خلال الدراسة.

وأما ما ورد من بعض مقولاتهم أثناء الدراسة، فهو إما لبيان كذبـهم وتضليلـهم، أو للاستشهاد بهم عليهم، أومن قبيل التنزل مع الخصم لإقامة الحجة عليه وإفحام الخصـم، كما كانت طريقة إبراهيم عليه السلام مع قومه.

والقرآن الكريم قد علمنا طريقة المحاورة مع أهل الكتاب وغـيرهم مـن الدهرييـن والملحدين، كذلك علمنا النبي ﷺ ذلك، وجماع ذلك أن تكون المحاورة على علم وهـدى وبالتي هي أحسن، والإسلام يعلو ولا يُعلى.

وقد اخترت في هذا البحث طريقة جديدة بالنسبة للهوامش، حيث إنني جعلت هوامش كل فصل على حدة مجتمعة في نهاية كل فصل، وذلك بدلاً من توزيعها في كل الصفحات وذلك للتسهيل على الباحث والقارئ أيضاً.

هذه هي طريقتي في البحث، فإن وفقت فيها للصواب فهذا ما كنت طالباً من الله العليم الحكيم وهو محض فضل الله عليَّ وإن أخطأت ـ رغم حرصي على الصواب ـ فإني أستغفر الله العظيم لي ولمن وقع في الخطأ مثلي سائلاً الله عز وجل أن يسدد خطانا وأن لا يحرمنا الأجر والثواب منه تبارك وتعالى.

خطة البحث :

هذا وقد اقتضت خطة البحث أن انظمه في :

مقدمة، باب تمهيدي، ثلاثة أبواب، وخاتمة، فيكون تفصيل ذلك كالتالي:

المقـدمة :

وقد ذكرت فيها أهمية هذا الموضوع، وبينت الأسباب التي حملتني على اختياره ليكون موضوع رسالتي، كما وضحت فيها طريقة البحث والخطة التي أسير عليها في كتابة هذه الرسالة.

الباب التمهيدي:

وتناولت فيه عدة مفاهيم أساسية وقسمته إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عالمية الدعوة الإسلامية

وذكرت فيه الرد على فكرة القوميات والتي تنادي بتمزيق العالم الإسلامي، وتقسيمه إلى دويلات صغيرة متنازعة على رقعة محدودة من الأرض، وبالتالي ينتهي العمق العقائدي والفكري والتاريخي لعالمية الدعوة الإسلامية، وبينت فيه عالمية الدعوة الإسلامية من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي عبر عصوره المختلفة .

الفصل الثاني: دار الإسلام ودار الحرب .

ونقلت فيه أقوال العلماء في تعريف الدارين، وما يترتب عليه من أحكام تتعلق بإقامة المسلمين في دار الحرب، وبيان حقيقة دار العهد، وهل هي دار ثالثة أم لا؟ مع بيان الحالات التي تتغير فيها دار الإسلام إلى دار الحرب، وضابط ذلك، وبخاصة في زماننا الحاضر، والذي يصعب فيه التطبيق الحدّي للتعريف. كما بينت أساس هذا التقسيم ودوافعه.

الفصل الثالث : الولاء والبراء في الإسلام .

وبينت فيه أن مبدأ الولاء والبراء في الإسلام من أصول الدين، وذكرت الدليل من الكتاب والسنة.

وذكرت عدداً من الصور التي يقع فيها المسلمون في موالاة الكفار، وحكم الإسلام فيها مع بيان الفرق الكبير بين الموالاة والمعاملة بالحسنى، وبيان الأدلة في الرد على نظرية التقريب بين الأديان أو ما يسمى بزمالة الأديان، وما يتبع ذلك من تمييع لأمر الدين كله.

الباب الأول : الاسلام وحركة التاريخ

وقد قسمت الحديث في هذا الباب إلى ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول : منطلقات الأمة الإسلامية .

وفيه أربعة مباحث تتعلق بأربعة مفاهيم مهمة، تبين أصول وأهداف ووسائل الأمة الإسلامية في انطلاقتها الكبرى إلى العالم كله، ومن هذه المفاهيم، كمال رسالة الأمة، وأنها أمة الرسالة الخالدة المعتمدة على الكتاب والسنة، وأنها أمة العقيدة والدعوة، وأنها أمة الجهاد في سبيل الله، وأنه لابد من الجهاد لتنفيذ عالمية الدعوة الإسلامية، وهذا لا يكون إلا بإزالة الطواغيت الأرضية حتى يعبد الله وحده.

كما نقلت الأدلة على بطلان القول بالحرب الدفاعية، والتي من لوازمها إبطال مفهوم الجهاد في الإسلام من أصله، مع إلغاء القول بعالمية الدعوة الإسلامية، وكذلك بطلان

القول بأن الحرب في الإسلام كان هدفها المادة فقـــط، كمـــا بينـــت أن الإســـلام ديـــن ودولة..عقيدة وشريعة ..

الفصل الثاني : فترة المد الإسلامي .

منذ عهد النبي ﷺ وتكوين دولة الإسلام الأولى، والخلافة الراشدة، والخلافة الأمويـــة، والعباسية، والعثمانية، كمعالم رئيسية لحركة المسلمين العالمية، وقصدت بها وضع إطار عام للتطبيق العملي لأهداف ودوافع الأمة الإسلامية في انطلاقتها الكبرى للعالم كله، مع الوقوف عند المعالم البارزة والمحاور الرئيسية والتي تتجلىعندها أهداف المسلمين وسمو غايتهم في دعوتهم إلى الله ، مع عقد المقارنة بين عطاء الأمة الإسلامية وعطاء غيرهـــا من الأمم.

الفصل الثالث : فترة الانحسار (العصر الحاضر) .

وهذه الفترة منذ سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، وتقسيم أملاكها وإلغاء اسم الخلافة الإسلامية من الأرض، مع الأخذ في الاعتبار أن الأمة الإسلامية قد تعرضـــت لنكبـــات سابقة وانحسار أيضاً عن بعض أراضيها في فترات الحروب الصليبية والتتار والمغول.. وغير ذلك .. إلا أن الفترات السابقة كانت تتميز بأن ظل الخلافة الإسلامية ما كان يزول عن الأرض كلها مثل وقتنا الحاضر، فكانت سابقاً إذا سقطت في مكان بقي مكان آخـــر يرفع راية الخلافة الإسلامية، فلذلك جعلتُ فترة المد الإسلامي تشمـــل كـــل آثـــار المـــد الإسلامي ومعالمه، طالما أن اسم الخلافة الإسلامية يوجد في الأرض، أما الآن فد مُحي اسم الخلافة الإسلامية من الأرض كلها، وذلك من الخريطة السياسية المعاصرة ولكنـــها باقية في قلوب المؤمنين، ونسأل الله النصر والتمكين.

الباب الثاني : واقع الجاليات والأقليات الإسلامية في العالم

وقد قسمت الحديث في هذا الباب إلى ثلاثة فصول كالتالي:

الفصل الأول : التعريف بالأقلية وكيفية توزعها ومراحل تطورها

وقد بينت أن الراجح في التعريف هو أن كل مجموعة من المسلمين مغلوبة على أمرها هي أقلية، وإن كانت تشكل في بعض المناطق أكثرية عددية، وهذا التعريف يتفــق مــع الراجح من تعريف دار الإسلام ودار الحرب، ولا نكون مبـــالغين إذا قلنـــا أن معظـــم سكـــان العالم الإسلامي بناء على هذا التعريف أقليات. كما بينت صعوبة تحديد التوزيـــع العددي بالنسبة للأقليات وأسباب ذلك، مع بيان مراحل تطور الأقلية

الفصل الثاني : بيان موجز لأوضاع الأقليات الإسلامية في العالم .

وقد تناولت في هذا الفصل أوضاع الجاليات والأقليات الإسلامية في العـــالم بحســب التوزيع الجغرافي بدلاً من التوزيع العقائدي وذلك لأمرين:

الأول : أن طبيعة الصراع بين الحق والباطل ــ الإسلام والكفر ــ متشابهة في كـــل مكان قديماً وحديثاً، فلا نرى فارقاً كبيراً بين طبيعة الحروب الصليبية واليهودية والبوذية والهندوسية والشيوعية وغير ذلك ضد المسلمين، فكلهم مجتمعون على هدف واحد دائمـــا وهو " دمّروا الإسلام أبيدوا أهله "

الثاني: سرعة حدوث التغيير في الخريطة العالمية السياسية، وبخاصة بعـــد فشـــل النظام الشيوعي في القيادة العالمية، وكما يقولون " الأيام حبْلى " ولعلـــه فـــي المســـتقبل القريب يحدث كثير من الانهيار والانشطار في بنيان المنظومة العالمية، وسيبقى الإسلام يتحدى لأنه يستمد بقاءه وقوته من الله تعالى.

الفصل الثالث : الدعوة بين الأقليات الإسلامية .

وذلك من ناحية، آدابها، وأهدافها، وطرقها، مع بيان وجوبها علـــى الدعـــاة إلـــى الله تعالى.

الباب الثالث: الأحكام الشرعية بين دار الإسلام ودار الحرب

والتحديات التي تواجه المسلمين في دار الحرب، والحل :

وقد قسمت الحديث في هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول : التحديات والمشكلات العقدية والفكرية

وبينت فيه خصائص الثقافة الإسلامية، والفرق بينها وبين الثقافات الجاهلية، مع بيان طبيعة الصراع بين الإسلام والكفر، والذي سيبقى إلى قيام الساعة، وبيان واجب المسلمين تجاه هذه التحديات.

الفصل الثاني : التحديات والمشكلات الاجتماعية والتعليمية

وبينت فيه أن الإسلام يمتلك النظرية الاجتماعية المتكاملة للحياة بأسرها، وهي بمثابة الثوابت للأخلاق والآداب وغيرها، وليست مبنية على الذوق الشخصي النسبي، وبينت مقدار تأثر أبناء المسلمين بالنظرية المسيحية التي تبناها الفكر الغربي وهي : أن الدين عبارة عن عبادة فردية وعلاقة مع ضمير الفرد، وبالتالي حدثت عدة سلبيات خطيرة في أخلاق وآداب أبناء الأقليات الإسلامية.

كما بينت مشكلة الأطعمة والأشربة، وهي من المشكلات الكبرى بالنسبة للأقليات.

الفصل الثالث : التحديات والمشكلات الاقتصادية .

وبينت فيه أن المشاكل الاقتصادية تعتبر من أعقد المشاكل التي تواجه الأقليات الإسلامية، حيث أن الأنظمة العالمية تقوم على الربا في المعاملات الاقتصادية، وما يتبع ذلك من أمور ومعاملات محرمة، وبينت أن هناك من العلماء الأفاضل من توسّع في الفتوى في المعاملات المالية، على اعتبار أن هذه الدار دار حرب، ويجوز إتلاف مال الحربي، وذكرت أقوال الفقهاء في الراجح في هذه المسألة.

الخاتمة:

أما الخاتمة .. فهي عبارة عن عرض ملخص عن البحث وقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

الباب التمهيدي

مفاهيم أساسية

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عالمية الدعوة الإسلامية .

الفصل الثاني : دار الإسلام ودار الحرب .

الفصل الثالث : الولاء والبراء في الإسلام .

الفصل الأول

عالمية الدعوة الإسلامية

ويشتمل على مبحثين بعد التمهيد العام :

المبحث الأول : الأدلة على عالمية الإسلام .

المبحث الثاني : الرسالة والمستوى الدولي .

الفصل الأول :

عالمية الدعوة الإسلامية

وفيه مبحثان بعد التمهيد العام :

التمهيد العام :

لقد رأينا بعد القضاء على الخلافة الإسلامية العثمانية في العصر الحاضر، وتقسيم أرض الإسلام بل وتمزيقها، وإلغاء اسم الخلافة الإسلامية من الخريطة السياسية العالمية، وبالتالي ظهرت الدعوة إلى إحياء القوميات الجاهلية، والتي تقسّم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة متنازعة علىرقعة محدودة من الأرض، وبالتالي ينتهي العمق العقدي والفكري والتاريخي في تبليغ الدعوة الإسلامية، وتلا ذلك كثير من حملات التضليل الفكري والعقدي لكثير من المفاهيم الإسلامية الأصيلة، ومن ذلك قولهم ببدعة الحرب الدفاعية في الإسلام، وبالتالي يبطل مفهوم الجهاد الحقيقي في الإسلام، وهو الجهاد حتى يكون الدين كله لله، واستبدلوا به الأدنى وهو الحرب من أجل الأرض، هذا إن سلمت لهم هذه التسمية المجازية، وإلا فهم في الحقيقة ما أبقوا على دين ولا أرض !! وتبعوا ذلك بفرية أخرى وهي : القول بزمالة الأديان، على حساب تمييع مفاهيم الإسلام، وبالتالي إلغاء مسمى دار الحرب ودار الإسلام، وبعد ذلك إلغاء القول بعالمية الإسلام.

المبحث الأول :

الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على عالمية الإسلام

لقد بعث الله قبل محمدﷺ كثيراً من الأنبياء والمرسلين، ولكن كانت رسالتهم إقليمية محلية محدودة بالزمان والمكان قال الله تعالى: (لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم) [١] أما رسالة محمد ﷺ فلقد امتدت زماناً ومكاناً وشملت جميع الأمم والشعوب، ولقد وضح القرآن الكريم ذلك توضيحاً قطعياً بما لا يدع مجالاً للشك في عموم رسالته ﷺ قال

تعالى: (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه)[٢] (وإلى عاد أخاهم هودا)[٣] (وإلى ثمود أخاهم صالحا)[٤] (وإلى مدين أخاهم شعيبا) [٥] (ثم بعثنا من بعدهم موسىبآيتنا إلى فرعون وملئه) [٦] (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم)[٧]

فنجد أن القرآن الكريم قد ربط بين الرسل وبين أقوامهم، بل وربط بينهم وبين أماكنهم فقال تعالى: (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) [٨]

أما محمد ﷺ فهو الرسول الذي كانت رسالته عامة للبشرية جمعاء، شاملة الزمان والمكان، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [٩] (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) [١٠] وقال تعالى :(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)[١١]وقال تعالى : (ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[١٢]

وقال النبي ﷺ : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فحسنه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفنه ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " [١٣]

وقال النبي ﷺ : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحدُ من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورًا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "[١٤]

نتائج عموم الرسالة :

١ـ ختم الرسالات : لقد جرت سنة الله تعالى في خلقه ألا يرسل رسولا أو يبعث نبياً من بعد آخر إلا حينما تكون رسالة الرسول السابق قد اندثرت، أو تكون غير كاملة، أو تكون منحصرة في أمة خاصة دون غيرها، فعندئذ يبعث الله برسول جديد أما رسالة النبي ﷺ فقد جاءت حية كاملة محفوظة من الله سبحانه قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [١٥] فالرسالة المحمدية ليست

في حاجة إلى من يضيف إليها شيئاً، بل في حاجة لتبليغها بالتي هي أحسن، قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) [١٦]

٢ــ لقد نسخ الإسلام ما قبله من الشرائع : وهذا من ناحية التشريعات العملية، العبادات التي لم تعد تتفق مع الغاية الجديدة التي بُعث من أجلها محمدﷺ ، وأما من ناحية أصل الدين فهو واحد، وهو الإسلام، قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) [١٧] وقال تعالى:(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[١٨] وقال تعالى: (ورضيت لكم الإسلام دينا)[١٩] وقال تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) [٢٠] وقال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [٢١]

المبحث الثاني

الرسالة والمستوى الدولي

وانطلاقاً من مبدأ عموم الرسالة، والأمر بتبليغ الدعوة إل كافة جهات الأرض، سارع الرسول ﷺ يكاتب الملوك والرؤساء، ويدعوهم إلى اعتناق الدين الإسلامي عملاً بقوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس) [٢٢]

وتذكر المصادر والوثائق القديمة الصحيحة جملة من الكتب التي بعث بها رسول الله ﷺ إلى رؤساء الدول في داخل الجزيرة العربية وخارجها منها:

الكتاب الذي بعث به النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم على يد دحية الكلبي :" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .. السلام على من أتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام : أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" [٢٣]

ومن ذلك كتابه ﷺ إلى " كسرى أبرويز " ملك الفرس وإلى "النجاشي " ملك الحبشة ... وغير ذلك من الكتب التي أثبتها لنا التاريخ الإسلامي الصحيح، مما يدل على عالمية الدعوة الإسلامية.

الإسلام والشمول :

وكما أن رسالة الإسلام جاءت عامة، فإنها جاءت شاملة فلقد أرسل الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليقضي على أ سباب الخلاف، ولا سيما الخلاف الذي منشؤه تعدد الأديان، فظهر الدين الجديد حينما استوت البشرية على سوقها وأدركت نصيباً من الحضارة واصبح الاتصال بين جنبات الأرض ميسوراً أكثر من ذي قبل، ومن ثَمَّ فلن يكون من الصعب على الأمم أن تجتمع على شريعة واحدة دائمة.

والله عز وجل الخبير بالنفوس العالم بأدوائها يعلم أن الإسلام آخر الأديان، ومن ثَمَّ ضمّنه كل الأحكام التي تضمن سعادة من يتبعونه دنيا وآخره، وجمع فيه كل الأصول والقواعد العامة التي تصلح لكل زمانٍ ومكان قال تعالى:(مافرطنا في الكتاب من شيء) [٢٤]

وكذلك جاء ت السنة النبوية شاملة ومستوعبة لكل شيء، ونموذجاً عملياً لمافي القرآن الكريم.

هوامش الفصل الأول : عالمية الدعوة الإسلامية

١ـ سورة الروم : ٤٧

٢ـ ,, الأعراف : ٥٩

٣ـ ,, الأعراف : ٦٥

٤ـ ,, الأعراف : ٧٣

٥ـ ,, الأعراف : ٨٥

٦ـ ,, الأعراف : ١٠٣

٧ ـ ,, المائدة : ٧٢

٨ـ ,, الأعراف : ١٠١

٩ـ ,, الأنبياء : ١٠٧

١٠ـ ,, سبأ : ٢٨

١١ـ ,, الأعراف : ١٥٨

١٢ـ ,, الأحزاب : ٤٠

١٣ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٤٥ للحافظ ابن حجر العسقلاني،دار الريان للتراث،القاهرة،ط ١٩٨٩م، صحيح مسلم:ج ٤ ص ١٧٩٠ حديث رقم : ٢٢٨٦، للامام مسلم بن الحجاج ،طبع المكتبة الاسلامية،استانبول،تركيا،ط ١٩٨٤م، ومسند أحمد : ج٢ ص ٢٥٧، ٣٩٨ ،للامام احمد بن حنبل،دار صادر، بيروت،ط.١٩٨٣م

١٤ـ فتح الباري: ج ١/ ٥١٩ حديث رقم ٣٣٥ ورواه مسلم ج١/ ٣٧١ حديث رقم : ٥٢٣

١٥ ـ سورة المائدة : ٣

١٦ــ سورة النحل : ١٢٥

١٧ ــ سورة آل عمران : ١٩

١٨ ــ سورة آل عمران : ٨٥

١٩ ــ سورة المائدة : ٣

٢٠ ــ سورة الأنعام : ١٢٥

٢١ــ سورة التوبة : ٣٣

٢٢ــ سورة المائدة : ٦٧

٢٣ــ رواه البخاري شرح فتح الباري ج ١ / ٤٣ حديث رقم : ٧، ورواه مسلم ج ١٣٩٧/٣ حديث رقم ١٧٧٤، انظر : تاريخ الأمم والملوك، ج ٣/ ٨٧ ،للامام محمد بن جرير الطبري،تحقيق محمد أبو الفضل،دار سويدان،بيروت،لبنان

٢٤ــ سورة الأنعام : ٣٨

الفصل الثاني

دار الإسلام ودار الحرب

ويشتمل على أربعة مباحث بعد التمهيد العام

المبحث الأول : تعريف الدارين .

المبحث الثاني : دار العهد أو الصلح .

المبحث الثالث : تغير دار الإسلام إلى دار الحرب .

المبحث الرابع : أساس هذا التقسيم ودوافعه .

الفصل الثاني:

دار الإسلام ودار الحرب

ويشتمل على أربعة مباحث بعد التمهيد العام :

التمهيد العام:

لقد اهتم الفقهاء بتقسيم العالم إلى دارين، وذلك نظراً لما يترتب عليه من أحكام شرعية لتنظيم أمور المسلمين وجمع كلمتهم ضد أي عدو خارجي، والقيام بفريضة الجهاد في سبيل الله، والهجرة من دار الإسلام إلى دار الكفر، وتطبيق مبدأ الولاء والبراء، وتبيين أحكام الشريعة الإسلامية وترتيبها للمسلمين ولغيرهم ممن يقيم في ديار الإسلام، كأهل الذمة. والتأصيل الفقهي لواقع العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم. كما تنظم مبدأ التكافل الإجتماعي والاقتصادي في المجتمع الإسلامي، كما تعمل على تربية المسلمين في دار الإسلام على التربية الإسلامية الصحيحة، بعيداً عن مهاوي الرذيلة في المجتمعات الكافرة ... وباختصار شتان بين دار الإسلام ودار الكفر في جميع أمور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية.

المبحث الأول :تعريف الدارين :

المطلب الأول : وصف القرآن للدارين :

لقد وصف الله سبحانه وتعالى أحوال مكة يوم كانت توصف بدار الحرب وذلك في قوله تعالى: (أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لهدّمت صوامعُ وبيعُ وصلوات ومساجد يُذكرُ فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)[١]

قال ابن عباس :" نزلت هذه الآية فينا اصحاب محمدﷺ حين أخرجوا من مكة. ومكة في ذلك الوقت تعتبر دار حرب وشرك" [٢]

فالآية بينت لنا أن من أهم أوصاف دار الحرب هو الظلم، وقد حصل هذا الظلم بسبب اجراء أحكام الشرك فيها، فمن ألوان الظلم، إخراج الذين يقولون ربنا الله من ديارهم، فهذا الرسول ﷺ وأصحابه قد أخرجوا من مكة وهاجروا إلى المدينة المنورة، بسبب ضغط الكفار عليهم، وذلك لأن الظلم أساسه الشرك، وإن الشرك لظلم عظيم، هما الأمران اللذان جاء الإسلام من أجل قلع جذورهما من الوجود، ومن الآيات الدالة أيضاً قوله تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك ولياً، واجعل لنا من لدنك نصيرا)[٣]

فالآية تخاطب الجماعة الإسلامية كلها، لتقوم باستنقاذ هؤلاء المستضعفين الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم مستذلين ومظلومين، ويعانون أشد المحنة في الدين، وكانوا رجالاً ونساءً وولداناً يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه بقولهم (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) .

"فهذا الدعاء واشتراك الولدان في هذا الدعاء، ليدل على إفراط الظلم وشدة الأذى"[٤]

ومن هنا يتبين، أن دار الحرب: هي الدار التي يسيطر عليها الشرك والظلم فتحارب

المؤمنين في عقيدتهم و دينهم، وتخرجهم من ديارهم بغير حق ولا ترضى بظهور خصلة من خصال الإسلام فيها، ناهيك عن ظهور أحكامه.

دار الإسلام:

لقد جاء وصف دار الإسلام وأهلها في آيات منها :

١ـ قوله تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور) [٥]

والآية جاءت عقب الآيات التي وصفت دار الحرب، وبينت أحوال أهلها كما مر بنا سابقاً.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: فينا نزلت "الذين إن مكناهم في الأرض " فأخرجنا من ديارنا بغير حق، إلا أن قلنا ربنا الله، ثم مكنا في الأرض، فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور، فهي لي ولأصحابي"[٦]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان، وقال عكرمة : هم أهل الصلوات الخمس، وقال الحسن وأبو العالية : هم هذه الأمة إذا فتح الله عليهم أقاموا الصلاة، وقال الضحاك : هو شرط شرطه الله عز وجل على من آتاه الله الملك "[٧]

فهذه هي أحوال أهل دار الإسلام

٢ ـ قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) [٨]

يقول الامام ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا وعدُ من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد

وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس، وملوك عُمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تمّلك بعد أصحمه رحمه الله وأكرمه، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلمَّ شعث ماوَهَى بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهّدها، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس، صحبة خالد ابن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً آخر صحبة أبو عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بُصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة، ومنّ الله على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً، لم يدُرْ الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس، وكَسَر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام، وانحدر إلى القسطنطينية وأنفق اموالهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ﷺ ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبته مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخرسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجُبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال :"إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها"

فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا[٩]

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : " نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد "[١٠]

ومن خلال معاني الآيات السابقة يتضح أن أهم الأوصاف لدار الإسلام ما يلي :

أولا : تمكين المؤمنين فيها وهم الذين يعبدون الله ولايشركون به شيئا

ثانيا : تمكين دين الله فيها وذلك لظهور أحكامه وتطبيق شريعته وإقامة شعائره، ومن أظهرها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثالثا: ظهور الأمن فيها للمسلمين

المطلب الثاني :تعريف الدارين

لقد عرف فقهاء الإسلام الدارين بتعريفات وضوابط متعددة وجامعها هو :

دار الإسلام : هي الدار التي تجري فيها الأحكام الإسلامية وتحكم بسلطان المسلمين وتكون القوة والمنَعة فيها للمسلمين.

دارالحرب : هي الدار التي تجري فيها أحكام الكفر ولا يكون السلطان والمنعة فيها بيد المسلمين.

ذكر الأقوال :

يقول الإمام أبو يوسف رحمه الله : تعتبرالدار دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها، وإن كان جُلُّ أهلها من الكفار، وتعتبر الدار دار كفر بظهور أحكام الكفر فيها، وإن كان جُلُّ أهلها من المسلمين [١١]

ويقول الإمام الكاساني : " لا خلاف بين أصحابنا، في أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها [١٢]

ونقل الإمام الكاساني عن الإمام أبي حنيفه رحمه الله قوله : " إن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام والكفر، ليس هو عين الإسلام والكفر، وإنما المقصود هو الأمن والخوف " ومعناه : أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق والخوف للكفرة على الإطلاق فهي دار الإسلام، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق والخوف للمسلمين على الإطلاق فهي دار الكفر " ثم علق الإمام الكاساني عليه قائلاً : والمراد بقوله :" الأمان على الإطلاق" هو عدم الحاجة إلىعقد الذمة والاستئمان " [١٣]

ويلاحظ هنا تركيز الإمام أبي حنيفة حول شرط وجود السلطة، بجانب إجراء الحكم في تسمية الدار، لأن الأمان هو علامة وجود السلطة

كما قال الإمام السرخسي : معرفاً لدار الإسلام بأنها : اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين، وعلامة ذلك أن يأمن فيه المسلمون، أما الموضع الذي لا يأمن فيه المسلمون فهو من جملة دار الحرب، وفي موضع آخر يقول : " المعتبر في حكم الدار هو السلطان والمنعة في ظهور الحكم " [١٤]

كذلك لا يكفي مجرد كونها في يد المسلمين ولم تجرْ فيها أحكام الإسلام، وعليه يقول الإمام السرخسي : وبمجرد الفتح قبل إجراء أحكام الإسلام لا تصير دار إسلام [١٥]

ويقول الإمام الرافعي وهو عمدة المحققين في الفقه الشافعي : ليس من شرط دار الإسلام أن يكون فيها مسلمون بل يكفي كونها في يد الإمام وإسلامه " [١٦]

ويقول الإمام ابن حزم الظاهري : لأن الدار أنما تنسب للغالب عليها والحاكم فيها والمالك لها [١٧]

ويقول الإمام ابن القيم بقول الجمهور وهو أن : دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام، ومالم يجرْ عليها أحكام الإسلام لم تكن دار إسلام وإن لاصقها[١٨]

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا : " إن كثيراً من البلدان التي حكامها مسلمون يفتن المرء فيها عن دينه، فلا يقدر على إظهار جميع ما يعتقد ولا أن يعمل بكل ما يجب عليه

لا سيما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتقاد الأحكام المخالفة للشرع، فهي على قول بعضهم دار حرب" [١٩]

ويقول الأستاذ/ سيد قطب " وتشمل دار الإسلام : كل بلد تطبق فيه أحكام الإسلام وتحكمه شريعة الإسلام، سواء كان أهله كلهم مسلمين، أو كان أهله مسلمين وذميين، أو كان أهله كلهم ذميين ولكن حكامه مسلمون يطبقون فيه أحكام الإسلام ويحكمونه بشريعة الإسلام .. فالمداركله في اعتبار بلد ما دار إسلام، هو تطبيقه لأحكام الإسلام وحكمه بشريعة الإسلام.

والثاني : دار الحرب : وتشمل كل بلد لا تطبق فيه أحكام الإسلام ولا يحكم بشريعة الإسلام كائناً أهله ما كانوا، سواء قالوا إنهم مسلمون، أو إنهم أهل كتاب، أو إنهم كفار فالمدار كله في اعتبار بلد ما " دار حرب " هو عدم تطبيقه لأحكام الإسلام، وعدم حكمه بشريعة الإسلام، وهو يعتبر دار حرب بالقياس للمسلم وللجماعة المسلمة "[٢٠]

فالخلاصة :

إن صحة تسمية الدار بدار الإسلام ودار الحرب ابتداء عند الفقهاء تكون عند ثبوت الشرطين الأساسين وهما: " جريان الأحكام ووجود السلطة " فإن كانت الأحكام فيها للإسلام، والسلطة والولاية والمنعة فيها لإمام المسلمين فهي دار الإسلام، وعلامة ذلك، أن يأمن المسلمون فيها مطلقاً. وإن كانت الأحكام فيها للكفر والسلطة والولاية والمنعة فيها للكفار فهي دار الحرب، وعلامة ذلك ألا يأمن فيها المسلمون" [٢١]

وفي الحقيقة: لقد ظل هذا التعبير الفقهي " دار الإسلام " و"دار الحرب" حياً في مجال السياسة الدولية إلىعهد قريب، حتى انقض أعداء الإسلام على ديار الإسلام فجاسوا خلال الديار وتبّروا ماعلوا تتبيرا.

ومنذ سقوط الخلافة العثمانية، لم يعد لهذا التعبير الفقهي مدلوله، بل فقد معناه ومغزاه وخَبَت إيحاءاته وظلاله، فقد صار كل بلد من البلاد الإسلامية ذيلاً لبلد من بلاد الكفر والتي تكون في مجموعها دار الحرب [٢٢]

المبحث الثاني:

دار العهد أو الصلح

المراد بدار الصلح هي الدار التي كان أهلها قد دخلوا في عـــهد الصلـــح مـــع إمـــام المسلمين، على شروط متفق عليها من قبل الطرفين، أو الدار التي فتحها المسلمون صلحاً والصلح نوعان:

النوع الأول : أن يكون الصلح على أن الأرض للمسلمين، وتقرّ في أيدي أهـــل الصلـــح بالخراج، وهذا النوع لا خلاف بين الفقهاء في أنها تصير بذلك دار إسلام، وصار أهلـــها بذلك أهل ذمة.

النوع الثاني : ما كان الصلح على أن الأرض لأهل الصلح وعليهم الخراج، وهذا مـــا حصل فيه خلاف بين الفقهاء على النحو التالي:

الرأي الأول :

إن الدار بهذا الصلح صارت دار إسلام وصار أهلها بذلك أهل ذمة، تؤخذ منهم الجزية أو الخراج، وهذا ما ذهب إليه السادة الأحناف، والشافعية وبعض الحنابلـــة، وقـــد نقـــل الماوردي كلاماً عن الإمام أبي حنيفة بقوله : " قد صارت دارهم بهذا الصلح دار إســـلام وصاروا به أهل ذمة تؤخذ جزية رقابهم " [٢٣]

وحجتهم في ذلك :

١ـــ إن الشرط المتفق عليهم بين الفقهاء لتصير به الدار دار إسلام، هو إجراء حكـــم الإسلام فيها، ويكون تحت سلطة الإسلام والصلح لا يتم إلا بذلك، كما الإمام الشـــافعي: " فمتى صالحهم على ألايجري عليهم حكم الإسلام فالصلح فاسد " [٢٤]

٢ـــ إن المسلمين لم يعقدوا هذا الصلح الا وهم أهل المَنَعة والقوة، فتكـــون دار أهـــل الصلح تحت حكم المسلمين، وهذا واضح في صلح الرسول ﷺ مع نصارى نجران ومع غيرهم من أهل الصلح.

٣ــ كان من شروط عقد الصلح في عهد الرسول ﷺ وفي عهد كبار الصحابة رضي الله عنهم هو، دفع الجزية أو الخراج للمسلمين، وذلك مساهمة من أهل الذمة في إعـــداد الجيش الإسلامي، المدافع عن الدار التي يسكنون فيها، وعلى هذا الأساس فإنه يجب على المسلمين القيام بالدفاع عنهم.

الرأي الثاني :

أن هذه الدار لا تتغير حالتها بالصلح فتبقى على أصلها، وهي دار حرب، وهـــو رأي الإمام ابن رجب الحنبلي حيث قال " أن يصالحونا على أن الارض لهم على شيء معلوم من خراج أو غيره، فالأرض ملكهم وما صولحوا عليه لازم لهم مدة بقائهم على الكفـــر والدار دار كفر يقرون فيها بغير جزية [٢٥]

الرأي الثالث:

أن الدار بهذا الصلح تصير دار عهد أو صلح، وهذا رأي الإمام المـــاوردي الشـــافعي والقاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي [٢٦]

وبناء على الرأي الثالث قال الشيخ محمد أبو زهـــرة رحمـــه الله ومـــن تبعـــه مـــن المعاصرين من أمثال الدكتور وهبة الزحيلي والدكتور محمد نجيب الأرمنازي:

إن هذه الدار دار ثالثة تتوسط دار الإسلام ودار الكفر، ثم بنوا على ذلك مسألة أخرى خطيرة تتعلق بعلاقة الأمة الإسلامية بميثاق الأمم المتحدة، حيث يرى الشيخ أبو زهـــرة ومن تبعه أنه لاتعد ديار غير المسلمين التي تنتمي لهذه المنظمـــة العالميـــة دار حـــرب ابتداء، بل تعتبر "دار عهد" [٢٧]

وهذا الرأي معترض عليه بأمرين هامين :

الأول : اصطلاحهم بدار العهد لا يخلو من احتمالين اثنين :

إماأن يراد بها "دار أهل الصلح ــ أودار موادعة"

فإن كانت دار صلح : فعقد الصلح له شروط، وأساس الشروط أن تكون السلطة فيه للمسلمين، وهذا مخالف لميثاق هيئة الأمم حيث لها السلطة كلها، وبالتالي فالعقد من الناحية الإسلامية باطل.

وإن كانت دار موادعة : فإن دار الحرب بعقد الموادعة لا تتغير حالتها فلا تخرج من كونها دار حرب، وبالتالي فإن عقد الموادعة أو الهدنة عقد غير لازم وغير مؤبد، فللإمام نبذ عهدهم إليهم متى رأى ذلك مصلحة للسلمين.

إذاً فعلى أي أساس بنى أصحاب هذا الرأي بأنها دار عهد ؟!

الثاني : أن هذا الرأي ينفي وجود دار الحرب في العالم إطلاقا، وهذا أمر ينافي حكم الله على الدار، وكذلك فإنه يعطل حكم الله في الجهاد وغيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[٢٨]

والراجح والله تعالى اعلم : أن الدار داران : دار إسلام، ودار حرب.

ودار العهد نوعان : دار أهل الذمة : وهي من عداد دار الإسلام، ودار أهل الهدنة : وهي من عداد دار الحرب.

المبحث الثالث

تغير دار الإسلام إلى دار الحرب وأنواع الدارين

فهذا المبحث في حكم الدار التي انحسرت عنها السيادة الإسلامية، وللفقهاء فيها خمسة آراء:

الرأي الأول :

أنها دار إسلام ولكنها مغتصبة وهو قول بعض الشافعية :

يقول الإمام النووي : وأما عدّ الأصحاب الضرب الثالث "وهو دار كان المسلمون يسكنونها ثم جُلو عنها وغلب عليها الكفار دار إسلام" فقد يوجد في كلامهم ما يقتضي أن

الاستيلاء القديم يكفي لاستمرار الحكم، ثم يقول: "ورأيت لبعض المتأخرين بتـــنزيل مـــا ذكروه على ما إذا كانوا يمنعون المسلمين فيها فإن منعوهم فهي دار كفر [٢٩]

الرأي الثاني :

أنها تصير دار حرب بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها، أو بمجرد استيلاء الكفار عليها وهو قول الإمام أبي يوسف ومحمد والحنابلة:

قال الإمام ابن قدامة الحنبلي : "ومتى ارتد أهل بلد وجرت فيه أحكامهم، صـــاروا دار حرب في اغتنام أموالهم وسبي ذراريهم الحادثتين بعد الردة، فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قاتل أهل الردة بجماعة الصحابة، ولأن الله تعالى قد أمر بقتال الكفار في مواضع من كتابه، وهؤلاء أحقهم بالقتال، لأن تركهم ربما أغرى أمثالهم بالتشبه بـــهم والارتـــداد معهم فيكثر الضرر بهم، فإذا قاتلهم قتل من قدر عليه ويتبع مدبرهم ويجهز على جريحهم وتغنم أموالهم وبهذا قال الشافعي [٣٠]

الرأي الثالث :

أن دار الإسلام لاتصير دار حرب بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها أو بمجرد اســـتيلاء الكفار عليها، ما دام سكانها المسلمون يستطيعون البقاء فيها يدافعون عن دينهم ويقيمـــون بعض شعائر الإسلام فيها، كالأذان والجُمع والجماعات والعيد، وهو رأي المالكية وبعض المتأخرين من الشافعية.

قال الإمام ابن عرفة الدسوقي المالكي:" دار الإسلام لاتصير دار حرب بأخذ الكفار لها بالقهر مادامت شعائر الإسلام قائمة فيها"[٣١]

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي:"...فإن قدر على الاعتزال والامتناع في دار الحرب، ولم يرج نصرة المسلمين بالهجرة مع كونه قادراً على إظهار دينه، ولم يخف فتنتـــه فيـــه حرمت الهجرة منها، لأن موضعه دار إسلام فلو هاجر لصار دار حرب ... فـــإن كـــل محل قدر أهله فيه على الامتناع من الحربيين صار دار إسلام "[٣٢]

وحجتهم : ماروي عن النبي ﷺ أنه قال" الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه " [٣٣].

الرأي الرابع:

أن دار الإسلام لا تصبح دار حرب إلا بثلاثة شروط:

١ـ ظهور أحكام الكفر فيها

٢ـ أن تكون متصلة بدار الحرب بحيث لا يكون بينهما بلد من بلاد الإسلام.

٣ـ أن لا يبقى فيها مسلم ولاذمي آمناً بالأمان الأول، الذي مكّن رعية المسلمين من الإقامة فيها، بحيث حارب الذين سيطروا عليها المسلمين ولو أعطوا أولئك أماناً جديداً"[٣٤]

الرأي الخامس :

رأي ابن تيمية : أنها دار مركبة فيها المعنيان وذلك في جوابه عن " ماردين" هل هي بلد حرب أم بلد إسلام؟

فأجاب : "أما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة : فيها المعنيان: ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث، يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه [٣٥]

دار الإسلام تتحول إلى دار الكفر بثلاثة أوجه:

الأول: أن يغلب أهل الحرب على دار من دورنا

الثاني: أن يرتد أهل دار الإسلام ويغلبوا ويجروا أحكام الكفر فيها

الثالث : أن ينقض أهل الذمة العهد ويتغلبوا على دارهم

فكل وجه من هذه الأوجه الثلاث إذا حدث في دار الإسلام صارت دار حرب عند جمهور الفقهاء الممثلين للرأي الثاني. وهي دار إسلام عند أصحاب الرأي الأول على الإطلاق، وعند أصحاب الرأي الثالث، بشرط بقاء المسلمين فيها يدافعون عن دينهم

ويقيمون بعض شعائر الإسلام، وأما عند الإمام أبي حنيفة، فإنها لا تكون دار حـــرب إلا إذا إكتملت فيها الشروط الثلاثة المتقدمة الذكر.

التوفيق بين آراء الفقهاء :

بعد التأمل في مقاصد الإسلام ورسالته الشاملة الكاملة، التي تحث الأمة الإسلامية على الجهاد المستمر، وأن يكون شعورها قوياً ومتفائلا، وألا ترضى بالذل والاستسلام، كمـــا هو حال أكثر أمتنا الإسلامية اليوم، حيث استولى الكفار على أراضيهم وديـــارهم ــ ولا حول ولا قوة إلا بالله ــ وأن تقوم بالدفاع عن حقها الثابت لها، فإنه يحسن التوفيق بيـــن آراء الفقهاء حول هذا الموضوع فيقال:

إن دار الإسلام إذا استولى عليها الكفار ومنعوا المسلمين من إجراء أحكام الإسلام كلها صارت دار حرب حقيقة وحكما، أما إذا استولى عليها الكفار أوغلب فيها حكم الكفر بأن تكون السلطة والمنعة فيها بيد الكفار، والمسلمون فيها يقيمون بعـــض أحكـــام الإســـلام وشعائره، فيجوز أن يقال إنها صارت دار حرب حقيقة، أو صورة لا حكما.

وبالتالي يجب على المسلمين عينياً القيام بالدفاع عن مثل هذه الدار، ماداموا قـــادرين عليه، واسترداد حقهم وأراضيهم من أيدى الكفرة المغتصبين، وإظـــهار جميـــع أحكـــام الإسلام فيها، ويمكن بذلك أن نسميها "دار الإسلام المحتلة أو المغتصبة" أو "دار الإســـلام حكماً "

وهذا التوفيق هو ظاهر ما ذهب إليه بعض السادة الأحناف، وبعض الشافعية [٣٦].

وبناءً على ما تقدم فأنواع الدارين بحيث السلطة والحكم فيهما تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول: دار الإسلام حقيقة وحكماً:

وهي التي تشتمل على شرطين :

الأول : أن تجري فيها أحكام الإسلام

الثاني : أن تكون السلطة فيها بيد المسلمين

ويسمى الكفار في هذا النوع ذميين ومستأمنين، وتعد دار البغي من هذا النوع.

النوع الثاني : دار الإسلام حكماً لاحقيقة

وهي التي يسيطر عليها حكم الكفر، ولكن المسلمين فيها يجرون بعض أحكام الإسلام ويقيمون بعض شعائره، وهذه الديار تعد من ديار الإسلام من حيث الحكم ودار حرب حقيقة، أي ظاهراً أوصورة.

ومن هذه الصور :

الأولى : دار يحكمها الكفار من الأصل، ولكن يسمح للمسلمين فيهابإقامة واجباتهم الإسلامية، وإظهار بعض الشعائر الإسلامية، كالصلاة والصيام والزكاة والنكاح والطلاق والميراث...وغيرها.

ولعل هذا هو مراد الإمام الماوردي من قوله :"إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفار فقد صارت البلد به دار إسلام، فالاقامة فيها أفضل من الرحلة عنها لما يترجّى من دخول غيره في الإسلام"

قال الشوكاني : "ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في دار الكفر" [٣٧]

ويقول محمد رشيد رضا : " بناءً على قول بعضهم إن دار الإسلام هي ما يتمكن المسلم من إظهار دينه فيها ولا يخاف فتنة في دينه، فأكثر بلاد أوروبا وأمريكا كذلك، ولكنها ليست دار إسلام"[٣٨]

الثانية : دار تحت حكم المسلمين ثم استولى عليها الكفرة، ويبقى المسلمون صامدين فيها قائمين ببعض أحكام الإسلام وشعائره بقدر الإستطاعة، محاولين بكل الوسائل الممكنة لاسترداد حقوقهم من أيدي الكفرة المغتصبين.

النوع الثالث : دار الحرب حقيقة وحكماً

وهي الدار التي يحكمها الكفار بأحكام الكفر ولم يوجد فيها مسلمون يؤدون واجباتهم الإسلامية والشعائر الدينية وهي على نوعين:

دار الحــرب : وهي بلاد الكفار الحربيين

دار الموادعة أو المهادنة: وهي بلاد الكفار المهادنين [٣٩]

المبحث الرابع

أساس هذا التقسيم ودوافعه

في الحقيقة تقسيم الدار على النحو المتقدم لم يرد صريحاً في نصوص القرآن والسـنة وإنما وردت أوصاف الدارين في الكتاب والسنة، وذلك في قوله تعالى : (والذين تبـوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم) أي الذين سكنوا دار الهجرة مـن قبـل المهاجرين وآمنو قبل كثير منهم[٤٠]

وعن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال : كان رسول اللهﷺ إذا أمر اميراً على جيـش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال :"اغزو بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولاتغلوا ولاتغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليـدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال "أو خلال" فأيتهن ما أجـابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، ثـم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلـهم مـا للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونـون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم فـي الغنيمة والفيء شيء، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك، فـاقبل منـهم وكـف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم... الحديث [٤١]

ومن هذه النصوص يتبين أن : هذا التقسيم قد ثبت وجوده فعلياً وتطبيقاً في أول يـوم ولدت فيه الدولة الإسلامية الأولى، التي استقرت أمورها بالمدينة المنورة، التـي تسـمى بدار الهجرة [٤٢]

ثم بدأ يتضح بعد ذلك ملامحه وحدوده، ثم يتوسع نطاق وجوده في عصر الصحابـــة، فكان شأن الفقهاء من بعدهم من التابعين القيام بإظهار هذا التقسيم بالاصطلاح الموجـــود في كتبهم منذ بداية القرن الثاني الهجري حتى يومنا هذا والله أعلم [٤٣]

دوافع تقسيم الفقهاء للدار يرجع إلى ما يلي:

أولا : تنظيم شؤون المسلمين، وجمع كلمتهم ضد اى عدو خارجي مشترك

ثانيا : تبيين أحكام الشريعة الإسلامية وترتيبها للمسلمين

ثالثا: التأصيل الفقهي لواقع العلاقات التي كانت بين المسلمين وغـــيرهم، وبيـــن دار الإسلام ودار الحرب، مع تنظيم الأحكام الشرعية التي تتعلق بهذه العلاقات التي تســـمى بالعلاقات الدولية.

وهذا التقسيم يبين ريادة الإسلام في قيادة العالم أجمع. ولقد وضـــع الإســـلام أضبـــط الأسس للسياسة الشرعية الدولية، وليس كما يزعـــم بعـــض المســـتشرقين الحـــاقدين أن المسلمين أهل غارات وحروب "بمعنى أنهم ليسوا أصحاب سلطة حقيقيـــة فـــي العـــالم " وواقع التاريخ الإسلامي يكذب هذا الادعاء، ويقدم أنصع صفحة لعدالة الإسلام في معاملة غير المسلمين من الذميين والمستأمنين، وهو أكبر شاهد وأقوى دليل على تفنيد تقـــولات الحاقدين على الإسلام من المستشرقين وغيرهم.

هوامش الفصل الثاني : دار الإسلام ودار الحرب

١ـ سورة الحج : ٣٩ ـ ٤٠

٢ـ تفسير القرآن العظيم : ج ٣ / ٢٢٥ ،للحافظ اسماعيل بن كثير ،دار احياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي،ط. ١٩٨٤ م

٣ـ سورة النساء : ٧٥

٤ـ في ظلال القرآن مجلد ٢ / ٧٠٨ ،الأستاذ/سيد قطب،دار العلم،جدة،ط. ١٩٨٤ م

٥ ـ سورة الحج : ٤١

٦ـ تفسير بن كثير ج٣/٢٢٦

٧ـ الجامع لأحكام القرآن ج١٢ / ٧٣ ،للامام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،دار احياء التراث العربي،بيروت،لبنان، ١٩٨٢ م

٨ـ سورة النور : ٥٥

٩ ـ تفسير ابن كثير ج ٣ / ٣٠٠

١٠ـ تفسير ابن كثير ج٣ / ٣٠١

١١ـ المبسوط :ج١٠/ ١١٤ ،للامام أبي بكر محمد السرخسي،دار المعرفة،بيروت،ط. ١٩٨٣ م

١٢ ـ بدائع الصنائع ج ٧ / ١٣٠ ،للامام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان

١٣ ـ بدائع الصنائع للكاساني: ج ٧ / ١٣١

١٤ ـ شرح السير الكبير : ج٤/١٢٥٣ ،للامام محمد بن أحمد السرخسي،وكتاب السير الكبير للامام محمد بن الحسن الشيباني،مطبعة شركة الاعلانات الشرقية، ١٩٨٩ م

١٥ـ المبسوط للسرخسي ج ١٠/ ٢٣

١٦ــ الفتح العزيز شرح الوجيز: ج٨ /١٤ ،للامام عبد الكريم بن محمــــد بــن غبــد الكريم،المشهور بالرافعي الكبير،مطبوع بهامش المجموع للنووي،المطبعة السلفية،المدينــة المنورة، ١٩٨١ م

١٧ــ المحلـــى: ج ١١ / ٣٠٠،للامـــام علـــي بــــن أحمــــد بــــن حـــزم،دار التراث،القاهرة ١٩٨٦ م،تحقيق:أحمد محمد شاكر

١٨ــ أحكام أهل الذمة: ج ٢/ ٢٦٦ ،للامام محمد بن أبي بكر،ابن قيـــم الجوزيـــة،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،

١٩ــ فتاوى محمد رشيد رضا رقم : ١٥٨ ج١ / ٣٧٢ ،دار الكتاب الجديد،بيروت

٢٠ــ في ظلال القرآن لسيد قطب مجلد ٢ / ٨٧٤

٢١ــ اختلاف الدارين: د/ إسماعيل لطفي فطاني ص ٣٥ ،دار الثقافة،الدوحة ١٩٩٣م

٢٢ــ العلاقات الخارجية فى دولة الخلافة د/ عارف خليل ص ٥٠،دار الارقم،الكويت

٢٣ــ الأحكام السلطانية:ص ١٣٨ ،للامام علي بن حبيب الماوردي،دار الفكر،بيروت

٢٤ ــ الأم :ج ٤ / ٢٠٧للامام محمد بن ادريس الشافعى،دار المعرفة،بيروت،لبنان

٢٥ ــ الاستخراج لأحكام الخراج: ص ٣٢،للامام أبي الفرج بن رجب الحنبلي

٢٦ ــ الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٣٨، لأبي يعلى ص ١٤٨

٢٧ ــ العلاقات الدوليـــة فـــي الإســـلام لمحمـــد أبـــو زهـــرة ص ٥٧،دار الفكـــر العربي،القاهرة،ط. ١٩٨٧م، العلاقات الدولية في الإسلام:د/وهبة الزحيلى ص ١٠٨

٢٨ ــ اختلاف الدارين د/ إسماعيل لطفي فطاني ص ٥٦

٢٩ ــ روضة الطالبين: ج ٥ / ٤٣٤،للامام يحيى بـــن شـــرف النـــووي،المكتـــب الاسلامي،بيروت،لبنان ١٩٨٥ م

٣٠ ــ المغني: ج ١٠ / ٩٥ ،للامام أبي محمد ابـــن قدامـــة المقدســـي،دار الفكـــر العربي،بيروت،لبنان ١٩٨٥ م

٣١ــ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج٢ / ١٨٨ ،للامام محمد بن عرفة الدسوقي المالكي،المطبعة الأزهرية،مصر

٣٢ــ الأنوار لأعمال الأبرار ج ٢ / ٥٥٦

٣٣ ــ حديث حسن: إرواء الغليل:رقم ١٢٦٨، ج ٥/ ١٠٦ ،محمد ناصر الدين الألباني ،المكتب الاسلامي ،بيروت ،ط. ١٩٨٢ م،نيل الاوطار ج ١٩٣/٦ ،للامام علي بن محمد الشوكاني،دار الجيل،بيروت،ط. ١٩٨٢ م

٣٤ ــ بدائع الصنائع ج ٧ / ١٣٠، الفتاوى الهندية ج٢٣٢/٢ لمجموعة علماء الهند الأعلام في القرن الحادي عشر للهجرة حوالي سنة ١٠٧٠ هـ

٣٥ــ مجموع الفتاوى: ج٢٨ ص ١٤١ ،للامام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،مطابع الدار العربية،بيروت،ط. ١٩٨٥ م

٣٦ ــ شرح فتح القدير علي الهداية: ج ٥ / ٣١٠، للامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام،دار احياء التراث العربي،بيروت،اختلاف الدارين:إسماعيل لطفي ص ٦٧

٣٧ــ نيل الاوطار للشوكاني ج٨/ ١٨٧

٣٨ ــ فتاوى محمد رشيد رضا رقم ١٥٨ ج ١/ ٣٧٢

٣٩ ــ الفتاوى السعدية ج ١ / ٩٢ للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي،دار الحياة،دمشق، ١٩٨١ م

٤٠ ــ تفسير بن كثير ج ٤ / ٣٣٧

٤١ ــ رواه مسلم ج ٣ / ١٣٥٧، ،عون المعبود شرح سنن أبي داود ج٧ / ٢٧٣ للامام أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي،المكتبة السلفية،المدينة المنورة،ط. ١٩٨٣ م

٤٢ ــ أحكام أهل الذمة : ج ١/٥ للامام شمس الدين ابن القيم،دار العلم للملايين بيروت

٤٣ ــ اختلاف الدارين د/ إسماعيل لطفي فطاني ص ٧٦

الفصل الثالث

الولاء والبراء في الإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث بعد التمهيد العام

المبحث الأول : صور موالاة الكفار والحكم الشرعي فيها .

المبحث الثاني : موقف المسلم من عقيدة الولاء والبراء .

المبحث الثالث : زمالة الأديان هل هي من شرع الرحمن ؟!

المبحث الرابع : الفرق بين الموالاة و المعاملة بالحسنى ؟

الفصل الثالث :

الولاء والبراء في الإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث بعد التمهيد العام :

التمهيد العام:

لقد أدت التبعية للكفار شكلاً ومعنى في عصرنا الحاضر، إلى القول بـالتقريب بين الأديان أو الزمالة المزعومة بين الأديان، وتمييع مفهوم الولاء والبراء في الإسلام، ولا يخفى بطلان هذا القول، ولذلك كان ولابد من بيان مبدأ الولاء والبراء في الاسلام، وكيفية معاملة الكفار.

ومسمى الموالاة لاعداء الله يقع في شعب متفاوته، منها ما يوجب الرّدة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات. ولما عقد الله الأخوة والموالاة والنصرة بين المؤمنين، ونهى عن موالاة الكفارة كلهم من يهود ونصارى وملحدين ومشركين وغيرهم، كان من الأصول المتفق عليها بين المسلمين: أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان وباليد حسب القدرة والإمكان، وحيث أن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإن أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله [١]

يقول ابن تيمية رحمه الله : " خطورة موالاة الكفار تبرز في أن ضررها على المسلمين كافة أعظم من خطر من يكفر في نفسه فقط، ذلك أن الإضرار بالمسلمين يزيد على تغيير الاعتقاد، ويفعله من يظن سلامة الاعتقاد، وهو كاذب عند الله ورسولهﷺ والمؤمنين في هذه الدعوة والظن، ومعلوم أن المفسدة في هذا أعظم من المفسدة في مجرد تغيير الاعتقاد[٢]

المبحث الأول :

صور موالاة الكفار والحكم الشرعي فيها

اولا: الرضا بكفر الكافرين وعدم وتكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة [٣]

ومعتقد أهل السنة والجماعة : أن حب القلب وبغضه يجب أن يكون كاملا، فالذي يحب الكافر لأجل كفره فهو كافر بإجماع الأمة.

ثانيا: التولي العام واتخاذهم أعوانا وانصارا وأولياء، وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) [٤]

يقول الإمام بن كثير" نهى تبارك وتعالى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك فقال تعالى: (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي فقد برىء منه الله كما قال تعالى: (يأأيها الذين آمنو لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) وقوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لاباطنه ونيته، كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال:" إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم " وروى البخاري عن الحسن أنه قال :" التقية إلى يوم القيامة " [٥]

وقال تعالى: (يأأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض) ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)(٦)

قال ابن القيم :" إن الله قد حكم ولا أحسن من حكمه، أنه من يتولى اليهود والنصارى فإنه منهم " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن، وكان له حكمهم وهذا عام، خص منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد إلتزام الإسلام، فإنه لا يقر

ولاتقبل منه الجزية، بل إما الإسلام أو السيف، لأنه مرتد بالنص والإجماع، ولا يصح إلحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الإسلام بمن دخل فيه من المسلمين، لأن من دان بدينهم من الكفار بعد نزول القرآن فقد انتقل من دينٍ إلى دينٍ خير منه ـ وإن كانا جميعاً باطلين ـ وأما المسلم فقد انتقل من دين الحق إلى دين الباطل، بعد إقراره بصحة ما كان عليه وبطلان ما انتقل إليه فلا يقر على ذلك"[٧]

ثالثا: مودتهم ومحبتهم فقد نهى الله عنها بقوله تعالى: (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) [٨]

يقول ابن تيمية: " إذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإن كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه، كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب"[٩]

رابعا: الركون إليهم قال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)[١٠]

قال القرطبي : "الركون حقيقته : الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضى به وقال قتادة :" معنى الآية : لا توادوهم ولا تطيعوهم، وقال ابن جريج : لاتميلوا إليهم، وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفر أو معصية، إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة كما قيل.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي[١١]

خامسا: مداهنتهم ومدارتهم ومجاملاتهم على حساب الدين قال تعالى: (ودوا لو تدهن فيدهنون)[١٢]

والمداهنة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعية للانهزام الداخلي في نفوسهم، حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، وترسّب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة والقدرة فأخذوا ينسلخون من تعاليم دينهم مجاملة للكفار، ولئلا يصمهم أولئك الكفار بأنهم متعصبون.

وقال ﷺ "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبرا، وذراعاً ذراعا، حتى لو دخلوا جحـــر ضب تبعتموهم، قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى؟ قال : فمن ؟"[١٣]

سادسا: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين قال تعالى : (ياأيها الذين آمنـــوا لا تتخـــذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا، ودوا ماعنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفـــي صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)[١٤]

بطانة الرجل: خاصته تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنـــهم يســـتبطنون أمـــره ويتطلعون منه على ما لايتطلع عليه غيرهم، وقد بين الله العلة في النهي عن مباطنتـــهم فقال " لا يألونكم خبالا" أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، ثم إنهم يودون ما يشق عليكم من الضرر والهلاك.

ومما عمت به البلوى: أن أكثر المستشارين في أكثر البلاد الإسلامية في جميع مجـــالات الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية .. وغير ذلك كلـــهم مـــن غـــير المسلمين .. ولاحول ولاقوة إلاباالله العلي العظيم.

سابعا: مجالستهم والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله، قال تعالى في النهي عـــن مجالستهم : (وقد نزل عليكم في الكتاب، أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بـــها، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذا مثلهم)[١٥]

ومع وضوح حكم الله في هذه المسألة، وهو تحريم مجالسة المستهزئين بالدين، إلا أنه ترى كثيراً من الناس عن حكم الله معرضين ومكثرين سواد المستهزئين، وكم نسمع دائماً من أفواه هؤلاء السخرية بالدين والشريعة الإسلامية والسنة المحمدية واتهامها بالرجعيـــة والتخلف والجمود وعدم صلاحيتها للحياة بأسرها، وليس لهم رادع لانه ليس هناك مـــادة في القانون الوضعي تعاقب المرتد..ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

وقالﷺ : " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم، إلا أن تكونوا بـــاكين، أن يصيبكـــم مثل ما أصابهم " [١٦]

ثامنا: تعظيمهم وإطلاق الألقاب العظيمة عليهم ونشر فضائلهم، فترى كثيرا من المخدوعين واللاهثين خلفهم يطلقون عليهم ألقاب السادة والحكماء والعلماء والعباقرة والأفذاذ، بل ورأينا من يصفهم بأصحاب المنهج العلمي السديد، ويجعلون الغرب قبلة للحضارة بل وقبلة للروح أيضا، وعلىكل حال فهذا ليس بعجيب في عقيدة من ترك قبلة المسلمين .بالاضافة إلى خضوع هؤلاء عند رؤيتهم للكفار، فترى أحدهم إذا أراد أن يسلم على الكافر وضع يده على صدره أو على رأسه، إشارة إلى أن محبته في قلبه وتعظيمه على رأسه.

هذا مع أن النبيﷺ يقول: (لاتبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه)[١٧]

تاسعا : السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم، قال رسول الله ﷺ : " من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله "[١٨]

وسيأتي بيان هذه النقطة إن شاء الله تعالى بتفصيل تام في موضعها من البحث حيث أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بحكم إقامة المسلمين في غير ديار الإسلام.

عاشرا : التآمر معهم وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم والتجسس من أجلهم ونقل عورات المسلمين واسرارهم إليهم والقتال في صفهم [١٩].

وهذه الصورة من أخطر مابتليت به أمتنا في هذا العصر، ذلك أن وجود مايسمى في المصطلح الحديث" الطابور الخامس " قد أفسدوا أجيال الأمة في كل مجال.

فترى من هو الساهر على تنفيذ خطة " دنلوب" في التربية والتعليم؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة " فرويد، ماركس، دوركايم " في أفكارهم الخبيثة؟ إنهم المستغربون من أبناء هذه الأمة، الذين حققوا لأعداء الله مالا يحلمون به، ولكن هيهات لهم فإن الله تعالى يقول: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون)[٢٠]

المبحث الثاني

موقف المسلم من عقيدة الولاء والبراء

الولاء والبراء هو الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي لهذه العقيدة، وهو مفهوم ضخم في حس المسلم، بمقدار ضخامة وعظمة هذه العقيدة، والله سبحانه وتعالى يقول: (قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم) [٢١]

والله تعالى قد كرم الإنسان، وبخاصة المسلم تكريماً خاصاً، قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) (٢٢)

فحين يكون ولاء المسلم لله ولدينه وحزبه المؤمنين، فهو بهذا يقدر هذا التكريم حق قدره، ويعبد الله حق عبادته، لأنه تخلى بل وعادى كل عبودية تريد إخضاعه لسلطانها من دون الله.

أما حين ينتكس فيعبد غير الله، سواء بالشعائر أم بالشرائع أم بالطاعة والانقياد، فإنه بهذا يهبط من تلك المكانة والكرامة إلى عبودية أهواء شتى وأراء ومذاهب تمزق عليه حياته وتضيع عليه آخرته.

وموالاة غير المؤمنين فضلاً عن أنها ردة وعصيان لله سبحانه وتعالى، هي مصدر التذبذب والفصام النكد في حياة فاعلها، لأنه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وفي هذا العصر الذي اختلطت فيه المفاهيم واضطربت فيه الأراء وخلطوا الحق بالباطل بل أقصي الحق ورفع شارة الباطل، فأين يقف المسلم ؟وأين يكون ولاؤه، ولمن يكون ؟ وهو يرى الكفر الصحيح معلناً ومنفذاً في حياة الناس ثم يوضع لذلك " لافتة بسيطة " أن هذا لا يتعارض مع الإسلام .

وذلك بزعمهم أن الدين علاقة بين العبد وربه فقط، وذلك على الطريقة الكنسية ولامانع من أن يكون الإنسان شيوعياً أو علمانياً. ولمن يكون ولاء المسلم وهو يرى شرع الله

مُبْعداً من الأرض محارباً ثم يستورد القانون البشري ليحل محله، لزعمهم أن الدين لم يعد مسايراً لركب الحضارة ؟

ولمن يكون ولاؤه وهو يرى المنافقين يتمسحون باسم الإسلام وهم في الحقيقة أخطر على الدين من أعدائه الصرحاء ؟

يجب أن يكون ولاء المؤمن :لله تعالى ولدينه وللمؤمنين أجمعين، ويجب أن يعرف الجاهلية ليجتنبها ويكفر بطاغوتها، لأنه لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية، ويجب على المسلم أن يوالي إخوانه في كل مكان على أساس العقيدة والدين، ويتبرأ من لوثة الدم ونتن العرف وخسة التراب.

المبحث الثالث

زمالة الأديان .. هل هي من شرع الرحمن؟

في الحقيقة لابد أن يعلم أن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)[٢٣]

(ومن يبتغ غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٢٤]

وجاء الإسلام ليعبد الله وحده ويُكفر الطاغوت، وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [٢٥].

هذا بالنسبة لأصل الدين، أما الشرائع فقد اختلفت لحكمة ربانية يعلمها الله، ولكن كل الرسالات التي سبقت الإسلام اعتورها التبديل والتحريف الذي صنعته الأيدي البشرية، ولا مجال لأحد حتى يكذّب ثبوت التحريف في الرسالات السابقة للإسلام، لأن تحريفهم ثابت بنص القرآن، قال تعالى : (يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يَكسبون)[٢٦]

ونحن نسأل دعاة الزمالة المزعومة "هل ثبت تحريفهم لكتابهم أم لا ؟"فإن قالوا : نعـــم قد ثبت، فنقول لهم : إذن على أي شيء ستكون الزمالة ؟ هل على الإيمان بالله وحده؟ أم على الإيمان بأن عيس هو الله؟ أو ثالث ثلاثة؟ أو على انه ابن الله ؟ وكذلك عزير علـــى أنه ا بن الله ؟ أو على الخلط بين كل هذه المفاهيم ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

قال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) [٢٧] وقال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) [٢٨] وقال تعالى: (وقالت اليـــهود عزيـــر بـــن الله وقالت النصارى المسيح بن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنا يؤفكون) [٢٩]

وبهذا قد كفانا الله تعالى الجواب

وإن قال هؤلاء " لا .. لم يثبت التحريف " قلنا : فقد كفانا الله الجواب أيضاً فأنتم ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

وقال تعالى: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، ومـــا الله بغـــافل عمـــا تعملون) [٣٠]

ومن العجيب : أنه قد نادى بهذه الزمالة المزعومة، عدد من المشهورين منـــهم الشيـــخ/ مصطفى المراغي في رسالة بعث بها إلىمؤتمر الأديان العالمي حيث قال: "اقتلع الإسلام من قلوب المسلمين جذور الحقد الديني بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الأخرى، وأقـــر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري، ولم يمانع أن تعيش الأديان جنباً إلى جنب" [٣١]

وأما الدكتور/ وهبة الزحيلي فيقول :" ليس من أهداف الإسلام أن يفرض نفسه علـــى الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة، إذ أن كل ذلك محاولة فاشلة ومقاومة لسنة الوجود ومعاندة للإرادة الإلهية "[٣٢]

ومن قال بهذه المقولة أيضا الشيخ / محمد أبو زهرة .. وغيرهم كثير من المعاصرين قال بهذه المقولة، ولكن أين هم من قوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٣٣]

ومن حججهم لهذا المذهب أنهم يقولون : إننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب للوقوف في وجه المادية والإلحاد ـ بوصفنا جميعاً أهل دين ـ ناسين تعاليم القرآن كله، وناسين تعاليم التاريخ كله، فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يقولون للذين كفروا من المشركين (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) [٣٤]

وهم الذين ألبوا المشركين على المسلمين في المدينة المنورة، وكانوا لهم درعا وردءا، وهم الذين شنوا الحروب الصليبية على طول التاريخ الإسلامي

وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وشردوا المسلمين في فلسطين، وهم الذين يشردون المسلمين في كل مكان،

وهم الذين يذيقون المسلمين سوء العذاب في البوسنة والهرسك ..وهم .هم في كل وقت وفي كل حين وهاهو التاريخ يعيد نفسه.

المبحث الرابع

الفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى

إن الدين الذي نزل على رسول الله ﷺ هو الدين عند الله، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي، وأما أصحاب منهج الزمالة بين الأديان، فإنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم، الذي يقرر أن الله لايقبل ديناً غير دين الإسلام، وأن على المسلم أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام، ولا يقبل دونه بديلا، ولايقبل فيه تعديلا، كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين [٣٥]

فالولاء شيء، والمعاملة بالحسنى شيء آخر

قال تعالى : (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديـــاركم، أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) [٣٦]

لقد ورد في هذه الآية عدد من التفسيرات، ولكن رجح ا بن جرير الطبري أن أولـــى الأقوال بالصواب قول من قال : عنى بذلك :

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملـــل والأديـان، أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم أن الله عز وجل عمَّ بقوله: " الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم " جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضاً دون بعــض ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن أحداً من أهل الحرب ممــن بينــه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينهم ولا نسب، غير محرم ولامنهى عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح.

ويبين ذلك الخبر المروي عن ا بن الزبير في قصة أسماء مع أمـــها والتـــي رواهـا البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت : "قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : إن أمي قدمت علي وهي راغبة .. أفأصل أمي ؟ قال : نعم صلي أمك " [٣٧]

قال ابن حجر العسقلاني : " البر والصلة والاحسان لايستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى: (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل [٣٨]

والخلاصة: أن الواجب على المؤمن أن يكون مع إخوانه بقلبه ولسانه وماله ودمه يـــألم لألمهم ويفرح لفرحهم، وبغضه وبراءته لجميع أعداء الله سواء كانوا كفـــارا أصليـــن أم مرتدين أم منافقين

وهو بهذا يكون مسلماً واعياً، عزيزا بعزة الله غير واهن ولاحزين، لأن الله معه وهو نعم المولى ونعم النصير.

هوامش الفصل الثالث : الولاء والبراء في الإسلام

١ــ الفتاوى السعدية للشيخ /عبد الرحمن ناصر السعدي ج١ /٩٨

٢ــ الصارم المسلول على شاتم الرسول: ص ٣٧١ ،لابن تيمية،بيروت، ١٩٧٩م

٣ــ نواقض الإسلام: ١٢٢ ،للشيخ محمد بن سليمان،ادارة الافتاء،الرياض،ط.١٩٨٤ م

٤ــ آل عمران / ٢٨

٥ ــ تيسير الكريم الرحمن: ج١ / ٣٧٢،عبد الرحمن السعدي،طبع دار الافتاء،الرياض

٦ــ المائدة / ٥١

٧ــ احكام أهل الذمة بن القيم ج١/ ٦٧ ــ ٦٨

٨ ــ المجادلة / ٢٢

٩ ــ الإيمان لابن تيمية ص ١٣ ،دار الفكر ،بيروت،لبنان، ١٩٨٢ م

١٠ ــ هود / ١١٣

١١ــ تفسير القرطبي ج٩ / ١٠٨

١٢ــ القلم / ٩

١٣ــ صحيح البخاري شرح فتح الباري ج١٣ / ٣٠٠ رقم ٧٣٢٠

١٤ ــ آل عمران / ١١٨

١٥ ــ النساء / ١٤٠

١٦ ــ البخاري شرح فتح الباري ج٨ / ١٢٥، مسلم ج ٤ / ٢١٨٥ رقم ٢٩٨٠

١٧ــ مسلم ج٤ / ١٧٠٧ رقم ٢١٦٧، أبو داود ج٥ / ٣٨٤ رقم ٥٢٠٥

١٨ــ صحيح الجامع: ج٦ / ٢٧٨ رقم ٦٠٦٢ ،الالباني،المكتب الاسلامي،بيروت

١٩ ــ "الإيمان: ص ١٤٧ ، محمد نعيم ياسين،مكتبة الرسالة،عمان،ط. ١٩٨٥م

٢٠ــ الصافات / ١٧١ ــ ١٧٣

٢١ــ البقرة / ٢٥٦

٢٢ ــ الإسراء / ٧٠

٢٣ ــ آل عمران / ١٩

٢٤ ــ آل عمران / ٨٥

٢٥ ــ النحل / ٣٦

٢٦ ــ البقرة / ٧٩

٢٧ ــ المائدة / ٧٢

٢٨ــ المائدة / ٧٣

٢٩ ــ التوبة / ٣٠

٣٠ ــ البقرة/ ٨٥

٣١ ــ آثار الحرب في الفقه الإسلامي:وهبة الزحيلي ص ٦٣ ،دار الفكر،بيروت،ط.١٩٩٠ م

٣٢ ــ المصدر نفسه.

٣٣ ــ آل عمران / ٨٥

٣٤ ــ النساء / ٥١

٣٥ ــ آل عمران / ٨٥

٣٦ ــ الممتحنة / ٨

٣٧ ــ فتح الباري ج ٥ /٢٧٥،مسلم ج٢ /٦٩٦،تفسير الطبري ج٢٨/٦٦ ،للامام محمد بن جرير الطبري،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان

٣٨ ــ فتح الباري، ج٥، ص ٢٣٣ .

الباب الأول

التطور التاريخي لحركة المسلمين العالمية

- الإسلام وحركة التاريخ -

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مُنْطَلَقاتُ الأمة الإسلامية .

الفصل الثاني : فترة المد الإسلامي .

الفصل الثالث : فترة الانحسار .

الفصل الأول

منطلقات الأمة الإسلامية

ويشتمل على أربعة مباحث بعد التمهيد :

المبحث الأول : أمة الرسالة الخالدة .

المبحث الثاني : أمة العقيدة والدعوة .

المبحث الثالث : أمة الجهاد في سبيل الله .

المبحث الرابع : أمة العقيدة والشريعة - الدين والدولة .

الفصل الأول :

منطلقات الأمة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث بعد التمهيد العام :

التمهيد العام :

لكل أمة من الأمم دوافع وأهداف يختلف بعضها عن بعض، ولقد أعطى الله سبحانه الأمة الإسلامية أعظم الأهداف وأكرمها وأسماها، ولذلك جعلها سبحانه أمة وسطا، وجعلها شهيدة على الأمم، وجعل رسالتها كاملة تامة محفوظة إلى قيام الساعة، وجعل نبيها ﷺ سيد ولد آدم، ولما جعلها الله تعالى شاهدة على الأمم، كان ولابد أن تشهد بالصدق وتحكم بالعدل، ولما جعلها الله أمة العقيدة الصحيحة، كان ولابد أن تدعوا إليها وتجعلها وظيفة العمُر كله، ولما جرت سنة الله بدفع الناس بعضهم ببعض، ودفع الكفار بالمؤمنين كان ولابد من الجهاد في سبيل الله، حتى يكون الدين كله لله، ولما وعد الله عباده الذين آمنوا بالاستخلاف والتمكين في الأرض، كان ولابد من العمل لتكوين دولة الإسلام وإعادة الخلافة الإسلامية إلى الأرض كلها.

فهذه سطور تبين مجمل دوافع وأهداف الأمة الإسلامية وإليك التفصيل

المبحث الأول :

أمة الرسالة الخالدة

أمتنا الإسلامية أمة رسالة خالدة كاملة ثابتة بالدليل القطعي من الكتاب والسنة، فلماذا نترك الثابت اليقيني إلى المتغير والمتردي من الفلسفات والأهواء الشخصية

لقد تضمن القرآن الكريم منهج الحياة الأمثل للإنسان، وقدم له التفسير الصحيح للكون والحياة والإنسان، من حيث النشأة والهدف والمصير، وكذلك أوضحت السنة النبوية هذه الأصول غاية التوضيح.

كما أن التفسير الإسلامي للتاريخ يمتاز بالرؤية العامة والشاملة، فهو يسلط الأضواء على جميع الأحداث الفاعلة والمؤثرة في التاريخ بدون استثناء، ويراها رؤية شاملة عبر الزمن، لأنه تفسير يُستمد من " علم الله " الشامل الذي لا يخضع للزمان والمكان. في حين أن التفسيرات الأخرى للتاريخ تفتقر إلى هذه العناصر افتقاراً كلياً. فلقد اعتمد أصحاب المذاهب الأوربية في تفسير حركة التاريخ الإسلامي على تاريخهم هم، على اختلاف مراحله وتعدد استنتاجاتهم منه أو تفسيراتهم له، كما أن حركة التاريخ الإسلامي كانت في حقيقتها استجابة للهدي الإلهي، أي للإسلام بكل عناصره ومواصفاته السابقة، ومعنى ذلك أن تقويم هذه الحركة مداً وجزراً، صعودا وهبوطاً، نابع من مدى تحقق المجتمع الإسلامي بالشروط القرآنية، ولذلك حدث بعض التفاوت النسبي في التطبيق عبر المراحل التاريخية المختلفة.

يقول الأستاذ/ سيد قطب رحمه الله: " إن منهج الله ثابت، وقيمه وموازينه ثابتة، والبشر يبعدون أويقربون من هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور، وقواعد التطبيق والسلوك، ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوباً على المنهج ولامغيراً لقيمه وموازينه الثابتة، وحين يخطئ البشر في التصور والسلوك فإنه يصفهم بالخطأ وحين ينحرفون فإنه يصفهم بالانحراف، ولا يتغاضى عن انحرافهم مهما تكن منازلهم وأقدارهم ــ ولا ينحرف هو ليجاري انحرافهم "[١]

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل يتأتى فهم التاريخ الإسلامي وتفسير أحداثه لمن لا يعتقد أن القرآن الكريم كلام الله وأن محمداً رسول الله ﷺ صادق في التبليغ عن ربه عز وجل؟

إن دراسة التاريخ الإسلامي لا تستقيم من خلال مفاهيم الأوربيين ــ مستشرقين كانوا أو مستغربين ــ الخاص عن الدين والدولة والمجتمع والكنيسة، ولا من خلال عقائدهم في

الله والإنسان، أو تاريخهم الفكري والاجتماعي والديني والسياسي على حد سواء. إن مثل هذه الدراسة تحمل في طياتها ــ إن قُدّر لها أن تسلم من الشعور بعقدة التفوق للمسلمين عليهم ومن كل عوامل العداء والرغبة في الانتقاص ــ مغالطات شديدة وأخطاء فاحشة قد تصل في كثير من الأحيان إلى حد قلب المفاهيم وتبديل الأوضاع.

وإذا كان النبيﷺ قد غضب غضباً شديداً حينما رأى في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة وقال " والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"

ولقد قال الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [٢]

فلقد حفظ الله كتابه من التحريف والتبديل على مر العصور إلى قيام الساعة، وآية ذلك: أنك تراه محفوظا في الصدور وفي السطور في كل مكان، حتى في قلب بلاد الكفر ويصدق هذا الحكم أيضا على السنة النبوية، لأنها من جملة الذكر المحفوظ، وهذا من إقامة الحجة على العباد في كل مكان.

فكيف إذا نسمع لحفنة من المستشرقين والمستغربين وأتباعهم من المرتزقة المأجورين فيما يخص ديننا العظيم، المنزل من رب العالمين، على سيد المرسلين، بلسان عربي مبين ؟

المبحث الثاني

أمة العقيدة والدعوة

إن هذه الأمة هي ناسٌ من خيار الناس أكرمهم الله سبحانه بالاجتماع على الإيمان والعمل بماجاء من عنده، وجعل ولاءهم المطلق له ولرسولهﷺ ،وشرفهم بتكليفهم دعوة العالم كله إلى ما هداهم إليه من الحق، وأوجب عليهم جعل حياتهم خالصة له لايضنون بشيء منها نفساً أو نفيساً في سبيل تبليغ الدعوة، تصحيحاً لحياة الناس وإخراجا لهم من عبادة العباد إلى عبادة الله، وإسعاداً لهم في معاشهم ومعادهم. وهذه الأمة بطبيعة هويتها تسمو في تفكيرهاوسلوكها فوق جميع الاعتبارات التي لا تنطوي على قيم حقيقية

كالاعتزاز باللون أو الجنس أو النسب أو الأرض أو ما شاكل ذلك، وهي إنمـــا تبتغـي بدعوة الناس إلى الحق وجه الله والدار الاخرة، دونما تطلع إلى استعلاء أو اســتغلال أو استعمار، وإنما هي الرغبة المخلصة والجهاد الجاهد لإشراك الجميع فيما أولاها البـاري سبحانه من نعم معنوية أو مادية.

وعلى هذا فالأمة الإسلامية أمة عقيدة ودعوة، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلـى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين) [٣]

وبالتالي فعلاقة الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى ليست في حقيقتــها، علاقــة سـلم ولا حرب، ولا دفاع ولاهجوم وإنما هي " علاقة دعوة " فالأمة الإسلامية إذن ـ أمة دعـــوة عالمية تتخطى في إيمان وسمو كل الحدود والحواجز التي تنتهي إليها أو تتهاوى عندهـا المبادىء الأخرى، سواء كانت هذه الحدود جغرافية أو سياسية أو عرقية أو لغويـــة.. أو غيرها، وهي بذلك تفتح أبواب رحمة الله لأهل الأرض أجمعين.

وعلاقة الدعوة : هي في حقيقتها منهج متكامل لمواجهة إيما عقبة يحتمل ظـــهورها في طريق تبليغ دعوة الحق للأحمر والأسود، وهذه المواجهة مبنية في حكمة بالغة ودقة دقيقة على سنن الله في الأشياء ومقتضيات الظروف في كل مرحلة من مراحـــل تـاريخ الدعوة الذي لن ينتهي بإذن الله إلا بقيام الساعة.

وإذا كانت انطلاقات الأمم لها دوافعها، ولها أهدافها، إلا أن بعضها يختلف عن بعض، وإذا كانت أكثر الأمم تقاتل حباً في القتال وتحطيما للخصم، وتغزو للتوسع وبسط النفوذ، وتنطلق لتستعمر وتسيطر، وقد ترغب في فرض فكرها وتهديم كل ما يخالفه، و تفـــرغ بعض الحقد الذي شُحنت به مدة طويلة من الزمن.

أما الأمة الإسلامية .. فتختلف عن هذا كله، فهي تنطلق لتزيل الظلم القائم في الأرض أينما كان محله، ولتفسح المجال لاعتقاد الناس ما يشاءون دون الشرك، بعد فتح البـــاب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وتبيان عقائدهم وإعطائهم الحرية في ذلك، وهذا ما يُعـــرف بالجهاد، الذي يمكن تلخيص غايته :" برفع الظلم وإزالة الطواغيت وإعطاء حرية العقيدة وحتى يكون الدين كله لله "

المبحث الثالث

الجهاد في سبيل الله

ما حارب الكفار قديماً وحديثاً مفهوماً دينياً بعد مفهوم العقيدة في الله تعالى مثل حربهم لمفهوم الجهاد في الإسلام، وذلك لأنه هو الذي أقلق مضاجعهم وأزال ملكهم قديماً، ويخافون كل الخوف من إحيائه حديثاً، فلقد استراحوا طيلة الفترة الماضية، بعدما أجهزوا على جثة الخلافة العثمانية وقسموا أملاكها وأزالوا اسم الخلافة الإسلامية من الأرض منذ ذلك الحين.

والناظر في التاريخ يرى أن كل الأمم تحارب من أجل عقيدتها ولو كانت باطلة، وتفرض هذه العقيدة بقوة السلاح ولاتخفى هذه الحقيقة في واقعنا المعاصر، فما وصلت الدول الكبرى إلى ما وصلت إليه من الهيمنة على العالم إلا عن طريق امتلاك أدوات الدمار الشامل، إلا أنك تجد من يزعم أن الإسلام يجب أن ينتشر تحت شعار غصن الزيتون ودعوى السلام مجرّداً من كل مظاهر القوة، وبذلك أرادوها رهبانية محرفة كرهبانية النصارى من وجه واحد، وإلا فالنصارى جاءوا إلينا بالروح الصليبية قديماً وحديثاً، ولذلك كان ولابد من بيان مفهوم الجهاد في الإسلام، فما هو مفهوم الجهاد؟

وهل أصل العلاقة بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم السلم أم الحرب ؟

مفهوم الجهاد في الإسلام: لقد تقرر عند علماء الأمة الإسلامية أن هذه الأمة العظيمة لها " هُـويَـة " متميزة وذلك أنها أمة " عقيدة ودعوة " عالميتين، ومن هذه الهوية انبثقت علاقتها بالأمم الأخرى فكانت علاقة قائمة على الدعوة والعقيدة، هادفة إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى، أي أنها كانت دعوة هادفة إلى إبلاغ الناس قاطبة مصلحتهم الحقيقية في العاجلة والآجلة، وقد أعدت لذلك منهجا متكاملاً لمواجهة مختلف الظروف والإحتمالات، وهي في زحفها الحاني الحكيم لتبليغ الناس ماكلفها الله تعالى تبليغه من الحق والهدى،

وشعارها في كل ذلك " لهم مالنا وعليهم ما علينا" وقوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٤]

وكانت الحرب ومازالت عنصراً من عناصر منهج المواجهة المتكامل، وكـانت ومـا زالت فرضاً مفروضا، غير أن استخدامها إنما يتوجب بحسب مصلحة الدعـوة ذاتـها لا بحسب نزوات الحكام ومصالحهم، فهو يدور مع هذه المصلحة وجوداً وعدما، ولايجـوز بوجه ما أن توصف بأنها ــ دفاعية أوهجومية ــ وأحق ماتوصف به أنها: حرب لإماطة العقبات أياً كانت عن طريق الدعوة، أو عن طريق المصلحة الحقيقية للإنسانية كافة.

ثم كانت لهذه الأمة إنفصالات عن هويتها الحقيقية ــ وذلـك فـي بعـض مراحلـها التاريخية ــ أورثت خللاً في علاقتها بالأمم الأخرى، ثم كان لها عَوَدات إلى هذه الهوية أورثت استقامة في علاقتها تلك [٥]

يقول د/ عماد الدين خليل: "منذ لحظات الدعوة الأولى والإسلام يؤكـد اسـتراتيجيته الإنتشارية صوب العالم، لقد جاء من أجل الإنسان في كل مكان وزمان،حيث قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٦] لم يقل لقريش وحدها، ولا لعرب الشمال وحدهم، ولا للأمة العربية وحدها .. كما لم يقل للقرن السابع الميلادي، أو العاشر، أو العشريـن، رحمة للعالمين على امتداد العالمين في الزمان والمكان، وصـوت الإسـلام ومعطياتـه وقناعاته تصل إلى الإنسان بالكلمة فتحدث معجزة الإنتشار .. ولكن ماذا لو وقفـت فـي طريق التواصل هذه بين الكلمة والإنسان : عروش، وفراعنـه، وطواغيـت، وأصنـام، وآلهة، وأرباب وقيادات ضالة، وزعامات جائرة، وسلطات كافرة فاجرة، وطبقات مترفة، متنعمة، وحواشي من أصحاب المصالح والحاجات .. تقطع الطريق على الدعاة وتمنـع الكلمة بقوة السلاح وجبروت السلطة أن تطرق سمع الإنسان وعقله ووجدانه لكي تكسـر الرين عن فؤاده وحسه وتعيده إلى الوفاق المفقود مع الكون والعالم والحياة .. تعيده إلـى الله، حيث يتوجب أن تكون العودة إذا ما أريد للإنسان أن يستعيد وظيفته الأساسـية فـي العالم، تلك التي شرفه الله بها وكرّمه وفضّله على العالمين.

ومن اجل ذلك: كان الجهاد سعيا حركيا مسلحا لتنفيذ عالمية الإسلام، أو بعبـــارة أدق : تمهيد الطريق لتنفيذ عالمية الإسلام بإسقاط كافة النظم الباغية، والانقــلاب علــى كافــة الطواغيت والأرباب والسلطات الضالة وازاحتها عن مراكز التحكم والقيادة، وإلغاء كافة التشريعات الوضعية التي صممها حفنة من المتألهين في الأرض، والتحقق بالبديل الوحيد لذلك كله: بأن يكون الدين : المنهج والتشريع كله لله.

تلك هي بتركيز بالغ قضية الجهاد في الإسلام، وذلك هو المغزى الأوحد لحركة الفتح الإسلامي، ليتهافت معه زعم الزاعمين بأن هدف "الفتح" هو إرغام الناس علــى اعتنــاق عقيدة الإسلام، يتهافت بمجرد تذكرنا بأن الإسلام ليس عقيدة فحسب، وإنما هــو منــهج سياسي ونظام تشريعي كذلك، هدفهما إيجاد الأرضية الملائمة والمناخ المناســب لنمــو العقيدة وانتشارها وتحققها ..ومن ثم فإن الحركة المسلمة للقيادة المسلمة، إنما هي ســعي لإزاحة وتدمير نظم ومناهج الطواغيت وتعميم نظام الله ومنهجه العادل المستقيم..."[٧]

يقول الأستاذ / سيد قطب " والذي يدرك طبيعة هذا الدين، يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي الإسلامي في صورة الجهاد بالسيف، إلى جانب الجهاد بالبيان، ويدرك أن ذلــك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح " الحرب الدفاعيــة " كما يراها المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر، وأمام هجوم المستشرقين الماكر ,إذا لم يكن بد أن يسمي حركة الإسلام الجهادية "حركة دفاعية" فلابد أن نغير مفهوم كلمة دفاع ونعتبره دفاعا عن الإنسان ذاته ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره" [٨]

وقد لخص الإمام ا بن القيم رحمه الله مفهوم الجهاد في الإسلام تلخيصا في غاية الدقة والبيان وذلك عند حديثه في ترتيب سياق هديهﷺ مع الكفار والمنافقين من حين بــــعث إلى حين لقي الله عز وجل.

قال: " أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ بسم ربه الذي خلق وذلــك أول نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه (ياأيها المدثــر قــم فأنذر) فنبأه بقوله (إقرأ) وأرسله بـــ (يا أيها المدثر) ثــم أمــره أن ينــذر عشيرتــه الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حوله من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثــم أنــذر

العالمين، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزيـــة، ويؤمـــر بالكف والصبر والصفح.

ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكـــف عمـــن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، ثم كان الكفار معـــه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام:

أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليـــهم عـــهدهم ولـــم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأمر بأن يقاتل من نقض عهده، ولمـــا نزلـــت ســـورة برآءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عهودهم إليهم وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام:

قسما أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظـــهر عليـــهم، وقسما لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم، وقسما لم يكن لهم عهدا ولم يحاربوه، أو كان لهم عهدا مطلقا، فأمره أن يؤجلهم أربعـــة أشهر، فإذا انسلخت قاتلهم، وهي الأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى: (فإذا انســـلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين)

فالحرم هاهنا هي أ شهر التسيير، أولها يوم الأذان وهو يوم العاشر مـــن ذي الحجـــة وهو يوم الحج الأكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك، وآخرها العاشر مـــن ربيـــع الآخـــر، وليست هي الأربعة المذكورة في قوله تعالى: (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشرشهرافي كتاب الله، يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) فإن ذلك واحد فرد وثلاثة سرد : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

ولم يسير المشركون في هذه الأربعة، فإن هذا لا يمكن لأنها غير متوالية، وهو إنمـــا أجلهم أربعة أشهر ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم، فقاتل الناقض لعهده، وأجل من لاعهد

له، أوله عهد مطلق، أربعة أشهر، وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده إلى مدتـــه، فأســلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم، وضرب على أهل الذمة الجزية، فاســـتقر أمر الكفار معه بعد نزول برآءة على ثلاثة أقسام:

محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة.

ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين:

محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه.

فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام :

مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب.[٩]

بدعة القول بالحرب الدفاعية:

وبهذا التقرير يتبين بطلان بدعة القول بالحرب الدفاعية، فالحرب في الإسلام كما تقرر معنا سابقاً، حرب لإزالة العقبات من طريق الدعوة، وللإسهام في تهيئة المناخ المناســـب لدخول الناس في دين الله، تحقيقاً لسعادتهم الحقيقية في العاجلة والآجلة.

فهل من المعقول أن تواجه دعوة عالمية كالإسلام الأمم والشعــوب بمنطــق الدفـــاع، وعلى رأس هذه الأمم وتلك الشعوب، حكام جبابرة كالأكاسره والقياصرة، يحولـــون دون امتداد الدعوة بمختلف أنواع القوة ؟

أليس من طبائع الأشياء أن يبدأ المسلمون هؤلاء الجبابرة بالدعوة في إطار من القوة ؟ كما فعل النبيﷺ في غزواته كلها والتي وصلت إلى حدود الشام كما في غـــزوة تبـــوك، وكما فعل الصحابة رضي الله عنهم من بعده في سائر الفتوحات الإسلامية، فإن استجاب القوم كف المسلمون عنهم وتركوهم وشأنهم، وإن أبوا لم يكن أمام المسلمين إلا أن يزيلوا سلطانهم ليخلوا بين الأمم وبين دعوة الإسلام، تتفهمها في جو من الأمن والاطمئنان عسى أن ينتهي هذا التفهم إلى اعتناقها، وهذا ما حصل فعلاً على مدى التاريخ الملتزم بالإسلام.

ومن ناحية اخرى : لماذا خلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاسمة فـــي وجــوب القتال من هذه البدعة " بدعة القول الحرب الدفاعية "

قال تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكـــم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[١٠]

وقال تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله)[١١] وقال تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتُلون ويُقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكمُ الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم[١٢]

ومن الأحاديث النبوية الواردة في الجهاد في سبيل الله :

قولهﷺ قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله "[١٣].

وقولهﷺ :"بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده تعالى لا شريــك لــه، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومـــن تشبــه بقوم فهو منهم "[١٤]

وقولهﷺ : " من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق"[١٥].

وقولهﷺ : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "[١٦].

وقولهﷺ : " ... نصرت بالرعب مسيرة شهر ... " [١٧]

وقولهﷺ : "الجنة تحت ظلال السيوف" [١٨]

وهناك عشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين فرضية الجهاد في ســبيل الله لإعلاء كلمة الله، وحتى يكون الدين كله لله، فهذا حكم الكتاب والسنة، وعليه إجمـــاع الأمة.

ونحن نسأل أصحاب نظرية الحرب الدفاعية من المستشرقين الناطقين بالأعجمية والعربية من خارج الجزيرة العربية، كيف وصل الإسلام إلى دياركم؟ فعلى قولكم كان يجب ألا يخرج المسلمون الأوائل على أقصى تقدير عن حدود الجزيرة العربية فماذا تقولون إذن وقد وصل الإسلام منذ عهوده الأولى إلى أقاصي الأرض كلها.

إنه الإسلام: والذي سيظل محارباً للكفر إلى آخر معاركنا مع الدجال، ومع جيوش الصليبية المجتمعة في يوم الملحمة الكبرى، التي أخبر عنها النبيﷺ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

فرية أخرى أطلقها المستشرقون عن الفتح الإسلامي:

الناظر يرى أنه لما انكشف كذبهم في بدعة القول بالحرب الدفاعية ولم يقدموا دليلا عليها، لجأوا إلى القول بأن الأصل في الحرب دفاعية، وما أخرج المسلمون الأوائل إلا الجوع والفقر والبحث عن المعيشة في أراضي الهلال الخصيب.

وتولى القول بهذه الفرية فيليب حتى ومن شايعه، وذلك لأنهم قد أفزعتهم الفتوحات الإسلامية، فكيف لهؤلاء الحفاة العراة يفتحوا العالم كله في أقل مدة عرفها التاريخ، ووقف هو وأتباعه عند التفسير المادي للظواهر، فقاسوا الفتوحات الإسلامية لإعلاء كلمة الله وتؤيدها عناية الله بالفتوحات الاستعمارية التي كان يقوم بها أجدادهم هم.

رحم الله ربعي بن عامر ﷺ لقد أجاب رستم قائد الفرس والذي توهم مثل فيليب حتى أن المسلمين ما أخرجهم إلا الجوع فقال له رستم: ما جاء بكم؟

فقال ربعي : الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وأرسلنا بدينه إلى خلقه، فمن قبل منا قبلنا منه وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى إحدى الحسنيين الجنة أو الظفر ..."[١٩]

يقول الشيخ محمد الغزالي " إن الإنسان يريد أن يظفر بالطعام ليعيش به لا أن يموت في طلبه، فما بال هؤلاء طلبوا الموت حينما ذهبوا وحقروا العيش أينما توجهوا ؟ ما

بالهم وقد فتحت لهم مصر ورأوا الخصب في أرضها جاوزوها إلى صحاري النوبة وسهوب أفريقيا؟ ما بالهم وقد دانت لهم فارس جابوا صحاري مكران إلى السند ؟ ما بالهم يتركون النعيم والخير العميم في الأرض التي سيطروا عليها ليجوزوا فيافي قاحلة ويحاربوا أقواماً غلاظاً في بلاد تنتظرهم فيها قبورهم؟

إن الأمر لأعظم مما توهموا وأسمى مما قالوا [٢٠]

المبحث الرابع

الإسلام دين ودولة " عقيدة وشريعة "

وهذه حقيقة شرعية ثابتة لا شك فيها ولالبس، وهي بمثابة البداهة التي لا تحتاج إلى نقاش، لولا محاولات الذين في قلوبهم مرض، وفي عقولهم ميل أو هوى، لجعلها مجالا لطرح وجهات النظر المتباينة، للتشكيك بسلامة هذه العقيدة وجديتها وثقلها وكونها القاعدة التي يقوم عليها بنيان الإسلام عقيدة وتشريعاً، حركة وتاريخاً.

وبالرغم من وضوح هذه القاعدة العظيمة وثبوتها ثبوتاً قطعياً، إلا أننا نسمع أبواقاً كثيرة تنادي بتلك الضلالة المستوردة والتي تسمى "علمانية " وترجمت ترجمة قاصرة حيث قيل فيها أنها " فصل الدين عن الدولة "، ولكنها في الحقيقة فصل الدين عن الحياة

ومما يجب ان يعلم: أن العلمانية رد فعل خاطىء لدين محرف وأوضاع خاطئة كذلك وإنها نبات نكدٌ خرج من تربة خبيثة سيئة لظروف غير طبيعية.

فأوروبا نكبت بالكنيسة وديانتها المحرفة وطغيانها الأعمى، وسارت أحقاباً من الدهر تتعسر في ركابها، ثم انتفضت عليها وتمردت على سلطتها فانتقلت إلى انحراف آخر، وسارت في خط مضاد، إلا أنه أعظم خطراً وأسوأ مصيراً، انتقلت من جاهلية تلبس مسوح الدين إلى جاهلية ترتدي مسوح التقدم والتطور.

ومع ذلك يراد من الأمة الإسلامية أن تتبع هذه العقيدة المحرفة، والتي تؤمن بالطاغوت وتكفر بالرحمن.

قال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [٢١].

يقول الإمام بن كثير:" ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به

يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية، المأخوذة عن ملكهم جنكزخان، الذي وضع لهم" الياسق" وهو عبارة عن: كتاب مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى : من اليهودية والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسولهﷺ فمن فعل ذلك منهم، فقد وجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى :(أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون(ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)

أي : ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء)[٢٢]

ويقول الشيخ / أحمد محمد شاكر: " أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة ؟ بل بتشريع تتدخله الأهواء والآراء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون، لا يبالي واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها؟

إن المسلمين لم يُبْلَوْا بهذا قط ــ فيما نعلم من تاريخهم ــ إلا في ذلك العهد ــ عهد التتار ــ وكان من أسوأ عهود الظلام والظلم، ومع هذا لم يخضعوا له بل غلب الإسلام التتار، ثم مزجهم فأدخلهم في شرعته، وزال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم، ولأن هذا الحكم السيء الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك لم يندمج مع أفراد الأمم الإسلامية المحكومة ولم يتعلموه ولم يعلموه أبناءهم فما أسرع ما زال أثره.

أفرأيتم هذا الوصف القوي من الحافظ بن كثير ــ في القرن الثامن الهجري ــ لذلك القانون الوضعي الذي صنعه عدو الإسلام جنكيز خان ؟ ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرابع عشر؟ إلا في فرق واحد أشرنا إليه آنفا : أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام أتى عليها الزمان سريعا فاندمجت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعت، ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً وأشد ظلماً منهم، لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة، والتي هي أشبه شيء بذاك "الياسق" الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر، أما هذه القوانين التي يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام ثم يعلمونها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباءً وأبناءً ثم يجعلون مرد أمرهم إلى معتنقي هذا " الياسق العصري " ويحقرون من يخالفهم في ذلك ويسمون من يدعوهم للاستمساك بدينهم وشريعتهم "رجعيا" و" جامدا " إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة، بل أنهم أدخلوا أيديهم فيما بقي في الحكم من التشريع الإسلامي يريدون تحويله إلى ياسقهم الجديد بالهوينا واللين تارة، وبالمكر والخديعة تارة، وبما ملكت أيديهم من السلطات تارات، ويصرحون ولا يستحيون بانهم يعملون على فصل الدين عن الدولة.

أفيجوز إذن مع هذا لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا " الدين الجديد " أعني" التشريع الجديد " أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا واعتناقه واعتقاده والعمل به عالماً كان الأب أو جاهلا ؟ ....

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي" كفر بواح " لاخفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد من ينتسب للإسلام كائنا من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو اقرارها فليحذر امرؤ لنفسه " وكل امرىء حسيب نفسه "

ألا فليصدع العلماء بالحق غير هيابين، وليبلغوا ما أمروا بتبليغه غير موانين ولامقصرين.

سيقول عني عبيد هذا "الياسق العصري" وناصروه أني جامد، وأني رجعي .. وما إلى ذلك من الأقاويل، ألا فليقولوا ماشاءوا، فما عبئت يوماً بما يقال عني، ولكني قلت ما يجب أن أقول"[٢٣]

ولا أريد الإطالة في بيان وتوضيح هذه المباحث المتقدمة فهي من الوضوح بمكـــان لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته، وكما قالوا :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وإنما أردت في هذه المباحث الأربعة المتقدمة، بيان دوافع وأهـــداف المســـلمين فـــي انطلاقتهم الكبرى إلى العالم أجمع، مع بيان الوسائل التي استخدموها في ســـبيل هدفـــهم مقارنة بوسائل غيرهم، مع بيان الكذب والتضليل والافتراء على الثوابت الشرعيـــة فـــي عقيدة المسلمين، وهذا كله كمحاولة للالتفاف والإحاطة بالأمة الإسلامية للإجهاز على من تبقى من المسلمين روحا وجسداً، ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

هوامش الفصل الأول : منطلقات الأمة الإسلامية

١ــ في ظلال القرآن سيد قطب ج٤/١٥٨

٢ــ الحجر / ٩

٣ ــ يوسف/ ١٠٨

٤ ــ الحجرات/ ١٣

٥ ــ ما هي علاقة الأمة الإسلامية بالأمم الاخرى د/ أحمد محمود الأحمد ص ٤٥

٦ــ الأنبياء / ١٠٧

٧ــ تحليل للتاريخ الإسلامي د/ عماد الدين خليل ص ٦٣،دار الثقافة،الدوحة ١٩٩٤م

٨ ــ في ظلال القرآن ج٣ / ١٤٣٣

٩ ــ زاد المعاد في هدي خير العباد:للامام ابن قيم الجوزيــــة، ج٣ / ١٥٩،مؤسســـة الرسالة،بيروت،ط.١٩٩٤م

١٠ ــ البقرة / ٢١٦

١١ــ التوبة / ٤١

١٢ ــ التوبة / ١١١

١٣ ـــ رواه البخاري ومسلم

١٤ ـــصحيح الجامع ج٣/٨، رقم ٢٨٢٨،للألباني،المكتب الاسلامي،بيروت

١٥ ــ رواه مسلم كتاب الإمارة ج ٣ / ١٥١٧، رقم ١٩١٠

١٦ــ سنن النسائي ج٦ / ٧،للامام أحمد بن شعيب بن علـــي،بشــرح جــلال الديــن السيوطي،وحاشــية الامـــام محمـــد بـــن عبـــد الــــهادي الســـندي،دار الكتـــب العلميـــة بيروت،ط.١٩٨٣م، صحيح الجامع للألباني: ج٣ / ٧٨رقم ٣٠٨٥

١٧ــ تقدم تخريجه

١٨ــ صحيح الجامع الصغير :للألباني رقم ٣١١٢

١٩ــ البداية و النهاية: ج٧/ ٤٧ ،للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ،تحقيق:د/أحمد أبو ملحم وجماعة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط. ١٩٩٠م

٢٠ــ كتاب " مع الله " للشيخ محمد الغزالي، لماذا يزيفون التاريخ / إسماعيل الكيلاني ص٨٩ ،المكتب الاسلامي،بيروت،١٩٩٦م

٢١ ــ المائدة / ٥٠

٢٢ــ تفسير ابن كثير ج٢ / ٦٨

٢٣ــ حكم الجاهلية للشيخ / أحمد شاكر ص ٣٠، وعمدة التفسير له ج٥/٨٩ ،طبع المكتب العلمي للنشر والتوزيع،القاهرة،ط١٩٩٤م

الفصل الثاني

فترة المد الإسلامي

وفيه خمسة مباحث بعد التمهيد العام :

المبحث الأول : فترة السيرة النبوية .

المبحث الثاني : فترة الخلافة الراشدة .

المبحث الثالث : فترة الخلافة الأموية .

المبحث الرابع : فترة الخلافة العباسية .

المبحث الخامس : فترة الخلافة العثمانية .

الفصل الثاني:

فترة المد الإسلامي

التمهيد العام :

لكل أمة من الأمم تاريخ خاص يثبت سيرتها ووسائلها المستخدمة في تحقيق غايتــــها، مع بيان أهدافها، وتوازن منهجها. والتاريخ خير شاهد على كل هذا، ولا يستطيع أحد أن يمحو صفحات التاريخ، أو أن يطمس معالمها كاملة، نعم قد يقع التحريــف فــي بعــض وقائعها وأحداثها، ولكن تبقى حركة التاريخ العامة شاهدة على أهله بالخير أو بالشر.

وإن الأمة الإسلامية ذات وضع معين في التاريخ الإسلامي، إنها ليست مجــرد أمــة عادية من أمم الأرض، ولكنها أمة الرسالة الخاتمة رسالة محمدﷺ الــذي أرســل إلــى البشرية إلى قيام الساعة، وهي بهذه الصفة خير أمة أخرجت للناس قال تعــالى: (كنتــم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[١]

ولكن خيريتها ليست ذاتية ولا عرقية ولا قومية، وإنما هي خيرية مستمدة من الرسالة التي أخرجت من أجلها. ومن ثمَّ تحقق لها صفة الخيرية طالما كانت قائمــة برســالتها، وتزول هذه الصفة عنها كلما فرطت في أداء الرسالة.

وتاريخها : هو أمجادها وارتفاعاتها وقممها وقوتها، هي التي تكون فيها مؤدية لرسالتها، وبالقدر الذي تكون فيه مؤدية لرسالتها، وانتكاساتها وانخفاضاتها وفترات ضعفــها هــي التي تكون فيها ناكلة عن رسالتها، وهو الذي يحدد لها معالم تاريخها منذ اللحظة الأولى، وهو الذي يفسر تاريخها كذلك، إنه ليس تاريخ الدولة الأموية، أو العباسية، أو العثمانيــة أو غير ذلك، إنما هو دائماً تاريخ "الأمة الإسلامية " ومعياره الدائم في أي حقبة من حقبه، وحين ندرس تاريخ الأمة على هذا النحو، تتضح لنا جوانبه وندرك سر اختلاف درجات الإضاءة في صفحة التاريخ الإسلامي، ما بين الإشراق الشديد أحياناً والعتامة، المظلمــة أحياناً أخرى.

إنه ليس مجرد ظروف أحاطت بالأمة في وقت معين : ظروف سياسية أو حربيـــة أو إقتصادية .. أو ماشابه ذلك مما يفسر به التاريخ.

إن منبع النور واحد .. العقيدة الصحيحة لااله الا الله محمد رسول الله وتختلف درجات الإضاءة في صفحة التاريخ بمقدار استمداد كل فترة من فتراته من ذلك المنبع الصـــافي الأصيل، ومدى قيامهم بما تقتضيه العقيدة الصحيحة من تكاليف في عالم الواقـــع فتشتـد الإضاءة حتى تتوهج حين يكون استمدادهم على أتمه، وتخبو حين يضعـــف الاسـتمداد، وتظلم الصفحة تماماً، حين تنقطع صلة الناس بمصدر النور.

ورؤية التاريخ الإسلامي على هذا النحو، يصحح كثيراً من المفاهيم المغلوطـــة التـــي تتداول في التاريخ، والتي ترد الأمور كلها إلى الظروف السياسية والحربية والاقتصادية .. الخ كأنه أمر بشري بحت وأرضي بحت لا دخل فيه للسنن الربانية التي يجري مـــن خلالها قدر الله في هذا الكون.

ورد الأمور إلى الظروف من دون الله تعالى، سنة من سنن الجاهلية تنتهجها منـــاهج التاريخ الجاهلية.

وأما الأمة الإسلامية فالله تعالى لا ينصرها إلاحينما تتخذ الأسباب من خلال توكلـــها على الله، أي من خلال العقيدة الصحيحة، قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [٢]

وحين ندرس تاريخ الأمة الإسلامية على هذا النحو، ندرك أسباب الانتكاسة الضخمـــة التي وقعت فيها الأمة في عصرها الأخير، ونتعرف فـــي الوقـــت ذاتـــه علـــى طريـــق الخلاص.

ويجب ان يعلم: أن مصير البشرية كلها قدر ارتبط بأحوال هذه الأمة منذ أخرجها الله إلى الوجود وكلفها أن تحمل الرسالة الخاتمة بعد نبيهاﷺ ،وأن قيـــام هـــذه الأمـــة برســـالتها أونكولهاعنه هو مفرق طريق في حياة البشرية منذ أربعة عشرة قرناً، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. بقدر من الله تعالى.

ومن هنا: كان ولابد أن نؤكد على معالم الانطلاقة الكبرى في حياة الأمـــة الإســـلامية مستخلصين الفوائد والعبر والسنن الكونية والشرعية من تاريخ الأمة الإسلامية من خلال الفترة الأولى لحركة التاريخ الإسلامي ألا وهي فترة المد الإسلامي.

ومما يجب ان يعلم: أنني في دراستي هذه وقفت عند المعالم البارزة فقط لتـــاريخ الأمـــة الإسلامية، وذلك لبيان الترجمة العملية لأهداف وغايات الأمة الإسلامية عـــبر تاريخـــها الممتد.

المبحث الأول:

فترة البعثة النبوية وتكوين دولة الإسلام الأولى

بدأ الرسول ﷺ منذ دخوله المدينة يسعى إلى إنجاز المهام الملقاة على عاتقه في مطلـــع المرحلة الجديدة من الدعوة، والتي تستهدف إنشاء النواة الأساســـية للدولـــة الإســـلامية العالمية على أسس راسخة، ولقد قام النبي ﷺ بعمل أربعة أمور مهمة جداً لتنظيـــم دولـــة الإسلام وهي :

أولاً : بناء المسجد

وهو مركز القيادة والعبادة، وهو أحد المعالم الأساسية فوق كـــل شـــبر مـــن الأرض الإسلامية، وهذا يؤكد أن: أمتنا أمة العقيدة والدعوة والأخلاق، ألا فليشـــهد التـــاريخ أن مركز القيادة في الأمة الإسلامية في المساجد، وليس في الملاهي والنوادي، ولقد أثبـــت تاريخ المسجد في الإسلام أنه منه انطلقت جحافل الجيوش الإسلامية لغمر الأرض بهداية الله، ومنه انبعثت أشعة النور والهداية للمسلمين وغيرهم، وهل كان الخلفاء الأربعة وخالد وسعد وأبو عبيده وأمثالهم من عظماء التاريخ الإسلامي إلا تلامذة المدرسة المحمدية التي كان مقرها المسجد النبوي.

ثانياً : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وهذه المؤاخاة تعتبر أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام، فالمهاجرون قوم تركـــوا أموالهم وأراضيهم في سبيل الله تعالى، فجاءوا المدينة لا يملكون من حطام الدنيـــا شيئـــا والأنصار قوم أغنياء بزروعهم وأموالهم، فليحمل الأخ أخاه وليقتسم معه ســـراء الحيـــاة وضراءها، فأية عدالة اجتماعية في الدنيا تعدل هذه الأخوة ؟

ثالثاً : إعلان دستور المدينة (المعاهدة)

وهذه هي المعاهدة التي اتخذها النبيﷺ مع اليهود ويرى د/ أكرم ضياء العمـــــري أن الوثيقة في الأصل وثيقتان، ثم جمع المؤرخـــون بينـــهما، إحداهمـــا: تتنـــاول موادعـــة الرسولﷺ لليهود، والثانية: توضح إلتزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقـــــهم وواجباتهم،ويقول: " ويترجح عندي أن وثيقة موادعة اليهود كتبـــت قبـــل موقعـــة بـــدر الكبرى، وأما الوثيقة بين المهاجرين والأنصار فكتبت بعد بدر" [٣]

ولقد أقام النبيﷺ هذه المعاهدة بعدما وثق من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامي الجديد بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، فرأى النبيﷺ أن يقوم بتنظيـــم علاقته بغير المسلمين، وكان همّه في ذلك هو توفير الأمن والسلام والســـــعادة والخـــير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فسنّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم مليء بالتعصب والتغالي، وأقرب من كان يجاور المدينة من غـــير المسلمين هم اليهود، وهم وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين، لكنهم لم يكونوا أظـــهروا أية مقاومة أو خصومة بعد، فعقد معهم رسول اللهﷺ معاهدة ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد والمصادرة والخصام[٤]

ومن ضمن بنود هذه الوثيقة : أن اليهود يتفقون مع المؤمنين مادامو محاربين، وأنه مـــا كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى النبي ﷺ...إلى آخر بنود الوثيقة كما وردت عند ابن هشام في السيرة وغيرها[٥]

وهذا يدل على أن الحكم في المدينة كان لله ولرسولهﷺ وهذا هو الأصل في عهود المسلمين مع غيرهم من الكفار أن يكون الدين كله لله.

رابعا: تشكيل جيش إسلامي

لكي يتولى حماية عاصمة الإسلام والعمل على تحقيق الأهداف الإسلامية الكبرى، بفتح الأرض كلها حتى يكون الدين كله لله.

بدء الانتشار :

لقد جاءت المؤشرات الأولى للتحقق والانتشار والعالمية من عهد الرسول المعلم ﷺ، وما كان صراعه ضد الوثنية العربية والزعامات اليهودية في الجزيرة العربية عبر سنيّ العصر المدني كله إلا خطوات أساسية على طريق الانتشار الجغرافي داخل الجزيرة العربية، لتكون هذه البقعة الجغرافية الوسط منطلقا إسلاميا إلى العالم كله.

حروب النبي صلى الله عليه وسلم

أولا: المعسكر اليهودي في المدينة

نقض اليهود للمعاهدة وإجلاؤهم عن المدينة :

لقد كان النبي حريصاً كل الحرص على تنفيذ ما جاء في المعاهدة بينه وبين اليهود وفعلاً لم يأتي من المسلمين ما يخالف حرفاً واحداً من نصوصها، ولكن اليهود الذين ملأوا تاريخهم بالغدر والخيانة ونكس العهد، لم يلبثوا أن تمشوا مع طبائعهم القديمة وأخذوا في طريق الدس والمؤامرة والتحريش وإثارة القلاقل والاضطراب في صفوف المسلمين، ووقفوا مواقف عدائية أيضاً، فكان ذلك سببه إجلائهم عن المدينة وغزاهم النبيﷺ عدة غزوات.. منها :

غزوة بني قينقاع : في شوال سنة ٢ هجرية بعد بدر

وتشير كتب السيرة إلى أن يهود بني قينقاع أظهروا الغضب والحسد عندمـــا انتصـــر المسلمون ببدر، وقد بلغ بهم الأمر إلى حد المجاهرة بالعداء والإخـــلال بـــالأمن داخـــل المدينة ومحاولة إنتهاك العورات.

فقد وردت رواية تشير إلى أن أحدهم عقد طرف ثوب إمرأة مسلمة في ســـوق بنـــي قينقاع فلما قامت إنكشفت وصاحت، فقام أحد المسلمين فقل اليهودي وتواثب اليهود فقتلوا المسلم، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينـــهم وبين بني قينقاع، فحاصرهم النبيﷺ خمس عشرة ليلة، وقذف الله في قلوبـــهم الرعـــب فنزلوا على حكم رسول اللهﷺ في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذراريهم، فأمر بهم فكتفـــوا. وحينئذ قام عبد الله بن أبيّ بن سلول بدوره النفاقي فألح على رســـول اللهﷺ أن يصـــدر عنهم عفواً فقال: يامحمد أحسن في مواليّ ـ وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج ـ ولم يزل هذا المنافق يلح على رسول اللهﷺ فوهبهم له وأمرهـــم أن يخرجـــوا مـــن المدينـــة ولا يجاوروه بها فخرجوا إلى أذرعات الشام فقلّ أن لبثوا فيها حتى هلـــك أكـــثرهم وقبـــض الرسولﷺ منهم أموالهم.[٦]

غزوة بني النضير : في ربيع الأول سنة ٤ هجرية بعد أحُد

سببها : وأشهر أسباب هذه الغزوة ما رواه ابن إسحاق وتابعه معظم كتـــاب الســـيرة الآخرين تتلخص في:

أن النبي ذهب إلى بني النضير ليستعين بهم على دفع دية رجلين معاهدين قتلهما خطأ عمرو ابن أمية الضمري في أعقاب حادثة بئر معونة فجلس النبيﷺ إلى جـــدار لبنـــي النضير فهموا بإلقاء حجر عليه وقتله، فأخبره الوحي بذلك فانصرف عنهم مسرعا إلـــى المدينة المنورة، ثم أمر بحصارهم، فنزلوا على الصلح بعد حصار ست ليال على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح.

وهذه الرواية موقوفة على يزيد بن رومان، وهو من صغار التـابعين لكنـها تتقـوى بالمتابعة وقد توبعت برواية عروة بن الزبير في مغازي موسى بن عقبة [٧]

وكانت أموال بني النضير وأرضهم وديارهم خالصة لرسول الله ﷺ يضعها حيث يشاء ولم يخمسها، لأن الله أفاء عليه ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، فقسمها بين المهاجرين الأولين خاصة، إلا أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف الأنصاريين لفقرهما وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سـبيل الله، وأنزل الله في هذه الغزوة سورة الحشر بأكملها، فوصف طرد اليهود وفضح مسـلك المنافقين، وبين أحكام الفيء، وأثنى على المهاجرين والأنصـار، وبيـن جـواز القطـع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية، وأن ذلك ليـس مـن الفسـاد فـي الأرض، وأوصى المؤمنين بإلتزام التقوى والاستعداد للآخرة، ثم ختمها بالثناء على نفسـه وبيـان أسمائه وصفاته[٨]

غزوة بني قريظة : في سنة ٥ هجرية عقب غزوة الأحزاب

وذلك أن رسول الله ﷺ بعد أن رأى ما انطوت عليه نفوس يهود بني قريظة من اللـؤم والغدر والتحزب مع قريش وحلفائها، وبعد أن أعلنت له إبان اشتداد معركة الأحزاب أنها نقضت عهدها معه، وكانت وهي تساكن الرسول ﷺ في المدينة تهمّ بشر عظيم قد يقضي على المسلمين جميعا لولا إنتهاء معركة الأحزاب بمثل ما انتهت إليه، فرأى الرسول ﷺ ان يؤدب هؤلاء الخائنين الغادرين ويطهر منهم المدينة مقـر جـهاده ودعوتـه، حتـى لاتواتيهم الظروف مرة أخرى فينقضوا على جيرانهم المسلمين ويبيدوهم كما هي طبيعـة الغدر اليهودي اللئيم.

روى البخاري عن عائشة: " أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضـع السـلاح واغتسل، أتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال: وضعت السلاح فوالله ما وضعته قال : فأين؟ قال : هاهنا وأومأ إلى بني قريظة "[٩]

فحاصرهم النبي ﷺ خمسا وعشرين ليلة، فلما ضاق بهم الأمر نزلوا على حكم رسـول الله ﷺ فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وكان بني قريظة حلفاء الأوس، فحكم سـعد

بان تقتل مقاتلتهم وأن تسبى ذراريهم وأن تقسم أموالهم فنفذ رسول الله ﷺ حكمه، وبذلـــك قضى على مؤامرات اليهود ودسائسهم وتآمرهم عليه وعلى دعوته قضـــاء مبرمـــا فـــي المدينة وما حولها.

شبهة وجوابها :

ولقد جنح بعض المؤرخين المعاصرين إلى نفي الروايات المتعلقة بالعقوبـــات التـــي واجهتها بنو قريظة وتضعيفها، بزعم أن إثباتها يجرح مشاعر الإنسانية ويخدم الدعايـــة الصهيونية. وليس الأمر كذلك، فإن أوثق المصادر الإسلامية قد أثبتت وقوع ذلك، ولـــم تكن العقوبة الشديدة إلا جزاء للخيانة العظمى التي ارتكبها بنو قريظـــة عندمـــا غـــدرت بالمسلمين، وتبرأت من حلفهم بدل أن تشترك معهم في الدفـــاع عـــن المدينـــة بموجـــب نصوص المعاهدة بين الطرفين، وما زالت الدول تقتل الخونة المتواطئين مع الأعداء حتى في الوقت الحاضر، فكان جزاء بني قريظة من جنس عملهم، حين عرضـــوا بخيانتـــهم أرواح المسلمين للقتل وأموالهم للنهب ونساءهم وذراريهم للسبي، فكان أن عوقبوا بذلـــك جزاء وفاقا، وليس من داع للتنصل من حقائق التاريخ وتكذيب الروايات الصحيحة[١٠]

غزوة خيبر : في أواخر المحرم سنة ٧ هجرية

وخيبر ـــ واحة كبيرة يسكنها اليهود على مسافة مائة ميل من شمـــال المدينـــة جهـــة الشام.

وسببها : أن النبيﷺ بعد أن أمن جانب قريش بالصلح الذي تم في الحديبية قرر تصفية مشكلة التجمعات اليهودية فيما حول المدينة بعدما صفى اليهود من المدينة نفسها وقد كان لليهود في خيبر حصون منيعة، وكان فيها نحو من عشرة آلاف مقاتل، وعندهم مقـــادير كبيرة من السلاح والعتاد، وكانوا أهل مكر وخبث وخداع، فلابد من تصفية مشكلتهم قبل أي يصبحوا مصدر اضطراب وقلق للمسلمين في عاصمتهم المدينة.

ولذلك أجمع الرسولﷺ على الخروج إليهم في آواخر المحرم، فخرج إليهم في ألـــف وستمائة مقاتل، منهم مائتا فارس، واستنفر من حوله ممن شهد الحديبية.

ولماوصلوا إليها نزل النبيﷺ قريباً من أحد حصونهم يسمى " حصن النطـــاة " وقـد جمعوا فيه مقاتلتهم، فأشار الحباب بن المنذر بالتحول لأنه يعرف أهل النطاة معرفة جيدة فهم أهل الرمي، وهم مرتفعون على مواقع المسلمين، فالنبل منهم سريع الإنحـــدار إلــى مواقع المسلمين، ثم إنهم قد يباغتون المسلمين في الليل متسترين بأشجار النخيل الكثــيرة فتحول الرسولﷺ إلى موقع آخر، وبدأت المعارك يفتح المسلمون منها حصناً بعد حصن إلا الحصنين الأخيرين، فقد رغب أهلهما في الصلح على حقن دماء المقاتلـــة و الذريـة والخروج من أرض خيبر بذراريهم وأن لا يصحب أحد منهم إلا ثوباً واحــدا فصالحـــهم علىذلك، وعلى أن ذمة الله ورسولهﷺ بريئة منهم إن كتموه شيئا، ثم غادروهما فوجـــد المسلمون فيهما أسلحة كثيرة، وصحائف متعددة من التوراة، فجــاء اليـــهود بعـد ذلــك يطلبونها فأمر بردها إليهم، وقد بلغ عدد القتلى اليهود في هذه المعركة ثلاثـــة وتسـعين واستشهد من المسلمين خمسة عشر.

عدم إجلاء يهود خيبر في عهد النبي ﷺ :

وقد صح أن رسول اللهﷺ أبقى يهود خيبر فيها على أن يعملوا في زراعتها وينفقـــوا عليها من أموالهم ولهم نصف ثمارها، على أن للمسلمين حق إخراجهم منها متـــى أرادوا وكان اليهود قد بادروا بعرض ذلك على النبيﷺ وقالوا: نحن أعلم بالأرض منكم فوافــق على ذلك بعد أن همّ بإخراجهم منها.[١١]

اثر فتح خيبر:

ولا شك أن فتح خيبر قد عاد على المســـلمين بـــالخير الكثــير، وعــزز إمكانياتـــهم الاقتصادية بدخل سنوي دائم حتى قالت عائشة رضي الله عنها معقبة على فتح خيـــبر : "الآن نشبع من التمر" .

ومع شدة حاجة المسلمين قبل فتح خيبر، فقد كان الرسولﷺ يفضل إسلام يهود خيـــبر على كل غنيمة، كما يتضح ذلك من وصيته لعلي رضي الله عنه حينما أعطـــاه الرايـــة أوصاه أن يدعو يهود خيبر إلى الإسلام وما يجب عليهم من حق الله تعالى وقال لـــه : " فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم "[١٢]

ولما سأله علي رضي الله عنه يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[١٣]

ولم يكن النبيﷺ راغبا في إفناء اليهود أو إجلائهم، فلذلك قبل منهم الصلح وقبل منهم أن يبقيهم في الأرض بناء على طلبهم، وكل ذلك يدل على الروح السمحة والعدالة السامية، كما أن ذلك حقق للمسلمين مصالح عليا إقتصادية وعسكرية، حيث تمت المحافظة على طاقات المسلمين العسكرية، ووجهوا إلى الجهاد الدائم من أجل توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام، ولم يتحولوا إلى الفلاحة التي تحتاج إلى إدامة العمل في استصلاح الأرض وزرعها، وهذا مما يستنفد طاقتهم، وكذلك تمت الإفادة من خبرة وطاقة الفلاحين اليهود للحفاظ على مستوى الإنتاج الزراعي في خيبر لأنهم يمتلكون خبرة بالأرض وزراعتها، مما يوفر للمسلمين حصة كبيرة يمكن الإفادة منها في تجهيز الجيوش والقيام بالنفقات الأخرى التي تحتاجها الدولة.

قصة وتعليق :

وقد صح أن أعرابيا شهد فتح خيبر أراد النبيﷺ أثناء المعركة أن يقسم له قسماً، وكان غائباً، فلما حضر أعطوه ما قسم له، فجاء به إلى النبيﷺ فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك عل أن أرمى هاهنا ــ وأشار إلى حلقه ــ بسهم فأدخل الجنة. قال : إن تصدق الله يصدقك. فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به يحمل قد أصابه سهم حيث أشار. فكفنه النبيﷺ بجبته وصلى عليه ودعا له، فكان مما قال: " اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيدا وأنا عليه شهيد"[١٤]

فهذه الرواية شاهد قوي على: ما يبلغه الإيمان من نفس أعرابي ألف حياة الغزو والسلب والنهب في الجاهلية، فإذا به لا يقبل ثمنا لجهاده إلا الجنة، فكيف يبلغ الإيمان إذن من نفوس الصفوة من أصحاب رسول اللهﷺ؟ أيقال إنهم فتحوا ديار يهود طمعاً في أرض ومال؟ أيتهمون بأن التعصب الديني دفعهم لطرد يهود، وهم الذين دعوهم للإسلام قبل القتال، وقبلوا أن يعطوهم الأمان قبل الحصار، وأبقوهم في خيبر بعد الاستسلام، فمكثوا

فيها رغم قتلهم عبد الله بن سهل الأنصاري، حيث اتهمهم بقتله المسلمون فحلفوا أنهم لـــم يقتلوه، فوداه الرسولﷺ وفي قضية مقتله شرعت القسامة، وأقرهم في خيـــبر فاســتقروا حتى خلافة عمر رضي الله عنه، فبدت منهم العداوة والبغضـــاء، وغـدروا بالمســلمين ففدعوا يدي ورجلي عبد الله بن عمر وهو نائم في سهمه في خيبر، فأجلاهم عمر رضي الله عنه من خيبر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من التمر مالاً وإبلاً وعروضاً من اقتـــاب وحبال، وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر فتصرفوا فيها، وهكذا انتهى دور اليهود العسكري والاقتصادي في الحجاز، وتفرغ المسلمون لإخضاع قبائل العـــرب المشركـة ولتوحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام[١٥]

ثانيا : المعسكر الثاني : قريش ومن والها من العرب

"جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ضد المشركين"

طلائع حركة الجهاد في المدينة :

تتمثل طلائع حركات الجهاد في غزوات وسرايا صغيرة اتجهت إلى مواقـــع غربـــي المدينة واستهدفت ثلاثة أمور :

الأول: تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام، وهي ضربة خطيرة لاقتصاد مكة التجاري.

الثاني: عقد المحالفات والموادعات مع القبائل التي تسكن المنطقة، لضمـــان تعاونـــها أوحيادها على الأقل في الصراع بين المسلمين وقريش، وهي خطوة هامة يعتبر تحقيقـــها نجاحاً كبيراً للمسلمين، حيث أن هذه القبائل لها صلات كثيرة عقائدية وسياسية وتجاريـــة مع قريش، فتحيدها خلال الصراع يعتبر نجاحاً كبيراً للمسلمين في تلك المرحلة.

ثالثا: إبراز قوة المسلمين في المدينة أمام اليهود وبقايا المشركين، فالمسلمون صـــاروا لا يقتصرون على السيادة في المدينة، بل يتحركون لفرض سيطرتهم على أطرافها ومـــا حولها من القبائل ويؤثـــرون في مصالحها وعلاقتها.

غير أنني أركز في هذه الدراسة فقط على الغزوات الكبرى للنبيﷺ كمعـالم رئيسـية تبين مغزى الجهاد الإسلامي وأثر ذلك في العلاقات الدولية، وأما تفصيلات ذلـك فلـها موضعها من كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

غزوة بدر الكبرى: في السابع عشر من رمضان سنة ٢ هجرية

وسببها : أن النبيﷺ ندب أصحابه للتعرض لقافلة قريش العائدة من الشام إلى مكة ولم يكن يريد قتالاً، ولكن القافلة التي يقودها أبو سفيان قد نجت بعد أن كان أرسل إلى قريش يستنفرها لحماية القافلة، فخرجت قريش في ألف مقاتل، وأما المسلمون فكـانت عدتـهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلا أكثرهم من الأنصار، وقبل أن يخوض النبيﷺ المعركة أراد أن يستشير أصحابه وخاصة الأنصار في خوض المعركة، فأشـار عليـه المهاجرون بالمعركة وقالوا خيرا، وقال سعد بن معاذ وهو سيد الأنصـار جميعـا: يـا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك علـى ذلـك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضي يارسول الله لما أردت فنحن معك، فـوا الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذه البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، ما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله، فسُرّ رسول الله لذلك وقال : سيروا على بركـة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، إما العير، وإما النفير.

ولما التقى الجمعان أخذ الرسولﷺ يسوى صفوف المسلمين ويحرضهم علـى القتـال ويرغبهم في الشهادة، ورجع رسول اللهﷺ ومعه أبو بكر ويحرسه سعد بن معاذ متوشحا بسيفه وأخذ الرسولﷺ في الدعاء ومن دعائه " اللهم انشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، وأطال في سجوده حتى قال له أبو بكر: حسبك فإن الله سينجز لك ما وعدك.

ثم حمي القتال وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، وقد قتل من المشركين نحـو مـن السبعين فيهم أشركهم أبو جهل وبعض زعمائهم، وأسر منهم نحو السبعين، ثم أمر بدفـن القتلى جميعا ورجع إلى المدينة .

القرآن الكريم يتحدث حول موضوع المعركة :

وحول موضوع هذه المعركة نزلت سورة الأنفال، فأمر الله تعالى المؤمنين بتزكية نفوسهم، ثم ذكر الله ا لمؤمنين بنعمه عليهم بنصره وتأييده لهم، فما النصر إلا من عند الله حتى لا يغتروا وتدخل نفوسهم الكبرياء، ثم بين لهم الأهداف والأغراض النبيلة التي خاض الرسولﷺ من أجلها هذه المعركة .

ودلهم على الصفات والأخلاق التي تسببت في الفتوح في المعارك، ثم خاطب المشركين والمنافقين واليهود حول آثار المعركة، ووعظهم موعظة بليغة تهديهم إلى الاستسلام للحق والتقيد به، ثم خاطب المسلمين حول موضوع الغنائم وقنن لهم مبادىء وأسس هذه المسألة، ثم بين لهم وشرع لهم من قوانين الحرب والسلم ما كانت الحاجة تمس إليها بعد دخول الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة، حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية ويقدم لهم التفوق في الأخلاق والقيم والمثل، ويتأكد للدنيا أن الإسلام ليس مجرد وجهة نظرية، بل إنه يثقف أهله عملياً على الأسس والمبادىء التي يدعوا إليها.

ثم قرر بنودا من قوانين الدولة الإسلامية، التي تقيم الفرق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها والذين يسكنون خارجها[١٦]

غزوة احد : في شوال سنة ٣ هجرية

وسببها : أن قريشا أرادت أن تثأر ليوم بدر فما زالت تستعد حتى تجهزت لغزو الرسولﷺ فخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل ماعدا الأحابيش، فيهم سبعمائة دارع، ومائتا فارس، ومعهم سبع عشرة امرأة، فيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقد قتل أبوها يوم بدر، ثم ساروا حتى نزلوا بطن الوادي من قبل أحد، وكان من رأي الرسولﷺ وعدد من الصحابة ألا يخرج المسلمون إليهم بل يظلون في المدينة، فإن هاجمهم المشركون صدوهم عنها، ولكن بعض شباب المسلمين وبعض المهاجرين والأنصار، وخاصة من لم يحضر منهم معركة بدر ولم يحصل لهم شرف القتال فيها، تحمسوا للخروج إليهم ومنازلتهم في

أماكنهم فنزل الرسولﷺ عند رأيهم ودخل بيته ولبس لأمته (درعه) وألقى الترس في ظهره، وأخذ قناته بيده ثم خرج إلى المسلمين وهو متقلد سيفه فندم الذين أشاروا عليه بالخروج إذ كانوا سبباً في حمله على خلاف رأيه، وقالوا للرسولﷺ : ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ماشئت، أو اقعد إن شئت، فأجابهم الرسولﷺ "ما كان ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه"

ثم خرج المسلمون معه في نحو ألف، بينهم مائة دارع، وفرَسان ثم مضى الرسولﷺ مع الجيش، وفي منتصف الطريق إنخذل عن المسلمين عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثلاثمائة من المنافقين.

ثم مضى الرسولﷺ حتى وصل إلى ساحة أحد، فجعل ظهره للجبل ووجهه للمشركين وصف الجيش، وجعل على كل فرقة منه قائدا، واختار خمسين من الرماة على رأسهم عبد الله بن جبير الأنصاري ليحموا ظهر المسلمين من التفاف المشركين وراءهم، وقال لهم: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم أو ظاهرناهم وهم قتلى فلاتبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم.

ثم ابتدأ القتال ونصر الله المسلمين على أعدائهم، فقتلوا منهم عددا ثم ولوا الأدبار، فانغمس المسلمون في أخذ الغنائم التي وجدوها في معسكر المشركين، ورأى ذلك من وراءهم من الرماة فقالوا: ماذا نفعل وقد نصر الله رسولهﷺ ؟ وخالفوا أمر النبيﷺ السابق لهم وانشغلوا بالغنائم، فرأى خالد بن الوليد وكان قائد ميمنة المشركين خلو ظهر المسلمين من الرماة، فكرّ عليهم من خلفهم فما شعر المسلمون إلا والسيوف تناوشهم من هنا وهناك، فاضطرب حبلهم وأشيع أن الرسولﷺ قتل.

ففر بعضهم إلى المدينة، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى رسول الله ﷺفأصابته حجارتهم حتى وقع وأغمي عليه، فشج وجهه وخدشت ركبتاه وجرحت شفته السفلى وكسرت الخوذة على رأسه، ودخلت حلقتان من حلقات المغفر في وجنته، وتكاثر المشركون على رسول اللهﷺ يريدون قتله، وثبت معه نفر من المؤمنين، وعلى رأسهم

سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فقد قاما ببطولة نادرة وقاتلا ببسالة منقطعة النظير [١٧]

وفي الصحيح أنه كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول: " كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله عز وجل: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)[١٨]

ثم استطاع الوقوف والنهوض على أكتاف طلحة بن عبيد الله، فنظر إلى المشركين فرأى جماعة منهم على ظهر الجبل فأرسل من ينزلهم قائلا:"لا ينبغي لهم أن يعلونا اللهم لا قوة لنا إلا بك"

وانتهت المعركة، وقال أبو سفيان مظهراً تشفيه: يوم بيوم بدر

وممن قتل في هذه المعركة، حمزة عم الرسولﷺ ومثلت به هند زوجة أبي سفيان واحتزت قلبه ومضغته فرأت له مرارة ثم لفظته، وقد حزن الرسولﷺ لمشهده حزنا عظيما فقال : لأن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم، ولكن الله نهى عن المثلى بعد ذلك.

وقد بلغ عدد من قتل من المسلمين في هذه المعركة نحواً من السبعين، وعدد قتلى المشركين ثلاثة وعشرين [١٩]

وقد أنزل الله في هذه المعركة عدة آيات يضمد بها جراح المؤمنين وينبههم إلى سبب الهزيمة التي حلت بهم، فقال تعالى: (ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لايحب الظالمين، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)[٢٠] وقال تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين، إذ

تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم، فأثابكم غمـــاً بغـم لكيــلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم، والله خبير بما تعملون)[٢١]

غزوة الأحزاب : في شوال عام ٥ هجرية

وسببها : أنه لما تم إجلاء بني النضير قدم عدد من رؤساء اليهود إلـــى مكـــة يدعـــون قريشا ويحرضونها على قتال الرسولﷺ فأجابت قريش لذلك .

ثم ذهب رؤساء اليهود، وفيهم سلام بن أبي الحقيق النضــــري وحيـــي بـــن أخطـــب النضري إلى غطفان، فاستجابت لهم بنو فزارة وبنو مرة وأشجع، واتجهوا نحو المدينة

فلما سمع النبىﷺ بخروجهم استشار أصحابه. فاشار عليه ســـلمان الفارســـي بحفـــر الخندق حول المدينة، فأمر بحفره وعمل فيه بنفسه، ولما وصلت قريش ومن معها مـــن الأحزاب راعها ما رأت من أمر الخندق إذ لاعهد للعرب بمثله، وكانت عدتـــهم عشـــرة آلاف، وعدة المسلمين ثلاثة آلاف.

وذهب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة يطلب إليه نقض عهد الســـلم بينه وبين المسلمين، وفكرالنبىﷺ في مصالحة بني قريظة على ثلث ثمار المدينة، ولكـــن الأنصار رفضوا اعتزازا بدينهم من أن يعطوا الدنية لهؤلاء الخائنين للعهود، وبدأ القتـــال باقتحام بعض فرسان المشركين للخندق من احدى نواحيه الضيقة، فناوشـــهم المســـلمون وقاتلوهم، ثم جاء نعيم بن مسعود بن عامر إلى الرسول ﷺ فأخبره أنه قد أسلم وأن قومه لا يعلمون بإسلامه، وأنه صديق لبني قريظة فقال له الرسولﷺ " إنما أنت فينـــا رجـــل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة " فاستعمل نعيم دهاءه حتى فـــرق بيـــن قريش وحلفائها، وبين بني قريظة، وأوقع في نفوس كلا الفريقين الشك في الآخر [٢٢]

وأرسل الله على الأحزاب ريحاً شديداً في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتمزق خيامهم فامتلأت نفوس الأحزاب بالرعب ورحلوا في تلك الليلـــة، فلمـــا أصبـــح الصباح نظر المسلمون فلم يروا أحدا.

وفي هذه الغزوة نزل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمـــة الله عليكــم، إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا، وجنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملــون بصـــيرا، إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا[٢٣]

وقد عبّر الرسولﷺ عن الآثار الخطيرة التي ترتبت على فشل الأحزاب فـــي المدينـــة رغم ماحشدوه من طاقاتهم بقوله :" الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم " [٢٤]

غزوة الحديبية : في ذي القعدة سنة ٦ هجرية:

وكان من أمرها أن النبي ﷺ رأى في منامه أنه دخل البيت هـــو وصحابتـــه آمنيـــن محلقين رؤوسهم ومقصرين لايخافون شيئا، فأمر الناس أن يتجهزوا للخروج إلـــى مكـــة معتمرين لايريد حرباً لقريش ولاقتالا، فخرج معه المهاجرون والأنصار يحدوهم الشـــوق إلى رؤية بيت الله الحرام بعد أن حرموا من ذلك ست سنوات، وخرج معهم من شاء من الأعراب، وساق أمامه الإبل والنعم تعظيما للبيت وتكريماً له، وأحرم بالعمرة من مكـــان يسمى بذي الحليفة، ليعلم الناس وقريش خاصة أنه لايريد قتالاً، وكان عدد من خرج معه ألف وأربعمائة، ولم يخرجوا معهم بسلاح إلا سلاح المسافر في تلك العهود، السيوف في أغمادها.

ولما وصل إلى الحديبية ــ وهي مكان قريب من مكة، بينها وبين طريق جدة الآن ــ جاءه بعض رجال من خزاعة يسألونه عن سبب قدومه، فأخبرهم أنه لم يأت إلا لـــيزور البيت ويعتمر، فرجعوا وقالوا لهم: إنكم تعجلون على محمد، لم يأت لقتال، إنما جاء زائراً لهذا البيت فقالوا: لا والله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا يتحدث عنا العرب بذلك.

ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفي ليتحدث إلى الرسولﷺ بهذا الشأن، وبعد حديث وأخذ وردّ بين عروة وبين الصحابة عاد إلى قريش وحدثهم عما رأى مـــن حـــب الصحابـــة للرسولﷺ وهيبتهم لهم ورغبتهم في الصلح معه، فأبوا ذلك.

ثم بعث الرسولﷺ عثمان بن عفان إلى أهل مكة، ليؤكد لهم الغـــرض مـــن مجـــيء الرسول وصحابته، وأبطأ عثمان فأشيع بين المسلمين أنه قد قتل، وعندها عقـــد النبـــيﷺ بيعة الرضوان مع الصحابة على الموت في سبيل الله.

صلح الحديبية: ولما علمت قريش بأمر البيعة خافوا ورأوا الصلح معه، على أن يرجع في هذا العام ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب" الرماح والسيوف في أغمادها"

وأرسلت قريش لذلك سهيل بن عمرو، ليتم هذا الصلح، وأخيرا تم الصلح علـــى مـــا رغبت قريش، وعلى وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين، وأن من أتى من عند محمد إلى مكة لم يردوه، ومن أتى محمداً من مكة ردوه إليهم، فعز ذلك على المسلمين وأخـــذ بعضهم يجادل النبيﷺ فيما جاء من شروطها، ومن أشدهم في ذلك عمر رضي الله عنه حتى قال " إني عبد الله ولن يضيعني"

ثم تحلل الرسولﷺ من العمرة وتحلل الصحابة لما رأوه تحلل، مع شدة كراهيتهم

وقد سمى الله تعالى هذه الغزوة فتحاً مبيناً، حيث قال: (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما، وينصرك الله نصراً عزيزاً[٢٥]

ثم تحدث عن مبايعة الرسولﷺ فقال تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يـــد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بم عاهد عليه الله فســـيؤتيه أجراً عظيما[٢٦]

ورضي عن أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة فقال تعالى: (لقد رضي الله عـــن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا [٢٧]

وتحدث عن رؤيا الرسولﷺ فقال تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين، لا تخافون فعلـــم مـــا لـــم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا[٢٨]

ولعل هذا إشارة إلى فتح مكة الذي كان ثمرة من ثمرات صلح الحديبية.

ثم أتبع ذلك بتأكيد غلبة هذا الدين وانتصاره، فقال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا[٢٩]

غزوة مؤته :في جمادي الأولى سنة ٨ هجرية

(ومؤته) قرية على مشارف الشام، تسمى الآن بالكرك جنوب شرقي البحر الميت.

وسببها: أن الرسولﷺ كان قد أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بُصرى من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمر الغساني، يدعوه فيها إلى الإسلام وكان ذلك من جملة كتبه التي بعث بها إلى ملوك العالم وأمراء العرب بعد صلح الحديبية، فلما نزل مؤته لقي شرحبيل بن عمرو الغساني، وهو أحد الأمراء العرب الغساسنة التابعين لقيصر الروم فقال له: أين تريد؟ لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم فأوثقه وضرب عنقه.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺفاشتد عليه الأمر، إذ لم يقتل له رسول غيره، وجهز لهم جيشاً من المسلمين عدته ثلاثة آلاف. [٣٠]

قادة الجيش : وأمّر عليهم النبيﷺ زيد بن حارثة، وأوصاهم إن أصيب زيد فليؤمروا جعفر بن أبي طالب، فإن أصيب، فليؤمروا عليهم عبد الله بن رواحة، مما يدل على جواز تعليق الإمارة بشرط وتولية عدة أمراء بالترتيب، وهذه هي المرة الأولى التي يتّخذ فيها النبيﷺ مثل هذا الاحتياط وربما كان متوقعاً أن تحف الأخطار هذه الحملة لوجهتها البعيدة، ولعدم وقوع احتكاك سابق لمناطق تخضع لنفوذ دولة قوية كالإمبراطورية البيزنطية، التي كانت قبائل الشام وأطرافها موالية لها.

وقد وصل الجيش إلى "معان" عندما وصلته أخبار نزول هرقل بأرض مآب ــ وهي البلقاء ــ في مائة ألف من الروم، ومائة ألف أخرى من النصارى العرب، لخم وجذام وقضاعة، فامضى المسلمون ليلتين في "معان" يتشاورون في أمرهم وبعضهم يرى مكاتبة الرسولﷺ وإخباره بقوة العدو وليمدهم أو يأمرهم بأمر فشجع عبد الله بن رواحة الجيش وقال: " يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ــ الشهادة ــ وما نقاتل الناس

بعدد ولاقوة ولاكثره ولانقاتلهم إلا بهذا الدين، الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنمـــا هـــي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة "

وابتدأ القتال فقاتل زيد حتى قتل، ثم استلم اللواء جعفر بن أبي طالب فقاتل على فرسه ثم اضطر للنزول عنها فقاتل مترجلاً فقطعت يمينه، فأخذ اللواء بيساره فقطعت يســـاره، فاحتضن اللواء حتى قتل، ووجد فيه بضع وسبعون جرحاً، مابين ضربة بسيف وطعنـــة برمح، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل.

ثم اتفق المسلمون على إمرة خالد بن الوليد للجيش، وكانت أول معركة يحضرها فـــي الإسلام، فمازال يستعمل دهاءه الحربي حتى أنقذ الجيش الإسلامي من الفناء، ثم عاد بـــه إلى المدينة، وقد أطلق عليه رسول الله ﷺ اسم " سيف الله ".

وقد انكسرت في يد خالد بن الوليد يومها تسعة أسياف، ولم يقتل من المسلمين إلا ثلاثة عشر شهيداً فقط[٣١].

غزوة فتح مكة: في رمضان سنة ٨ هجرية

وسببها : أن صلح الحديبية أباح لكل قبيلة أن تدخل في عقد رسول الله ﷺإن شاءت أو في عقد قريش، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، وخزاعة في عقد النبيﷺ ،وفـــي تلـــك السنة الثامنة اعتدت بنو بكر على خزاعة فقتلت منها نحو عشرين رجلاً وأمدت قريـــش بني بكر بالمال والسلاح، فلما بلغ ذلك الرسولﷺ غضب غضباً شديـــدا وتجـــهز لقتـــال قريش، إلا أنه لم يرد أن يخبر الناس عن وجهته لئلا تستعد قريش فتستباح حرمة البلـــد الحرام، ولكن حاطب بن أبي بلتعة البدري أرسل كتاباً سرياً إلى مكة يخبرهم فيه بتوجـــه الرسولﷺ إليهم فاطلع الله رسولهﷺ بأمر الكتاب، فأرسل إلى المرأة التي تحملـــه عليـــا والزبير والمقداد، فعثروا على الكتاب مع المرأة، فدعا الرسولﷺ حاطباً فقال لـــه :" مـــا حملك على هذا ؟ فقال يارسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورســـوله، مـــا غـــيّرت ولا بدلت، ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظـــهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه، فقال عمر: يارسول الله دعني اضرب عنقه فإن الرجل قد نافق

فقال له الرسولﷺ : " إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " [٣٢].

ثم سار الرسولﷺ من المدينة لعشر مضين من رمضان، وفي الطريق أفطر وأفطــــر الناس معه لما لقوا من الجهد والمشقة في سفرهم، وكان عددهم حين خروجهم من المدينة عشرة آلاف، ثم انضم إليهم في الطريق عدد من قبائل العرب، وفي" مر الظهران " عثر العباس على أبي سفيان واثنين معه، فجاء العباس بأبي سفيان إلى النبــيﷺ فأسـلم أبـو سفيان، وكان العباس قد لقي النبيﷺ مؤمناً مهاجراً والنبيﷺ في طريقه إلى مكة في هذه الغزوة، فقال العباس: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً يفتخر به فقال: " من دخل دار ابي سفيان فهو آمن" ثم وصل الجيش مكة، فأعلن منادي الرسولﷺ : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي ســفيان فــهو آمن.

واستثنى من ذلك تسعة رجال، وثمان نساء، أهدر دماءهم، لأنهم كانوا ممــــن ألحـق الأذى الشديد بالمسلمين فكان في إهدار دمهم عبرة لمن تسول له نفسه الظلم والطغيـــان، على أمل أن ينجو من العقاب طمعاً في رحمة الإسلام وطيبة أتباعه، ودخل رسول اللهﷺ مكة وهو راكب راحلته منحنٍ على الرحل حتى تكاد جبهته تمس قتب الراحلة، شكراً لله على هذا الفتح الأكبر، ثم طاف بالبيت وأزال ما حوله من الأصنام،والتى بلغت ثلاثمائــــة وستين صنماً، ثم دخل الكعبة وصلى ركعتين فيها، ثم وقف على بابها وقريش تنظر مـــا هو فاعل بها؟.

قالوا : خيرا أخو كريم وابن أخ كريم فقال: " اليوم أقول لكم ما قال أخي يوسف مـــن قبل" (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)[٣٣]. ثم قــال : اذهبــوا فأنتم الطلقاء.

وفي فتح مكة نزلت سورة النصر قال تعالى: (إذا جاء نصـــر الله والفتــح، ورأيــت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا [٣٤].

ولقد بايع النبيﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام و الإيمان والجهاد، ولم يبايعهم على الهجرة، وقد بين ابن عمر رضي الله عنهما ذلك بقوله " انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول اللهﷺ ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار؟ أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه" [٣٥].

يقول ابن القيم رحمه الله: فصل : في الفتح الأعظم

الذي أعز الله تعالى به دينه ورسولهﷺ وجنده وحزبه المؤمنين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عِزّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا" [٣٦].

غزوة حنين: في العاشر من شوال سنة ٨ هجرية

وسببها : أن الله تعالى لما فتح مكة لرسولهﷺ ظن زعماء هوازن وثقيف أنه سيتوجه إليهم بعد الانتهاء من أمر مكة، فعزموا على أن يبدؤوه بالقتال، فأمّروا عليهم مالك بن عوف وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، فأمرهم أن يسوقوا معهم إلى المعركة أموالهم ونساءهم وأبناءهم ومواشيهم، ليكون ذلك أدعى إلى ثباتهم في القتال، وقد بلغت عدة المقاتلين منهم في هذه المعركة المرتقبة ما بين عشرين إلى ثلاثين ألفاً.

فأعلن عزمه على الخروج لقتالهم، فخرج كل من كان بمكة من أصحابه الذين قدموا معه في المعركة ومن انضم إليهم بعد ذلك ممن أسلم حديثا، وسار حتى إذا كان في وادي حنين، خرجت عليهم هوازن وحلفاؤها في غبش الصبح، فحمل عليهم المسلمون فانكمشوا وانهزموا، فانشغل المسلمون بجمع الغنائم فاستقبلهم المشركون بالسهام، فانفرط عقدهم، وفر أهل مكة والمسلمون الجدد، وبقي النبى ﷺ ثابتاً على بغلته يقول :" أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ".

وكان قد أشيع بين المسلمين أنه قد قتل، فألقى كثير منهم سلاحه يائساً، ولم يصمد معه سوى عشرة أو اثني عشر من الصحابة، كانوا يحيطون به، فيهم العباس وأبو سفيان بن

الحارث وأبو بكر وعمر وعليﷺ و قد أمر النبي ﷺ عمه العبـــاس ـــ وكـــان جـــهوري الصوت ـــ فنادى الناس للعودة، ثم خص الأنصار وأصحاب الشجرة بالنداء، ثـــم خـــص بني الحارث ابن الخزرج بالنداء، فتلاحقوا نحوه حتى صاروا ثمـــانين أو مائـــة فقـــاتلوا هوازن" [٣٧].

وبدأوا جولة جديدة مليئة بالشجاعة والعزيمة والصدق وحسن التوكل، فكان النبـــــي ﷺ يدعوا الله ويسأل النصر فيقول، " إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم" [٣٨].

فأشتد القتال من جديد، وأخذ تراباً أو حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، وهو يقـــول: " شاهت الوجوه، انهزموا ورب محمد " [٣٩].

فهزم الله تعالى الكفار، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وبلغت الغنائم مبلغاً كبـــيراً فرقها أولا على المؤلفة قلوبهم من حديثي الإسلام، ولم يعطي منها الأنصار شيئا إعتماداً على إيمانهم وصدق إسلامهم.

وقد نزل من القرآن الكريم في هذه المعركة قوله تعالى: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين، إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكـــم الأرض بمـــا رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) [٤٠].

وكانت هذه الغزوة آخر معركة لها شأن بين الإسلام والمشركين، لم يلبث العرب مـــن بعدها أن كسروا الأصنام ودخلوا في الإسلام.

ثالثاً: المعسكر الثالث : الروم

جهاد الرسول ﷺ ضد الروم

غزوة تبوك : في رجب سنة٩هجرية .

سببها : لقد حاول المؤرخون أن يجدوا سبباً مباشراً لها على عادتهم .

ذكر ابن سعد : أن هرقل جمع جموعاً من الروم وقبائل العـــرب المواليـــة لــــها، وأن المسلمين علموا بخبرها فخرجوا إلى تبوك.

وذكر اليعقوبي: أن الثأر لجعفر ابن أبي طالب هو سبب الغزوة

ولكن الصحيح والله أعلم: أنها استجابة طبيعية لفريضة الجهاد وقد نبه على ذلك الحـــافظ ابن كثير بقوله: " فعزم رسول الله على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى النـــاس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذيـــن آمنـــوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة، واعلموا أن الله مع المتقين[٤١]

وتتميز هذه الغزوة وغزوة مؤتة التي سبقتها، بأن وجهتهما إلى الروم ونصارى العرب في حين كانت الغزوات والسرايا الأخرى وجهتها إلى يهود، والقبائل العربية المشركة .

مرحلة جديدة في الجهاد :وبذلك دخل المسلمون مرحلة جديدة بعد قضائهم على الوثنية في الجزيرة العربية وإجلائهم أهل الكتاب من اليهود إلى قتال أهل الكتاب من النصارى، هذا التحول الذي يتفق مع طبيعة الإسلام وأهدافه في الحياة، والتي تعتبر غزوة تبوك أحد شواهده .

ولقد حث النبيﷺ على النفقة ووعد المنفقين بعظيم الأجر مـــن الله، فســـارع أغنيـــاء الصحابة وفقراؤهم إلى تقديم الأموال، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه أكثر المنفقين على جيش تبوك، فقد قال رسول اللهﷺ : " من جهز جيش العسرة فله الجنة " فجـــهزهم عثمان" [٤٢] وندب رسول اللهﷺ الناس للخروج، وكان الوقت وقت عسر شديـــد وحـــر شديد فانتدب المؤمنين الصادقين عن طيب نفس، وتخلف ثلاثة منهم وهم مـــن صـــادقي الإيمان، وهم كعب بن مالك وصاحباه.

وسار رسول اللهﷺ بالناس ومعه ثلاثون ألف مقاتل، ومن الخيل عشرة آلاف، وكـــان هذا أعظم ما رأته العرب حتى ذاك، ثم واصل سيره حتى بلغ تبوك ــ موضع بين وادي القرى من أرض الحجاز وبين الشام ــ فأقام فيها نحوا من عشرين ليلة ولم يلق فيها كيداً ولم يدخل حربا.وكانت هذه آخر غزواته .

وفي هذه الغزوة نزل قوله تعالى: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم، ثم تاب الله عليهم إنه بهم رؤوف رحيم، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم[٤٣].

نتائج الغزوة :

ولقد حققت هذه الغزوة أهدافها بتوطيد سلطان الإسلام في الأقسام الشمالية من شبه الجزيرة العربية، وكانت تمهيداً لفتوح الشام حيث أن الرسولﷺ كان قد جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة قبيل وفاته للتوجه إلى الشام، لكن الجيش لم يتحرك نحو أهدافه إلا في خلافة الصديق حيث حالت وفاة النبيﷺ دون إنفاذه في حياته.

ورغم ظروف الخطر المحدقة بالمدينة وبكيان الإسلام كله بسبب حركة الردة، فإن الصّديق ﷺ أصر على إنفاذ جيش أسامة، وما إن استتبت الأمور نسبياً حتى جهز الصديقﷺجيوش الفتح إلى بلاد الشام والعراق، تحقيقاً لأهداف الدعوة الإسلامية لتحرير البشر من نير الظلم والطغيان والعبودية لغير الله "حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"

الأحكام والدروس المستفادة من حركة الجهاد في العهد النبوي:

١ ـ تعتبر فترة البعثة النبوية وصدر الإسلام من أهم الفترات التاريخية للأمة الإسلامية على الإطلاق، وذلك لأنها تمثل التطبيق الصحيح لتعاليم الإسلام الكاملة الشاملة، فهي الصورة النموذجية والمثال الذي نسعى بمجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة للوصول إليها.

ولذلك يجب أن يكتب التاريخ بأيدي المسلمين، وعلينا أن نعرّف بحضارتنا ومبادئنا وقيمنا وفق فهمنا لها، وإن أسهم الآخرون في الكتابة معنا، فإنها مشاركة محدودة وتخضع للمراجعة والتمحيص، وليست هي الأصل في تصورنا لتاريخنا ولا في عرضنا

له أمام العالم، ولكن ما حدث هو عكس ما ينبغي، حيث أن التخلف الحضـــاري للعــالم الإسلامي ينعكس على تقويمه لتاريخه.

إن البعض من المعنيين بالتاريخ ما بين ناكصين عـــن الإســلام كــارهين لتاريخــه، معتقدين أنه سبب التأخر الحضاري في ديار الإسلام، وهم يحملونه حتى مسئولية الهزائم العسكرية أمام اليهود في عصرنا الحاضر.

وهؤلاء يؤمنون بضرورة إحداث فجوة بين المــاضي والحــاضر، وعــزل الأجيــال الإسلامية الجديدة عن الإسلام وتراثه الأدبي.

أو كسالى احترفوا الكتابة التاريخية، فهم يسودون الصحف البيضاء بما يترجمونه من كتب المستشرقين التي يجدون فيها مادة للتدريس والكتابة لا تكلفهم عناء البحث والتدقيق والتأليف، ولا يبالون بعد ذلك بالسموم التي ينفثونها في المجتمع الإسلامي.

أما المؤمنون بالإسلام العاملون على توثيق صلة الأجيال الجديدة به، فهم يحملون عبئاً ضخماً ومسئولية كبيرة في هذا الميدان، لأنهم وحدهم القادرون على التصــور الصحيــح للتاريخ الإسلامي والمجتمع الإسلامى، ويتذوقون طعم الإيمان ويحســـون بـــأثره علـــى سلوكهم، مما يمكنهم من فهم دوافع حركة الفرد المسلم والمجتمع المسلم، وبالتالي حركـــة التاريخ الإسلامي.

إن التفسير الإسلامي منبثق من تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، فهو يقوم على الإيمان بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

وهو لايخرج عن دائرة المعتقدات الإسلامية، وهو مبنيٌ على فهم دوافع السلوك فـــي المجتمع الإسلامي الأول، مما يجعل حركة التاريخ الإسلامي ذات طابع متميز عن حركة التاريخ العالمي لأثر الوحي الإلهي فيه.

وهو ليس تفسيراً تبريرياً، بل تبرز فيه خصائص الإيمان المستعلي على ما سواه، كما أنه ليس تفسيراً مادياً يحصر المؤثرات على حركة التاريخ البشري في العوامل الماديـــة كتبدل وسائل الإنتاج، كما في الفكر الماركسي، أو التفسيرات المعتمدة على أثـــر البيئـــة

الخارجية " من مناخ وجغرافيا واقتصاد ... " كما في الفكر المادي الغربي، بل هو يوضح دور الإنسان ومسئوليته عن التغير الاجتماعي والتاريخي في إطار المشيئة الإلهية، وكذلك فإنه ليس عنصرياً يركز على دور شعب بعينه، بل يقوم على دور الشعوب الإسلامية وفق حجمها وعطائها الحقيقي، كما أنه ليس طائفياً يوجه التاريخ لخدمة مذهب معين، أو طائفة على حساب الحقائق التاريخية" [٤٤].

٢ــ الدافع الأصيل لحركة المسلمين هو إرضاء الله عز وجل والتمكين لدينه، ولم يكن هدف الفتح الإسلامي دافعاً دنيوياً، ولا رغبة في التسلط والاستحواذ، ولا طمعاً في خيرات البلاد المفتوحة، ولا فرارا من شظف الحياة في الصحراء، كما يقول (كايتاني) وغيره من المستشرقين.

روى الطبري خبر مفاوضة المغيرة بن شعبة لرستم وما رد به على عروض رستم المادية، مقابل تخلي المسلمين عن القتال، حيث أجابه المغيرة بقوله: " أتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله، وننفذ أمره، وننجز موعوده، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه، فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله، وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال، أو تفتدوا نفوسكم بالجزية، فإن فعلتم وإلا فإن الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم، فاقبلوا نصيحتنا فوا الله لإسلامكم أحب ألينا من غنائمكم" [٤٥].

وقد وردت مثل هذه المقولة عن" ربعي بن عامر" لما دخل على رستم قائد الفرس وقد تقدم ذكرها.

٣ــ تقويم الحضارة يرتبط بمدى ملاءمتها لعبادة الله تعالى، فالله عز وجل قد خلقنا لعبادته فتقييم الحضارة لا يكون بالمادة فقط، بل يكون بالدين فقط، والمادة من ضرورات عمارة الأرض فحسب على منهج الله تعالى، ولذلك مهما وصلت الحضارة للتقدم المادي فإنها تبقى في نظر المؤرخ المسلم " متخلفة ".

٤- بطلان منطق " التبرير " كأساس لتفسير تاريخ صدر الإسلام، إن هذا المنطق أثر للقهر النفسي والفكري الذي أحدثه الغزو الفكري في عقولنا.

ومن ذلك: الأسلوب الاعتذاري الذي يستخدمه بعض المؤرخين المسلمين المعاصرين في الكلام عن الجهاد في الإسلام وحركة الفتوح الإسلامية واعتبارها دفاعاً عن شبه جزيرة العرب أمام تحركات الفرس والروم، بل إن غزوات الرسولﷺ لم تسلم من هذا الأسلوب التبريري وجعلها دفاعاً عن دولة المدينة المنورة كما ورد ذلك في الدراسة التي قدمها العلامة /محمد شبلي النعماني عن السيرة، مثلا فهو على فضله وقع في هذا الخطأ.

بل إن بعض المؤرخين المسلمين ذهب إلى نفي روايات صحيحة عندما عجز عن التبرير الذي يريده فأنكر روايات ابن إسحاق حول قتل مقاتلة بني قريظة وهي ثابتة في كتب الحديث والسيرة والتاريخ، ومن هؤلاء أيضاً د/وليد عرفات:

في بحث قدمه في مؤتمر السنة والسيرة بقطر وقبل ذلك في المؤتمر الدولي للتاريخ ببغداد، وكأنه يشك في عدالة قتلهم.

فالتفسير الإسلامي إذاً ليس دفاعياً تبريرياً، بل ينطلق من اعتقاد أن الإسلام حق وماعداه باطل، وأن ما شرعه الإسلام من الجهاد وغيره حق لا يحتاج إلى اعتذار أوتبرير، حتى لو بدا ذلك غريباً أمام الذهنية المهيمنة على الناس في القرن العشرين، لأننا لا نطوع الإسلام وتاريخه لأذواق الناس واتجاهاتهم الفكرية في عصر معين، فما يحبذه الناس في عصر قد ينكرونه في عصر آخر، والحكم لله ولشرعه وليس لأذواق الناس وأهوائهم، والله غالب على أمره[٤٦]

٥ ـ يجب استخدام المصطلحات الشرعية في الكتابة التاريخية، وذلك لأن هذه المصطلحات ذات دلالة واضحة ومحددة، ولأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والقرآن الكريم قد قسم الناس إلى :

"مؤمنين ـ وكافرين ـ ومنافقين " ولكل منها صفات محددة ثابتة ودقيقة لا تقبل التلاعب فيها، ومن هنا يتبين بطلان استخدام المصطلحات العصرية كقولهم (يميني أو يساري) أو غير ذلك.

كذلك يجب الإبقاء على استخدام مصطلح الخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم كما حددها الشرع، ولا تستخدم معايير الفكر الغربي كالتقدمية والرجعية والتي يؤدي استخدامها إلى خطر الذوبان في الفكر الجاهلي، والضياع وسط مصطلحاته الكثيرة التي تفقدنا ذاتيتنا المستقلة[٤٧]

٦ـ النصر في المعارك لا يكون إلا بالإيمان بالله تعالى، ومحبة الشهادة في سبيله وليس بكثرة العدد والعدة، وانظر إلى ما كان يفعله الجيشان قبل بدء القتال في معارك المسلمين الأولى، فقد حرص المشركون مثلاً قبل بدء معركة بدر، على أن يقيموا ثلاثة أيام يشربون فيها الخمور وتغني لهم القيان وتضرب لهم الدفوف وتشعل عندهم النيران، لتسمع العرب بما فعلوا فتهابهم، وكانوا يظنون ذلك سبيلاً إلى النصر، بينما كان المسلمون قبل بدء المعركة يتوجهون إلى الله بقلوبهم، يسألونه النصر ويرجونه الشهادة ويشمون روائح الجنة، ويخرّ الرسولﷺ ساجداً مبتهلاً يسأل الله أن ينصر عباده المؤمنين.

وكانت النتيجة أن انتصر الأتقياء الخاشعون، وانهزم اللاهون العابثون، وهذه سنة الله تعالى إلى يوم الدين.

٧ـ الطمع المادي في المغانم وغيرها يؤدي إلى الفشل فالهزيمة، كما حصل في معركة أحُد من مخالفة الرماة لأمر النبيﷺ وانشغالهم بجمع الغنائم، حوّل النصر إلى هزيمة، وكذلك في غزوة حنين، انشغل البعض بجمع الغنائم، إضافة إلى إعجاب البعض بكثرة عدد المسلمين، فانشغلوا بالسبب عن حقيقة التوكل على الله عز وجل، فتحول النصر إلى هزيمة، ولولا رحمة الله تعالى، ثم ثبات النبيﷺ والمؤمنين الصادقين حوله لما تحولت الهزيمة بعد ذلك إلى نصر مبين.

٨ ـ في إصابة الرسولﷺ بالجراح يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم من أذى سبيل الله في أنفسهم وأموالهم، فهذه سنة الله تعالى، قال تعالى: (الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) [٤٨]

٩ــ وفيما فعله المشركون يوم أحد، من التمثيل بقتلى المسلمين وبخاصة حمــزة عــم النبيﷺ دليل واضح على خلوّ أعداء الإسلام من كل إنسانية وضمير، ودليل على الحقــد الأسود الذي يملأ قلوبهم. وكذلك يفعل اليهود والصليبيون بقتلى المسلمين في كل مكــان، وأوضح مثال على هذا ما فعلوه في البوسنة والهرسك في وقتنا الحاضر.

١٠ــ لقد ظهر في غزوات النبيﷺ مبدأ الشورى في الإسلام، ولقــد قبــل النبــيﷺ مشورة الحباب بن المنذر يوم بدر ويوم خيبر، وهذا يدل على الرحمة والعدل والتواضــع لقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر) [٤٩]

١١ــ المنهج الإسلامي يعتمد على الحكمة في كل مراحله، فيضع السيف في موضعه، والصلح في موضعه، وكل هذا لهدف وغاية شرعية، ويتضح ذلك من صلــح الحديبيــة على سبيل المثال والذي جعله الله تعالى فتحاً مبيناً.

ولكن يجب ان يعلم: أن الشرط الأصلي للصلح مع الكفار، هو أن تكون الغلبة والحكم بيد المسلمين وليس العكس، كما هو واقع الآن، لأن أصل العلاقة هي الحرب، حتى يكــون الدين كله لله، والصلح حالة استثنائية مؤقتة لعلة معتبرة من الناحية الشرعية وليس كمــا يزعم البعض أنها عهود مؤبدة.

١٢ــ مما طلبه الرسولﷺ من نعيم بن مسعود أن يخذل بين الأحزاب ما استطاع في غزوة الأحزاب، دليل على أن الخديعة في حرب الأعداء مشروعة إذا كانت تؤدي إلــى النصر والإقلال من سفك الدماء، وهذا مقبول في نظر الإسلام ماعدا الغــدر والخيانــة، وهذا من حكمته السياسية والعسكرية.

١٣ــ وفي قبوله إشارة سلمان الفارسي بحفر الخندق وهو أمر لم تكن تعرفه العــرب من قبل، دليل على أن الإسلام لايضيق ذرعاً بالاستفادة مما عند الأمم الأخرى بشرط، ألا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، ومن ذلك أيضاً اتخاذه خاتماً كتب عليه محمد رسول الله حتى يختم به كتبه إلى الملوك والرؤساء، وذلك لما قيل له إن من عادة الملوك ألا يقبلــوا كتاباً إلا إذا كان مختوماً باسم مرسله .

١٤ـ لقد تبين من غزوات النبيﷺ لليهود أخلاق اليهود الثابتة فيهم حتى يومنا هذا فهم أهل غدر وخيانة، فلقد عاهدهم النبيﷺ منذ نزوله إلى المدينة وأمنهم على دينهم وأموالهم وأنفسهم فما لبثوا، حتى انتهكوا عرض امرأة مسلمة بكشف عورتها في السوق فكانت غزوة بني قينقاع، وهذه هي أخلاقهم حتى اليوم في انتهاك الأعراض، ثم تآمروا على قتله فكانت غزوة بني النضير، وهذه هي أخلاقهم حتى اليوم في سفك الدماء، ثم نقضوا عهده في أشد المواقف حرجاً يوم الأحزاب، فكانت غزوة بني قريظة، ثم تجمعوا من كل جانب يهيئون السلاح ويبيتون الدسائس للقضاء على المدينة وأهلها، فكانت غزوة خيبر.

وأما اليوم فأخلاقهم أظهر من التعريف بها والتاريخ يعيد نفسه.

فهل من معتبر ؟

١٥ـ في غزوة مؤته وتبوك وضع النبيﷺ حجر الأساس للفتوحات الشامية والعالمية للدعوة الإسلامية، خلافاً لأدعياء الحرب الدفاعية.

١٦ ـ وأما فتح مكة، فلقد تجلت فيه رحمة النبيﷺ والذي رحم قريشاً وأطلق سراحها وهي واقفة أسيرة بين يديه تنتظر ماذا سيقضي فيها، وذلك بعد حرب دامت إحدى وعشرين سنة فقال لهم النبيﷺ " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين" ودخل النبيﷺ مكة خاشعاً لله شاكراً له، لا يزهو كما يفعل عظماء الفاتحين.

وبعد هذا الموقف العظيم الرحيم من النبيﷺ دخل أهل مكة في دين الله أفواجا، وكانوا بعد ذلك من جند الإسلام وخيرة أهله.

١٧ـ يتضح من هذا النصر العظيم للإسلام والمسلمين، أن الإسلام دعوة الله التي تكفل بنصرها ونصر دعاتها والمؤمنين بها والحاملين للوائها، ولكن لابد من الابتلاء والاختبار وقال تعالى : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) [٥٠].

المبحث الثاني:

فترة الخلافة الراشدة

تمهيد:

لقد أرسى النبيﷺ دعائم دولة الإسلام العالمية، والتي اكتمل بنيانها بتحقيق أركان الإسلام والإيمان، وربّى النبيﷺ جيلا قرآنيا فريداً حمل مصابيح الهدى وأنوار التوحيد إلى العالم كله، كما وضع أسس السياسة الشرعية للفتوحات الإسلامية، ولذلك بقيت راية الجهاد في سبيل الله عالية يحملها رجال، زكّاهم الله تعالى في كتابه وزكّاهم نبيهﷺ .

قال تعالى: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)[٥١].

فهذه الآيات الكريمة نزلت في وصف المهاجرين والأنصار من صحابة النبيﷺ وهي توضح تجردهم لدعوة الإسلام، فلم يقف حب الديار والتعلق بالمال عائقا أمام خدمتها، فلما أمروا بالهجرة سارعوا إليها تاركين ما ألفته النفس من الديار وما حازوه من المال تجردا للدعوة وابتغاء مرضات الله، والتي تعلو على كل حظوظ النفس، لقد انخلع جيل الصحابة عن الشح ليحققوا الفلاح الذي وصفتهم به الآيات، بعد أن استحقوا صفة النصرة لله ولرسولهﷺ ،وبذلك صاروا رموزا شامخة وأعلاما هادية وقدوات سامقة تتطلع أجيال المسلمين إليهم بكل فخر واعتزاز وبكل تمجيد وتقدير.

وصف ابن مسعود لأبناء جيله من الصحابة : قال: " من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمدﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيهﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم".

نهض الصحابة رضي الله عنهم بالدعوة إلى دين الله، وعبروا عن مضامينه ومقاصده أجمل تعبير مما يدل على وعي عميق بواقع عصرهم ومقاصد دينهم، كما قال ربعي ابن عامر لقائد الفرس رستم " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

وكان الصحابة يحملون رسالةالإسلام إلى أهل الأرض، وكان أشد فرحهم عند دخـــول الناس في الإسلام، وكانوا بذلك واعين لأهدافهم، حريصين على نشر عقيدتهم، مستوعبين لقولهﷺ لعلي ﷺ يوم خيبر" لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكـــون لـــك حمر النّعم" [٥٢].

وكانت قيادتهم بعد النبيﷺ تؤكد هذا المعنى.

ومن امثلة ذلك : لما عرض المقوقس على عمرو بن العاص الجزية عند فتح الاسكندرية على أن يرد إليهم الأسرى، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بقبول الجزيـــة، وتخيير الأسرى بين الإسلام والنصرانية، وقد وصف موقف التخيير شاهد عيان هو زياد بن جزء الزبيدي قال: " فجمعنا ما في أيدينا من السبايا واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل مما في أيدينا ثم نخيّره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام، كبرنـــا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية، قال: ثم نحوزه إلينا، وإذا اختار النصرانية، نخرت النصارى، ثم حازوه إليهم ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديـــداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم، قال فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منه وقد أوتـــي فيمـــن أوتينا به ـــ بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمـــن ـــ فوقفنـــاه فعرضنـــا عليـــه الإســـلام والنصرانية، وأبوه وأمه وأخوته في النصارى، فاختار الإسلام، فحزناه إلينا ووثب عليـــه أبوه وأمه وأخوته يجاذبوننا، حتى شققوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا [٥٣].

وهذه الحادثة تكشف عن مشاعر الصحابة وتعلقهم بدينهم ورغبتهم الصادقة في إسلام الناس، وإن سقطت عنهم الجزية، ثم هي تكشف عن جو الحرية الدينية وعدم إجبار أحـــد على اعتناق الإسلام.

وقد تحمل الصحابة الكرام من الجوع والعطش الحر والبرد والأذى فصبروا على الامتحان وآثروا العقيدة على نعيم الدنيا فاستحقوا المكانة التي وصلوا إليها حيث خلدهم كتاب الله بما وصفهم به من عاطر الثناء وحفظت لهم الأمة الإسلامية قدرهم على مدى الزمان.

ولقد كان الصحابة يلتزمون بالبيعة للرسولﷺ ثم للخلفاء الراشدين من بعده وكان للبيعة قيمة عالية فهي التزام حر وتعاقد بين الطرفين، وقد دللوا دائماً على صدق التزامهم فلبوا داعي الجهاد وخاضوا غمار المعارك في أماكن نائية عن ديارهم، ودفن كثير منهم في أطراف الأرض ما بين كابول والقسطنطينية والقيروان، وما عرفوا القعود عن الجهاد والحفاظ على الكرامة والذود عن العقيدة

وهكذا كان جيل الصحابة يقدم التضحيات الجسيمة في سبيل نصرة دين الله، فمكّن الله لهم في الأرض كما وعدهم ــ ووعده الحق ــ بقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ... الآية) [٥٤]

وقد دلل التاريخ على نجاح التربية المحمدية للصحابة رضي الله عنهم فبرز منهم عظماء الإسلام من الخلفاء والولاة والقضاة والقادة والعلماء والمربين، وتمكنوا من إرساء قواعد العقيدة ومناهج الشريعة وأصول التربية وقيم الأخلاق في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، فلما توفي النبيﷺ ترك في الدنيا الرجال الذين رباهم على عينه وقد ودعهم الوداع الأخير عندما أطل عليهم من حجرته صفوفاً منتظمة خلف الصديق رضي الله عنه فابتسم ابتسامة الرضى والطمأنينة والثقة على مصير العقيدة في أيدى الصحابة الثقات.

وتتالت الأحداث الخطيرة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فارتد الأعراب خارج المدينة ومكة والطائف وامتنعوا عن أداء الزكاة، ونصح بعض الصحابة أبا بكر رضي الله عنه أن يدعهم يصلون ولايؤدون الزكاة فقال " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كان يؤدونها إلى رسول اللهﷺ لقاتلتهم على منعها "

فقاتل الأعراب حتى رجعوا إلى الإسلام، ونظم حملات الجهاد لفتح العراق والشام.

وتوفي أبو بكر رضي الله عنه وبايع الناس عمر ﷺ فحرض الناس على الجهاد وأتـم فتح العراق وإيران والشام ومصر، وأعاد تنظيم الجيش، ورتب ديوان الجنـد، وفـرض الخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وعزز استقلال القضاة عن الولاة، وعـزز مبـدأ الشورى وطبقه في حياته وعند وفاته.

وبذلك أكد على دور الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد وصارت سيرته رمـزاً للعـدل المطلق على مدى التاريخ رضي الله عن عمر.

وهكذا كان دور عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنـهما فـي إقامـة صرح الإسلام، وتوسيع رقعة دولته، ودعاء الناس إلى اعتناقه، وإقامة الشـرع الحنيـف وأحكامه بين أتباعه، وإعلاء راية الجهاد، ونشر العلم، وإشاعة الفقـه، وتولـي الفتيـا، وإطفاء الفتن، حتى ماتا شهيدين كما بشرهما النبي ﷺ .

وقال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعَضّـوا عليـها بالنواجذ" [٥٦]

وقال ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سـألت ربـي لأمتـي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يردّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسـنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مـن بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا" [٥٧].

وهذا الحديث من معجزات النبوة، فلقد حدث ما أخبر به فإن ملك الأمة الإسلامية قـد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وذلك في عهد الخلافة الراشدة، وظل كذلك فيما بعد حتـى وقعت الفتن والقتل في الأمة فتحققت فيها سنة الله تعالى .

وبيان ذلك كالآتي:

الفتوحات الكبرى في عصر الخلفاء الراشدين :

مالبث أبو بكر الصديق أن حول استراتيجية الجهاد صوب الأهداف المركزية التي بـدأ الرسولﷺ التحرك نحوها في أعقاب صلح الحديبية بالكلمة حيناً، وبالسلاح حينـاً آخـر والتي جاءت الرّدة بمثابة عائق وقتي عن مواصلة التحرك في سبيلها.

تلك هي المساعي من أجل تنفيذ عالمية الإسلام، وإسقاط كافة النظم الباغية التي تقـف في طريق هذا الهدف الخطير.

وبهذا يتبين تهافت قول عدد من المؤرخين المعاصرين بأن دافع الفتح الإسلامي إنمـا هو اقتصادي صرف، يتمثل في السعي من أجل الغنى بعد الفقر والشبـع بعـد الجـوع ومغادرة قفر الصحراء وجدبها صوب الأراضي الخصبة، فكل هذه الأقـوال قـد تبيـن بطلانها من الناحية الشرعية والعقلية والتاريخية، ولقد تقدم بيان ذلك عند الحديـث عـن أهداف الجهاد في الإسلام.

لقد انطلقت قوات المسلمين تعمل على جبهتين عريضتين وهما: العراق والشام

الجبهة الأولى: العراق

تمكن عدد من القادة وهم المثنى بن حارثة الشيباني وعياض بن غنم ثم خالد بن الوليد من تحقيق عدد من الانتصارات الاستراتيجية ضد المواقع الفارسية في جنـوب غـرب العراق، توّجت في مدى يقل عن السنتين بدخول الحيرة عاصمة المناذرة حلفاء الفرس في العراق، ثم ما لبث أمر أبي بكرالصدّيق أن صدر إلى خالد بن الوليد بمغـادرة العـراق لمساندة إخوانه في اليرموك ضد الجيش البيزنطي هناك، وأعقب خالداً في العراق عـدد من القادة وعلى رأسهم سعد بن أبي وقاص والذي حقق انتصاراً مركزياً على الفرس في معركة القادسية عام ١٥ هجرية هـ حيث سحق زهرة قواتهم في العراق، وأعقب هـذا الانتصار الحاسم بانتصارين آخرين تمثل أحدهما بتوجيه ضربة أخرى للقوات الفارسـية في جلولاء، وتمثل الآخر باكتساح المدائن عاصمتهم القديمة في العراق.

وبعد أربع سنوات حشد الإمبراطور الساساني الأخير قوى قيل أنها جاوزت الخمسين ألفاً في العدد وعند " نهاوند " على الحدود الجنوبية الفاصلة بين العـراق وبـلاد فـارس جرى لقاء حاسم لا يقل خطورة عن معركة القادسـية انتصـر فيـه المسـلمون وجـاء انتصارهم بمثابة تحطيم نهائي لآخر سدود العسكرية الساسانية، حيث انساقوا بعده إلـى بلاد فارس وخلال عقد واحد من الزمان صفيت الإمبراطورية الساسـانية وقتـل آخـر أباطرتها في أقصى الشمال، ومن ثم أطلق المسلمون على معركة نهاوند اسم" فتح الفتوح"

وكانت هناك فرق عسكرية أخرى قد تفرغت لفتح الأقاليم الشمالية وبخاصة الجزيـرة الفراتية وأذربيجان وأرمينيا وقد حققت هي الأخرى نجاحاً مذهلاً.

ثانيا: الجبهة الشامية :

فقد انطلقت أربعة فرق إحداهما بقيادة عمرو بن العاص ووجهته فلسـطين والأخـرى بقيادة شرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن والثالثة بقيادة يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق والرابعة بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح ووجهته حمص.

ولقد استفزت البدايات الأولى للانتصارات التي حققتها هذه الفرق القيادة البيزنطية التي أخذت تدرك أكثر فأكثر خطورة الدولة الإسلامية الناشئة على وجودها في بـلاد الشـام، وكان على قادة الفرق الأربع أن يستشيروا الخليفة فكان جواب أبي بكر ﷺ : اجتمعـوا عسكراً واحداً والقوا زحف المشركين بزحفكم، فأنتم أنصار الله والله ناصر مـن نصـره وخاذل من كفره "

معركة اليرموك : وعند اليرموك في أواسط سوريا تم اللقاء الحاسم بين الفريقين، ولما طال اللقاء دون ظهور نتيجة نهائية، أصدر أبو بكر أمره المعروف إلى خالد بن الوليد أن يغادر جبهة العراق ويهرع لنجدة إخوانه في الشام، فقرر خالد أن يجتاز الصحراء علـى خط مستقيم إلى هدفه بدلاً من الطريق التقليدي وذلك حتى يختصر الوقت ويباغت عـدوه وتحمل خالد ﷺ مع جيشه المتاعب والمصاعب ووصل إلى إخوانه في اليرموك وتولـى قيادة المعركة الحاسمة التي انتهت بسحق القوات البيزنطية وفتح الطريق أمام المسـلمين لاجتياح المواقع والمدن الشامية، وفي فلسطين تمكن عمرو بن العاص عند أجنادين مـن

تحقيق انتصار لا يقل أهمية عن اليرموك وفتح الطريق لتصفية المدن الفلسطينية وحصار القدس ثم استسلامها أخيراً وتوقيعها شروط الصلح بحضور الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وتردد عمر ﷺ في توسيع نطاق الفتوحات الإسلامية ريثما يتمثل المسلمون الحجم الكبير للانتصارات التي حققوها في تلك الفترة الزمنية القاسية، لكن عمرو ابن العاص ﷺ أقنع الخليفة بضرورة فتح مصر لتأمين الجبهة الشمالية وقد تمكن من فتح مصر كلها.

وفي خلافة عثمان ﷺ :

حاول الفرس والروم استرداد بعض مواقعهم القديمة، فقاموا بسلسلة من حركات التمرد تمكن الخليفة من سحقها بسهولة اعتماداً على عدد من العناصر القيادية الشابة كما أنه وافق أخيراً على اجتياز تجربة القتال البحري، فسمح لرجليه في مصر والشام " ابن أبي سرح ومعاوية بن أبي سفيان "أن يبنيا أسطولاً إسلامياً تمكن خلال سنوات قلائل من تحقيق عدد من الانتصارات الإستراتيجية، كان أبرزها فتح قبرص ورودس ومعركة ذات الصواري التي تم فيها سحق الأسطول البزنطي المكون من خمسمائة قطعة بحرية [٥٨].

واما في خلافة علي ﷺ :

فلقد توقفت الفتوحات الإسلامية بسبب الفتن التي جرت بعد مقتل عثمان وظلت باقية في مدة خلافة عليّ وما ترتب عليها من فتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين.

وعقيدتنا في الصحابة : هي عقيدة أهل السنة والجماعة كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي : ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان "[٥٩].

وهؤلاء الأربعة أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ .. " [٦٠].

وقالﷺ : " الخلافة بعدي ثلاثون سنة" [٦١].

في خلافة أبي بكر الصديق سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وخلافة عمر الفاروق عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً من ١ محرم سنة ٢٤ هـ إلى ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ، خلافة عليّ أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٩ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠ هـ

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع للحسن بن علي يوم مات أبوه، وفي ربيع الأول سنة ٤١ هـ سلم الأمر لمعاوية وبذلك ظهرت آية النبيﷺ في قوله: " الخلافة بعدي ثلاثون سنة" .

وقولهﷺ في الحسن " إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" [٦٢]

المبحث الثالث :

العهد الأموي: من عام ٤١ هـ - ١٣٢ هـ

تمهيد:

إن تاريخ بني أمية قد أصابه الكثير من التشويه في منهج الدولة وأهدافها وقيادتها حتى غدا كأنه قد حدث انفصال مباشر بين العهد الراشدي والعهد الأموي دفعة واحدة، حتى أصبح الكثير من الناس يظنون أن الإسلام لم يمكّن له إلا في العهد النبوي والراشدي.

ومن جملة الاتهامات التي وجهت للأمويين :

١ - التعصب للعربية :

وأنهم لم يلتزموا بالإسلام الذي يأمر بالمساواة بين الشعوب، وإنما أخذوا العصبية شعاراً لهم، فكان هذا الاتهام أكبر هجوم عليهم وأفتك سلاح اتخذ ضدهم.

وهذا الاتهام ليس طعنا في الأمويين فقط وإنما في الفكر الإسلامي أيضا.

ففيه طعن بالأمويين حيث يعني بعدهم عن الإسلام الذي كان هو عماد الأمة ومنهج الدولة، فلو كان الأمر أن يقال : أسرة سيطرت على الحكم وجعلته ملكا ولم تتقيد بتعاليم الإسلام لهان الخطب،ولكن القصد أبعد من ذلك بكثير إذ يهدف الكلام إلى أن الإسلام لم يطبق إلا في مدة محدودة وهي عهد أبي بكر الصديق وعمر الفاروق، ثم حدثت خلافات بين أنصار المحافظة على الإسلام ومبادئه ممثلة في الخليفتين عثمان وعلي الذين ذهبا شهيدين، وبين أصحاب راي الانفتاح على العالم المتمدين وحضارة الفرس والروم، ونتيجة الصراع بين هذين الفريقين انتصر أصحاب فكرة الانفتاح وقامت الدولة الأموية على هذا الأساس، وأخذ التخلي عن الإسلام يظهر تدريجيا وتفصم عراه عروة بعد أخرى وسار الأمويون في الركب العالمي المادي معتمدين على العنصر بعيدين عن الفكر الإسلامي.

وزعم الأعداء نتيجة هذه الأفكار التي ألقاها الخصوم تهمة ورددها أصحاب العصبيات أن الإسلام يلائم البيئة البدوية المغلقة ولا يصلح في الوسط الحضري المنفتح، وقد طبق في الوقت الذي كان فيه محصورا في بيئته التي نشأ فيها، فلما انطلق به أتباعه إلى الأوساط الزراعية المتحضرة في الشام والعراق ومصر وفارس لم يصلح لها فتخلى عنه أبناؤه، وكان أول الذين تخلوا عنه المسؤولون عنه من الحكام الذين هم بنو أمية.

وإذا كان الإسلام لا يصلح للبيئة الحضرية في ذلك العصر فكيف يصلح للمدنية المعاصرة التي تطورت تطورا رهيبا في ميدان العلم والتجربة وأخذت التقنية دورها العظيم، وما دام لا يصلح ولا يمكن أن يصلح، فإن الدعاة إليه اليوم مخطئون كل الخطأ وهم سبب تخلف المسلمين والوقوف في وجه التيار الحضاري، وعملهم ليس سوى إضاعة للوقت وعمل رجعي تخريبي ويجب الوقوف في وجههم وإيقافهم عند حدهم، وعلى كل مسؤول تقدمي الوقوف منهم وقفة عنيفة ..

ومقابل هذا فقد حملت الشعوب الأخرى الدعوى إلى التفاخر بأنسابها وصفاتها فكان العصبيات القومية التي فرقت بين المسلمين وشتتت شملهم [٦٣].

والجواب على هذه الفرية كالتالي :

أن هذا من الافتراء والكذب على الدولة الأموية لمحاولة طمس هويتها الإسلامية.

فمن الناحية التاريخية فقد فتحت مناطق كثيرة خارج الجزيرة العربيــة أيــام الخلفــاء الراشدين ودان أهلها بالإسلام ولكن لم يكن الوقت كافياً لهم كي يتعلم هــؤلاء المســلمين الجدد اللغة العربية عندما قامت الدولة الأموية، كما لم يكن لديهم متسعاً من الوقت ليتقنوا قــراءة القــرآن الكريــم ويحفظــوا بعضــه وهــذا بشكــل عــام. وبالتالي عندما أراد الأمويون اختيار القادة للفتح لم يجدوا أمامهم سوى العرب تتوفر فيهم صفة إمكانية الإمامة والخطابة ومعرفة الأحكام، فالأمر طبيعي أن يختاروا القادة منهم بل لايمكنهم غير ذلك لو فكروا فيه ليكون قادتهم على معرفة باللغة العربية وإتقــان لقــراءة القرآن، ومن هذا الاختيار الملزمين به عقيدة المجبرين عليهم حكماً اتـــهموا بــالتعصب للعربية وتقريب أبنائها وإبعاد غيرهم.

٢. عدم عدالة الخلفاء :

وفي الحقيقة إن الخلفية التي لدينا عن كثير من الخلفاء غير صحيحـــة، وذلــك لأننــا أخذناها من كتب ليست بذات ثقة وكتبت بأيدي مغرضة كانت معادية للمســلمين الذيــن تسلموا الخلافة سواء أكانوا راشدين أم أمويين أم عباسيين.

وكثير ما وصلت إلينا حياة الخلفاء من جانب واحد، وغالباً ما يتعارض مع المنصــب الذي يتسلمه، فالخليفة ليس رجل حكم فقط يجلس في مركز الخلافة يعطي الأوامر ويجيب على الرسائل ويتلقى التهاني ويستمع إلى الشعراء يكيلون له الثناء، وهذا الجــانب الــذي دوّن لنا وشوّه أيضاً.

وإنما كان الخليفة إمام المسلمين في الصلاة وخطيبهم في الجمعة والأعياد وقائدهم في الجهاد والمفتي للخاصة والمسؤول عن العامة يستنبط من الأحكام ويناقش الفقهاء ويتداول الرأي مع العلماء وهذا الجانب لم يرد إلينا من خلال ما كتب لنا عن الخلفاء.

وفي الحقيقة : لقد شوهوا تاريخ خلفاء بني أمية وعلى وجه الخصـــوص يزيـــد بـــن معاوية والذي استمر في الخلافة ما يزيد على أربع سنوات وكان يمـــارس خلالـــها مـــا يمارسه الخليفة مع بعض الطعن فيه، ولكن غاية ما يقال فيه كما قال الإمام بن تيميـــة : أنه أحد ملوك المسلمين لا يحب ولا يسب، فلم تكن أيامه فجوراً فيسب ولا أيـــام عـــدل ورخاء فيحب، ولم تنطلق في عهده الفتوحات فيثنى عليه وإنما كان ملكاً عادياً، ووقعـــت في عهده حادثتان خطيرتان كان لهما أكبر الأثر في توجيه اللوم إليه وانتقاده وهما :

حادثة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي رضي الله عنـــهما، ووقعـــة الحـــرة ودخول المدينة المنورة من قبل جنده ولكن مع ذلك لا نغالي في الكلام عنهم.

وكما طعن في يزيد بن معاوية طعن في بقية خلفاء بني أمية لم يستثن منـــهم خليفـــة واحد اللهم إلا إذا كان عمر بن عبد العزيز وهذا لم يطعن فيه لصلاحـــه كمـــا يتصـــور البعض وإنما لقصر مدة خلافته التي لم تزد على الســـنتين (٩٩ـــ ١٠١ هـــــ)، ولأن الذين يوجهون الطعون أرادوا أن يظهروا بالعدل والإنصاف إذا استثنوا بعض الخلفاء.

وبهذا لم يسلم أحد من أقلام الحاقدين وألسنة المغرضين وهذا أمر طبيعي مـــا دامـــوا أعداءً للإسلام، ولكن الغريب كل الغرابة أن يكون ما تدونه أقلامهم ثقافة لأجيالنا الذيـــن يريدون أن يواجهونهم فكرياً وأن تكون مواطن فخر أحفادنا في التـــاريخ مـــن تدويـــن أعدائهم من المستشرقين وغيرهم، وأن يكون الجيل الثاني لتطبيق الإسلام أول من تخلـــى عنه بل إن كثيراً من الجيل الأول قد شهد هذا الابتعاد عنه ووافق عليه.

فعلينا أن ننظر في هذه الوقائع والأحداث ونرى رواتها ومدى الثقة بهم ونفسرها بعـــد ذلك تفسيراً إيمانيا حسب منطلقات الأمة الإسلامية ونرى ما يتفق مع هذه المنطلقات وما يتباين معها، فالأحداث ليست سوى ترجمة للمنطلقات وتطبيقا لها [٦٤].

نعم قد حدث انحراف عن خط الخلفاء الراشدين في بعض المسائل مثل:

مبدأ الشورى وولاية العهد ووقوع الظلم وسفك الدماء من بعض الولاة مثل الحجاج بن يوسف الثقفي والذي أسرف في قتل الصالحين من هذه الأمة، وانصراف بعض الولاة إلى الترف والبذخ .. وغير ذلك من أمور عجلت بالقضاء على الدولة الأموية.

ولكن مع ذلك يبقى الحكم على الخلافة الأموية بأنها خلافة إسلامية وأن هذا الانحراف الذي حدث في بعض مراحلها لا يغير من الحكم عليها ولقد ظلت تحمل رايـــة الإســـلام وتفتح الأمصار، ولقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهدها جداً .. وبيان ذلك كالتالي:

العصر الأموي والموجة الثانية من الفتوحات:

كانت أحداث الفتنة في مرحلتيها الأولى والثانية بمثابة توقف زمني قصير لم يتجـــاوز العشر سنوات عن متابعة قضية الإسلام الكبرى " الانتشـــــــار"

وعندما قامت الدولة الأموية وتوحدت الطاقات الإسلامية تحت لواء مؤسسها "معاويـــة بن أبي سفيان " فيما سمي بعام الجماعة " ٤١هـ "

استؤنفت حركة الفتح بعد إذ زالت عوائقها وأخذت الدولة الجديدة على عاتقها مهمـــــة توسيع عالم الإسلام ومدّه إلى آفاق جديدة فكانت الموجة الثانية للفتوحات الإسلامية التـــي بدأت في عهد معاوية نفسه واستمرت فيما بعد لكي تبلغ أقصى اتساعها في عهد الوليد بن عبد الملك " ٨٦ـــ ٩٦ هــ "

وهكذا امتد الفتح الإسلامي إلى أعماق آسيا، واجتازها لكي يطرق حدود الصين فـــي الشرق، ومشارف هضبة الدكن الهندية في الجنوب، ولكي يعزز الوجود الإسلامي فـــي الأقاليم الشمالية المتطرفة كأذربيجان وأرمينيا، أما في الغرب وبعد سلسلة مضنيـــة مـــن المحاولات ثبت الوجود الإسلامي نهائيا في الشمال الأفريقي عبر تلك الأراضي الشاسعة الممتدة من حدود مصر الغربية وحتى المحيط الأطلسي، ثم ما لبـــث جنـــد الإســـلام أن اجتازوا المضيق الفاصل بين القارتين وانتصروا على القيادة القوطية في أســـبانيا لكـــي يجعل من شبه جزيرة أيبيريا أرضاً إسلامية ومنطلقا لتهديد أوربا نفسها مـــن أطرافـــها الجنوبية والغربية.

يجعل من شبه جزيرة أيبيريا أرضاً إسلامية ومنطلقاً لتهديد أوربا نفسها مـــن أطرافــها الجنوبية والغربية.

وخلال ذلك كان الأمويون قد نظموا استراتيجيتهم القتالية تجاه البيزنطيين وفق خطـــط استهدفت القسطنطينية نفسها، وهذه الخطط وإن كانت قد أخفقت في تحقيق هدفــها عــبر محاولات معاوية وسليمان بن عبد الملك، إلا أنها على الأقل ألجأت البيزنطيين إلى موقف الدفاع بدلاً من الهجوم الأمر الذي أتاح للمسلمين تعزيز انتصاراتهم في جبهات أفريقيـــا وأوروبا الغربية والبحر المتوسط الذي غدا بمرور الوقت منطقة نفــوذ إســلامية حيــث تراجعت وانكمشت البحرية البيزنطية.

اتجاهات الفتوحات :

أولاً : في المشرق :

اندفع قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي كان الحجاج بن يوسف الثقفي ولاه خراسان، صوب أعماق آسيا ميمماً وجهه نحو الصين، فخرج أولا إلى بلخ ودخلها سنة ٨٦هـ ثم بيكنـــد سنة ٨٧هـ، ولكن أهلها انتهزوا فرصة غيابه في الصغد وغدروا بعامله وقتلوه واضطر إلى الرجوع إليهم وهزمهم وغنم منهم مغانم كثيرة

وفي السنة التالية: واصل فتوحاته فكان النصر حليفهم في بلاد كرمينية الممتــدة بيــن سمرقند وبخارى، وفي سنة ٨٩ هـ استولى على بخارى بعد عناء شديد واســتخدم فــي جيشه كثيراً من أهلها، وبعد سنوات قلائل اندفع مرة أخرى فاستولى على خوارزم عـــام ٩٣هـ، ثم فتح سمرقند بعد قتال شديد وبفتحها وطّد مركزه في بلاد ما وراء النهر، ثـــم عبر نهر جيحون حيث التقى بجيش مؤلف من عشرين ألف مقاتل من بخارى وخــوارزم وغيرهما.

وفي العام التالي: سار إلى فرغانة وهو الإقليم المتاخم لبلاد تركستان ومنها تابع السير حتى وصل إلى خجندة على نهر سيحون ولقي مقاومة ولكنه انتصر إنتصاراً باهراً، وفي

سنة ٩٥هـ استولى على خوقند وكاشغر ولم يكتف بما أحرزه من انتصارات وبما فتحه من بلاد ما وراء النهر بل مضى قدماً يتابع فتوحاته.

وبينما هو في الطريق جاءه نبأ وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك فلم يثنه ذلك عن متابعة التقدم، وظل في سيره حتى قرب من حدود الصين وإذ أرسل إلى ملكها وفداً يعرض عليه شروط التسليم وبعد مفاوضات طويلة اضطر ملك الصين إلى أن يقدم له الخضوع ويدفع الجزية.

وبهذا أصبح الإقليم تحت سلطان الدولة الأموية، وسلك الفاتحون في معاملة أهله نفس السبيل التي سلكوها في الأقاليم الأخرى التي فتحوها فشجعوا أهله على اعتناق الإسلام، الأمر الذي قاد حشود الأتراك إلى دخوله.

ثانياً: في الجنوب :

عهد الحجاج إلى عامله على مكران " محمد بن يوسف الثقفي " بغزو بلاد الهند لاعتداء بعض القبائل الهندية على العرب المقيمين هناك فسار إليها سنة ٨٩ هـ وتمكن من فتح أهم بلدانها الشمالية حتى بلغ نهر السند، وهناك التقى بملك السند حيث كان هو وجنده يقاتلون على ظهور الفيلة وانتهى القتال بهزيمة ملك السند وقتله، وبذلك استطاع محمد بن القاسم أن يمد فتوحه حتى وصل إلى الملتان في جنوب بلاد البنجاب ودخلها وكانت هذه البلاد وثنية فاكتسحها الإسلام.

ثالثاً: في الغرب :

فقد تولى قيادة حركة الفتوحات موسى بن نصير الوالي الأموي هناك ومولاه البربري طارق بن زياد.

ويرجع السبب في غزو هذا الإقليم إلى أن المسلمين عوّلوا بعد فتح مصر على تقوية حدودهم الغربية والاستيلاء على بقية الساحل الأفريقي الشمالي.

فخرج موسى بن نصير على رأس جيشه قاصداً إفريقيا " تونس " فلما بلغها ضم إليه جيشاً آخر جعل على مقدمته طارق بن زياد، وقاتل موسى البربر وبسط نفوذ الدولة

ونشر الإسلام في أرجاء بلاد المغرب حتى بلغ طنجة وهي قصبة تلك البلاد فحاصرهـا حتى فتحها وأسلم أهلها وقلد طارقاً ولايتها.

ثم واصل موسى تقدمه حتى بلغ شاطئ المحيط الأطلسي وقضى على نفـوذ الدولـة البيزنطية في تلك الجهات وصولاً إلى مدينة " سبتة "ولقد اتبع موسى هذا النصر الحربي بالنصر الديني فقد أدخل البربر في الإسلام ونشـر بينـهم القـراء يُقرؤونـهم القـرآن، وأصبحت المغرب منذ سنة ٩٠هـ خاضعة للدولة الأموية.

رابعاً : في الشمال :

وما لبثت أنظار الفاتحين أن اتجهت إلى اسبانيا التي كان قد نزل بها " الوندال " فـي القرن الخامس الميلادي على أثر ضعف الدولة الرومانية وسميت بذلك " وندلوسـيا " أي بلد الوندال، وبعد ذلك نزل بها القوط الغربيون وكان المسلمون يسمونها " الأندلس " وقد سنحت للمسلمين فرصة الإغارة على السواحل الأسبانية منتهزين فرصة استعانة الأمـير "جوليان " بموسى بن نصير ضد الملك رودريك لما كان يضمره له من العداء، واتصـل جوليان بالمسلمين وأخذ يعدّ لهم وسائل الإغارة على أسبانيا والقضاء على رودريك.

وقد رحب موسى بدعوة جوليان واستشار الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي تـردد أولاً ثم سمح له بمحاربة رودريك، على أن يتبع طريق الحيطة والحذر ويتأكد أن جوليـان لا يريد التغرير بالمسلمين.

وقد أرسل موسى بن نصير طريفاً بن مالك على رأس خمسمائة مقاتل سـنة ٩١هـ فغزا بعض ثغور الأندلس الجنوبية بمساعدة جوليان وعاد بالغنائم.

وبعد ذلك سير موسى جيشاً كبيراً بلغ عدده سبعة آلاف معظمهم من الـبربر بقيـادة مولاه طارق بن زياد حاكم طنجة سنة ٩٢هـ.

وقد عبر هذا الجيش الخليج الفاصل بين إفريقيا وبلاد الأندلس ونزل في المكان الـذي يسمى الآن " جبل طارق " .

ثم سار في الولاية المجاورة وفرّ من قوات القوط التي اعترضته، واتجه شمالاً حيث انضم إليه خمسة آلاف مقاتل ووصل إليه كذلك مدد من موسى بن نصير.

ثارت مخاوف المسلمين حين علموا بدنو جيش رودريك ولكن طارقاً خطبهم خطبته المشهورة : " يا أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم إلا الصدق والصبر، واعلموا أني أول مجيب لما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله".

والتقى الجيشان في منتصف رمضان سنة ٩٢هـ وكان الملك رودريك على رأس جيش يبلغ عشرات الآلاف وذلك على ضفاف نهر" جوادي " في أسبانيا وانتصر جيش طارق على العدو انتصارا باهراً وفر رودريك ولكنه غرق في مياه النهر.

وقد قسم طارق جيشه بعد ذلك إلى أربع فرق :

وجه ثلاثة منها نحو ملقا وغرناطة وقرطبة في حين سار هو بنفسه على رأس الفرقة الرابعة نحو طليطلة عاصمة القوط واستولى عليها، وكان طارق قد أرس المغيث بن الحارث على رأس سبعمائة فارس إلى قرطبة واستولى عليها أيضاً.

ولما سمع موسى بهذه الانتصارات عدّ جيشاً من العرب والبربر يبلغ عدده ثمانية عشر ألف مقاتل وسار به إلى الأندلس لتعزيز انتصارات طارق ومد الفتوحات إلى معظم أنحاء شبه الجزيرة.

وتمكن موسى من الاستيلاء على أشبيلية وكانت من أعظم مدن الأندلس شأناً وأفخمها بناءً، وكانت حاضرة أسبانيا حتى غلب عليها القوط فاتخذو ا طليطلة حاضرة لدولتهم.

أما طارق فقد تقدم حتى وصل مدينة ماردا واستولى عليها يوم عيد الفطر سنة ٩٤هـ

ومن طليطلة انطلقت قوات موسى وطارق ففتحت أقاليم أرغونة وقشتالة وقطالونيا على الساحل الشرقي، واستولت على مدن مهمة منها سرقسطة وبرشلونا، وأصبحت أسبانيا كلها حتى جبال البرنس في أيدي المسلمين في أقل من سنتين وذلك فيما عدا الأقاليم الجبلية في الشمال الغربي التي تسمى جليقية، وقد التجأ إليها أشراف القوط

وتحصنوا هناك وترك موسى أمر إخضاع جليقية إلى طارق وعبر البرانس إلى فرنســـا واجتاز الجزء الجنوبي منها، ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك ما لبث أن دعاه إلى الكف عن التوسع فعاد إلى أسبانيا، وأخذ يوجه جهوده إلى إخضاع الجزء الشمالي الغربي منها ودخل جليقية واستولى على قلاعها لكن استدعاء الخليفة الوليد له في ذلك الوقت اضطره إلى التوقف والعودة إلى دمشق سنة ٩٦هـ [٦٥].

وولى مكانه ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير، وضبط أمور الأندلــس بعــد أبيــه وكانت فتوحات واسعة على يديه وكان فاضلا في سيرته وأخلاقه.

واستمر تقدم الفتوحات الإسلامية في تلك الجهات وتوقف بعد معركة بلاط الشهداء عام ١١٤هـ في خلافة هشام بن عبد الملك.

الخلاصة :

أن الخلافة الأموية ظلت تمثل الخط العام لعلاقة الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى، وهي "علاقة الدعوة " بكل مقتضياتها وظلت حركة انتشار الإسلام قائمة على قدم وســاق فــي معظم عصورها.

ولقد تبين في الفتوحات الصورة المشرقة لعدالة الإسلام في معاملة الأمم الأخرى.

فعلى سبيل المثال في عهد عمر بن عبد العزيز خرج أهــل ســمرقند مــن أراضــي التركستان ووفدوا على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فرفعوا إليه مظلمتهم بأن قتيبة ابن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر، فكتب عمر إلى عامله أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فنصب لهم جميع بن عامر فحكم بإخراج المسلمين [٦٦].

فهش أهل سمرقند للإسلام وبشوا ودخلوا في دين الله أفواجا.

وكتب عمر إلى سائر ملوك النهر يدعوهم إلى الإسلام فأسلم بعضهم وانتشر الإسلام في هاتيك الأمصار وتأصلت جذوره، وكان من بين أبنائه دعاة ومجاهدون وعلماء ومحدثون أمثال الإمام " أبو حنيفة والبخاري والترمذي ...وغيرهم .

المبحث الرابع

الخلافة العباسية في بغداد من عام " ١٣٢-٦٥٦ هـ"

التمهيد العام:

عندما قامت الدولة العباسية كان قد مر زمن يزيد على مائة سنة على فتح بلاد فارس ودخول الإسلام إليها وإقبال الكثير من أهلها عليه وأخذهم تعلم اللغة العربية على أنها لغة العقيدة التي دانوا بها وربّوا أولادهم عليها، فنشأ الأبناء على معرفة بأمور الدين واللغة وهذا ما يخوّلهم إلى أن يتسلموا الولايات والقيادات.

ومن الطبيعي أن يتسلم أمر الولاية أحد أبنائها الذين يصلحون للقيام بهذه المهمة فإنهم أدرى بأهلها وأكثر خبرة بطباعهم ويمكنه أن يسوسهم نتيجة تلك المعرفة، وهم يعرفون قدره وينصاعون لأمره.

ومن الطبيعي أن يتولى قيادة الجند من يصلح لها من أبناء المنطقة، حيث يعرف ما يشجعهم على النزال وما يؤثر عليهم وينقادون له، وهم يعرفونه ويعلمون قدره فينزل كل واحد منهم منزلته.

ولما كان الفرس يشكلون نسبة كبيرة من سكان شرقي الدولة الإسلامية فالأمر طبيعي أن يكون أحدهم والي المنطقة وأميرها.

وأما غربي الدولة فكان العرب يشكلون النسبة الكبيرة من أهلها والمناسب أن يكون الوالي منهم، وهذا ما أخذت به الدولة العباسية من أول أمرها، إذ كان "عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس" المسؤول عن المنطقة الغربية، على حين كان " أبو مسلم الخراساني " مسؤولاً عن المنطقة الشرقية.

وأما الولاة المحليون . . فكانوا حسب سكان الإقليم إن كانوا عرباً فهم من العرب، وإن كانوا فرساً فهم من الفرس، وإن كانوا من الترك كما هو شأن بلاد ما وراء النهر فالوالي منهم...

وهكذا كانت سياسة الدولة العباسية في تعيين والي كل منطقة منها وهـذه سياسة لا اعتراض عليها طالما أن الوالي عدلاً لهذه المهمة.

ولكن كما طعن المغرضون في الدولة الأموية بأنها متعصبة للعرب، طعنوا في الدولة العباسية بأنها متعصبة للفرس والعجم، وكل هذا لبثّ الأحقاد بين شعوب الأمة الإسلامية الواحدة.

وقد استطاع المغرضون الوصول إلى بعض ما يريدون عندما سيطر الجهل وبـرزت قرون العصبية القومية الخبيثة، وعندها يقطف المغرضون الثمر بالوصول إلى أهدافـهم الخبيثة.

فرية والجواب عليها :

زعم هؤلاء المغرضون أن التاريخ الإسلامي ليس سوى صراع علـى السلطة بيـن الأطراف المتناحرة، ولا يمكن أن يقيم حضارة ولا تستقيم معه مدنية، لأنه وجـد للبـدو فأخذ مكانه بينهم فما أن خرج من بينهم واحتك أبناؤه مع أصحاب الحضارات حتـى دب الخلاف وظهرت المتناقضات، لقد قام الإسلام أيام النبي محمد" ﷺ " وانتشر في عهده في منازل البدو داخل جزيرة العرب فلما انقضى عهده ارتدت الأعراب واستطاع خليفتـه أن يخضع المرتدين بالقوة والعزم، وأخذ الإسلام ينطلق خارج الجزيرة وكاد أن ينفلت أهلـه منه لولا الشدة التي صار عليها الخليفة عمر بن الخطاب، فما مات عمر أخـذ الصـراع يبرز بين الذين يريدون المحافظة على الإسلام متمثلاً في الخليفتين عثمان وعليّ ، وبين الذين يريدون التفلت وانتصر المتحررون فقتل الخليفة الثالث، ولم يلبث أن قتـل الرابـع وتمكن أصحاب الاتجاه الثاني، إلا أن الصراعات الداخلية استوطنت فزالت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية، فكانت دولاً لا دولة، وأمماً لا أمة، واصطدمت شعوبها بعضـها مع بعض حتى تآكلت وضعف أمرها تنتظر من يأتي ليحتل أرضها، حتى جاء المغـول فقضوا عليها ونام بعدها المسلمون، وقد تصحوا مجموعة منهم لحيـن ثـم لا تلبـث أن تغمض عينيها وترقد، وقد تصل ببعضها إلى أن تنهض وتحاول لمّ الشعث باسم الإسـلام غير أنه لا توجد أية مقومات لقيام الدولة لذا تعود لتترنح من جديد بعـد قيامـها بقليـل

واستمر ذلك حتى نهضنا بالعبء وجئنا إلى ديار المسلمين نأخذ بأيديهم نحـــو الحضــــارة وننفض عن أعينهم ما علق عليها من غبار ... ولكن يقف في وجهنا من يريد التمســـــك بالإسلام محافظة على الماضي دون أي رصيد فكري ويستطيع أن يؤثر علــــى العامـــة، وهذا ما يحول دون تطور الدول الإسلامية.

لذا إن أراد المسلون الإسهام في الحضارة العالمية، فما عليهم إلا أن يقفوا في وجه هذا التيار المتزمت المعارض للحضارة المعاصرة.

هذا رأي الأعداء بنا وبتاريخنا دونوه من حقدهم الدفين على الإسلام محاولين استغلال الثغرات في التاريخ الإسلامي، والتي سجلها أهله بأنفسهم جهلاً منـــهم، وهكـــذا أوجدنـــا لأعدائنا الثغرات، فدب الضعف وأخذ ينخر في جسد الأمة الإسلامية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والجواب على هذه الفرية :

الواقع أن ضعف الدولة العباسية قد جاء من ترك ما كان سبب القوة وهي" العقيـــــدة " والتي كانت الدافع للقوة وسبب التضحية والفداء وسبب ارتفاع الـــــروح المعنويـــة لـــدى المجاهدين وهذا كله يؤدي إلى الحماسة وإلى النصر بإذن الله تعالى.

وليس الأمر كما زعم أصحاب العصبيات أن سبب ضعف الدولة العباسية هو سيطرت العنصر غير العربي، فالشعوب واحدة في نظر الإسلام، وإنما أكرمها عند الله أتقاها قال تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبـــاً وقبـــائل لتعـــارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمُ خبير) [٦٧].

راي الأعداء في الخلفاء :

إن الذين شنوا هجماتهم على الدولة الأموية هم أنفسهم الذين طعنوا في خلفـــــاء بنـــي العباس، ولا شك أن الهجوم لا يكون على الضعفاء الذين لا يأبه بهم أحد، وإنمـــــا علـــى الأقوياء الذين يؤثرون في المجتمعات ويكونوا إنموذجا لتطبيق منطلقات الأمة الإسلامية.

ومن هنا كان الهجوم على خلفاء الدور الأول من العهد العباسي.

فعلى سبيل المثال الخليفة هارون الرشيد والذي خرقوا ستره ووصلوا إلى المكان الذي لا تصل إليه إلا زوجاته ونظروا في موضع سره الذي لا يعلمه إلا الله، ثم زوجاته واختلقوا قصصاً فاضحة واضحة الكذب، وربما كانت السبب في اكتشاف أكاذيب الذين عملوا في تدوين التاريخ من أعداء الإسلام لما فيها من وضع مكشوف، وخاصة فيما يتعلق بأبي نواس الشاعر الذي لم يره الرشيد طول حياته مع أن قصصه معه هي الشائعة وتكاد تكون من المسلمات بها.

وإذا كان هؤلاء قد وصلوا إلى داخل بيت الرشيد فرأوا ما لم يعلمه إلا الله وأذاعوه على الناس، لكنهم في الوقت نفسه قد عموا عما يراه الناس جميعا وأخفوه، فلقد عموا عن جهاده وعن حجه وعن بكاءه من خشية الله عندما يذكره أهل التقوى بالله.. وسكتوا عن هذا ليفضح الله أمرهم، ولم يكن الرشيد ضحيتهم الوحيدة بل لم تترك ألسنتهم أحداً من العباسين كما لم تبتعد عن أحد من أبناء عمومتهم الأمويين السابقين لهم في السلطة حتى ليتضح أن الهدف لم يكن الخلفاء وإنما كان الإسلام الذي يمثله الخلفاء[٦٨].

العصر العباسي الأول : " ١٣٢هـ - ٢٤٧هـ "

خلفاء هذا العصر :

أبو العباس السفاح " ١٣٢ ــ ١٣٦ هــ " أبو جعفر المنصور "١٣٦ ــ ١٥٨هــ"

المهدي " ١٥٨ ــ ١٦٩ هــ " الهادي " ١٦٩ ــ ١٧٠ هــ "

الرشيد " ١٧٠ ــ ١٩٣ هــ " الأمين " ١٩٣ ــ ١٩٨هــ "

المأمون " ١٩٨ ــ ٢١٨ هــ" المعتصم " ٢١٨ ــ ٢٢٧ هــ "

الواثق " ٢٢٧ ــ ٢٣٢ هــ " المتوكل " ٢٣٢ ــ ٢٤٧ هــ "

المعالم الرئيسية لهذا العصر :

لقد استطاعت القيادة العباسية في عصر قوتها الأول أن تحفظ وحدة العالم الإسلامي من التفكك والتمزق تماما كما فعلت القيادة الأموية من قبل، فيما عدا بطبيعة الحال الرقعة

الأندلسية التي استأثر بها الأمويون، وأن تدافع عن حدود هذا العالم وثغوره بقدر كبير من الكفاءة والإخلاص، لا بل إنها واصلت سياسات الأمويين في تشديد الخناق على الخصم التاريخي " الدولة البيزنطية " وتدويخها بسلسلة دائمة من الحملات في قلب الأناضول لكي لا يترك لها المجال للتحول ثانية إلى مواقع الهجوم.

ومن الفتوحات العظيمة في هذا العصر:

فتح عمورية :

حيث استطاع جيش المسلمين الذي أكثره من الأتراك أن يتوغل في أرض الروم وأن يفتح عمورية في السادس من رمضان عام ٢٢٣هـ بقيادة الخليفة المعتصم بعد استغاثة امرأة في زبطرة به عندما أغار الروم واعتدوا عليها فقالت وامعتصماه، فسير جيشاً وفتح عمورية وفيها قال أبو تمام قصيدته المشهورة.

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف ... في متونهن جلاء الشك والريب

هذا فضلاً عن أن القيادة العباسية وقفت طيلة هذا العصر حارساً أميناً للعقيدة الإسلامية وذلك باستثناء ما كان في عهد بعض الخلفاء وبخاصة في عهد المأمون والواثق اللذين التزما خط الاعتزال وأعلنوه مذهباً رسمياً للدولة واضطهدوا سائر من لم يعلن إنتماءه إليه [٦٩].

العصر العباسي الثاني : " ٢٤٧ - ٦٥٦ هـ "

المعالم الرئيسية لهذا العصر:

بعد انتهاء العصر العباسي الأول جاء العصر العباسي الثاني والذي فقدت القيادة العباسية في معظم مراحله قدرتها العملية على تسيير شؤون الدولة وقنعت بالجانب الأدبي من الحكم وتعاقب عليها قيادات أخرى:

مثل عصر الأتراك " ٢٣٢ـ ٣٣٤ هـ " والعصر البويهي " ٣٣٤ـ ٤٤٧هـ " والعصر السلجوقي " ٤٤٧ـ ٥٩٠ هـ " والعصر المملوكي " ٦٥٨ ـ ٩٢٣هـ "

وظهرت دول مستقلة أخرى كما سيأتي بيانه في موضعه.

ويمكن إجمال المعالم الرئيسية لهذا العصر في النقاط التالية :

١ ـ السيطرة العسكرية على مركز الخلافة

٢ ـ ظهور دول مستقلة كثيرة ولم يكن للخليفة من أمر سوى الاعتراف بالواقع واعتماد قيام القائد بأمر الولاية.

٣ ـ ظهور نتائج الحضارة الإسلامية السابقة لهذا العصر على شكل علم وعمران ورفاهية.

٤ ـ الغزو الصليبي لبلاد المسلمين.

٥ ـ الغزو المغولي والقضاء على الخلافة العباسية وسقوط بغداد عام ٦٥٦هـ .

والخلاصة :

لقد ورثت القيادة العباسية دولة شاسعة المساحة ممتدة الأطراف حتى ليتساءل المرء : لما لم تواصل طريق الفتح والانتشار وهي ما هي عليه من قوة وحيوية على الأقل في عصرها الأول؟

حيث كانت هناك مساحات بكر تجاور أرض الخلافة العباسية شرقاً باتجاه الصين وجنوباً باتجاه شبه القارة الهندية وغرباً باتجاه إفريقيا والبحر المتوسط، وكان بمقدورها أن تفتح جبهاتها الانتشارية هنا وهناك ولكنها لم تفعل، اللهم ما شهدته الحدود الشمالية من صراع متطاول بين العباسيين والبيزنطيين يمتد حيناً وينكمش حيناً آخر دون أن يحقق نتيجة حاسمة أو ينفذ عملية يسحق بها عمود خصمه الفقري كما تم فيما بعد على أيدي السلاجقة عام ٤٦٣هـ في معركة ملاذ كرد المشهورة، وحتى في هذه الجبهة لم تستطع الدولة العباسية أن تحقق انتشاراً تاريخياً يستحق الذكر.

وقد يجاب : بأن السبب في ذلك هو انشغال الخلفاء الكبار في الدولة بالمشاغل والثورات الداخلية ... وقيل غير ذلك .

ولكن لعل السبب الرئيسي وراء صدهم عن توسيع نطاق العمل بحيث يمتد الى العالم المحيط كله هو.. اتساع حدود الدولة حيث كانت بعيدة مترامية وكانت القاعدة بغداد وسامراء فيما بعد تقبع وسط محيط بشري إسلامي يمتد في مشارق الأرض ومغاربها ويجعل من تحديات الخصوم في الخارج بعيدة عن التأثير المباشر في عصب الدولة العباسية .

ومن جهة اخرى : أدت هذه الحالة إلى تناقص قدرة القاعدة ـ القلب ـ عن ضخ الطاقة والحيوية إلى كافة الأطراف وتمكينها من الفاعلية والعطاء فضلا عن تجاوزها الحدود والانطلاق إلى ما ورائها.

وبالتالي اضطرت الدولة إلى التنازل التدريجي عن وحدة الأراضي العباسية ومنح الاستقلال الذاتي أو الكامل لهذا الإقليم البعيد أو ذاك أو الاضطرار للسكوت عن انفصاله وربما عن إعلانه الخصومة للدولة العباسية نفسها.

ولحسن الحظ فإن الخلافة العباسية كانت في مراحلها الأولى تتميز بقدر كبير من الذكاء والإخلاص، إذ أنها سرعان ما أعانت على تحويل ظاهرة الانفصال هذه قدر ما وسعتها الطاقة إلى أداة تاريخية إيجابية تعمل للتحقق بالانتشار الإسلامي هنا وهناك وهرعت لتشجيع وإسناد ومباركة القيادات الإقليمية التي حملت الراية وشقت طريق الإسلام والسيادة الإسلامية في قلب التركستان، أو في الجهات الشمالية من شبه القارة الهندية، أو في أعماق أفريقيا، أو شمالا باتجاه الأناضول والبحر المتوسط وسواحل أوروبا الجنوبية[٧٠].

والحقيقة : يجب أن نذكر بسنة الله تعالى في الأمة الإسلامية حينما تضعف عن العمل بدينها كاملا أو تترك طريق الجهاد في سبيل الله تعالى فيبدل الله عزها ضعفا وذلا، كما حدث ذلك في عصور الدولة العباسية المتأخرة.

وكان أبرز معالم هذه المراحل الرخاء والترف وبلوغ الحضارة الإسلامية قمة عالية وتوسع نطاق الفكر الإسلامي نماءً وترجمة وانصهاراً ووضوحاً لأيديولوجيته في مجال الفقه والفلسفة والعلوم.

ويمكن القول : بأن مرحلة الحكم الأموي كانت مرحلة التوسع الإسلامي في الأبعاد، وأن مرحلة حكم العباسين كانت مرحلة البناء الثقافي والحضاري في الأعماق، وكل البذور التي ألقيت في التربة خلال فترة الأمويين كانت قد آتت ثمارها في العصر العباسي .

يقول الثعالبي : " إن لبني العباس فاتحة، وواسطة، وخاتمة، فالفاتح المنصور والواسطة المأمون، والخاتمة المعتضد).

والحق : أن الدولة العباسية منذ قيامها عام ١٣٢هـ إلى أول حملة صليبية على العالم الإسلامي عام ٤٩٨ هـ تمثل مرحلة متكاملة هي مرحلة البناء الحضاري والفكري والأساسي في مجال الانصهار والتبلور وهي مرحلة تتمثل في ثلاثة قطاعات متشابكة :

١ـ الانصهار في المجتمع .

٢ ـ التبلور في مجال الفكر .

٣ ـ نمو المؤامرة على الإسلام وانتقالها إلى مرحلة التنفيذ [٧١]

ولكن لا يخفى .. أنه في مرحلة الانفتاح على الفلسفات الأجنبية حدثت أخطاء في العقيدة الإسلامية تبنتها الدولة في بعض عصورها كالقول بالاعتزال والقول بالجبرية ... وغير ذلك من الترجمات الخاطئة.

قيام الدول المستقلة

أولاً: الأندلس : " ١٣٨ـ ٨٩٧ هـ "

بعد أن استقر حكم الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية وغيرها من بلاد أوروبا التي تشرفت بدخول الإسلام إليها منذ بداية الفتح بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وآخرين سنة ٩٢هـ حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ مرت الأندلس في هذه القرون بعدة عهود تقلبت خلالها بين القوة والضعف وبين النصر والهزيمة.

ويمكن إجمال هذه العهود على النحو التالي :

١ـ عهد الفتح : ٩٢ـ ٩٥هـ

٢ـ عهد الولاة : ٩٥ـ ١٣٨هـ

ويعتبر بعض المؤرخين مدة الفتح داخلة في هذا العهد الذي ينتهي بمجيء عبد الرحمن الداخل واسمه " عبد الرحمن بن معاوية وهو حفيد هشام عاشر الخلفاء الأمويين " إلى الأندلس سنة ١٣٨هـ .

وقد تعاقب على حكم الأندلس في هذا العهد الذي استمر حوالي ٢٤ سنة عشرون والياً تقريباً وكانت تبعيتهم للخلافة في دمشق مباشرة أو بواسطة ولاية الشمال الأفريقي.

٣ـ عهد الإمارة : ١٣٨ـ ٣١٦ هـ

ويبدأ بمجيء عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس حتى إعلان الخلافة الإسلامية من قبل عبد الرحمن الناصر " الثالث " سنة ٣١٦ هـ وقد أسس الداخل إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية استمرت ١٧٨ سنة حتى أعلنها عبد الرحمن الناصر خلافة.

٤ـ عهد الخلافة : ٣١٦ـ ٤٠٠هـ

ويبدأ منذ إعلان الخلافة حتى وفاة الحاكم المستنصر سنة ٣٦٦ أو حتى الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع الهجري.

٥ـ عهد الطوائف : ٤٠٠ـ٤٨٤ هـ

وهو عهد ملوك الطوائف الذي سبقته أعوام من الفوضى وقد استمر هذا العهد حوالي ثلاثة أرباع القرن حتى دخول الأندلس في سلطان المرابطين.

٦ـ عهد المرابطين : ٤٨٤ـ ٥٢٠ هـ

٧ـ عهد الموحدين : ٥٢٠ـ ٦٢٠ هـ

٨ـ مملكة غرناطة : ٦٢٠ـ ٨٩٧ هـ

حيث تقوم دولة بني الأحمر وتستمر على ما يزيد على قرن ونصف حتى نهاية القرن التاسع الهجري ويمثل سقوطها نهاية الحكم الإسلامي للأندلس وذهاب سلطان المسلمين السياسي منها، وتبقى ملايين عديدة من المسلمين عشرات السنين لكنهم تحملوا الكثير من الاضطهاد وعمليات الإذلال والإفناء والإبادة التي أتت عليهم قتلاً وتشريداً وإذابة حتى كادت تأتي على كل ماخلفه المسلمون بأجناسهم من إنتاج إسلامي إنساني رفيع ومدنية زاهرة في مختلف الميادين.[٧٢]

المقاومة والمعارك مع الفرنجة:

حين سيطر المسلمون على الأندلس غفلوا عن منطقة جبلية كانت من بعد مصدر الخطر والمقاومة، فلما انحلت الدولة الأموية إلى ولايات أحاطت الدول بالأندلس الإسلامية على هيئة هلال، وقد هددت هذه الحركة الدولة الإسلامية فبدأت معركة المقاومة والإدالة واستمرت فترات طويلة.

فقد أمضى عبد الرحمن الناصر سنوات حكمه في الغزو والمقاومة وواصل أبو عامر المنصور حركة المقاومة والإدالة من الفرنجة ففي خلال فترة حكمه " ٢٣عام " انتصر عليهم في خمسين موقعة وتوفي شهيداً.

وقد استمر هشام بن الحكم الثاني حكمه على تعبئة قواه خلال اثنين وعشرين عاماً في مواجهة ممالك ليون ونوارة وقشتالة وقطلوبة، غير أن الفرنجة استطاعوا أن يجتاحوا ثلث الأندلس حين انهارت الدولة الأموية وقامت الإمارات الأربع لملوك الطوائف.

وقد تنازع الأمراء فيما بينهم تنازعاً شديداً واستعان كل منهم بالأسبان الفرنجة على خصومه وبرزت للفرنجة مملكة كانت نواة حركة استرداد الأندلس وهي" قشتالة " ثم تلاقت مع دولة ليون في اتحاد عام " ٤٢٩هـ " وصارت مملكة ضخمة لم تلبث أن حملت لواء المقاومة والإدالة من المسلمين، وبدأ تهديد عنيف لأمراء المسلمين دفع المعتمد بن عباد إلى مناداة المرابطين في مراكش.

وكان يوسف بن تاشفين " ٤٥٣ـ ٥٠٠ هـ " قد جاء على رأ س موجة جديدة جددت شباب الإسلام واستجاب للنداء فعبر إلى الأندلس وهزم الفرنجة في موقعة حاسمة هي "الزلاقة "

ثم لم يلبث "الموحدون" وهم موجة أخرى من البربر أن حلت محل المرابطين وكان لهم دور ضخم في مقاومة الزحف الفرنجي على مملكة الأندلس فقد ألقوا الرعب في قلب أوروبا فتنادت للتجمع للقاء الموحدين والقضاء على الأندلس المسلمة.

ومن ثم بدأت مرحلة من مراحل الحروب الصليبية في الأندلس عنيفة عاصفة حملت لواء الدعوة إلى إخراج المسلمين من أوروبا.

وقد واجه المسلمون هذه الهجمة بصلابة وعنف غير أنهم هزموا في موقعة العقاب "طولوز" عام ٦٠٩هـ .

ولم يلبث بنو مرين، وهم موجة أخرى من موجات البربر الذين نصروا الإسلام أن سيطروا على المغرب، وجازوا إلى الأندلس واشتبكوا مع الفرنجة في معارك عدة، غير أن الصراع لم يلبث أن وقع بين الأمراء بعضهم البعض وبين أمراء الأندلس والذين عبروا إليهم من المغرب.

واستند بنو الأحمر آخر أمراء المسلمين في الأندلس على خصومهم في الانتصار على أشقائهم وجيرانهم.

ولم يلبث الفرنجة أن استولوا على هذه الإمارات الواحدة تلو الأخرى وبهذا انتهى الجود الإسلامي في الأندلس نهائيا[٧٣].

ضاعت الأندلس وبقيت قصيدة أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس ترن في مسمع الدنيا والتي قال فيها :

لكل شـــيء إذا ما تـــم نقصـــان	فلا يغر بطيب العيش إنسان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف	كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار مـــن الإســـلام خاليـــة	قد أقفـــرت ولها بالكفرعمران [٧٤]

ثانياً : الدول المستقلة في مصر

أ ـ الدولة الفاطمية : ٢٩٧ـ ٥٦٧هـ

ساعد موقع مصر الجغرافي وبعده عن مركز الخلافة العباسية في بغداد على تفكـــير بعض ولاته في العصر العباسي على الاستقلال بها وأول أولئك:

السري بـن الحكم: الذي استطاع أن يجعل ولاية مصر في أبنائه من بعده مع بقائها تابعة اسمياً للخلافة العباسية واتخذ السري بن الحكم بنفسه سنة ٢٠٠هـ عاصمة فـــي مدينـــة "تنيس " شرق الدلتا.

الدولة الطولونية : خطى أحمد بن طولون خطوة واضحة حين استقل سنة ٢٦٣ هجرية بشؤون مصر الداخلية الخارجية ماعدا الأموال التي أدتها الخزانة المصرية سنوياً لبيـــت مال الخلافة العباسية في بغداد، وبنى أحمد بن طولون لدولته عاصمـــة جديـــدة اســـمها "القطائع "وهي جهة حي الصليبية بالقاهرة في الوقت الحالي، وأنشأ بها جامعاً نسب إلـــى اسمه وهو نموذج رائع من نماذج الفن المعماري الإسلامي، كما بنى مستشفى يبدو أنـــه الأول من نوعه في البلاد المصرية.

وظلت مصر على استقلالها هذا زمن أبناء أحمد بن طولون الذين يجمعهم اسم الدولـــة الطولونية.

ثم عادت مصر إلى التبعية للخلافة العباسية سنة ٢٩٢هـ غير أنها ما لبثت أن عادت إلى الاستقلال مرة أخرى على يد محمد بن طغج الأخشيد وأبنائه سنة ٣٢٣ـ ٣٥٨ هـ

ومن الملاحظ أن الدولة الأخشيدية جعلت لنفسها كذلك عاصمة جديدة بين القطائع والقلعة الحالية.

قيام الدولة الفاطمية :

وبينما تلك الحوادث تجري قامت في شمال أفريقيا الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ على يد إمامها الملقب " عبيد الله المهدي " والذي وسع سلطانه حتى شمل الشمال الأفريقي وصولاً إلى مصر، وأعلن نفسه خليفة فصار في العالم الإسلامي ثلاث خلافات وهي : العباسية في بغداد والأموية في قرطبة والفاطمية بمدينة المهدية وهي العاصمة التي اتخذها عبيد الله المهدي لنفسه على ساحل تونس.

وسار أبناء عبيد الله المهدي على نهج سياسته التوسعية حتى استطاع أحدهم وهو "المعز لدين الله " فتح مصر، وكانت تعاني وقت ذاك ضنكاً وجدباً أواخر حكم الأخشيديين فأرسل المعز لدين الله قائده " جوهر الصقلي " وتم له الاستيلاء على مصر سنة ٣٥٨هـ بفضل ضعف الاخشيديين والذين رحب بعضهم بالفاطميين.

وأسس جوهر الصقلي مدينة القاهرة تلك السنة قبل قدوم الخليفة المعز لدين الله سنة ٣٦٢هـ وغدت القاهرة بذلك عاصمة الدولة الفاطمية وأجزائها الممتدة من مراكش إلى آخر الأطرف المصرية.

وأدى استقرار الخليفة الفاطمي بالقاهرة إلى اشتداد المنافسة بين الفاطميين والعباسيين فأخذ المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة وخلفاؤه يعملون على امتداد دولتهم شرقاً حتى اشتملت على الشام ثم استقر نفوذ الفاطميين هناك على عهد العزيز بالله سنة ٣٦٥هـ إذ ورث الفاطميون ممتلكات الأخشيديين في الحجاز والشام، وغدا اسم الخليفة الفاطمي يذكر في خطب الجمعة في جميع المساجد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر واليمن ومكة ودمشق.

وبذا وصلت الخلافة الفاطمية إلى مركز الصدارة في العالم الإسلامي، وغدت الوحيدة صاحبة النفوذ في شرق البحر المتوسط، وبلغ اسطولها مبلغاً كبيراً من السيطرة والتفوق

على أسطول الامبراطورية البيزنطية في العدد والضخامة وحسن الاستعداد وتحدى الفاطميون خلافة الأمويين في الأندلس وحاولوا بسط نفوذهم على القسم الغربي من البحر المتوسط.

انهيار الدولة الفاطمية :

غير أن الدولة الفاطمية بدأت في الانهيار بعد مقتل الحاكم بأمر الله، واضطراب أمن الدولة، وحدوث الغلاء الشديد في أيام الخليفة المستنصر، وظل هذا الغلاء سبع سنوات أعقبه الطاعون حتى سمى المعاصرون هذا الغلاء باسم " الشدة العظمى" وكان سبباً في إزالة هيبة الدولة.

ثم أزال السلاجقة سلطان الفاطميين عن معظم الشام، وأتم الصليبيون نهائيا على نفوذ الفاطميين في تلك البلاد، وذهب كذلك سلطان الفاطميين عن شمال أفريقيا لاستقلال ولاتهم هناك ولم يبقى لها سوى مصر.

غير أن الدولة الزنكية والتي تفرعت عن الدولة السلجوقية على يد الأتابك عماد الدين زنكي وولده نور الدين والقائد صلاح الدين الأيوبي، استطاع القضاء على الصليبين في الشام ومصر ثم القضاء على بقية الدولة الفاطمية في مصر وذلك بإسقاط الخطبة للفاطميين من منابر القاهرة سنة ٥٦٧ هـ وردها إلى الخليفة العباسي وهي سنة وفاة الخليفة العاضد ويقال أنه توفي دون أن يعلم بذلك الحادث.

وهكذا انتهت الخلافة الفاطمية من غير ثورة أو حرب وهي الخلافة التي عجزت الدولة العباسية عن إزالتها بالحرب أو السياسة.[٧٥]

ومن الآثار التاريخية للدولة الفاطمية في مصر:

١ـ **مدينة القاهرة :** التي بناها جوهر الصقلي إلى الشمال من الفسطاط والقطائع ومدينة الأخشيديين، فبدأت من باب زويلة إلى باب الفتوح في العصر الحاضر، واشتملت على ما يعرف الآن بحي الجمالية وباب الشعرية والموسكي والغورية وباب الخلق وغيرها،

وأحيطت القاهرة الفاطمية بسور تناوله التشييد عدة مرات باتساع رقعتها وأصبحت دار خلافة تنافس دار الخلافة العباسية ببغداد.

٢ ـ الجامع الأزهر :

وبناه جوهر الصقلي بعد إتمام مدينة القاهرة، وبناه حتى تقام فيه شعائر المذهب الشيعي تجنباً لإثارة مشاعر أهل السنة، ووضع حجر أساسه سنة ٣٥٩هـ وانتهى من بنائه سنة ٣٦١هـ ولقد تطور بالأزهر عبر التاريخ حتى صار الآن جامعة يدرس فيها مذاهب أهل السنة والعلوم الشرعية، وإلى جانب ذلك العلوم العصرية كالطب والهندسة والزراعة... وغير ذلك .[٧٦]

ب ـ الدولة الأيوبية :

صلاح الدين الأيوبي: هو السلطان الكبير الملك الناصر، صلاح الدين أبو المظفر، يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب.

ولد سنة ٥٣٢ هـ ـ ١١٣٨م بمدينة تكريت على نهر دجلة شمالي سامرا، واتصل والده نجم الدين أيوب وعمه شيركوه بالأتابك زنكي فنشأ صلاح الدين في ظل البيت الزنكي وتعلم علوم أولاد الأمراء، وهي حفظ القرآن ودرس الفقه والأدب، والتدريب العسكري والفروسية والفنون الحربية المختلفة، واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في الحملات التي أنفذها السلطان نور الدين لمنع الصليبين من الاستيلاء على مصر أواخر أيام الدولة الفاطمية، وأسفرت هذه الحملات النورية عن قيام شيركوه، ثم صلاح الدين في الوزارة بالقاهرة، ثم توفي نور الدين سنة ٥٤١ هـ ـ ١١٧٤م فاستطاع صلاح الدين أن يعلن نفسه سلطاناً على إقليمي مصر والشام تدريجياً ووافق الخليفة العباسي على سلطنته.

والتفت صلاح الدين إلى كثير من الأعمال الداخلية في مصر فبنى القلعة الحالية، وأحاط القاهرة والفسطاط معا بسور واحد وشجع على إقامة معاهد الدراسة الفقهية السنية

ومنها مدرسة الإمام الشافعي، وأنشأ صلاح الدين في مصر كذلك مستشفى هو الثاني من نوعه في مصر في تلك العصور.

ثم اتجه صلاح الدين إلى الصليبيين وتابع سياسة الجهاد ضدهم حتى انتصر عليهم انتصاراً حاسماً في حطين سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧م بل استولى على كثير من مدنهم بعد ذلك حتى لم يبق لهم بالشام سوى صور وعكا وأنطاكية وطرابلس وبعض المدن الداخلية

يقول الحافظ الذهبي في ترجمة صلاح الدين : " وكان نور الدين محمود بن زنكي قد أمّره وبعثه في عسكره مع عمه أسد الدين شيركوه، فحكم شيركوه مصر فما لبث أن توفي فقام بعده صلاح الدين ودانت له العساكر وقهر بني عبيد ومحا دولتهم واستولى على قصر القاهرة بما حوى من الأمتعة والنفائس منها الجبل الياقوت الذي وزنه سبعة عشر درهماً قال مؤلف " الكامل" ابن الأثير: " أنا رأيته ووزنته"، وخلا القصر من أهله وذخائره، وأقام الدعوة العباسية، وتملك بعد نور الدين محمود ، واتسعت بلاده. [٧٧]

ضعف الدولة الأيوبية :

غير أن أبناء البيت الأيوبي في مصر والشام اختلفوا فيما بينهم بعد صلاح الدين وتحاربوا حروباً انتحارية كثيرة، واستعان ملوك الأيوبيين سواء بالشام أو مصر بأجناد من المماليك المجلوبة من مختلف البلاد المجاورة، وازداد نفوذ أولئك الجند المماليك بسبب استمرار الحروب بين أبناء البيت الأيوبي حتى أضحى أولئك الجند المماليك أصحاب الأراضي والأملاك والسلطة والنفوذ والحكم والإدارة فضلا عن القوة الحربية، وأولئك المماليك هم الذين دفعوا الصليبيين عن مصر، والسلطان وقتذاك الصالح أيوب سنة ١١٤٩م.

ثم توفي السلطان الصالح أيوب وتولى شؤون الدولة بعده زوجته شجرة الدر وأصلها مملوكة لهذا السلطان، ثم جاء توران شاه بن الصالح أيوب واختلف مع زوجة أبيه، فحرضت شجرة الدر زعماء المماليك على التخلص منه بقتله حريقا غريقا في فارسكور سنة ١٢٥٠م وبذلك انتهت الدولة الأيوبية وقامت دولة الممالك في مصر. [٧٨]

جـ ـ دولة المماليك : ٦٤٨ هـ ـ ٩٢٣ هـ

وأقام المماليك شجرة الدر سلطانة وعينوا أحدهم وهو عز الدين أيبك التركماني إلى جانبها، غير أن الخلافة العباسية صاحبة السيادة الاسمية على مصر لم ترض بتعيين شجرة الدر سلطانة على البلاد، فأقام المماليك أيبك سلطاناً، وخلعت شجرة الدر نفسها وتزوجت من أيبك بعد أن انفردت بمقاليد البلاد مدة بلغت ثمانين يوماً فقط.

ويعد أيبك " ٦٤٨ ـ ٦٥٥ هـ " أول سلاطين المماليك، ومات مقتولاً.

وخلفه نور الدين علي " ٦٥٥ ـ ٦٥٧ هـ " وهو ابن عز الدين أيبك.

وخلفه سيف الدين قطز " ٦٥٧ ـ ٦٥٨ هـ " ومات مقتولاً على يد الظاهر بيبرس.

وينقسم عهد المماليك إلى قسمين :

أولاً : دولة المماليك البحرية : ٦٤٨ ـ ٧٩٢ هـ

وهم من حرس السلطان الصالح الأيوبي.

وقد تمثل الحكم في أسرتين فقط وهما :

أسرة الظاهر بيبرس البندقداري : ٦٥٨ ـ ٦٧٨ هـ

وقد حكم هو وولداه ودام حكمه ثماني عشرة سنة، وحكم ابنه الأول السعيد بركة ما يقرب من سنتين ثم خلع، وحكم ابنه الثاني العادل بدر الدين سلامش عدة أشهر ثم خلع .

وكان الظاهر بيبرس قد حرص على بقاء أسرته في الحكم من بعده وهيأ الأسباب لذلك وكان خوفه من المماليك أنفسهم وقد برز منهم يومذاك "المنصور قلاوون"

فأراد أن يضمن قلاوون فزوج ابنه السعيد بركة من ابنة قلاوون غازية، وظن بأن هذه المصاهرة ستجعل قلاوون يقف بجوار ابنه السعيد بركة، ولكن عندما حاصر المماليك السعيد بركة اتصل بالمنصور قلاوون وطلب دعمه فنصحه بالتنازل عن السلطنة لأخيه الأصغر العادل بدر الدين سلامش وقد كان صغيراً لايصلح لشيء، وهذا الذي أراده المنصور قلاوون لنفسه حيث اتفق الجميع على خلع بدر الدين وسلطنة قلاوون.

الأسرة الثانية:أسرة المنصور قلاوون : ٦٧٨ - ٧٩٢ هـ

وحكم هو وأولاده وأحفاده مدة أربع عشرة ومائة سنة لم يتخللها سوى خمس سنوات خرج أمر مصر من أيديهم إذ تسلم العادل كتبغة والمنصور لاجين والمظفر بيبرس الجاشنكير وقد قتل ثلاثتهم.

وتداول عرش مصر من سلاطين المماليك البحرية ٢٤ سلطاناً

ثانيا: دولة المماليك البرجية : ٧٩٢ - ٩٢٣ هـ

وهم من حرس السلطان المملوكي المنصور قلاوون حيث اشترى أعداداً منهم ليتخلص من صراع المماليك البحرية وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده غير أنهم أخذوا السلطنة لأنفسهم.

ولقد حكموا مصر والشام والحجاز مدة تزيد على إحدى وثلاثين ومائة سنة ولم تزد مدة الحكم على خمسة عشرة عاماً لأحد من سلاطينهم إلا لأربعة وهم:

"الأشرف قايتباي ــ الأشرف قانصوه الغوري ــ الأشرف برسباي ــ الظاهر جقمق"

ولقد تداول عرش مصر من هؤلاء السلاطين ثلاثة وعشرون سلطاناً.

ولقد بلغت مصر مبلغاً عظيماً من القوة والثروة والأبهة على عهد سلاطين دولة المماليك الأولى والثانية، وصدت كثيراً من الأخطار الجسيمة التي هددت البلاد الإسلامية عامة والشرق العربي خاصة، فقضى المماليك على الخطر المغولي الذي أزال الخلافة العباسية من بغداد عام ٦٥٦ هـ وأخرجوا الجيوش الصليبية من الشام، وأضحت دولة سلاطين المماليك هي القوة العظمى الوحيدة المدافعة عن كيان العالم الإسلامي وآخر الدول المستقلة التي عاشت بمصر.

وأصاب المماليك الترف والعافية بعد أن استقر الأمر لهم وتدفقت عليهم الثروات الواسعة بسبب التجارة، فدب الضعف فيهم وكثرت فئاتهم وأحزابهم وتضاربت مصالح هذه الفئات والأحزاب، علي حين تطورت الدولة العثمانية التركية في ذلك الوقت من قوة

إلى قوة في آسيا الصغرى والبلقان حتى غدت ترى نفسها جديرة بحكم العالم الإسـلامي، ولذا حاربت دولة سلاطين المماليك وقضت عليها في مصر عام" ٩٢٣ هـ " [٧٩]

انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة : ٦٥٩ـ٩٢٣ هـ

دأب سلاطين المماليك منذ أيام السلطان أيبك على الرجوع إلى الخلافة العباسية فـي بغداد للحصول على تفويضها لهم بالسلطنة، وليكسبوا حكمهم صبغة شرعية في مصر ثم تبدلت هذه السياسة بعد أن زالت الخلافة العباسية من بغداد على يد هولاكـو وجنـوده، وفكر السلطان قطز ثالث سلاطين المماليك في إعادة الخلافية العباسية إلى بغداد، ولكـن حدث أن اغتيل قطز وتولى بيبرس السلطنة بالقاهرة فاستدعى بيبرس إلى القـاهرة أحـد أبناء البيت العباسي واسمه " أبو القاسم وهو ابن الخليفة الظاهر العباسي" وعقد له البيعـة بالخلافة ولقب المستنصر.

ولما تمت البيعة قلد الخليفة السلطان بيبرس البلاد الإسلامية وما يضاف إليـها ومـا سيفتحه الله على يديه من البلاد.

وأخذ بيبرس بعد ذلك يجهز الخليفة بالمال الوافر والجند الكثير لاسترجاع بغداد مـن المغول، غير أن هذا الخليفة مات قتيلاً علي يد التتار قبل أن يصل إلى بغداد.

فعقد بيبرس النية على إقامة الخلافة العباسية بالقاهرة، واستدعى عباسيا آخر لمبايعتـه بالخلافة فلما تمت البيعة وتلقب الخليفة الجديد لقب "الحاكم بأمر الله " أمر السلطان بيبرس بالدعاء له في خطبة الجمعة وقد خطب له فيما بعد على منابر دمشق والمدينة والقدس.

وهكذا بعثت الخلافة العباسية بالقاهرة

وأفاد المماليك من الوضع الجديد إذ صار سلاطينهم منذ أيام السلطان بيبرس إلى الفتح العثماني لمصر يتمتعون بمقام سام في العـالم الإسـلامي باعتبـارهم حمـاة الخلافـة والمتمتعون ببيعتها، وصارت القاهرة مركز الخلافة تأتي إليها وفود الملوك مـن البـلاد الإسلامية تطلب تقليدها السلطة في بلادها.[٨٠]

الحضارة المصرية زمن المماليك :

نظام الحكم : سار سلاطين دولة المماليك الأولى والثانية على وتيرة أسلافهم وسادتهم الأيوبيين فالسلطان المملوكي رأس الإدارة المصرية والموجه لشؤون البلاد وأتخذ المماليك لفظ " سلطان " جرياً وراء العرف الذي ساد الدولة الأيوبية في تلقيب حكامها بالسلاطين.

وعلى الرغم من محاولة بعض السلاطين أن يجعلوا منصب السلطنة وراثياً في أبنائهم بعدهم إلا أنه لم ينجح هذا المبدأ إلا أحيانا، حيث كان السلطان يعتمد على قوته الحربية في كسب السلطة فكثيراً ما اغتصب قادة الجيش المملوكي الأقوياء منصب السلطنة لأنفسهم.

العلوم والفنون:

استطاع المماليك بفضل حصولهم على الأموال الكثيرة من حركة التجارة العالمية عبر أراضيها توجيه عنايتهم إلى العلوم والفنون، وتجلى بذخ سلاطين المماليك وثراؤهم في ميدان العمارة الإسلامية، حرصاً على الظهور بالتقوى والصلاح معظم الأحيان إذ امتلأت مصر بالمساجد والمدارس التي تزين مآذنها سماء القاهرة والاسكندرية حتى العصر الحاضر، وعني المماليك بتزيين عمائرهم وقصورهم بالمصابيح والنوافذ ذات الزجاج الملون في أشكال زخرفية بديعة.

وتجلى التقدم العلمي في ميدان الطب والتاريخ، ويدل المستشفى الذي بناه قلاوون وهو "المارستان المنصوري " على مبلغ تقدم الطب على عهد المماليك وهذا المستشفى موجود الآن بالقاهرة ومتخصص في علاج العيون.

وحفل عصر المماليك بطائفة من كبار المؤرخين منهم :

"ابن واصل وابن أيبك الصفدي وابن دقماق والذهبي والمقريزي والعيني وابن حجر والسيوطي وابن اياس... وغيرهم.

وحفظت مؤلفاتهم الكثير من أخبار دولة المماليك وألوان الحضارة فيها وكثرت في ذلك العصر المؤلفات المعروفة باسم الموسوعات وأشهرها " نهاية الأرب " للنويري، "صبح الأعشى" للقلقشندي.

نهاية دولة المماليك :

يرجع علو المستوى الحضاري في مصر زمن سلاطين المماليك إلى التجارة الدولية التي قامت مصر فيها بدور الوسيط بين الشرق والغرب، حتى غدا بعض التجار المصريين أصحاب فروع تجارية بالحبشة والسودان واليمن والهند والصين.

وأدرك السلاطين المماليك أهمية هذه التجارة ففرضوا الضرائب الجمركية العالية على الصادرات والواردات، وصرفوا من حصيلة هذه الضرائب على عمائرهم وقصورهم وحروبهم.

ثم أخذت هذه التجارة تتحول تدريجياً عن مصر والبحر الأحمر بعد أن اكتشف البرتغاليون طريق الوصول إلى الهند والخليج العربي بالطواف حول أفريقيا ورأس الرجاء الصالح والسفر بحراً من أوروبا إلى الهند بهذا الطريق المباشر، ومن ثم فقد المماليك أعظم مواردهم المالية السهلة، فتعطلت مرافق الدولة وتمردت الجنود على السلاطين وأصبح كيان الدولة مهدداً حتى هجمت جيوش العثمانيين على مصر وأزالت سلطنة المماليك في سرعة غير منتظرة.[٨١]

ثالثاً :الدول المستقلة في فارس والعراق

أ- دولة بني بويه : ٣٢٤- ٤٤٧ هـ

أصلهم يرجع فيما يقال إلى ملوك ساسان الفارسيين الذين تشردوا إلى إقليم الديلم الواقع في المنطقة الجبلية جنوبي بحر قزوين، وتزعم قبائل البويهيين في خلافة الراضي العباسي أبو شجاع بويه.

وفي سنة ٣٢٢ هـ جمع أبو شجاع رجال قبيلته وتوغل في جنوب فارس وهدف إلى تأسيس دولة على حساب الولاة المسلمين المتنازعين فيما بينهم وتم له ذلك، فاحتل شيراز وجعلها عاصمة لدولة جديدة، ثم امتدت حركاته إلى الأهواز " خوزستان " ثم إلى إقليم كرمان ثم دخل بعد بغداد عام ٣٢٤هـ واستقبله الخليفة المستكفي العباسي وأنعم عليه بلقب " معز الدولة " ولم يكتفي بهذا اللقب والذي لم يعد مرادفاً للقب" أمير الأمراء " الذي أعطاه لنفسه فأصر على ذكر اسمه مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة، وأن يسك اسمه في العملة أيضا، ولقد بلغ معز الدولة مركزاً عالياً وأصبح الحاكم الفعلي في بغداد دون أن يتعرض له الخليفة، غير أنه قبض على المستكفي الخليفة العباسي وسمل عينيه واختار بدله المطيع خليفة فكان له مطيعا.

وبلغت الدولية البويهية أقصى قوتها أيام عضد الدولة الذي اتخذ لنفسه لقب شاهنشاه أي" ملك الملوك " وتزوج من ابنة الخليفة الطائع.

وظلت " شيراز " عاصمة البويهيين منذ وصولهم إليها، وبدا العراق كأنه ولاية تابعة لها بعد أن تحول محور الارتكاز والقوة في الخلافة العباسية إلى هذه المدينة.

ثم استطاع "عضد الدولة " أن يضم إلى سلطانه مختلف الدويلات الصغيرة المجاورة التي ظهرت على عهده في فارس والعراق.

وبذا غدا أعظم حاكم في الدولة الإسلامية، واهتم عضد الدولة ببغداد برغم بقاء بلاطه في شيراز فاتخذ هو وخلفاؤه من بعده قصوراً في العاصمة العباسية القديمة وغدت هذه القصور يجمعها اسم " دار الخلافة "

وأنشأ كثيراً من العمائر في بغداد مثل المستشفى المشهور باسم "البيمارستان العضدي" نسبة إليه، وتغنى الشعراء مثل المتنبي بعظمة عضد الدولة، وأهدى المؤلفون مؤلفاتهم إليه مثل العالم النحوي أبي علي الفارسي صاحب كتاب " الإيضاح "

انهيار الدولة البويهية :

لقد أخذت الدولة البويهية في الانهيار بسبب النزاع على السلطة بين الأخوين بهاء الدولة وشرف الدولة، وامتد هذا النزاع إلى سائر أفراد الأسرة وعجل بالقضاء على الدولة، وفي الوقت نفسه ظهرت الدولة السلجوقية السنية بزعامة "طغرل بيك" والتي قضت على الدولة البويهية الشيعية عام ٤٤٧هـ [٨٢].

ب ـ الدولة السلجوقية : ٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ

والسلاجقة قبيلة من قبائل الغزّ التركية رأسها زعيم اسمه" سلجوق " وقبيلته من براري القرغيز في التركستان، واستقر به الترحال في بخارى حيث اعتنق الإسلام على المذهب السني وانتشر الإسلام بين السلاجقة الذين لم يلبثوا أن أخذوا على أنفسهم الانتصار للسنة دون التشيع، فأخذ سلجوق يغير على الدول الشيعية القائمة في فارس مثل الدولة السامانية وأخيرا دولة بني بويه.

ثم أعد سلجوق أبناءه وأحفاده للغزو والفتح، واستطاع طغرل أحد أحفاده أن يستولي على إقليم خراسان في الشمال الشرقي من فارس، واستمر طغرل بيك في تقدمه في بلاد فارس والعراق حتى تصدع بيت بني بويه في شيراز وبغداد عام ٤٤٧هـ .

ووقف طغرل على رأس جماعة من جنده الأتراك أمام أبواب بغداد كما وقف أحمد بن شجاع بويه قبله فسلمت المدينة له دون مقاومة، واستقبله الخليفة العباسي القائم وهو الذي استنهض همة طغرل بيك السلجوقي لدخول بغداد.

الدولة السلجوقية في أوج مجدها :

لم يلبث الخليفة القائم العباسي أن اعترف بطغرل سلطانا ومنحه لقب" ملك الشرق والغرب " وتدفقت القبائل التركية على العراق بعد نصرة طغرل وتوفيقه الذي جعله صاحب الأمر في بغداد، واستغل السلاجقة مركزهم في بغداد إلى جانب الخلافة العباسية فعمدوا إلى توسيع سلطانها، على أن السلاجقة لم يقصدوا إلى تقوية مركز الخليفة العباسي

نفسه، وإنما عمدوا إلى نشر المذهب السني الذي دانت به الخلافة العباسية ومحاربة الفاطميين أملاً في إعادة الوحدة للدولة الإسلامية.

وتولى "ألب أرسلان" السلجوقي ابن أخي طغرل القيادة العليا للجيوش السلجوقية فسيّر شعبة منها نحو الشام، وشعبة ثانية إلى بلاد العرب، وكلتاهما تابعة للدولة الفاطمية الشيعية، وسيّر شعبة ثالثة قام هو على رأسها نحو أرمينيا وآسيا الوسطى من أملاك الدولة البيزنطية ـ وآسيا الوسطى هي بلاد الروم على قول المؤرخين المسلمين ـ واستولت الجيوش السلجوقية على حلب، وانتزعت مكة والمدينة بعد ذلك بقليل على حين انتصر ألب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي في موقعة ملاذ كرد الحاسمة عام ٤٦٣ هـ وأباد معظم الجيش البيزنطي حتى باتت آسيا الصغرى تحت حكمه، فانتشرت جيوشه فيها إلى قرب البسفور والدردنيل، ومن هذه الفتوح تأسست دولة السلاجقة الروم فيما بعد.

ورغم اتساع الدولة السلجوقية واستئثار سلاطينها بالسلطة الفعلية في بغداد ظل أولئك السلاطين في مدينة أصفهان ولم ينتقلوا إلى بغداد ويتخذوها عاصمة إلا في عهد ملكشاه وهو ثالث الخلفاء العظام عندهم بعد طغرل بك وألب أرسلان.

وفي عهد هذا السلطان بلغت الدولة السلجوقية أقصى عظمتها فبنى ملكشاه المساجد وأنشأ الخانات " الفنادق " على طرق القوافل لنزول المسافرين، وعبّد طريق الحجاج إلى مكة وزوده بالحراس، وأمر بتجميل بغداد وتنظيمها ومنع تصريف المياه المتسربة من الحمامات العامة إلى نهر دجلة وجعل لها مصارف خاصة، وساعد ملكشاه في إدارة مملكته التي أصبحت ممتدة من كاشغر إلى بيت المقدس وزيره الفارسي" نظام الملك" وهو من أعظم شخصيات التاريخ الإسلامي وترجم له الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ترجمة طيبة وافية [٨٣]

إذ ألف نظام الملك كتاباً في فن الحكم يعرف باسم " سياسة نامة " ورعى الشخصيات المشهورة في العلوم والآداب، وتوج الوزير مجده بإنشاء المجامع العلمية في بغداد وأشهرها" المدرسة النظامية "، ومن تلاميذ هذه المدرسة السعدي الشاعر الفارسي الكبير مؤلف بستان السعدي، وعماد الدين الأصفهاني، وبهاء الدين بن شداد، وهما اللذان خدما

صلاح الدين والدولة الأيوبية في مصر، وعبد الله بن تومرت الذي أسس دولة الموحدين في أفريقيا، وأبو إسحاق الشيرازي مؤلف كتاب المهذّب، والتنبيه، وهو أول شيوخ النظامية، ومن أساتذة النظامية أبو حامد الغزالي مؤلف كتاب " إحياء علوم الدين "

تفكك الدولة السلجوقية :

استندت عظمت الدولة السلجوقية إلى شخصية سلاطينها، ولذا أخذت هذه الدولة في التفكك بعد وفاة ملكشاه وعدم قيام شخصية قوية، هذا فضلاً عن حروب أبناء البيت السلجوقي فيما بينهم فحلت محلها دولة الأتابكة بالعراق وفارس، كما حلت دولة الأتراك العثمانيين محل السلاجقة الروم في آسيا الصغرى وانتهت الدولة عام ٦٥٦هـ

جـ - الدولة الحمدانية : ٣١٧- ٣٥٨هـ

الحمدانيون في الموصل والشام : يرجع تأسيس هذه الدولة إلى أبناء زعيمها حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب، وقد أسسوا دولة في شمال العراق وجعلوا الموصل عاصمة لها عام ٣١٧هـ .

وتعصبت هذه الدولة للعروبة وساءها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية فجاء زعيميها الحسن بن عبد الله الحمداني إلى بغداد ومعه أخوه عليّ لمناصرة الخليفة المتقي بالله العباسي سنة ٣٣٠هـ وكافأ الخليفة هذا الزعيم الحمداني بأن عينه في وظيفة أمير الأمراء ، ومنحه لقب ناصر الدولة، ثم منح أخاه كذلك لقب سيف الدولة، على أن الأتراك استطاعوا بزعامة قائدهم " توزون " أن يطردوا الحمدانيين من بغداد وان يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٣١.

وتطلع " سيف الدولة " بعد خروج الحمدانيين من بغداد إلى القيام بمغامرة حربية تعلي شأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٣٣هـ إلى شمال الشام واستولى على حلب وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الأخشيدية صاحبة السيادة إذ ذاك على مصر والشام، وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب حلب، على حين أصبح البويهيون وقتئذ أصحاب الأمر في بغداد.

وظلت الدولة الحمدانية وعاصمتها "حلب " قائمة في شمال الشام حتى عام ٣٥٨هـ.

آثار الدولة الحمدانية في حلب :

خلفت الدولة الحمدانية في حلب آثاراً جليلة في تاريخ الإسلام وفي مجد المسلمين رغم قصر مدتها، ويُعزى الفضل في ذلك إلى مؤسسها" سيف الدولة الحمداني" فهو من أنصار العلم شغوف بعقد المجالس الأدبية الزاخرة من الفلاسفة والشعراء والمؤرخين من أمثال أبي الطيب المتنبي، وأبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، والخطيب الفصيح ابن نباتة والذي كان يدعوا للجهاد ضد الدولة البيزنطية.

علاقة الحمدانيين بالبيزنطيين :

واتسعت دولة الحمدانيين سواء في الموصل أو حلب على طول منطقة الأطراف الإسلامية المتاخمة لأراضي الدولة البيزنطية في جنوب آسيا الصغرى، وتكونت منطقة الأطراف بين الحمدانيين والبيزنطيين من سلسلتي جبال طوروس بمعاقلها وحصونها ذات المكانة الحربية الاستراتيجية، وحرص كل من المسلمين والبيزنطيين على السيطرة على تلك الحصون والمعابر لمساعدة جيوشهم على الهجوم أو الدفاع، واشتهرت هذه السلسلة من الحصون منذ أيام الخليفة هارون الرشيد باسم إقليم " الثغور والعواصم "

وخلّد " سيف الدولة "اسمه في حروبه المتكررة ضد البيزنطيين والتصدي لأعمالهم العدائية على أرض المسلمين، فبدأ إغارته على آسيا الصغرى دون أن يهمل سنة واحدة في تجهيز حملة حربية لذلك الغرض، وبذا استولى على كثير من الحصون البيزنطية مثل مرعش وغيرها من مدن الحدود. [٨٤]

لكن الدولة الحمدانية دخلت بعد ذلك في مرحلة من الضعف والنزاع الداخلي وانتهت هذه المرحلة بانهيار الدولة الحمدانية، بعد أن قامت حارسة على أطراف الدولة الإسلامية في وقت لم يدرك فيه الخلفاء العباسيون في بغداد قيمة الدفاع عنها، ولجأ بعض المتنازعين على السلطة من الحمدانيين إلى الخلافة الفاطمية في مصر والشام وقت ذاك، على حين ظلت الخلافة العباسية غارقة في الضعف والفوضى.

رابعاً: الإسلام في الهند

أ. الدولة الغزنوية : ٣٥١ - ٥٨٢ هـ

الفتوح الإسلامية في الهند :

امتدت الفتوح الإسلامية الأولى في الهند زمن الأمويين إلى مدينة الملتان في إقليم السند، ثم توقفت بعد ذلك حتى قيام الخلافة العباسية، ووصلت الحملات الإسلامية على عهد الخليفة المأمون وأخيه المعتصم إلى منطقة كشمير.

فتوح محمود الغزنوي بن سبكتكين :

على أن المرحلة الهامة في فتح الهند في عهد العباسيين قامت على أيدي الغزنويين الذين استقلوا بشؤونهم عن الخلافة العباسية في بغداد من عام "٣٥١ــ ٥٨٢هـ " واتخذ الغزنويون عاصمة لهم مدينة "غزنة " ببلاد الأفغان، الواقعة على هضبة مرتفعة مشرفة على السهول الشمالية للهند عن طريق ممر كابل، وتزخر مدينة كابل عاصمة بلاد الأفغان الحديثة بكثير من المشاهد الإسلامية مثل المساجد وغيرها من الآثار الإسلامية .

ب. قيام دولة المغلَ بالهند :

وتعرضت الدول الإسلامية التي قامت بالهند لهجمات قام بها المغلّ، الذين يختلفون كل الإختلاف عن المغول ودولتهم التي أسسها جنكيز خان وخلفاؤه في جوف آسيا والصين وإيران وشمالي بحر قزوين.

فالمغلَ .. ترك استقرت أقدامهم بالهند بفضل زعيمهم " بابر ظهير الدين "، الذي اتخذ مدينة " أجرا " حاضرة لدولتهم، وعمد بابر إلى محاربة زعماء الأقاليم المجاورة له لنشر الإسلام بينهم، لكنه توفي سنة ٩٣٧ هـ ــ ١٥٣٠م قبل أن يخضع مملكتي البنجاب وجوجارات، وترك بابر لخلفائه سياسة مرسومة دعمت الإسلام في الهند، ولاسيما في الجهات التي تكون اليوم دولة الباكستان الإسلامية.

على أن دولة المغلّ الإسلامية في الهند بلغت أوج عظمتها على عهد " جهان كير وشاه جهان" فازدهرت بها فنون البناء والعمارة وآية ذلك القصر المعروف باسم " تاج محـــل " والمسجد الكبير في مدينة أجرا، فضلاً عن القصور المرمرية في دلهي.

وفي سنة ١٦١٥ م أرسل جيمس الأول ملك انجلترا "ســـيرتوماس را و" إلـــى بـــلاد السلطان جهان كير ليطلب منح انجلترا حقوقا تجارية في الهند، فاعتذر جـــهان وقتـــذاك خوفاً من سيطرة الهولنديين على البحار في المحيط الهندي، ثم حدث بعد ذلك أن استجاب جهان كير لإلحاح الإنجليز بعد أن شهد بنفسه صعوبة منع السفن الإنجليزية عن ســـواحل الهند للتجارة والاستعمار، وهذه هي بداية دخول شركة الهند الشرقة الانجليزية في ميدان التجارة بالهند والشرق الأقصى بعد أن حصلت من حكومتها على امتياز بذلك.

انهيار دولة المغل :

ثم بدأت دولة المغل في الإنحلال بسبب ضعف سلاطينها المتأخرين، وثـــارت القـــوى الخاضعة للمغل وأعلنت عليهم العصيان، واستقلت هذه القوى بالبلاد التابعة لها، ومهدت الأحوال في مقاطعات كلكتا وبومباي ومدراس لاستقرار النفوذ الأوروبي، الـــذي مثلـــت طلائعه هناك " شركة الهند الانكليزية " [٨٥]

الخاتمة :

من خلال قراءتنا لتاريخ الدولة العباسية في عهديها الأول والثاني وبخاصـــــة عـــهدها الثاني من عام " ٢٤٧ ــ ٦٥٦ هـــ " وما تلاه من قيام الدول الإسلامية المستقلة والتـــــي باركتها الدولة العباسية، والتي تشكل في مجموعها حلقات متصلة في التاريخ الإســـلامي تنبع من مشكاة الإسلام وتلتقي في محاور ثابتة وتنهل من معين واحد وتعمـــل بوســـائل مشروعة وإن تنوعت ــ فالتنوع دال على الثراء وكثرة العطاء ــ وتهدف لتحقيق هـــدف واحد وهو تطبيق الإسلام في الأرض يدل كل ذلك على عظمة الإسلام وســـعة عطائـــه والذي لا يُحدّ، كما يدل على صموده وتحديه عبر الزمان لكل محـــاولات الاســـتئصال، وذلك لأنه دين الله الخالد الذي تكفل الله بحفظه.

وليس الأمر كما يقول الحاقدون والذين يصورون التاريخ الإسلامي على أنـــه أوراق مبعثرة ممزقة وقد بليت لطول العهد بها.

فالتاريخ العباسي وبخاصة عصره الثاني ليس فيه ضعف شامل يمتد على مداه وهـــو أكثر من أربعة قرون، ويشمل الخلفاء، والقوة الحربيـــة، والتوســع الفكــري، والغلبــة الحضارية، ولقد كان في الخلفاء أصحاب شجاعة وهمة عالية ودين وتقوى ومحبة للرعية وعطف عليهم، وإن كان في بعضهم ضعف فلا يلزم أن ينسحب هذا الحكم علـــى كــل العصر.

كما أن قيام الدول المستقلة في مصر والعراق والأندلس والهند .. وغير ذلك كما تقدم فهذا يدل على تنوع عطاء الإسلام وكثرته وثرائه، كما أن هذه الدول بمباركـــة الدولــة العباسية لها إلا في بعضها.

كما أن هذه الدول تقوم على الإسلام، وإن لم يكن على المستوى المطلوب، غير أنها لم تخرج عن الاطار العام للأمة الإسلامية في أهدافها ووسائلها، وهذا واضح تمام الوضوح في ثبات المسلمين عبر التاريخ في مواجهة التحديات ورد الحملات الموجهة إليهم من كل اتجاه أو القيام بالفتوحات الإسلامية.

ولا فرق عندنا أن يقوم بهذا الخير الدولة الأموية أو العباســية أو الأيوبيــة أو دولــة المماليك أو الدولة السلجوقية... أو غير ذلك طالما أنها تنبع من معين واحد وتؤدي إلـــى هدف واحد، ولا التفات إلى شعارات أصحاب الوقيعة في الأمة الإسلامية فهؤلاء أعـــداء الإسلام كله ولا يريدون أي أثر للمسلمين على الأرض، سواء كانوا مـــن الأمويـــن أو العباسيين أو غيرهم.

المبحث الخامس :

الخلافة العثمانية : ٩٢٣ ـ ١٣٣٧ هـ

التمهيد:

يطلق على الفترة التاريخية من عام " ٩٢٣ ــ ١٣٣٧ هــ " اسم "العهد العثماني" وإن لم يكن الحكم العثماني قد شمل الأمصار الإسلامية كلها لكنه ضم أكثرهـــا، وإذا كـــانت الدولة العثمانية قد ظهرت منذ عام ٦٩٩هــ إلا أنها لم تكن خلافة منذ ذلك التاريخ، وإنما كانت الخلافة العباسية قائمة بيد المماليك بمصر، ولم يعلن العثمانيون خلافتهم حتى سلمهم إياها العباسيون عام ٩٢٣هــ .

ولقد برز العثمانيون كقوة إسلامية فتية وجاءوا في فترة حرجة حيث كان الصليبيـــون يعدون العدة لهجوم غربي صليبي شامل لاكتساح عالم الإسلام مستغلاً ضعـــف قيادتـــه ودوله وتمزقها، حيث كان المسلمون يعانون من الجراح التي أثخنتـــهم بـــها الـــهجمتان القاسيتان هجمة الصليبيين وهجمة المغول باندفاعيهما الأول والثاني، صحيح إنهم خرجوا منتصرين ولكن بعد أن استنزفهم الصراع القوي استنزافاً لا يرحم، وهكذا تتبدل الأهميـــة البالغة لظهور القيادة العثمانية في هذه الفترة، فهم لم يقفوا عند حدود الدفاع عن الأرضي الإسلامية بل اخترقوا أوروبا اتجاه العمق.

لقد استطاعت القوة العثمانية الإسلامية أن تخلف الموجات الإسلامية السابقة على سيادة البحر الأبيض المتوسط، واستطاعت أن تحيل البحر الأسود إلى بحـــيرة إســـلامية كمـــا بسطت سيادتها على البحر الأحمر والخليج العربي إثر انتصار أسطولها علـــى أســـاطيل الدول الأوروبية المتحدة والبابا.

وقد عاشت القوة العثمانية خلال القرون الستة بين صراع القوة والغلبة والنصر، ثم في صراع الدفاع والمقاومة، وكانت مرحلة من مراحل الإسلام استعاد فيها قوته ورفع رايته في قلب أوربا، وأكد وحدة شعوبه فكانت فكرة الجهاد من أبرز العوامـــل التـــي دفعـــت

العثمانيين إلى اكتساح الإمبراطورية البيزنطية والتوسع في ممـــالك أوروبــا، وإذا كــان العثمانيون لم ينشروا دعوة الإسلام على نحو تربوي وعلمي كما فعل المسلمون من قبل، فإن الإسلام قد اتصل بأوروبا وأثر في أسلوب الفكر والحياة والحضارة كمـــا أثــر فــي جذور الفكر الأوروبي نفسه، كما ترك العثمانيون في قلب أوروبا هيبة للإسلام وتقديراً له حين استطاعت قوتهم أن ترد قوى أوروبا مجتمعة مرات ومرات.

وكان فتح القسطنطينية من الأحداث الضخمة القليلة في تاريخ العالم كله وفــي تقديــر أوروبا والغرب، فقد أتاح للقوى الإسلامية العثمانية أن تزحف إلــى رومانيــا وبلغاريــا واليونان ويوغسلافيا وألبانيا وبلاد المجر، وبذلك قلبت ميزان القوى فبعد أن كان عـــالم الإسلام في موقع الدفاع وعالم الغرب في موقع الهجوم، أصبح العكس، فقد وقفت أوروبا بعد ذلك التاريخ إلى ثلاثة قرون متصلة موقف الدفاع في وجه الهجوم العثماني وعندمـــا احتل العثمانيون القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ كان ذلك قمة الموقف بالنسبة للغــرب، فقــد بدأت حركة إجلاء المسلمين عن الأندلس ولم يمضى أكثر من أربعين عام حيث كان هذا الإجلاء عام ٨٩٨ هـــ حتى سقطت الأندلس وانطوت صفحة الإسلام فيها.

وبالرغم من تجمع القوى الغربية وتوحدها في وجه الزحف الإسلامي، غير أن أوروبا لم تقف موقف المقاومة في وجه القوة العثمانية بل عمدت إلى فتح جبهـــة أخــرى عــن طريق أسبانيا والبرتغال في الكشف الجغرافي لتطويق عالم الإسلام والاتجاه نحو أفريقيا الاستوائية والهند وأندونيسيا، ومنذ ضعفت مقاومة الأندلس كانت فكرة الغزو الأســـباني البرتغالي لعالم الإسلام قد خطت أولى خطواتها.

فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى بدأ " فاسكو دي جاما " طوافه حـــول رأس الرجــاء الصالح إلى الهند عام ٩٠٤ هـــ وذلك لاستقطاب مراكز جديدة تحقق إحكـــام الحصــار الاقتصادي لعالم الإسلام بصرف مجرى التجارة العالمية عن البحر الأبيـــض وموانيــه الإسلامية.

ولقد سجل عام ٦٥٦هـــ اجتياح التتار لبغداد وإسقاط الخلافة كما سجل عام ٦٩٠ هــ تصفية الإمارات الصليبية وطرد الصليبين نهائياً من ساحل الشام وبيت المقدس، وســجل

عام ٦٩٩ هـ ظهور أول خيط في بناء الدولة العثمانية والتي أصبحت فيما بعد قوة إسلامية ضخمة استمرت تحكم ستة قرون حتى صفاها الاستعمار الغربي بالقضاء عليها عام ١٣١٦هـ ـ ١٩١٨م .

وقد مرت الدولة العثمانية في طورين كبيرين:

الأول : طور القوة - الثاني : طور الضعف.

وكان طور القوة مرتبطاً بمفهوم الإسلام ودائراً في إطاره من حيث الوحدة والقوة فلما تخلف العثمانيون عن هذا المفهوم وحل الصراع والضعف العسكري تحولوا من مركز الهجوم والتوسع إلى الدفاع والانتقاص [٨٦].

الأتراك والإسلام :

يرجع اتصال الأتراك بالدولة الإسلامية إلى أيام الخلافة الأموية حين دخل القائد الأموي قتيبة بن مسلم بلاد ما وراء النهر عام ٩٣هـ وأخذ الإسلام ينتشر ببطء بين الأتراك في بلاد ما وراء النهر.

ولما صار الخليفة المعتصم العباسي خليفة سنة ٣١٨هـ بدأ مجيء الأتراك في كثرة من بلادهم الأصلية إلى العراق لأن أم هذا الخليفة تركية، ومال الخليفة المعتصم إلى الأتراك وعمد إلى تكوين حرسه الخاص منهم، ودأب على شراء المماليك الأتراك من سمرقند وفرغانة وجلبهم إلى بغداد، وفي العاصمة تلقن أولئك المماليك الأتراك اللغة العربية وآدابها وكان الواحد منهم إذا أتم تعليمه الديني دخل في حرس الخليفة الخاص.

ثم صار هذا الحرس التركي منبع الاضطرابات في بغداد وساءت علاقته بالبغداديين من العرب والفرس فاضطر الخليفة إلى الانتقال بحرسه وحكومته إلى " سامراء "

وأدى هذا التطور في أحوال الأتراك في الخلافة العباسية إلى إنتشار الإسلام بينهم في القرن الرابع الهجري، ثم صار الأتراك الذين أسلموا قوة هائلة في بغداد فغدت الخلافة العباسية وولاياتها في أيديهم حتى حل محلهم البويهيون إلى أن عادوا إلى قوتهم الأولى

حين نجح السلاجقة الأتراك في الاستيلاء على بغداد عام ٤٤٧هـ بموافقة الخليفة القائم بأمر الله العباسي.

واجتذب السلاجقة كثيراً من القبائل التركية من بلاد ما وراء النهر نحو العراق وغيره من البلاد الإسلامية في غرب آسيا.

تأسيس الإمارة العثمانية :

استقرار الأتراك العثمانيين في آسيا الصغرى

في أثناء الحروب التي وقعت بين السلاجقة والبيزنطيين في آسيا الصغرى " بلاد الروم" قامت مجموعات قبلية تركية مختلفة بغزوات مستقلة خدمة للدين وطلباً للاستقرار في جزء من أجزاء الدولة البيزنطية، ثم استقلت دولة السلاجقة بالروم عن الدولة السلجوقية الكبرى بعد وفاة السلطان "ملكشاه" إذ تفككت هذه الدولة السلجوقية الكبرى واستحالت إلى أجزاء واستقر بجزء منها " أرطغرل " وهو أبو عثمان مؤسس الدولة [٨٧].

الإمارة العثمانية :

خلفاء المرحلة الأولى من الإمارة العثمانية:

١ـ عثمان بن أرطغرل : ٦٨٧ ـ ٧٢٦ هـ

فهو مؤسس الدولة وهو صاحب الفضل في توسيع مساحتها حتى شملت الإقليم المعروف فريجيا في التاريخ القديم، واستهل عثمان حركته التوسعية بالإغارة على مقاطعة بيثينيا البيزنطية واستولى على جزء كبير منها، وتطلع عثمان بعد ذلك إلى الاستيلاء على مدن البيزنطيين الهامة بآسيا الصغرى، وتوفي عثمان عام ٧٢٦هـ في الوقت الذي بلغت فيه قوات ابنه " أورخان " مدينة "بورصة" وسقطت هذه المدينة في أيدى أورخان ودفن بها أبوه عثمان وأصبحت بورصة العاصمة الجديدة للمملكة التي آلت إلى أورخان.

٢. أورخان بن عثمان : ٧٢٦ - ٧٦١ هـ

اتساع الإمارة وفتوحاتها في أوروبا :

أتم أورخان ما بدأه أبوه من الإستيلاء على بيثينيا وطرد البيزنطيين منها واستولى على نيقية " إسنك الحالية " ونيقوميديا " إزمت الحالية "

ولقد كان "أورخان" رجلاً عسكرياً وإدارياً من الطراز الأول فرأى أن يقضي السنوات التي أعقبت استيلاءه علي نيقيه ونيقوميديا في تنظيف دولته الأسيوية، وقضى في تنظيمها عشرين سنة هي أعظم مرحلة في تاريخ الدولة العثمانية.

وانصرفت همة أورخان إلى بناء المساجد والمدارس والمشافي اللمرضى والفنادق للتجار، وضرب النقود باسمه، واختار كذلك الزي القومي للرأس وهي "طاقية من جوخ أبيض "

على أن أهم أعمال أورخان هي تنظيم الجيش وإنشاء الفيالق العسكرية، وأشهرها فيالق المشاه " أليني شريه " أي الانكشارية ومعناها :

الجنود الجدد وهم جميعاً أطفال مسيحيون جمعهم العثمانيون جزية من مختلف البلاد المسيحية التي خضعت لحكمهم ثم علموهم الإسلام تعليماً كفيلاً بنسيانهم المسيحية، وخصص العثمانيون بعض أليني شريه لوظائف الغلمان بالقصر السلطاني والبعض الآخر لوظائف الحكم والإدارة المدنية، وأما الجزء الأكبر منهم فأضحى فيالق المشاة التي اشتهرت بالاستماتة في القتال، وذلك يرجع إلى صرامة النظام الذي نشأ فيه، فالثكنة العسكرية مأواه، والحرب مهنته، والقرآن عقيدته [٨٨].

انتقال العثمانيين إلى أوروبا :

رحب أورخان بالخلاف الناشب في القسطنطينية بين المتنافسين على العرش البيزنطي وعبرت جنود تركية عثمانية إقليم تراقيا على الشاطىء الأوروبي بناء على طلب أحد الفريقين لمساعدته على غريمه.

وأخيراً بعث أورخان ابنه الأكبر سليمان للاستيلاء على تراقيا وعبر سليمان مضيق الدردنيل ونزل شبه جزيرة جاليبولي، وأقام هناك أول جالية تركية عثمانية عدتها ثلاثون ألفاً من العثمانيين، ثم تبعه أخوه مراد الأول بجيوش عثمانية استولت على بضع مدن بيزنطية منها أدرنه عام ٧٦٣هـ والتي جُعلت عاصمة الدولة حتى تم فتح القسطنطينية.

غير أن سليمان قد توفي إثر سقوطه عن صهوة جواده عام ٧٥٩هـ ولحقه أبوه أورخان فتوفي في العام التالي عام ٧٦٠هـ، فآل الأمر إلى مراد الأول.

ويعتبر سليمان المؤسس الثاني للإمبراطورية العثمانية فهو واضع حجر الأساس في بنائها بأوروبا، والأمير العثماني الأول الذي ضمت رفاته أرض أوروبية.

٣- مراد الأول: ٧٦١ - ٧٩١هـ

وقعة قوصوه الأولى:

آلت السلطنة بوفاة سلميان إلى أخيه مراد الأول بعد وفاة أبيهما أورخان عام ٧٦٠هـ، ولم تلبث أوروبا أن أدركت خطر القوة العثمانية التي تأسست على عهد أورخان لأن مراداً جعل غايته إكمال فتوحه في أوروبا، فتدخل في النزاع المستمر بين الأباطرة البيزنطيين واستولى على " سالونيكا " ودلل مراد على بصيرة وجرأة كأبيه أورخان فأخذ في دعم فتوحه الجديدة وتعظيمها وجعل من " أدرنة "عاصمة إسلامية عثمانية وبذا نقل مركز القوة العثمانية إلىأوروبا.

وبينما يقضي مراد وقته في دعم ممتلكاته عقد " لازارس " ملك الدولة الصربية في الشمال الغربي من البلقان حلفاً من الدول المسيحية المجاورة لتحطيم العثمانيين وامتلأت معسكرات هذا الحلف بجنود من الصربيين والبلغاريين والبولنديين والمجريين.

والتقى الفريقان في ميدان " قوصوه" وقاد السلطان مراد الأول جيوش العثمانيين بنفسه واشتدت المعركة وحصل للفريقين خسائر فادحة وقتل مراد في هذه الوقعة غيلة بضربة جندي صربي، على أن العثمانيين ما لبثوا أن أسروا الملك لازارس وقتلوه وأتم ولي العهد " بايزيد بن مراد " هذه الوقعة بهزيمة القوات الصرية عام ٧٩١ هـ.

وسار العثمانيون بقيادة " بايزيد الأول " بعد ذلك من نصر إلى نصـــر فـــي البلقـان، ونهض " سجموند " ملك المجر لوقف ذلك السيل العثماني واستنجد بملوك أوروبا شرقـــاً وغرباً، واجتمعت لديه جيوش عديده لكن السلطان بايزيد الأول هزمها عند " نيقوبوليس " وغدت أطراف الدولة العثمانية بعد هذه الوقعة واصلة من أطراف آسيا الصغرى جنوبـــاً إلى أطراف البلقان شمالاً.

٤ـ السلطان بايزيد الأول : ٧٩١ ـ ٨٠٥هـ

تيمور لنك والدولة العثمانية ومعركة أنقرة عام ٨٠٥ هـ :

بينما بايزيد الأول يزهو بانتصاراته من عاصمة أدرنة، إذ نزلت بدولته ضربة قاصمة جعلت مجهودات العثمانيين تذهب مع الريح ومصدر الكارثة هبوط الصاعقة " تيمور لنك" من موطنه تركستان على رأس جحافله من الفرسان إلى غرب آسيا واقترابه من تخـــوم الأراضي العثمانية ــ وتيمور هو الأشيب الأعرج المعروف لهذا النقص الجسمي باســـم "تيمور لنك " وهو الذي استحق لقب الأستاذية في التخريب والقدرة على التدمـــير وبـــدء تيمور لنك حروبه عندما استولى على دولة المغول في تركستان واتخـــذ مـــن ســـمرقند عاصمة لها، فوسع سلطانة بالحروب والفتوح الدامية حتى دانت له دلهي بالهند وبغـــداد بالعراق ودمشق بالشام، ثم زحف تيمور لنك على آسيا الصغرى وفي سهل أنقـــرة عـــام ٨٠٥ هــ وقع الجيش العثماني ذو الانتصارات الكثيرة في فـــخ هـــائل مـــن الفرســـان التيمورية الكاسحة وذهب معظم لجيش العثماني بين قتيل وجريح وأسير، ووقـــع بـــايزيد نفسه أسيراً في يد تيمور لانك وأوغلت فرقة من القوات التيمورية في آســـيا الصغـــرى وخرّبت مدينة بورصة وغيرها من ممتلكات العثمانيين حتى سواحل الدردنيل ثـــم عـــاد تيمور لانك ومعه بايزيد محمولاً في قفص من حديد في سمرقند.

وبات العثمانيون في أنقرة في حالة بائسة فضاعت جميع ممتلكاتهم في آســـيا وغـــدا سلطانهم أسيراً، ونشب الخلاف بين أبناء بايزيد من أجل السلطنة حتى اســـتطاع محمـــد الأول " محمد جلبي " أن يتغلب على أخوته من أبناء بايزيد وأن يصبح حاكمـــاً بمفـــرده والذي أعاد نواة الحكومة العثمانية الجديدة في " أدرنة " [٨٩].

المرحلة الثانية من الإمارة العثمانية :

سلاطين هذه المرحلة :

١ـ محمد الأول - محمد جلبي : ٨١٦ـ ٨٢٤هـ

لقد استطاع السلطان محمد الأول أن ينقذ الدولة العثمانية بعدما كاد تيمور لنك أن يقصم عمودها الفقري، ولقد استطاع أن يسيطر على الوضع تماماً، وقد حكم ثماني سنوات كانت معظمها حروباً.

وقد استعمل الحزم والحلم، لأن من يتسلم الحكم بعد نكسة لابد له أن يقدم بعض التنازلات حتى يستطيع الوقوف على قدميه ليتحرك بعدها وفق خطة.

ولذا فقد تحالف مع امبراطور القسطنطينية وأعاد بعض المدن إلى الدولة وصالح البندقية بعد تصدي مدينة البندقية.. وغير ذلك من المواقف الحكيمة حتى استطاع أن يوقف الدولة على قدميها مرة أخرى.

وتوفي السلطان محمد جلبي عام ٨٢٤ هـ وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثاني.

٢ـ مراد الثاني : ٨٢٤ـ ٨٥٥ هـ

حروب مراد الثاني في البلقان :

خشي المجريون إحياء سلطان الأتراك العثمانيين لأن بلادهم قد تعرضت لحملات من جانب مراد الثاني للحصول على أبناء المسيحيين اللازمين للتجنيد.

فدعا المجريون بلاد أوروبا إلى تكوين حلف مسيحي جديد بعد هجمات العثمانيين، وضم هذا الحلف إلى جانب بلاد البلقان " دوقية برجنديا وجنوة والبندقية والبابوية والامبراطورية البيزنطية "

ولكن العثمانيين أوقعوا بجيوش هذا الحلف هزيمة فادحة ثم أتم السلطان مراد الثاني النصر التام عندما قضى على زهرة جيوش المجر في وقعة " قوصوه "عام ٨٥١ هـ .

٣ـ محمد الثاني - الفاتح : ٨٥٥ ـ ٨٨٦ هـ

فتح القسطنطينية :

تولى السلطان محمد الثاني عرش العثمانيين على إثر وفاة أبيه مراد الثاني، وقبل ذلك بثلاث سنوات توج قسطنطين الحادي عشر إمبراطوراً في الدولة البيزنطية التي لم تتعـــد مساحتها أسوار القسطنطينية وإقليما صغيراً مجاوراً لها.

وتطلع العثمانيون إلى هذه العاصمة وصمموا على الاستيلاء عليـــها ليـأمنوا ســلامة المواصلات بين أملاكهم في أوروبا وآسيا، وليؤسسوا بها عاصمة جديدة لدولتهم فضـــلاً عن أنها نهاية الشوط الحربي الذي بدأه عثمان في جوف آسيا الصغرى.

وأخذ محمد الثاني يعد العدة العسكرية الضخمة علناً من غير خشية من الإمـــبراطور بعد أن حصل من المجر والبوسنة والبندقية على وعد بوقوف كل منها على الحياد التام.

ثم أعلن محمد الثاني الحرب على الامبراطور وأخذ في حصار القسطنطينية عام ٨٥٧ هـــ، أما أهل القسطنطينية فاعتقدوا أن مدينتهم لن تسقط في يد فاتح مهما أوتي من مهارة وجسارة وبأس، فكثيراً ما طمع فيها الفاتحون المسلمون لعلهم يصيبهم ما ورد في حديث النبي ﷺ " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش" [٩٠].

وكانت أول هذه المحاولات في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ إذ أرسل ابنه يزيد اليها وكان في جيشه عدد من الصحابة ﷺ أمثال أبي أيوب الأنصـــاري وغـــيره ولا يـــزال ضريحه شاهداً حتى وقتنا الحاضر قرب أسوارها، إذ كانت تجري في مســـجده مراســـم تقليد السلاطين العثمانيين للحكم احتراماً وإجلالاً له.

كما جرت محاولة أخرى في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الأمـــوي ولكـــن دون جدوى.

بدأ الزحف الإسلامي نحو القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح نفسه وكان هو شخصياً فـــي طليعة الجنود، وبدأ حصار الجيش العثماني للمدينة في ٢٧ ربيع الأول عام ٨٥٧هـــ .

وتخلت المدن الإيطالية صاحبة الامتيازات التجارية في القسطنطينية عن مساعدة الإمبراطور بل أسرعت راجوزة وجنوة والبندقية إلى التقرب من الدولة العثمانية الفتية إذ رأت في فوزها على البيزنطيين فرصة لدعم تجارتها الواسعة، ولذا لم يأت لنجدة العاصمة البيزنطية من عند جيرانها المسيحيين سوى مائتين من الجنود البابوية وعدد من السفن الإيطالية، وعجزت قوات الإمبراطور عن حماية الأسوار لقلة عددهم ولم يستطيعوا المقاومة أكثر من شهرين.

ثم اقتحم العثمانيون الأسوار بعد تخريبها ولقي الإمبراطور البيزنطي مصرعه في القتال الذي امتد إلى شوارع القسطنطينية، وفي منتصف النهار دخل السلطان محمد الفاتح العاصمة البيزنطية دخول الفاتح وكان عمره آنذاك الخامسة والعشرين عاماً.

وأمر جيشه بالكف عن القتال ثم دخل كنيسة آيا صوفيا وحولها إلى مسجد جامع، وأمر السلطان محمد الفاتح بترميم ما أحدثه الحصار بأسوار المدينة من الدمار، وجعل من المدينة البيزنطية عاصمة له.

وبذا انتهت إمبراطورية البيزنطيين، وتابع الفاتح الفتوحات التي أنجزها والده واتجه إلى بلاد البلقان عام ٨٨٥هـ، وفتح صربيا والبوسنة والهرسك وأثينا والمورة وبعض الجزر اليونانية.

ولكن جيوش العثمانيين انهزمت أمام حاكم ألبانيا "اسكندر بيك" وحدثت بذلك هدنة بينه وبين محمد الفاتح.

ثم حول محمد الفاتح أنظاره إلى آسيا الصغرى ففتح طرابزون وغيرها ثم جعلت البوسنة ولاية كباقي الولايات العثمانية عام ٨٦٨هـ، كما فتحت أترانت بايطاليا وتابع الفاتح فتوحاته غير أنه أدركته المنية عن عمر يناهز الثالثة والخمسين عام ٨٨٦ هـ وقد أمضى في الحكم ٣١ سنة وخلفه ابنه بايزيد.

٤ ـ بايزيد بن محمد الفاتح " بايزيد الثاني " : ٨٨٦ ـ ٩١٨هـ

لم تحصل فتوحات تذكر في عهده وجلّها كانت اشتباكات على التخوم.

وابتدأت في عهده العلاقات مع الدول الأوروبية، إذ أنه كان ميالاً للسلم محبـاً للعلـوم الأدبية، وقد سمي بايزيد الصوفي لكثرة المسالمة، فلقد وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي عام ٨٩٨ هـ وهو محمل بالهدايا.

وتزاحمت دول أوروبا لخطب ودّ العثمانيين المنتصرين ومحالفتهم والاستعانة بهم على الأعداء، ولكن الإيطاليين تمكنوا من الإيقاع بين الدولة العثمانية وبين البندقيـة وجـرت بينهم حروب دائمة.

ثم آل أمر السلطة بعد بايزيد الثاني إلى ابنه سليم الأول الذي لقـب " بيـا ووز " أي القاطع، وبدأ عهد الخلافة العثمانية عام ٩٢٣ هـ [٩١]

الخلافة العثمانية : ٩٢٣ ـ ١٣٣٧ هـ

تمهيـد :

اختلف عهد الخلافة العثمانية عن عهد الإمارة أو السلطنة السابقة إذ بدأ الاهتمام بالأمة المسلمة والعمل على توحيدها، ثم الوقوف أمام الصليبية صفاً واحداً وقد عمـل الخلفـاء على هذا حتى ضعف أمرهم، فأصبح تفكيرهم ينحصر بالمحافظة على ما تحـت أيديـهم حتى إذا زاد الضعف بدأ ت الدول النصرانية تقتطع من الدولة جزءاً بعد آخر حتى أنهت عليها واصطنعت لنفسها أعواناً بين المسلمين حتى قضت على الخلافة العثمانيـة نـهائياً وتشتت أمر المسلمين وانقسموا فرقاً وشيعا وعصبية، لذا فقد توالى على الخلافة العثمانية ثلاثة عصور، كان أولها عصر القوة وتعاقب عليه خليفتان فقط هما : سليم الأول وابنـه سليمان الأول .

أولاً : عصر القوة : ٩٢٣ ـ ٩٧٤ هـ

١ـ سليم الأول : ٩٢٣ ـ ٩٢٦ هـ

بعد أن تنازل بايزيد لابنه سليم على الحكم بدعم الانكشارية أرضـى السـلطان سـليم الانكشارية، وتوجّه إلى آسيا للتخلص من إخوته الذين ينازعونه السلطة وتخلـص منـهم جميعا ثم عين ابنه سليمان حاكماً على اسطنبول ليتفرغ لأموره.

رأى السلطان سليم أن دولته قد أصبحت أقوى الدول الإسلامية آنذاك لذا عليه أن يقوم بالمهمة التي على عاتقه في توحيد أبناء الأمة الإسلامية، ورأى أن الأندلس قد سقطت بيد النصارى الأسبان، ولم يعد هناك فائدة للضغط على أوروبا من جهة الشرق للتخفيف عن المسلمين في الغرب، ورأى أن أوروبا النصرانية لا يمكن مواجهتها إلا بالمسلمين كافة لذا يجب أن يخضع المسلمون لدولة واحدة، ورأى أن دولة المماليك قد ضعف أمرها ولم تتمكن من تأدية دورها في مواجهة البرتغاليين الذين قدموا على المسلمين من الجنوب وأن الخلافة العباسية في مصر ليست سوى خلافة صورية يتصرف بها المماليك كيفما شاءوا،ورأى أن البرتغاليين يهددون العالم الإسلامي من جهة الجنوب ويهددون باحتلال المدينة المنورة وأخذ رفات النبيﷺ وعدم تسليمها حتى يتخلوا عن القدس للنصارى، وقد عجز المماليك عن مقاومتهم.

وفوق هذا فإن هؤلاء البرتغاليين قد وجدوا لهم أعواناً بين المسلمين أنفسهم إذ طلب الصفويون من البرتغاليين أن يشكلوا حلفاً ضد العثمانيين وطلبوا هذا الطب أيضاً من المماليك، إضافة إلى إيوائهم الأمير أحمد ضد والده السلطان بايزيد الثاني، ثم ضد أخيه السلطان سليم.

وبناءً على ذلك اتجه السلطان سليم لغزو "تبريز" عاصمة الصفويين وانتصر عليهم بعد معركة عنيفة في عام ٩٢٠هـ وفر من الميدان الشاه إسماعيل الصفوي، ودخل السلطان سليم تبريز واستولى على الخزائن ونقلها إلى اسطنبول.

وبعد انتهاء الحرب مع الصفويين، بدأ السلطان سليم يستعد لحرب المماليك الذين تحالفوا مع الصفويين على العثمانيين.

وسار السلطان سليم بجيشه نحو الشام، واستعد سلطان المماليك الأشرف قانصوه الغوري لمقابلة الجيش العثماني، ولذا اتجه نحو الأناضول والتقى الطرفان في" مرج دابق" شمال غربي مدينة حلب وكان السلطان العثماني قد اتصل بولاة الشام ومناهم أو التقوا به وتقربوا إليه.

وعندما التحم الجيشان يوم ٢٥ رجب عام ٩٢٢هـ انفصل ولاة الشام بمن معهم وانضموا إلى العثمانيين فانتصروا وهزم المماليك رغم شجاعة السلطان الأشرف وثباته في المعركة حتى قتل.

ودخل السلطان سليم حلب وحمص ودمش دون مقاومة بل بالترحيب في أغلب الأحيان، وأبقى ولاة الشام على ولايتهم حسبما وعدهم واتجه إلى مصر بعد أن قابل العلماء وأكرمهم وأمر بترميم مسجد بني أمية بدمشق.

كان المماليك في مصر قد اختاروا سلطاناً جديداً بعد مقتل الأشرف قانصوه الغوري وهو " طومان باي "

وقد أرسل إليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح مقابل الاعتراف بالسيادة العثمانية على مصر، غير أن طومان باي رفض ذلك واستعد للقتال والتقى الطرفان عند حدود بلاد الشام فهزم المماليك ودخل العثمانيون غزة، وتابع العثمانيون الانتصارات حتى دخلوا القاهرة في ٨محرم ٩٢٣هـ وسقط طومان باي أسيراً وقتل في ٢١ ربيع الأول عام ٩٢٣ هـ.

بقي السلطان سليم في القاهرة ما يقرب من شهر وزع خلالها الأعطيات وحضر الاحتفالات وقد تنازل له الخليفة العباسي" محمد المتوكل على الله "عن الخلافة وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين فأصبح السلطان العثماني منذ ذلك اليوم خليفة للمسلمين، كما جاءه محمد أبو نمي بن الشريف بركات شريف مكة وأعلن له الطاعة وبذلك انتقلت الخلافة رسمياً إلى العثمانيين عام ٩٢٣هـ [٩٢]

٢ـ سليمان بن سليم الأول : ٩٢٦ ـ ٩٧٤ هـ

تولى السلطان سليمان بعد وفاة أبيه عام ٩٢٦ هـ.

وفي عهده بلغت الدولة أوج الكمال والقوة وهو عاشر السلاطين العثمانيين، وحينما وصل نبأ تقلده الحكم إلى دمشق تمرد حاكمها "جانبرد الغزالي " وحاول امتلاك بيروت

وتحريض حاكم مصر خير بك على الثورة ولكن السلطان بعث إليه فرحات باشا أحد وزرائه فأخمد التمرد وقتله.

ثم قام السلطان سليمان بفتح بلغراد وجزيرة رودوس في البحر المتوسط وغيرها وتدخل في بلاد القرم والأفلاق ثم فتح بلاد المجر وعاصمتها وحارب النمسا وحاصر فيينا ودخل مدينة تبريز للمرة الثانية ثم فتح بلغراد أيضاً.

وفي عام ٩٤٢هـ منحت بعض امتيازات للرعايا الفرنسيين في الدولة ثم جرى ضم إقليم الجزائر وتونس على يد " خير الدين بربروس " ثم اتفقت الدولة العثمانية وفرنسا لمحاربة النمسا ،غير أن فرنسا أخلفت عهدها تحت ضغط الرأي العام النصراني في أوروبا على فرنسا.

غير أن الدولة العثمانية استطاعت هزيمة النمسا عام ٩٤٣هـ.

وأخيراً عقدت معاهدة بين الخليفة العثماني والنمسا عام ٩٥٤هـ لمدة خمس سنوات تدفع بموجبها النمسا جزية سنوية لقاء ما بقي تحت يدها من المجر، وتم فتح عدن ودخل العثمانيون تبريز للمرة الثالثة ثم جرت معاهدة بين الدولة وفرنسا عام ٩٥٩ هـ .

ومنذ ذلك الحين كانت الأصابع اليهودية تحاول الدس وإثارة الفتن والاضطرابات في الدولة فقد أهدى تتار القرم للسلطان فتاة يهودية روسية اسمها" روكسلان " وسميت" خرم" أي الباسمة والتي استطاعت أن تجعل السلطان يقتل ولده الأكبر "مصطفى" بدسيسة منها ليتولى ابنها سليم الثاني الخلافة بعد أبيه.

وكان مصطفى قائداً عظيماً محبوباً من الضباط كما سعت لقتل ابن مصطفى الذي كان لا يزال رضيعاً وذلك للتخلص من كل من قد يزاحم ابنها في الحكم، وكذلك قتل سليمان القانوني ابنه الآخر بايزيد وأبناءه الأربعة بدسيسة من أحد الوزراء بتعليم من سليم ابن سليمان من زوجته اليهودية روكسلان.

واشتهر سليمان بالقانوني نظراً للقوانين العديدة التي وضعها.

ففي مجال الأنظمة الداخلية أحدث بعض التغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه محمد الفاتح حيث جعل أكبر الوظائف العلمية وظيفة " المفتي "، وقسم جيش الانكشارية إلى ثلاث فرق مختلفة في المرتبات والرتب، وكان عدد الجيش عند وفاته ٣٠٠ ألف مقاتل فيه ٥٠ ألف جندي نظامي كما أن عدد المدافع ٣٠٠ مدفع، وكذلك السفن الحربية تقارب العدد نفسه.

وقد بدأ بعده توقف الفتوحات إذ أنه أجاز للانكشارية القتال تحت إمرة قائدهم بدلاً من قيادتهم المباشرة ولو لم يكن موجوداً، فتقاعس أغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج للقتال، كما أبطل عادة النظر في كافة أمور الدولة في ديوان الوزراء وتحت رئاسته وتكفل الصدر الأعظم بذلك.

فنفذت المكائد والدسائس بين الوزراء الذين كان منهم من أسلم ظاهرياً وهو من النصارى، كما أنه أباح للانكشارية التزوج والإقامة خارج سكناتهم كما أعطاه ميزات خاصة، وكان ذلك من العوامل التي قادت إلى ضعف الدولة.

واشتد المرض بالسلطان سليمان وتوفي في ٢٠صفر عام ٩٧٤ هـ عن أربع وسبعين سنة واستمر حكمه ٤٨ سنة .[٩٣]

ثانياً: عصر الضعف : ٩٧٤ ـ ١١٧١ هـ

لم يطل عصر القوة في الخلافة العثمانية إذ لم يزد كثيراً عن النصف قرن ولم يشمل سوى خليفتين هما سليم الأول وابنه سليمان كما تقدم.

وجاء عصر الضعف بعدهما مباشرة وبدأ الخط البياني للخلافة العثمانية بالهبوط باستمرار، وإن كان يتوقف عن الهبوط ويسير مستوياً في بعض المراحل، لقوة بعض الخلفاء النسبية، أم لهمة حاشيتهم وخاصة الصدر الأعظم.

أسباب ضعف الدولة العثمانية في هذا العصر:

١ـ سيطرة العقلية العسكرية :

هذه العقلية التي تنزع إلى حمل الأمور بالسيف وتبتعد عن الدراسة والتخطيط، وكان سيطرتها عامة سواء أكان على الخلفاء أم على أبنائهم أم على ضباط الانكشارية ثم على الولاة .

فالسلاطين أو الخلفاء كانوا يربون تربية عسكرية خاصة والتربية العسكرية إن لم يهذبها الإيمان ويحض من طغيانها كانت أقرب إلى حياة الجزار.

وفي بداية أمر الدولة كان الإيمان هو الأقوى، فلما مرت الأيام وكان الحرص على المنصب هو الأقوى وجدنا السلطان يقتل ابنه وأخيه لأتفه الأسباب كما تقدم معنا.

كما أن السلطات الواسعة جداً للانكشارية مع الانغماس في الترف والملذات والركون إلى النوم والراحة أفسد أمرهم تماماً، فسيطرت القوة العسكرية بصورة عامة تضعف الدولة، لأن العسكري بطبعه يحب التسلط ويفكر بسيفه وأحياناً بحذائه لا بعقله، كما أن تولية الأبناء المقاطعات المهمة تجعلهم يشعرون بعلوّهم ويفكر كلّ بالسلطة والملك العقيم ويقع الخلاف وتحصد نتاجه الدولة، وإعطاء الامتيازات الواسعة للعسكريين تجعلهم يفكرون باستخدام قوتهم إن لم تتحقق رغباتهم، وهذا من البلاء الذي حصدته الدولة العثمانية وتحصده الدول حديثاً.

٢. الاتفاقيات مع الدول الأجنبية :

والتي بدأت في عهد سليمان القانوني، والذي أراد أن يحطم اتفاق الدول الصليبية عليه ويفكك وحدتهم، فأعطى من اتفق معهم امتيازات خاصة وقدم لهم صلاحيات لم تكن موجودة من قبل ولم يحلموا بها أبداً، وكذلك أراد أن يعيد البحر المتوسط ما فقده من دور في الملاحة والتجارة بعد أن التف البرتغاليون حول أفريقيا وعرفوا رأس الرجاء الصالح، وبدأوا يستولون على بلاد المسلمين في شرقي أفريقيا وجنوب شرقي آسيا بل أخذوا يهاجمون أطراف الجزيرة العربية ويستبقون في مراكزهم ويخضعون موانيها لهم، ومن ثم يتاجرون مع تلك الجهات وينقلون البضائع إلى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح بعيدين عن البحر المتوسط، ففقدت بذلك موانئه قيمتها وفقد التجار الأرباح التي كانوا يجنونها وارتفعت أسعار الحاجيات الأساسية، وانعكس هذا على الدولة سلباً وعلى أوروبا

إيجاباً، فأراد الخليفة أن يعقد اتفاقات مع بعض الدول تكون من مصلحتها عودة الملاحة والتجارة إلى البحر المتوسط مثل فرنسا والإمارات الإيطالية .. كجنوة والبندقية .. وغيرهما.

ولابد أن يقدم بعض التنازلات ليحصل على مثل هذه الاتفاقات وظن أن هذه الاتفاقات مؤقتة يستطيع أن يلغيها في الوقت الذي يريد، فكانت على العكس قيداً حديدياً في عنق الدولة العثمانية فيما بعد وأحد أسباب سقوطها.

٣. الترف :

حصلت الدولة نتيجة للفتوحات على كثير من الغنائم مما جعل كثيراً من الخلفاء وكبار الدولة ينصرف إلى اللهو في قصورهم بكل أنواعه وأشكاله وبخاصة بعدما سمح الخليفة سليمان القانوني لضباط الانكشارية بقيادة الجيوش بغير الخليفة، وبذلك بقي الخليفة في قصره بغير عمل يبحث عن ملذاته الشخصية.

كما أوكل سليمان القانوني أيضاً رئاسة مجلس قضايا الدولة والتي كانت للسلطان نفسه إلى الصدر الأعظم، فأصبح الخليفة في القصر بعيداً عن مهام الدولة الأساسية، وأصبح الحاكم الفعلي هو الصدر الأعظم، وإن لم يكن مسلماً حقيقة " حيث كان بعضهم يخفي نصرانيته " وأصبح الخليفة بلا عمل يبحث عن شهواته.

٤. الزواج من الأجنبيات :

كان السلاطين يتزوجون بالفتيات النصرانيات واليهوديات إعجاباً بجمالهن أو لمصلحة سياسية كأن يتزوجوا بنات الأمراء من الأعداء.

غير أن هذه النسوة قد يبقين على عقيدتهن لذلك يعملن لأبناء دينهن، ومن جهة ثانية فإن هذه النسوة يربين أولادهن على محبة النصارى أو اليهود، كذلك تحرص كل واحدة على تولية ابنها الخلافة أو السلطنة ليكون لها نفوذ كبير وبالتالي لأبناء دينها، وقد لاحظنا ذلك في دسائس "روكسلان اليهودية الروسية زوجة الخليفة سليمان القانوني" كي يتولى ابنها سليم الثاني الحكم، كما لاحظنا أن أم السلطان محمد الفاتح كانت نصرانية وبقيت

على عقيدتها " وإن كان السلطان محمد الفاتح رحمه الله لم يتأثر بعقيدة أمه وهـــذا مـــن فضل الله عليه ورحمته "، وكذلك زوجة أبيه الأخرى " مارا " ابنة أمير الصـــرب وقـــد أعادها محمد الفاتح إلى أهلها بعد أن تولى السلطة.

٥- سعة رقعة الدولة :

اتسعت الدولة العثمانية كثيرا نتيجة الفتوحات فامتدت أراضيها من أواسط أوروبا حتى سواحل بحر الخزر، ومن جنوب جزيرة العرب حتى سواحل البحر الأســـود الشماليـــة، إضافة إلى شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز وأجزاء من إيران اليوم وشمالي أفريقيا كلـــه، وزادت مساحتها على ١٦ مليون كم٢، أي ضعف مساحة الولايات المتحدة الأمريكيـــة، وهذا الاتساع يحتاج إلى خليفة قوي الشخصية ولا يمكن أن يتعاقب بالوراثة خلفاء أقوياء فلابد من الشورى واختيار الرجل القوي الأمين الذي يقيم منهج الله في الأرض، فإن فعل ذلك أمكنه ضبط الأمور وإذا لم يكن ذلك بدأ الضعف وهذا ما حدث، وخاصة أنه انتـــهى عهد الأقوياء الذين بنوا وبذلوا وجاء دور الذين ورثوا المجد ولم يقدموا شيئا.

٦- دور الصليبية الأوروبية:

كانت أوربا عامة وعلى رأسها البابا تذكي الحماس الصليبي ضد العثمانيين كي تقـــف الدول كافة في وجه التوسع الإسلامي القادم من الجنوب الشرقي، ومع أن هـــذه الـــدول الأوربية لها مصالح تتضارب بعضها مع بعض ونشأ خلافات وحروب، إلا أنها تلتقـــي معا ضد المسلمين، وإذكاء الروح الصليبية لا يثير الدول الأوربيـــة فقـــط وإنمـــا يثـــير النصارى الذين يعيشون في رعاية الدولة العثمانية أيضاً، وهذا ما يـــؤدي إلـــى التمـــرد وإشعال الثورات والحروب، وبالتالي إلى إنهاك الدولة العثمانية.

٧- عدم الانصراف نحو العلم :

انصر ف العثمانيون بكل ثقلهم نحو التدريب العسكري وتعبئة الجيوش وبناء الأساطيل غير أنهم لم يواكبوا التطور العلمي، وانتبهت أوربا لهذا الأمر فاستفادت جداً من المسلمين في الأندلس وقت حضارتهم هناك.

كما أن معرفة رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الشرق وبدء عهد التجارة قد جعل دول أوروبا تحصل على شيء من الثراء، فبدأت تتطور في حياتها المادية والعلمية ومن هنا بدأت الدولة العثمانية في التخلف وغيرها في التقدم، فظهرت الهزيمة النفسية والفكرية لدى العثمانيين، وبرزت فكرة تقليد أوروبا والسير على خطاها وهذه هي بداية النهاية كما حدث.

٨ـ الجمعيات السرية والتنظيمات :

عندما زاد ضعف الدولة العثمانية تجرأ النصارى وبدأوا يعملون على تأسيس الجمعيات وإن كانت تحمل في بدايتها الطابع الأدبي أو تأخذ الصفة العلمية، إلا أنها تعمل في الحقيقة ضد الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه شجعوا على تأسيس الجمعيات السرية بل وانضموا إليها ولعل أهم هذه الجمعيات ما حمل الدعوة القومية وكانت هذه من أهم العوامل التي مزقت الدولة العثمانية فيما بعد.

٩ـ تعدد الجواري والمحظيات لدى أصحاب السلطة :

وينشأ عن هذا تفكك الأسرة الحاكمة لتعدد أمهات الأولاد، وبالتالي اختلاف الأولاد فيما بينهم وتدخل هذه الجواري والنساء في القصر عامة في سياسة الدولة، والتوسل لدى الخليفة لرفع هذا وتسليم الصدارة العظمى إلى هذا، وبين هذه النساء يعيش ولي العهد محجوباً لا يعرف شيئا في أمور الدولة، فعندما يؤول إليه الأمر يتلاعب به الوزراء وكبار المسؤولين أو الصدر الأعظم، وبعد ئذ أصبح عدد من الخلفاء ألعوبة بيد الانكشارية فيعزلون ويقتلون وينصبون.

١٠ـ مخالفة منهج الله :

وفوق كل هذا وذاك كان من أهم أسباب الضعف مخالفة منهج الله، فالدولة في بداية عهدها اهتمت الجهاد ونشر الإسلام فكان الفتح وكانت القوة والتوسع فلما ضعفت التربية الإسلامية وسرى تعاطي الخمر وبدأت أعمال السلب عند الفتح وانتشرت جدا وعصى

الجنود الانكشارية الخلفاء، إضافة إلى انشغال الخلفاء بالترف والملاهي وكل هذا مخالف لشرع الله فأقام الله فيهم سنته التي لا تتبدل والله لا يخلف الميعاد.[٩٤]

ولقد تولى في هذه المرحلة " مرحلة الضعف " خمسة عشر خليفـــة، ويعــد أكـثرهم مغمورا إلا من حدثت في أيامه أحداث جسام فسلطت الأضواء عليه وعرف بسببها.

وأولهم سليم الثاني " ٩٧٤ ــ ٩٨٢هــ " وأمه روكسلان الروسية والتي أوصلته إلـــى الحكم بمقتل أخويه كما تقدم ذكره.

وتعود معرفته لتوليه الحكم بعد أبيه الذي طارت شهرته، وبصفته أول الخلفاء الضعفاء وقد توقف الخط البياني عن الارتفاع ثم هبط فجأة وبدأت الدولة تتراجع عن أجزاء مـــن أملاكها تدريجيا حتى لم يبق لها إلا القليل ثم انهارت.

وإذا كانت هذه المرحلة قد طالت إذ زادت على قرنين "٩٧٤ ــ ١١٧١ هــ "

فذلك يعود لهيبة الدولة السابقة واتساع رقعتها والعاطفـــة الإســـلامية الباقيـــة نســـبياً واختلاف الدول الأوروبية فيما بينها على التقسيم، وقيام بعض الخلفاء الأقوياء نسبياً.

وآخر خلفاء هذه الفترة هو عثمان الثالث " ١١٦٨ ــ ١١٧١ هــ "

ثالثاً : عصر الانحطاط والتراجع : ١١٧١ ـ ١٣٣٧ هـ

لقد بدأ عصر الانحطاط والتراجع بعد الضعف الكبير الذي آلت إليه الدولة العثمانيـــة، وبعد النهضة التي تمت في الدول الأوروبية، وبعد اتفاق الدول النصرانية كلها مع خلافها بعضها مع بعض على الدولة العثمانية والتفاهم على حربها وتقسيمها، وتحركها في ذلـــك الروح الصليبية، وقد عرف هذا الاتفاق ضد المسلمين في الكتب الأوروبية باسم " المسألة الشرقية " أي مشكلة الدولة الواقعة في الشرق من أوروبا.

المعالم الرئيسية لهذا العصر :

١ـ ظهور عدد من الخلفاء الأقوياء نسبياً :

ولكن لم تفد قوتهم كثيراً بسبب ضعف الدولة واجتماع كلمة أوروبا عليهم وتحريضها في الداخل عليهم بوساطة رعاياها النصارى، والامتيازات التي حصلت عليها، وأصحاب المصالح والنفوذ والطموحات التي اتصلت بهم .

٢ـ اختفاء فكرة قتل الأخوة :

وإن كانت قد انتهت منذ عام ١٠٠٣ هـ عندما تولى الحكم محمد الثالث الذي أمر بقتل اخوته التسعة عشر ودفنهم مع أبيهم، فكانت أكبر مجزرة وآخرها وكانت الخاتمة ولله الحمد، ولكن خليفته أحمد الأول الذي تولى الأمر عام ١٠١٢ هـ قد سار على خطة الحجز إذ حجز أخاه مصطفى الأول وولي عهده في قصره طيلة أيامه، ثم آلت إليه السلطة عام ١٠٢٦ هـ فكان جاهلاً بأمور الدولة، ولذا فقد عزل عن الحكم مرتين وأصبح عزل الأخوة بدل القتل.

٣ـ بقاء أثر سيطرة العقلية العسكرية :

وهو أن قائد الجيش إذا فشل في المعركة ثار عليه من ثار وطالبوا بقتله، وغالباً ما يقتل بحجة أن يكون عبرة لمن يأتي من بعده إذا أحجم أو لم ينتصر.

وفي هذا كما لا يخفى تعسف وظلم حيث أن النصر بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء.

٤ـ القضاء على الانكشارية في عهد السلطان محمود الثاني:

وبذلك انتهت تعدياتهم على الأهالي وقتل رجالات الصدارة العظمى والقادة وعزل الخلفاء.

وأخذت الجيوش النظامية تحل محلهم، وذلك بعد أن أحاطت المدفعية بالانكشارية حينما أعلنوا العصيان واجتمعوا في ساحة " آت ميدان " وحصدتهم في ذي القعدة عام ١٢٤٠هـ.

٥ـ ظهور الهزيمة النفسية :

حيث أصبح تقليد أوروبا أمراً محموداً يسعى إليه، وغدى استقدام الضباط للتدريب وإرسال البعثات للإفادة أمراً قائماً، وبالتالي بدل الله عزهم ذلاً، وهذه هي سنة الله فيمن

قلد الكفار ورضي بهم وركن إليهم، وكان مما ظهر فكرة القومية والتي مزقت الدولة ثم قضت عليها نهائياً.

٦. زيادة النفوذ اليهودي :

زاد الأثر اليهودي سواء أكان يهود الدونمة الذين اختفوا وسط المجتمع بأسماء إسلامية أم اليهود الذين على دينهم، وقد بذلوا جهدهم وأموالهم واستخدموا النصارى للوصول إلى أهدافهم، وقد أزاحوا من وقف أمامهم وفي مقدمتهم السلطان عبد الحميد الثاني وفي النهاية قضوا على الخلافة.

٧. طول مدة خلفاء هذه الفترة في الحكم :

فقد توالى من الخلفاء في هذا العصر الممتد من " ١١٧١ ـ ١٣٢٧هـ " أي أكثر من قرن ونصف تسعة خلفاء فقط.

وكان أولهم " مصطفى الثالث " وتولى من عام " ١١٧١ ـ ١١٨٧هـ " وهو ابن أحمد الثالث، وتولى بعد ابن عمه عثمان الثالث آخر خلفاء العصر السابق.

وكان آخر هم من الناحية الفعلية السلطان المشهور أشهر سلاطين هذه المرحلة الأخيرة والذي تآمرت عليه اليهودية والصليبية حتى أخرجوه من الحكم هو السلطان "عبد الحميد الثاني " وحكم من عام "١٢٩٣ ـ ١٣٢٨هـ "

وتولى الحكم بعده أخوه محمد الخامس " رشاد " : ١٣٢٨ ـ ١٣٣٧هـ

ثم محمد السادس " وحيد الدين " وتولى من عام: ١٣٣٧ ـ ١٣٤٠هـ ثم تولى عبد المجيد الثاني عام ١٣٤٠هـ والذي أصبح خليفة بعد إلغاء الخلافة وجرد الخليفة من السلطات السياسية كافة.

ثم جاء مصطفى كمال أتاتورك والذي أعلن الجمهورية وألغى الخلافة وطرد الخليفة وفصل الدين عن الدولة وطويت صفحة الخلافة العثمانية عام "١٣٤١هـ / ١٩٢٢م "

بعض مناقب السلطان عبد الحميد الثاني :

لقد استمر حكم السلطان عبد الحميد أكثر من ثلاث وثلاثين سنة قدم خلالها عددا من الخدمات الجليلة، إذ حفظ الدولة من الانهيار بعد الحرب مع روسيا، وقمع تمرد كريت، وانتصر على اليونان، ودرب الجيش على أساليب القتال الحديثة على أيدى مدربين من ألمانيا " وإن كانت هذه من الأخطاء غفر الله له " وفتح المدارس ودور المعلمين والجامعة بكلياتها كافة، ودار العلوم السياسية والفنون النسوية، والمتاحف والمكتبات ومدرسة الطب ومستشفى الأطفال ودار العجزة ومركز البريد ومد أنابيب مياه الشرب، والغرف الصناعية والزراعية والتجارية، ومد الخط الحديدي الحجازي من دمشق إلى المدينة المنورة وكان طوله ١٣٢٧ كيلو متر مربع واستغرق العمل في ٧سنوات " ١٣٢٠ ــ ١٣٢٧هــ " .

واشتهر بدعوته للجامعة الإسلامية، وهو الذي رفض إعطاء اليهود وطن قومي لهم في فلسطين رغم كل الاغراءات والتهديدات التي تلقاها.

وأخيراً تآمروا عليه حتى أخرجوه. [٩٥]

القتال في جزيرة العرب : ١٢٢٦ـ ١٢٥٥ هـ

مع التخلف الذي آلت إليه الدولة العثمانية، والنهضة التي بدأت تظهر في أوروبا، ومع الهزيمة النفسية التي وجدت في الأمصار الإسلامية جميعا، كان ولابد أن ينشأ اتجاهان فكريان في العالم الإسلامي وهما :

الاتجاه الأول : يرى أن النهوض والقوة لا يتمان إلا بتقليد أوروبا والسير على خطاها شبراً بشبر وتبنى هذا الاتجاه على وجه الخصوص محمد علي باشا والي مصر من قبل السلطان العثماني محمود الثاني والذي تولى من عام " ١٢٣٣ــ ١٢٥٥هــ "

وبدأ يرسل البعثات إلى أوروبا عامة وإلى فرنسا خاصة، ولذا كانت أوروبا عامة مسرورة من محمد علي باشا وتثني عليه في كتبها.

الاتجاه الثاني : يرى أن التخلف القائم في بلاد المسلمين يعود إلى جهلنا بـــأمور ديننـــا الذي يحثنا على العلم ويبعدنا عن الخرافات ويحررنا من الأوهام ويأمرنا بالاستعداد للعدو بكل إمكاناتنا بمختلف الاستعدادات والقوة . وتبنى هذا الاتجاه في جزيرة العرب الشيـــخ/ محمد بن عبد الوهاب والذي نشأ في وسط بلاد العرب في نجد، فدعا إلى تطبيق الإسلام الصحيح فخذله قومه وحاربوه، وأدركت أوروبا خطورته حيث أنه سيعيد مفهوم الجـــهاد الإسلامي من جديد وما فيه من خطورة على أوروبا قاطبة فشجعت أوروبا صديقها محمد علي باشا الألباني الأصل على القضاء على هذه الدعوة، وأوكلت الخلافة العثمانية أيضا إليه هذه المهمة عام ١٢٢٢هـــ .

وكان الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب قد سار إلى الدرعية التي يحكمها محمد بن سعود بعد أن خذله قومه في بلده العيينة والمناطق التي انتقل إليها.

واتفقا على العمل معا عام ١١٥٧هـــ وامتد نفوذهم كثيرا حتى شمـــل أكـــثر أجـــزاء الجزيرة وقامت الدولة.

وتولى على هذه الدولة بعد محمد بن سعود ولده عبد العزيز ثم سعود الكبير بن عبـــد العزيز بن محمد، وهو الذي بلغت الدولة في أيامه أوجها، إذ وصلت إلى كربـــلاء فـــي العراق وإلى حوران في بلاد الشام، وخضعت لها الجزيرة كاملة باستثناء اليمن.

دور محمد علي باشا في القضاء على الدولة السعودية الأولى :

قبل محمد علي باشا القيام بمهمة قتال هذه الدولة، وانتقل إليها بحرا من السويس إلـــى ميناء ينبع في غرب المدينة المنورة، وقبل أن يسافر جنده تخلص من منافسيه المماليك إذ خشي أن ينقضوا عليه بعد مسير عساكره فأبادهم في حفلة دعاهم إليها في القلعة بمناسبة سفر ابنه "طوسون "على رأس الجيش المنتقل إلى الجزيرة يوم الجمعـــة ٥ صفـــر عـــام ١٢٢٦ هـــ .

استطاع ابنه طوسون أن يدخل المدينة المنورة وكتب إلى والده بذلك، ثم حوصر طوسون في الطائف، وجاء محمد علي باشا بنفسه إلى مكة وخلع الشريف غالب وأقام مكانه يحي بن سرور، وأحرز بعض الانتصارات.

فضعف مركز الدولة السعودية وتوفي سعود الكبير وخلفه ابنه عبد الله عام ١٢٢٩هـ وسار طوسون باتجاه نجد واحتل بلدة الرس في القصيم.

وأرسل إليه "عبد الله بن سعود " من يفاوضه للصلح والخضوع للدولة العثمانية وتم الصلح.

ووصل خبر إلى طوسون مفاده أن تمرداً قام في القاهرة ضد والده فترك جيشه في الجزيرة بإمرة أحد قادته وسافر إلى القاهرة عام ١٢٣٠هـ .

وهدأ الوضع في القاهرة، فأرسل محمد علي باشا حملة جديدة إلى الجزيرة بقيادة أكبر أولاده " إبراهيم "ومعه بعض المستشارين الفرنسيين ووصل إلى الدرعية وطلب عبد الله بن سعود الصلح في ٧ذي القعدة ١٢٣٣هـ وتم الصلح بعد تسليم الدرعية.

ووافق عبد الله على السفر إلى إستانبول عن طريق القاهرة فوصل إلى القاهرة في ١٧محرم ١٢٣٤هـ وقابل هناك محمد علي، وسافر بعد يومين إلى استانبول حيث قتل بعد وصوله إليه بقليل ولم يفي السلطان بوعده، ورجع إبراهيم من الجزيرة في عام ١٢٣٥هـ.

واضطر محمد علي باشا إلى سحب قواته من الجزيرة عام ١٢٥٥هـ حينما توترت العلاقات بينه وبين الانجليز.

واسترجعت بعدها الدولة السعودية سلطتها مرة أخرى.[٩٦]

الخاتمة :

بعد إلقاء الضوء على الخطوط العريضة والمعالم الرئيسية والأسس التي قامت عليها الدولة العثمانية، يتبين أنها ما هي إلا امتداد للتاريخ الإسلامية، مع ما عليها من ملاحظات شرعية ومنهجية.

وكما هو معلوم أن زاوية الانحراف عن الخط المستقيم " والذي كانت عليه الخلافة الراشدة " قد بدأت تظهر مع بداية العهد الأموي ثم أخذت في الانفراج تدريجياً وإن لم تتسع بالشكل الذي يصوره أولئك المغرضون.

وجاء العصر العباسي .. وجاءت معه التأثيرات المادية، سواء نتيجة الاحتكاك بالمؤثرات الغريبة عن المجتمع أم نتيجة الثراء من الفتوحات فشغلت المادة الناس وأبطرت بعضهم النعمة لكثرة ما دخل البيوت من الجواري والعبيد إثر الفتوحات التي سبقت ذلك العهد فغبوا من شهوات الدنيا ومتاعها ما شاء لهم هواهم أن يغبوا، وغنّى بعضهم ولعب، وشاد وطرب، وابتنى القصور وشرب، وماج وصخب، ولكن هؤلاء كانوا قلة غير أن ضجيجهم كان واسعاً الأمر الذي ظنه الآخرون سائداً في كل عصورهم.

وجاء الماديون بعد ئذ فأعطوا تلك الصورة صفة العمومية، وعدوا ذلك العمل حضارة حتى عمت هذه الفكرة لدى الناس أو أنصاف العلماء.

أما الكثرة من المجتمع فكانوا على شيء من المستوى الصحيح، لم تبطرهم النعمة ولم تفتنهم الدنيا فانصرفوا إلىالتجارة أو العلم فدونوا الكتب في الفقه أو الأدب والنحو أو السير وساروا بالتجارة فنشروا الإسلام إلى أقاصي المعمورة.

ومع ما ظهر من انحراف في ذلك العصر، إلا أنه لم يصل إلى تلك المرحلة التي يصورها المغرضون إذ بقي الإسلام أساساً ثابتاً في النفوس.

كما أنه لا يبرأ المسؤولون عن ذلك الانحراف، ولكن يقدر الأمر بقدره من الناحية الشرعية، والحكم أولاً وأخيراً يرجع إلى الشرع الإسلامي، وإلا فالناقدون من غير المسلمين والمقلدون لهم من أدعياء الإسلام يرون كل هذه الصور حضارة وتقدماً وما نقدوها إلا للتشويه على الإسلام بذكر هذه الأخطاء.

وجاء العصر العثماني: والذي زادت درجة الانحراف فيه عن الخط المستقيم إلى أقصى اتساع، ولكن لم تخرج عن الخط الإسلامي العام من ناحية الأهداف ومشروعية الوسائل

ولكن نظراً لوقوفها في وجه الصليبية العالمية في معظم تاريخها فقد سجل النصارى الأوروبيون كل سلبية، وجالت بها أقلامهم وحلقت بها أفكارهم، وأهملوا كل إيجابية أو تجاهلوها أو نسوها، فلم ينظروا إلا بعين البغض فلم تبد لهم إلا المساوىء ولكي يثيروا عليهم بقية المسلمين، عدوا الحكم العثماني استعماراً دخل إلى البلاد بالقوة وفرض سيطرته بالقسوة، ودعوا العرب خاصة إلى مناهضة العثمانيين وأحيوا النعرات الجاهلية والقومية وأوقعوا بين المسلمين.

وبدأ النصارى أيضاً يدعون إلى التنظيمات السرية باسم القومية التي بدأت تدخل إلى المنطقة، ومع انتشار الفكرة القومية تفككت عُرا الخلافة العثمانية وأصبحت أشلاء أو تجزأت وأصبحت دولاً، وأضاع المسلمون خلافتهم التي كانت رمزاً لهم وأصبح كل قسم يعمل منفصلاً وقد تصطدم مصالحه مع القسم الآخر فينشأ الصراع وتقع الوقيعة.

إن العاطفة الإسلامية لدى العثمانيين كانت كبيرة وإن كانوا لايعرفون التصرف لجهلهم بالإسلام الذي عرفوا عنه العبادات ولم تترسخ في أذهانهم أنه منهج حياة ـ دين ودولة عقيدة وشريعة ـ وليس مجرد عبادات مجردة عن الحياة، لذا كان التقيد بالأوامر والانضباط التام بالأحكام كاملة غير قائم تماماً.

نعم تطبيق جانب من الإسلام وإهمال جانب آخر أمر يسيء للإسلام إذ يعطي صورة مشوهة عنه، فالإسلام نظام كامل يطبق كاملاً وعندها تظهر النتائج في صلاح المجتمع وسعادته ورفاهيته وتقدمه.

ولكن ليعلم : أن الذين ينتقدون الخلافة الإسلامية لا ينتقدوها أصلاً من ناحية إسلامية إلا بمقدار ما يريدون في الهجوم على الإسلام بصفتها كانت خلافة وتقول بالحكم على أساس الإسلام، ولو كان النقد من وجهة نظر إسلامية لقبل الموضوع وبحث من هذا الجانب وهنا يكون الحكم للإسلام وليس لهم.

وعلى كل حال : فالدولة العثمانية لها وعليها غير أنها لا تخرج عن خط الإسلام العام وأهدافه وإن أخطأت في تطبيق وسائله في بعض عصورها.[٩٧]

التعامل مع الغير - مقارنة

في نهاية الحديث عن فترة المد الإسلامي عبر التاريخ في جميع مراحله كان ولابد من عقد مقارنة موجزة بين عطاء المسلمين وعطاء غيرهم من الأمم .

ولقد تبين كما مر معنا في خلال دراستنا ــ وكما هو معلوم بالتواتر ــ أنه لــم يكــن هدف الفتوحات الإسلامية جميعا، منذ عصر الرسول ﷺ وحتى سقوط الخلافة العثمانية، فرض العقيدة الإسلامية بالقوة كما يدعي البعض كذباً وزوراً وبهتاناً. وهذا يرجع لحكــم الله تعالى، قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) [٩٨]

وقال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) [٩٩]

وقال تعالى: (ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هــي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [١٠٠]

وليس في هذا تعارض مع مبدأ الجهاد، والذي أذن الله به وأمر به في آيات كثيرة من كتابه كما في قوله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقديــر، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضــهم ببعض، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصــرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكــاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور) [١٠١]

فالجهاد في سبيل الله لا يتعارض مع الدعوة إلى الله أبدا لأن الجهاد هو الــذي يزيــل العوائق ويفسح الطريق للدعوة إلى الله، ولولا ذلك لماتت الدعوة في مهدها.

ولقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة أن المسلمين أخرجوا من ديارهم ويخرجون في كل عصر من ديارهم بسبب قولهم ربنا الله، ولكن في نهاية المطاف النصر للمسلمين بــإذن ربــهم العزيز الحكيم، والتاريخ خير شاهد على هذه الحقيقة.

فلماذا أخرجت قريش النبي ﷺ وأصحابه من ديارهم بعدما عذبتهم وأرادت قتلهم قبل الهجرة واستئصالهم بعد الهجرة إلى المدينة المنورة حينما تآمروا على دولة الإسلام في المدينة ؟

ولماذا أراد اليهود قتل النبيﷺ في المدينة وتآمروا على دولة الإسلام مرات ومرات ؟ ولماذا بدأ النصارى على حدود الشام الاستعداد للنيل من دولة الإسلام ؟ ولماذا اجتمع الكفر كله على المسلمين في المدينة كما في غزوة الأحزاب ؟ ولماذا منعت قريش النبيﷺ وأصحابه من زيارة بيت الله الحرام عام الحديبية ؟ ولماذا تآمرت اليهود على الإسلام والمسلمين عبر التاريخ كله إلى وقتنا الحاضر ؟ ولماذا جاءت الحملات الصليبية لاستئصال المسلمين عبر التاريخ كله إلى وقتنا الحاضر ؟ ولماذا جاء المغول والتتار ليدكوا بلاد المسلمين دكاً، ويعيثون في الأرض فسادا ؟

لقد مر معنا بيان ذلك أثناء دراسة مباحث المد الإسلامي وسيأتي مزيد من البيان لجرائم الكفار ضد المسلمين في العصر الحاضر سواء في ظل المعسكر الشيوعي أو البوذي أو الرأسمالي الصليبي أو اليهودي، وذلك عند ذكر مباحث الأقليات الإسلامية في العالم وما تلاقيه من اضطهاد وتشريد وتصفية لوجودها ومحو لذكرها، والتاريخ يعيد نفسه وهو خير شاهد على عطاء المسلمين على مر التاريخ للبشرية جمعاء، وعلى عطاء غيرهم في كل جوانب الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية ... وغير ذلك.

ولا ينسى التاريخ موقف النبيﷺ حينما قدر على أهل مكة عام الفتح وهم الذين حاربوه وأخرجوه وأرادوا قتله وقتلوا من قتلوا من أصحابه فماذا قال لهم؟ قال : "اذهبوا فأنتم الطلقاء " وهذا المنهج الذي يقوم على الرحمة والعدل والتسامح كان ولا يزال في الأمة الإسلامية إلى قيام الساعة.

ولكن انظر إلى الفارق الكبير بين أخلاق أمتنا وأخلاق غيرها من الأمم الهمجية.

أمة تدعوا الناس إلى الإسلام، فإن أبوا الإسلام طلبوا منهم أن يفسحوا الطريق لتبليغه ولهم الأمان التام على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ومعتقداتهم ومعابدهم، فإن أبوا حاربوهم، فإن طلبوا الأمان والهدنة أعطوهم، وإن لم يطلبوا الهدنة وقدر المسلمون عليهم

لم يمثلوا بهم ولم يظلموهم ولم يقتلوا وليدا أو شيخاً فانياً أو امرأة ولم يحرقوا زرعـــا ولا دوراً ، وفوق كل ذلك يقولون لهم " اذهبوا فأنتم الطلقاء " ولكن بشرط عدم الحرب علـــى المسلمين مع إعطاء الجزية مقابل حمايتهم التامة أكثر من حماية الولد لأبيه والرجل بين عشيرته وذويه.

وماذا كان في المقابل، جميع أمم الأرض غير المسلمة شعارهم:

« دمروا الإسلام ابيدوا أهله »

ويقولون الحق ما شهدت به الأعداء فنذكر شيئاً من شهادات الأعداء على ظلـــم بنـــي جنسهم وإخوانهم في العقيدة للمسلمين حينما قدروا عليهم في بعض مراحلهم التاريخية.

شهادة الأعداء على عدالة الإسلام :

يقول سير توماس أرنولد :

وهو رجل من الغرب قال في كتابه " الدعوة إلى الإسلام "

" إننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبـــول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناند وإيزابيـــلا دين الإسلام من أسبانيا أو التي جعل بها لويس التاسع عشر المذهب البروتستانتي مذهبـــاً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن انجلـــترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة، وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عـــن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع أنحاءه أحد يقف فـــي جانبـــهم باعتبـــارهم طوائف خارجة عن الدين.

ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي علـــى مـــا قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم " [١٠٢]

وتقول د/ زيغريد هونكة :

في ٢يناير عام ١٤٩٢م رفع" الكاردنال ديبيدر" الصليب على الحمراء،" القلعة الملكية" للأسرة الناصرية فكان ذلك إعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على أسبانيا.

وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على أوروبا طوال العصور الوسطى، وقد احترمت المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم.

لقد حُرّم الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حرم عليهم استخدام اللغة العربية والأسماء العربية وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حياً بعد أن يعذب اشد العذاب " [١٠٣]

وعلى كل حال لقد أخبرنا الله تعالى بعقيدة النصارى واليهود والمشركين نحونا قال تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره، إن الله على كل شيء قدير) [١٠٤]

وقال تعالى: (ولن ترضى عن اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) [١٠٥]

وقال تعالى: (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) [١٠٦]

خلاصة القول عن فترة المد الإسلامي :

لقد ذكرت في التمهيد لهذا الفصل أنه عبارة عن بيان الخط العام أو المعالم الرئيسية لحركة التاريخ الإسلامي، مع بيان المنطقات الأساسية للأمة الإسلامية، وأن هذه الأمة ذات وضع معين في التاريخ، حيث أنها أمة الرسالة الخالدة، وهي خير أمة أخرجت للناس، وهذه الخيرية مستمدة من الرسالة التي أخرجت من أجلها، ومن ثم تحقق لها هذه الخيرية طالما كانت قائمة برسالتها، وتزول الصفة عنها كلما فرطت في أداء الرسالة.

وهذا المعيار هو الذي يحدد لها معالم تاريخها منذ اللحظة الأولى، وهو الذي يفسر تاريخها كذلك.

إنه ليس تاريخ الدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية أو غير ذلك، إنما هو دائماً تاريخ الأمة الإسلامية ومعياره الدائم في كل حِقبة من حقبه.

ومن هنا ندرك سر اختلاف درجات الإضاءة في صفحات التاريخ الإسلامي ما بين الإشراق الشديد أحياناً والعتامة المظلمة أحياناً أخرى، وذلك على حسب استمداد أهل كل فترة من فتراته من المنبع الصافي الأصيل، منبع العقيدة الإسلامية الصحيحة ومدى قيامهم بما تقتضيه العقيدة الصحيحة من تكاليف في عالم الواقع.

ورؤية التاريخ الإسلامي على هذا النحو يبطل كثيراً من المفاهيم المغلوطة والتي تردّ الأمور كلها إلى الظروف السياسية أو الاقتصادية أو الحربية .. أو غير ذلك.

وأما في عقيدتنا فالأمر كله لله، ولقد أمرنا بتطبيق السنن الشرعية وإلا فسيطبق الله علينا سننه الكونية من التشرد والتشرذم والضياع وهو الذي تعيشه الأمة الإسلامية الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

غير أن هذا الخط الإسلامي التاريخي الأصيل قد اعتراه كثير من التحريف والتبديل والكذب والتدليس على أيدى الحاقدين من أعداء الإسلام وأتباعهم وأفراخهم من أبناء المسلمين، ولذلك ترى أن العبث والتحريف ما وقع في فترة دون أخرى بل في كل فترات التاريخ الإسلامي، وتختلف درجات النقد والتجريح بحسب قوة المرحلة نفسها.

وعلى كل حال .. فليس بعد الكفر ذنب، فهؤلاء يكفرون بالرحمن وينكرون النبوة مع أنهم يتمسحون بمسوح الدين وهذا دائماً شأن المنافقين، ولكنهم إن عجزوا عن تقرير كفرهم وبيان حجتهم ـ وعجزهم قطعي لاشك فيه ـ لقوله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) [١٠٧]

لجأوا إلى العبث بتاريخ الإسلام حيث هو بمثابة التطبيق العملي للإسلام

صور العبث بالتاريخ الإسلامي :

لقد أخذ العبث بالتاريخ الإسلامي صورتين :

الأولى : التزوير المباشر للتاريخ وقلب حقائقه وطمس معالمه

التزوير في عصر صدر الإسلام :لقد شملت عملية التزوير كل عصور الإسلام بلا استثناء، حتى عصر الرسولﷺ لم يسلم من تزوير هؤلاء، فلقد شككوا في شخصية الرسول ﷺ وعدد من مواقفه كتعدد الزوجات، وزواجه من زينب بن جحش .. وغير ذلك وأما في عهد أبي بكر ﷺ فلقد اتهموا أبا بكر الصديق بأن حربه للمرتدين لم تكن حفاظاً على الدين، ولكن من أجل الملك والرئاسة، وكذلك علي بن أبي طالب في حربه مع معاوية كانت من أجل الملك والرئاسة، ولذلك زعموا أن علياً قد تستر على قتلة عثمان، ومع ذلك قالوا في عثمان أنه لم يكن عادلاً حيث كان يولي أقرباءه محاباة وعنصرية على غير كفاءة فيهم تذكر، وأما عمر بن الخطاب فلقد كذبوا وزعموا أنه العلماني الأول في الإسلام حيث كان رائد التمييز بين السياسة والدين.

وأما الدولة الأموية .. فلقد كانت تقوم عندهم على فكرة القومية العربية وليس على رابطة الإسلام، ولم ينج أحد من خلفائها من الطعن حتى عمر بن عبد العزيز والذي يعد خامس الخلفاء الراشدين، زعموا أنه كان قدرياً يدين بمذهب القدرية وغيلان الدمشقي.

وأما الدولة العباسية .. فجعلوها قومية أعجمية وذلك لبث الفرقة بين الشعوب الإسلامية، وصوروا تاريخها على أنه مجرد صراع دائم على السلطة، وأما خلفاؤها فقد هتكوا سترهم، وبخاصة خلفاء العصر العباسي الأول، لاسيما هارون الرشيد فصوروا عصره بعصر الجواري والخمور والنساء والغناء، وكذلك حكمهم في العصور الأخرى.

وأما الخلافة العثمانية .. فقد نالت من القدح والتشويه وطمس الحقيقة ما لم تنله خلافة أخرى على مر التاريخ الإسلامي، وبخاصة علي يد القوميين العرب والذين رأوا فيها خلافة أعجمية سادت على البلدان العربية، وبالتالي حاولوا طمس أشرف صفحاتها، ومن ذلك موقف السلطان عبد الحميد الثاني والذي رفض السماح لليهود بإقامة كيان لهم في فلسطين، رغم كل الإغراءات المالية والتهديدات إن لم يستجب، ومع ذلك صوروه في نهاية الأمر كذباً وزوراً بأنه عميل خائن فهو الذي عرض على هيرتزل أن يبيع لليهود فلسطين مقابل مليوني ليرة استرلينية.

وعلى كل حال .. فهذا منهج المستشرقين وأفراخهم الدائم في تزوير الحقائق وطمس المعالم ومحاربة الدين الإسلامي عبر الطعن في تاريخه الممتد وذلك في محاولة فاشلة لوقف المد الإسلامي، ولكن أنى لهم ذلك وقد قال الله تعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [١٠٨]

ثانياً : الإسقاط في الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي

وهو تلك المحاولات الفكرية التي يدعي القائمون بها إصلاحاً أو تجديدا في الإسلام وهي في واقع الأمر إخضاع الإسلام للون معين من التفكير أجنبي عنه سواء في هدفه أو ما يصدر عنه، ومن ذلك قولهم بأن العلمانية " والتي هي في أصلها فصل الدين عن الدولة بل عن الحياة بأسرها " زعموا بأنها هي حقيقة الإسلام وجوهر الوحي" وكذلك عندهم أن الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية .. وغيرها كلها أفكار إسلامية ،وغير ذلك كثير وكثير من الكذب والافتراء والتلفيق في تاريخ الأمة الإسلامية، وبخاصة على أيدي المستشرقين وأتباعهم من المتمسلمين[١٠٩]

جهودهم العملية في الصراع مع الإسلام :

لقد طعنوا وشككوا في كثير من أمور الإسلام وأصول الدين ونذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

١- الطعن في حقيقة الإسلام وحقيقة القرآن والنبوة :

فقالوا عن الإسلام : أنه تطوير محرف لليهودية والنصرانية أو هو جزء مـن مجموعـة الأديان الشرقية تولد من احتكاك الوثنية العربية بأديان فارس والهند،وبالتالي زعمـوا أن القرآن الكريم من وضع النبي محمد ﷺ .

وقالوا عن نبوته ﷺ : أنها نوبات من الصرع والهيستريا أو نوع من العبقرية الشعريـة على أحسن تقدير، وبالتالي فقد طعنوا في السنة النبوية وحملتها جملة وتفصيلاً.

٢ـ القول بأن الإسلام استنفذ أغراضه :

ولذا فقد وصفوه بأنه دعوة أخلاقية تحارب العادات السيئة، أو حركة اجتماعية تـهدف إلى تغيير البنية الاجتماعية القبلية والاستبدال بها تركيباً اجتماعياً قومياً متحضراً للعـرب وغير ذلك من أقوال مؤداها.. اعتبار الإسلام ظاهرة معينة في فترة زمنية محدودة يجب أن يدرس وينظر إليه كما لو كان قطعة من الأحافير القديمة لا علاقة لها مطلقاً بـالواقع المعاصر .

٣ ـ القول ببدعية الخلافة الإسلامية :

وزعموا أن محمدا ﷺ جاء ليؤسس ديناً ولم يكن يهدف إلى تكوين دولة، وعندما رأت الجيوش الفاتحة حضارة الروم وفارس وغيرهم اقتبسوها منهم ثم ادخلوها فـي صلـب عقيدتهم بغرض التلبيس على العوام وضمان استمرار نفوذهم، ومنذ ذلك الحين ظـهرت بدعة القول بأن الإسلام دين ودولة.

٤ـ القول بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني :

وهي دعوى مركبة على الدعوى السابقة هدفها إسقاط توحيد الألوهية من جهة وتهوين شأن الأخذ من القوانين الوضعية من جهة أخرى.

٥ ـ الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع الحضارة :

حيث زعموا أن الإسلام دين قبلي صحراوي لا ينسجم مع الحياة العصريـة والسـبيل الوحيد إلى التطور والحضارة هو نبذ الإسلام ومحاربته .

٦ ـ الدعوة إلى نبذ اللغة العربية :

حيث زعموا أنها لغة التخلف، وغرض هذه الدعوى الباطلة هو مسخ الأمـــة وقطــع صلتها بدينها نهائياً، وبالتالي يكتب عن الإسلام بأقلام وحروف المستعمر.

٧- تشويه التاريخ الإسلامي :

حيث حصروه في الناحية السياسية ليصبح سلســـلة مــن المشاحنـــات والمؤامـــرات والدسائس، ثم كرسوا الحديث عن الحكام في موضوعات الحريم والجـــواري الشعـــراء، وعمدوا إلى عظمائه في الحرب والسلم فوصفوهم بالجمود والتزمت ومعـــاداة التحضـــر واتخذوا من الخزعبلات المدسوسة في التراث مصادر لتشويه سيرهم ، ومن هنا بذلـــوا جهودهم لترجمة ونشر تلك الخزعبلات ومنح الدرجات العلمية العليا للباحثين فيها.

٨- نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها:

حيث تخصص عدد من المستشرقين في هذا المضمار فعكفوا علـــى دراســـة اللغـــات البائدة والتنقيب عن أثار الغابرين، ولفقوا من رفات هش ما أسموه بالتاريخ الحضـــاري للعرب، ثم مدوا آثار تلك الحضارات إلى العصر الحاضر.وبالتالي بدا الفتـــح الإســـلامي وحضارته نشازا في هذه السلسلة أو في أحسن الأحوال عاملا من بين عوامل عدة.

ومن امثلة ذلك: بعث الفرعونية في مصر والفينيقية والآشورية في الهلال الخصيـــب، والحميرية في اليمن، واختلقوا القومية الطورانية لحساب الجمعيات السرية التركية.

ونجم عن ذلك نتائج خطيرة منها :

تحسين سمعة الجاهلية وبث النعرات الانفصالية وقطع صلة الأمة الإسلامية بماضيـــها الحقيقي وتهيئة النفوس لتقبل إمكان قيام الحياة المتحضرة بدون الإسلام كما عاشت تلـــك الحضارات قبله[١١٠]

واجب المسلمين :

ومن هنا كان الواجب علينا كمسلمين أن نعتصم تحت راية القـــرآن الكريـــم والســـنة النبوية مدافعين عن ديننا وعقيدتنا ومجاهدين في سبيل الله عز وجل وداعين إلى الإسلام ومعرفين به وبتاريخه الصحيح وبأهدافه وأصوله ووسائله ومنطلقاته، ومقابلين محاربين لجيوش الكفار التي تريد أن تقتلعه من جذوره ولكن أنى لهم ذلك فالله حافظ دينه وأوليائه.

وفترة المد الإسلامي منذ عصر البعثة النبوية وعصر الإسلام إلـــى عصـــر الخلافــة العثمانية التركية لم يخرج عصر من هذه العصور الممتدة عن وصف الإسلام بالكلية ولو كان في بعض العصور ضعف وخور وظلم إلا أنها لم تخرج عن الوصـــف الإســلامي العام والأهداف العليا للدولة الإسلامية.

وبهذا أكون قد جمعت الخطوط العامة والمنطلقـات الأساسـية والأهـداف الأصليـة والوسائل الشرعية للأمة الإسلامية في فترة المد الإسلامية.

ويلي ذلك فترة الانحسار والتراجع في العصر الحاضر

١٠٤ ـ سورة البقرة / ١٠٩

١٠٥ ـ سورة البقرة / ١٢٠

١٠٦ ـ سورة آل عمران / ١٨٦

١٠٧ـ سورة النحل / ١٤

١٠٨ ـ سورة الصف / ٨ ، وانظر ما نقله جمال سلطان في كتابه غزو من الداخل عن د/ عبد المنعم ماجد ، د/ محمد عمارة ، د/ محمد خلف الله ، د/ زكي نجيب محمود ، د/ محمد جابر الأنصاري ... وغيرهم في تحريف التاريخ الإسلامي، وانظر مبحث منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي د/ محمد بن عبود في موسوعة مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ج١/ ٣٤١ ـ ٣٩١ ،صادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،مكتب التربيةالعربي لدول الخليج ،الرياض، وانظر كتاب لماذا يزيفون التاريخ ويعبثون بالحقائق لإسماعيل الكيلاني.

١٠٩ ـ كتاب غزو من الداخل لجمال سلطان ـ قراءة في الفكر الدين المستنير ـ ص١٩

١١٠ ـ العلمانية:ص ٥٤٣ ـ ٥٥١ بتصرف، د/ سفر الحوالي،دار مكة للطباعة والنشر ،مكة،ط ١٩٨٦.

٨٧ ـ الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ص١٤٦ ، تاريخ الدولة العثمانية د/ علي حسون ص ١١

٨٨ـ المصدرين السابقين ص١٤٦ ـ ١٤٨ باختصار ، ص١٤

٨٩ ـ الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ص ١٢٨ ـ ١٥٠ باختصار

٩٠ ـ مسند الإمام أحمد ج٤ / ٣٣٥ ، والحاكم في مستدركه عن أبي عبيدة بشر الغنوي الخعثمي ، تاريخ الدولة العثمانية د/على حسون ص٣١

٩١ ـ تاريخ الدولة العثمانية ص٢٢ ـ ٢٤ ،المكتب الاسلامي،بيروت ط.١٩٩٦

٩٢ ـ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ج٨ ص ٩٩ـ ١٠٤ باختصار

٩٣ ـ المصدر السابق ج٨ /١٠٤ ـ ١١٠ باختصار ، تاريخ الدولة العثمانية ص٥٢

٩٤ـ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ج٨ / ١١١ ـ ١٢٤ باختصار

٩٥ ـ المصدر السابق ج٨/١٤٩ ـ ١٥١ ، ص٢٠٩ باختصار

٩٦ ـ المصدر السابق ج٨ / ١٦٢ ـ ١٦٥

٩٧ ـ المصدر السابق ج٨ / ٩ـ ٤٠ بتصرف واختصار

٩٨ ـ سورة البقرة

٩٩ـ سورة يونس / ٩٩

١٠٠ـ سورة النحل / ١٢٥

١٠١ ـ سورة الحج / ٣٩ ـ ٤١

١٠٢ ـ تحليل للتاريخ الإسلامي ص ٩١ نقلا عن كتاب الدعوة للإسلام / سير توماس أرنولد ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن ورفاقه

١٠٣ ـ قادة الغرب يقولون " دمروا الإسلام أبيدوا أهله " جلال العالم ص١٢ نقلا عن كتاب القومية والغزو الفكري ص١٧٤ ، وينصح بقراءة هذا الكتاب كله والذي يحمل شعار الكفار قديما وحديثا ضد المسلمين " دمروا الإسلام أبيدوا أهله "

٧٢ ــ الفتح الإسلامي لبلاد الأندلــس د/ خليفــة العســال ص١٧٠،مطبعــة الفجــر الجديد،القاهرة،ط ١٩٩٥ م

٧٣ــ المسيرة الإسلامية للتاريخ لمنير الغضبان ص١٨٥

٧٤ ــ صفحات من حاضر العالم الإسلامي ص ٦٤ نقلا من كتاب (الحلل السندسية) للأمير شكيب أرسلان،للأستاذ محيي الدين القضماني،نشر الجامعــة الاســلامية،المدينــة المنورة،ط. ١٩٨٥م

٧٥ ــ الدولــة الإســلامية تاريخــها وحضارتــها لعبــد الحميــد العبــادي ص ٨٤ باختصار،مطبعة نهضة مصر الفجالة/مصر، البداية والنهاية لابن كثير مجلد ٦ ج/ ١٢ / ٢٨٣ ، في حوادث سنة ٥٦٧هـ

٧٦ ــ الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ص٨٩

٧٧ــ سير أعلام النبلاء ج٢١ / ٢٧٩ للحافظ الذهبي،مؤسسة الرسالة،عمان،ط. ١٩٩٤

٧٨ ــ الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ص ٩٤

٧٩ ــ المصدر السابق ص ٩٥ ، التاريخ الإسلامي ، العهد المملوكــي ج٧ / ٢١ ، ٦٩ ، لمحمود شاكر،طبع المكتب الاسلامي،ط. ١٩٩٦

٨٠ ــ الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ص ٩٨

٨١ ــ المصدر السابق ص ١٠٢

٨٢ ــ المصدر السابق باختصار ص ١٠٣

٨٣ ــ سير أعلام النبلاء ج١٩ / ٩٤ ، المصدر السابق ص١٠٥ اختصار

٨٤ ــ المصدر السابق ص ١٠٨ باختصار ، سير أعلام النبــلاء ج١٦ / ١٨٧ فــي ترجمة سيف الدولة الحمداني

٨٥ ــ الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ص١١١ ــ ١١٣

٨٦ ــ المسيرة الإسلامية للتاريخ لمنير الغضبان ص ١٧٧ ــ ١٨٠

٥٦ ــ رواه أبو داود ج٥ / ١٣ برقم ٤٦٠٧ ، سنن الترمذي ج٥ / ٤٤ برقم ٢٦٧٦ وقال : حسن صحيح ، ابن ماجة ج١ / ١٥ برقم ٤٢

٥٧ ــ رواه مسلم ج٤ / ٢٢١٥ برقم ٢٨٨٩ ، مسند أحمد ج٥ / ٢٧٨

والمراد " بالكنزين الأحمر والأبيض " أي الذهب والفضة، والمراد كنز كسرى وقيصر ، والمراد " ببيضتهم " أي جماعتهم ، والمراد العز والملك

٥٨ ــ تحليل للتاريخ الإسلامي عماد الدين خليل ص٧١،دار الثقافة،الدوحة،ط. ١٩٩٥

٥٩ ــ شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي ص ٥٢٨،طبع المكتب الاسلامي،بيروت،ط. ١٩٨٢م

٦٠ ــ تقدم تخريجه

٦١ ــ صحيح الجامع ج٣ / ١٣٦ برقم ٣٣٣٦

٦٢ ــ شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص ١٣٧، فتح الباري ج٧ / ١١٨

٦٣ ــ المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ص ٧ــ ١٢،المكتب الاسلامي،بيروت،ط.١٩٨٦م

٦٤ ــ المصدر السابق ص٣٦ ــ ٤٢ باختصار

٦٥ ــ تحليل للتاريخ الإسلامي لعماد الدين خليل باختصار

٦٦ــ فتوح البلدان ص٤١١ ،للامام أبي الحسن البلاذري،مكتبة الهلال،بيروت،لبنان

٦٧ ــ سورة الحجرات ١٣ ، المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي ص٢٦ــ ٣٥

٦٨ــ المصدر السابق ص٤٢

٦٩ ــ تحليل للتاريخ الإسلامي ص٤٢

٧٠ــ المصدر السابق ص٧٨

٧١ــ المسيرة الإسلامية للتاريخ لمنير محمد الغضبان ص ١٤٦،دار الفرقان،عمان،ط. ١٩٩٣م

٣٦ ــ زاد المعاد لابن القيم ٣ / ٣٩٤

٣٧ ــ صحيح مسلم ج٣ / ١٣٩٨، سيرة ابن هشام ج٢/٤٤٤ ، مصنف عبد الرزاق ج٥ / ٣٨٠

٣٨ ــ مسند الإمام أحمد ج٣ / ١٢١

٣٩ــ صحيح مسلم ج٣ / ١٣٩٨

٤٠ــ سورة التوبة / ٢٥

٤١ــ السيرة النبوية الصحيحة ج٢ / ٥٢٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ج٥ / ٢، والآية من سورة التوبة / ١٢٣

٤٢ ــ فتح الباري ج٧ / ٦٥

٤٣ــ سورة التوبة / ١١٨

٤٤ــ السيرة النبوية الصحيحة ج١ / ٣٠ ــ ٣٢

٤٥ ــ تاريخ الطبري ج٣ / ٥٢٠ ــ ٥٢٨

٤٦ــ السيرة النبوية الصحيحة ج١ / ٣٧

٤٧ــ المصدر السابق بتصرف واختصار

٤٨ ــ سورة العنكبوت / ٢

٤٩ ــ سورة آل عمران / ١٥٩

٥٠ ــ سورة الحج / ٤٠

٥١ــ سورة الحشر / ٨

٥٢ ــ تقدم تخريجه

٥٣ ــ تاريخ الطبري ج٤ / ٢٢٧ ، السيرة النبوية الصحيحة ج٢ / ٦٧١

٥٤ ــ سورة النور / ٥٥

٥٥ــ سنن النسائي ج٥ / ١٥

١٧ــ المصدر السابق ص ٢٩٩/ السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص ٨٢ــ ٨٥

١٨ــ فتح الباري ج٧/ ٤٢٢رقم ٤٠٦٧

١٩ــ سيرة ابن هشام ج٣ــ ٩١

٢٠ــ آل عمران/ ١٣٩ ــ ١٤٢

٢١ ــ آل عمران/ ١٥٢

٢٢ــ سيرة ابن هشام ج٢/ ٢٢٩ ، والحديث رواه البخاري شرح فتــح البــاري ج٦ /١٨٣ رقم ٣٠٢٩ ، ورواه مسلم ج٣ / ١٣٦١ رقم ١٧٣٩

٢٣ــ الأحزاب / ٩

٢٤ــ فتح الباري ج٧/ ٤٦٧ رقم ٤١٠٩

٢٥ــ سورة الفتح / ١ــ٣

٢٦ــ ،، الفتح / ١٠

٢٧ــ ،، الفتح / ١٨

٢٨ــ ،، الفتح / ٢٧

٢٩ ــ ،، الفتح / ٢٨ ، السيرة النبوية دروس وعبر ص ٩٦

٣٠ ــ فتح الباري / ج٧ / ٥٨٣ ، زاد المعاد ج٣/ ٣٨١ ، الرحيق المختوم ص ٤٣٥

٣١ــ السيرة النبوية الصحيحة ج٢ / ٤٦٨

٣٢ــ فتح الباري ج٧ / ٣٥٥ برقم ٣٩٨٣ ، مسلم ج٤ / ١٩٤١ برقم ٢٤٩٤

٣٣ــ سورة يوسف / ٩٢

٣٤ــ صحيح البخاري شرح فتح الباري ج٥/ ١٨٩

٣٥ــ فتح الباري ج٧ / ٢٧٠

١ـ آل عمران / ١١٠

٢ـ محمد / ٧

٣ـ صحيح السيرة النبوية د/ أكرم ضياء العمري ج١/ ٢٧٦ ،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،ط. ١٩٩٥م

٤ـ الرحيق المختوم في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: لصفي الرحمن المباركفوري ص ٢١٣،دار الوفاء،المنصورة،مصر،ط. ١٩٩٢م

٥ـ السيرة النبوية ج١ / ٥٠٣،للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام،دار الكتب العلمية،بيروت،ط. ١٩٨٢م

٦ ـ الرحيق المختوم ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧ ، سيرة بن هشام ج٢/٤٧

٧ـ السيرة النبوية الصحيحة للعمري ج١ / ٣٠٧

٨ـ الرحيق المختوم ص ٣٣٣

٩ ـ فتح الباري ج٧ / ٤٧٥ ، رقم ٤١٢٢

١٠ـ السيرة النبوية الصحيحة ج١ / ٣١٧

١١ـ صحيح البخاري شرح فتح الباري ج٧ / ٥٦٨ رقم ٤٢٤٨ ، ومسلم ج٣ / ١١٨٦ رقم ١٥٥١ ، وأبو داود في السنن ج٣ / ٦٩٧

١٢ـ رواه مسلم ج٤ / ١٨٧٢ رقم ٢٤٠٥

١٣ ـ المصدر السابق

١٤ـ المصنف: ج٥/ ٢٧٦ ،للحافظ عبد الرزاق الصنعاني،تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي،المكتب الاسلامي،بيروت،ط ١٩٨٤م

١٥ ـ السيرة النبوية الصحيحة ج١ / ٣٣٢

١٦ ـ الرحيق المختوم ص ٢٥٦

الفصل الثالث

فترة الانحسار

ويشتمل على مبحثين بعد التمهيد العام :

المبحث الأول : الآثـار التي ترتبت علـى الانحسار .

المبحث الثاني : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟

الفصل الثالث : فترة الانحسار

التمهيد العام :

قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عـــن المنكــر وتؤمنون بالله)[١] وقال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء علـى النـاس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[٢]

وحينما تكون الأمة ذات وجود فعلي تحقق الخير لنفسها وللبشرية معها، وحين ينحسر وجودها في الساحة فإنها تؤذي نفسها وتؤذي البشرية معها، وكلا الوجهين تحقـــق فـــي تاريخ هذه الأمة.

ففي فترة المدّ كانت ممكنة في الأرض ذات قوة عقدية وحربيـــة وسياســية وعلميــة وحضارية وفكرية تؤكد بها وجودها وتؤثر بها في العالم الموجود يومئذ في آسيا وأفريقيا وأوروبا.

وفي فترة الانحسار تكالبت عليها قوى الأعداء فأفقدتها مكانتها، وفقدت البشريـــة فـــي الوقت ذاته النموذج الصحيح الذي تستضيئ به، فدخلت في جاهلية عاتية هي التي تحكــم الأرض اليوم وتذيقها الوبال والدمار.

والتعرف على هذه الحقيقة لازم دائماً للمسلم الذي يدرس التاريخ الإسلامي، ولكنه أشد لزوماً للمسلم المعاصر من جهتين اثنتين على الأقل إن لم يكن أكثر.

الجهة الأولى: أن الهوان الذي تعيش فيه الأمة اليوم ينسي أبناءها قدر هذه الأمة ووظيفتها التي أخرجها الله من أجلها، إذ يجد المسلم أمته الآن في ذيل القافلة لاهثين ليلحقوا بالركب فيستصغر قيمة نفسه .

الجهة الثانية : أن هذا الهوان ذاته ينسي المسلم المعاصر الهدف الذي يجب أن يعيـــش من أجله، فليس هدفه أن يلهث ليلحق بركب الجاهلية إنما هدفه أن يسترد مكان الريـــادة للبشرية مرة أخرى ويرد هذه البشرية الضالة إلى صوابها.

ولكن المراجع الأوروبية بدافع الحقد الصليبي تصغّر عامدة من قيمة الإسلام والأمـــة الإسلامية وتمر بتاريخها مرورا سريعاً كأنه حدث هامشي في تاريخ البشرية، ولا تركز

على القيم التي يبثها الإسلام في الأرض إنما تركز على الزخارف والعمائر والآثار الحسية، وهذه لا تحدث في النفس إلا أثراً عابراً يزول منذ لحظته.

ولذا كان ولابد من التأكيد علي قيمة ما أنجزته هذه الأمة في فترة المد الإسلامي وأثره على البشرية، وكذلك على مدى الخسارة التي خسرتها الأمة الإسلامية في فترة انحسارها وخسرتها البشرية كلها كذلك.

إن أعظم ما قامت عليه الأمة الإسلامية وأهدته للناس جميعاً "عقيدة توحيد الله" وأثرها الواقعي في حياة المسلمين وفي صنع الحركة العلمية والحركة الحضارية والتي استضاءت بها الحياة بأسرها فخرجت من الظلمات إلى النور.

غير إن أوروبا والتي تقوم على العقيدة المزيفة والتي صنعها لها " بولس " وزعم أنها من وحي السماء تنكرت لهذه العقيدة الإسلامية وتنكرت لأثارها في الحياة بأسرها، وجعلت دور الإسلام دوراً هامشيا في تاريخ الأمم.

كما أن أوروبا والعالم الغربي قامت على المبادىء العلمانية والتي تحارب الدين وتبعده عن الحياة بأسرها، مما كان له أكبر الأثر على فساد الحياة البشرية.

ولذا يجب على المسلم ..أن يعرف الحجم الحقيقي لإنجازات الأمة الإسلامية وقت تمسكها بالإسلام والأسباب التي أدت إلى انحسار بل وزوال الخلافة الإسلامية عن الأرض.

وعمدة الأسباب التي أدت إلى ذلك هي بعد الناس عن منهج الله مما أدى الى تخلفهم، وإلا فمنهج الله تعالى لا يتخلف أبداً، وإنما يتخلف البشر عن تحقيقه.

وقال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)[٣]

وعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت " [٤]

المبحث الأول :

الآثار التي ترتبت على التخلف عن حقيقة الإسلام

غني عن البيان أن الفترة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم هي أسوأ ما مر بها في تاريخها كله، فلقد مرت الأمة بأزمات كثيرة من قبل ونكسات كثيرة، ولكن بنيتها كانت أقوى فاحتملت الصدمات واستطاعت أن تسترد قوتها على المقاومة، بل قدرتها على الصمود، بل قدرتها على الانطلاق بعد الصدمة كأن لم يصبها شيء.

فلقد مر بها مثلاً أزمة الردة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وأزمة مقتل عثمان ﷺ وأزمة النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وأزمة الحروب الصليبية، وأزمة التتار، وأزمة سقوط الأندلس في قبضة الصليبيين والقضاء على الإسلام هناك ... وأزمات أخرى غير أنها كانت تقوم بعدها كأن لم يصبها شيء.

أما الأزمة الأخيرة .. والتي جاءت بعد سقوط الخلافة العثمانية فقد جاءت وجسم الأمة فاتر من كثرة الأوجاع والأمراض فلم يقدر على المقاومة إلا مقاومة عابرة ثم استسلم للأمر الواقع وتخلى عن المحاولة فسهل على أعدائه أن يجهزوا على ما بقي فيه من آثار الحياة، وصار واقع الأمة اليوم إلى حالة لم تبلغها في تاريخها كلها واستخف العالم بها حتى صار وضعها كما قال الشاعر القديم يهجوا قبيلة تيم :

ويُقضى الأمر حين تغيب تيمٌ ولا يستأذنون وهم شهود

والجدير بالذكر .. أنه حينما سقطت آخر دويلة إسلامية في الأندلس وهي" غرناطة "عام "٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م " أصدر البابا قراراً بتقسيم أرض المسلمين إلى دولتين وهما : أسبانيا والبرتغال.

وأمرهما بمتابعة المسلمين خارج الأندلس وملاحقتهم للقضاء عليهم، وكانت البرتغال أول من صدع بالأمر، فبدأت الرحلات الاستكشافية التي كان هدفها التعرف على العالم الإسلامي وسبر أغواره والنظر في الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الصليبيون إلى داخله، وكانت أو تلك الرحلات رحلة " فاسكو داجاما " عام " ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م " أي بعد ربع قرن من سقوط غرناطة.

وعلى ضوء الخرائط الإسلامية تعرفت أوروبا على العالم الإسلامي فلقد كانت أوروبا من قبل قابعة داخل حدودها، ولكن الحافز الصليبي الذي بثه البابا في نفوس النصارى ألهب خطاهم فراحوا يتلمسون الطريق لتحقيق أهدافه.

وكان البرتغاليون أول من وضع أقدامه في الأرض الإسلامية ثم تبعهم غيرهم من الأوربيين تباعاً، وتسابقت أوروبا وتنافست في الغزو حتى إذا كان القرن التاسع عشر الميلادي كانت كل دول أوروبا تقريباً تمتلك مستعمرات في العالم الإسلامي، ولم يكن قد بقي من أرض الإسلام لم تدنسه أقدام الصليبيين إلا تركيا ذاتها وأجزاء من الجزيرة العربية، ولقد قاومت الغزاة الذين غزوا أرضها ولكن المعركة كانت محسومة سلفاً فلم يكن في يد المسلمين من القوة ما يدفعون به السيل الجارف من العدوان.[٥]

فلقد استغرق غزو العالم الإسلامي ثلاثة قرون أو أكثر حتى تم إخضاعه للنفوذ الصليبي الصهيوني، ولكن الغزو الصليبي الصهيوني جاء هذه المرة بأداة مستحدثة من أدوات الغزو ليمكن لنفسه أطول مدة ممكنة وليحاول القضاء الأخير على الإسلام، فلم يأت كما جاءت الحروب الصليبية بالسلاح وحده عملاً بنصيحة لويس التاسع عشر الذي أسر في الحروب الصليبية الأولى في سجن المنصورة بمصر حتى افتداه قومه، حيث نصحهم بأن لا يعتمدوا على السلاح وحده في قتال المسلمين إنما يحاولوا أن يهاجموهم في مكمن قوتهم " في عقيدتهم " وعندئذ يتمكنون منهم وأغراهم ما رأوه في حياة المسلمين من تخلف عن حقيقة الإسلام.

فجاءوا ومعهم ما يطلق عليه اصطلاحاً اسم "الغزو الفكري" وهدفه اقتلاع الإسلام من قلوب المسلمين أو كما عرّفه الأب زو يمر " صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام "

اسباب اهتمام الاستعمار بالقاهرة واستنبول:

لقد اهتم الاستعمار بموقعين هامين في العالم الاسلامي وهما .. استنبول والقاهرة،فأما استنبول لأنها مركز الخلافة، مركز القوة السياسية والعسكرية،والقاهرة..لأنها مركز الأزهر الشريف،مركز العلم والثقافة في العالم الإسلامي

اما تركيا: فقد بدأت فرنسا في التحرك الصليبي تجاهها بما دسته علي "سليمان القانوني" من إعفاء رعاياها في الدولة العثمانية من الخضوع لأحكام الشريعة الإسلامية ومعاملتهم على أساس القانون الفرنسي فيما سمي باسم " الامتيازات الأجنبية " وتلتها بقية دول أوروبا فطلبت نفس الطلب وأجيبت إليه، فأصبح رعايا كل دولة يعاملون بمقتضى قوانين بلادهم ويتدخل القناصل لحمايتهم فيعيثون في الأرض فسادا حتى أصبحوا دولة داخل الدولة.

كما عمدت الصليبية الصهيونية إلى المناوشة الدائمة للدولة حتى لا تجد وقتا للاستقرار فأشغلوها بالفتن والتمرد الدائم.

وتكفلت بالذات روسيا وفرنسا وبريطانيا بإثارة الأقليات الدينية الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية، كما تكفلوا بإثارة دول البلقان ضد الحكم الإسلامي، وإثارة العرب ضد الأتراك.

وكان الهدف واضحا وهو تفتيت الدولة وتوهين قواها ليتغلبوا عليها ويمزقوا أوصالها.

وفي نهاية الأمر.. استطاعوا بطبيعة الحال أن ينفذوا مخططهم كله وكانت الحلقات الأخيرة من المخطط هي أخبثها وأجرؤها وأشدها فاعلية، فلقد تجرأت عصابات اليهود والنصارى على العمل المكشوف وتحركت فرق اليهود المتمسلمين "يهود الدونما" لبث دعاوى القومية الطورانية ـ قومية الأتراك الأولى ـ قبل أن يدخلوا في الإسلام والدعوى إلى تتريك الدولة، وكان هذا العمل مقصوداً به إثارة العرب بالذات وتولى إثارتهم بتأييد بريطانيا وفرنسا نصارى سوريا ولبنان فتنادوا بالقومية العربية يخفون تحت ستارها العمل ضد الإسلام، واستدرجوا تحت ستار القومية العربية الشريف حسين حيث أعلنت " الثورة العربية الكبرى " يتولاها الشريف حسين في الظاهر ويحركها " لورنس " والذي أسموه لورنس العرب لشدة إتقانه لدوره الماكر في إسقاط الخلافة العثمانية، ويقود هذه الثورة " اللورد ألنبي " الذي قال قولته الشهيرة حين دخل القدس عام ١٩١٧ م "الآن انتهت الحروب الصليبية "، والذي كتب في مذكراته يقول " لولا معاونة الجيش العربي ما استطعنا التغلب على تركيا"

وبذلك خدع الانجليز الشريف حسين حيث منوه بأن يكون خليفة للمسلمين وحاكما على العرب ووصلوا إلى مآربهم في تقويض أركان الخلافة العثمانية.

وكانت أجرأ أعمالهم في الحلقات الأخيرة عزل السلطان عبد الحميد بعد أن أعياهم أن يحصلوا منه على وعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

ثم كان تنصيب أتاتورك حاكما على تركيا وإلغاء الإسلام علانية، وتقتيل المسلمين بعشرات الألوف، وإلغاء الآذان باللغة العربية، وإلغاء الكتابة بالحروف العربية لقطع الأجيال الحديثة من الأتراك عن تراثهم الإسلامي كله.

ثم كان إقامة الدولة اليهودية في فلسطين بعد أن مهدوا لها هذا التمهيد الطويل كله، وتأييد الصليبية العالمية لاغتصاب قطعة من الوطن الإسلامي جهرة وإعطائها لليهود.[٦]

وفي مصر : فقد تحركت فرنسا أولا حركتها الصليبية فيما يعرف باسم الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م بهدف اقتطاع مصر عن الإسلام والعروبة معا، وإثارة النعرة الفرعونية فيها لينقطع تأثيرها الإسلامي على العالم الإسلامي كله، عن طريق الأزهر الذي يؤمه الطلاب من كل أرجاء العالم الإسلامي فيتعلمون فيه اللغة العربية والدين.

ولما فشلت الحملة الفرنسية في البقاء في مصر بسبب الثورات المتتالية والمقاومة المسلحة ومناوشة الإنجليز لها جاء محمد علي باشا فاحتضنته فرنسا ونفذت عن طريقه كل ما أرادت من قبل تنفيذه.

ثم جاء الإنجليز عام ١٨٨٢م فاحتلوا مصر ونفذوا المخطط الصليبي الصهيوني بكامله على خطوات بطيئة أكيدة المفعول على طريقة الإنجليز، ففتحوا مدارس علمانية أو شبه علمانية، وحاربوا التعليم الديني وشوهوا صورة حملة الشهادات الشرعية،وصرفوا أبصار الناس وقلوبهم إلى أوربا كبديل عن الإسلام والمسلمين.

ثم أخرجوا المرأة من بيتها بدعوى تعليمها وتحريرها فأسدوا أخلاقها وأفسدوا أخلاق الشباب معها، ونحوا الشريعة الإسلامية عن الحكم واستبدلوا بها القوانين الوضعية

وأباحوا الخمر والفاحشة ، وأداروا المعاملات المالية بالربا، وأخرجوا زعماء فـــي كـل اتجاه يزينون ذلك كله للناس ويعرضونه على أنه هو التقدم والرقي.

وباختصار.. فعلوا كل ما يمكن أن يقطع صلة الشعب المسلم بإسلامه ويسخره للغرب كالعبيد، وأوحي إلى المسلم المعاصر أن هذا كله كان ضرورة لإنقاذ العالم الإسلامي من التخلف ودفعه في تيار الحضارة، وأنه لم يكن أمام العالم الإسلامي إلا أحد خيارين:

أن يستمر في تخلفه في ظل الحكم العثماني، أو ينفض عنه التخلف والحكم العثمـــاني ويسير في تيار الغرب ليحصل على المدنية وينقذ نفسه من الدمار.

ومع أن المسلمين قد ثاروا على الاحتلال الأجنبي بما بقي في نفوسهم من بقايا الإسلام

فثارت الجزائر على الاحتلال الفرنسي ثورتها المشهورة " ثورة المليون شهيد" وثـــار الشمال الأفريقي كله ، المغرب وتونس على الاحتلال الفرنسي، وليبيا علـــى الاحتـــلال الإيطالي، وثارت مصر والسودان والعراق على الاحتلال البريطاني، وثارت سوريا على الاحتلال الفرنسي.

وفي كل بقعة من العالم الإسلامي قامت ثورة تحاول استخلاص البلاد من قبضة العدو الكافر وتردها إلى الإسلام.

إلا انه في نهاية المطاف .. سرقت الثورات وحولت الجمـــاهير لتـــهتف بمـــوت الخلافـــة العثمانية، والتاريخ خير شاهد. [٧]

وهذه الفترة تعتبر من أحرج فترات التاريخ بالنسبة للعالم الإسلامي وما كتب عنها في المراجع الحديثة هو أشد ما كتب تضليلا للمسلم المعاصر إذ أنه هو ذاته جزء من الغزو الفكري الذي قصد به صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام.

والحقيقة : أن هذه المؤامرات كلها وعلى رأسها الغزو الفكري ما كانت لتنجـــح لـــولا غفلة المسلمين وتخلفهم عن حقيقة الإسلام.

وأن الأمة الإسلامية هي المسؤول الأول عن كل ما أصابها علي يد أعدائها، لتفريطها في الأمانة التي حملها الله تعالى إياها يوم أخرجها إلى الوجود، وأنه لا خلاص لها مـــن كل ما أصابها إلا بالعودة الصادقة إلى هذا الدين.

وبذلك خدع الانجليز الشريف حسين حيث منوه بأن يكون خليفة للمسلمين وحاكما على العرب ووصلوا إلى مآربهم في تقويض أركان الخلافة العثمانية.

وكانت أجرأ أعمالهم في الحلقات الأخيرة عزل السلطان عبد الحميد بعد أن أعياهم أن يحصلوا منه على وعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

ثم كان تنصيب أتاتورك حاكما على تركيا وإلغاء الإسلام علانية، وتقتيل المسلمين بعشرات الألوف، وإلغاء الآذان باللغة العربية، وإلغاء الكتابة بالحروف العربية لقطع الأجيال الحديثة من الأتراك عن تراثهم الإسلامي كله.

ثم كان إقامة الدولة اليهودية في فلسطين بعد أن مهدوا لها هذا التمهيد الطويل كله، وتأييد الصليبية العالمية لاغتصاب قطعة من الوطن الإسلامي جهرة وإعطائها لليهود.[٦]

وفي مصر: فقد تحركت فرنسا أولا حركتها الصليبية فيما يعرف باسم الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م بهدف اقتطاع مصر عن الإسلام والعروبة معا، وإثارة النعرة الفرعونية فيها لينقطع تأثيرها الإسلامي على العالم الإسلامي كله، عن طريق الأزهر الذي يؤمه الطلاب من كل أرجاء العالم الإسلامي فيتعلمون فيه اللغة العربية والدين.

ولما فشلت الحملة الفرنسية في البقاء في مصر بسبب الثورات المتتالية والمقاومة المسلحة ومناوشة الإنجليز لها جاء محمد علي باشا فاحتضنته فرنسا ونفذت عن طريقه كل ما أرادت من قبل تنفيذه.

ثم جاء الإنجليز عام ١٨٨٢م فاحتلوا مصر ونفذوا المخطط الصليبي الصهيوني بكامله على خطوات بطيئة أكيدة المفعول على طريقة الإنجليز، ففتحوا مدارس علمانية أو شبه علمانية، وحاربوا التعليم الديني وشوهوا صورة حملة الشهادات الشرعية،وصرفوا أبصار الناس وقلوبهم إلى أوربا كبديل عن الإسلام والمسلمين.

ثم أخرجوا المرأة من بيتها بدعوى تعليمها وتحريرها فأسدوا أخلاقها وأفسدوا أخلاق الشباب معها، ونحوا الشريعة الإسلامية عن الحكم واستبدلوا بها القوانين الوضعية

وأباحوا الخمر والفاحشة ، وأداروا المعاملات المالية بالربا، وأخرجوا زعماء في كل اتجاه يزينون ذلك كله للناس ويعرضونه على أنه هو التقدم والرقي.

وباختصار.. فعلوا كل ما يمكن أن يقطع صلة الشعب المسلم بإسلامه ويسخره للغرب كالعبيد، وأوحي إلى المسلم المعاصر أن هذا كله كان ضرورة لإنقاذ العالم الإسلامي من التخلف ودفعه في تيار الحضارة، وأنه لم يكن أمام العالم الإسلامي إلا أحد خيارين:

أن يستمر في تخلفه في ظل الحكم العثماني، أو ينفض عنه التخلف والحكم العثماني ويسير في تيار الغرب ليحصل على المدنية وينقذ نفسه من الدمار.

ومع أن المسلمين قد ثاروا على الاحتلال الأجنبي بما بقي في نفوسهم من بقايا الإسلام

فثارت الجزائر على الاحتلال الفرنسي ثورتها المشهورة " ثورة المليون شهيد" وثار الشمال الأفريقي كله ، المغرب وتونس على الاحتلال الفرنسي، وليبيا على الاحتلال الإيطالي، وثارت مصر والسودان والعراق على الاحتلال البريطاني، وثارت سوريا على الاحتلال الفرنسي.

وفي كل بقعة من العالم الإسلامي قامت ثورة تحاول استخلاص البلاد من قبضة العدو الكافر وتردها إلى الإسلام.

إلا أنه في نهاية المطاف .. سرقت الثورات وحولت الجماهير لتهتف بموت الخلافة العثمانية، والتاريخ خير شاهد. [٧]

وهذه الفترة تعتبر من أحرج فترات التاريخ بالنسبة للعالم الإسلامي وما كتب عنها في المراجع الحديثة هو أشد ما كتب تضليلا للمسلم المعاصر إذ أنه هو ذاته جزء من الغزو الفكري الذي قصد به صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام.

والحقيقة : أن هذه المؤامرات كلها وعلى رأسها الغزو الفكري ما كانت لتنجح لولا غفلة المسلمين وتخلفهم عن حقيقة الإسلام.

وأن الأمة الإسلامية هي المسؤول الأول عن كل ما أصابها علي يد أعدائها، لتفريطها في الأمانة التي حملها الله تعالى إياها يوم أخرجها إلى الوجود، وأنه لا خلاص لها من كل ما أصابها إلا بالعودة الصادقة إلى هذا الدين.

المبحث الثاني :

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

جعل الله تعالى الأمة الإسلامية أمة وسطا، وجعلها شاهدة على الأمم ورائدة في الخير والعطاء لكل الأمم، وستظل الأمة الإسلامية بهذه المثابة حتى يـــرث الله الأرض ومـــن عليها، لأن الله قد تكفل بحفظ الدين، وبالتالي فعناصر القوة والبقاء والتحدي تكمن فــــي بقاء منهجها الرباني، ومهما حدث للأمة من انتكاسات وانحسار كما في واقعنا المعـــاصر فذلك بمقدار بعدها عن منهج ربها.

آثار تخلف المسلمين :

لقد ترتب على ذلك حدوث شرور خطيرة بالنسبة للعالم أجمع منها:

١ـ **الاستعمار بكل مساوئه وهمجيته :** وتداعت كل الأمم على الأمة الإسلامية وصدق حديث النبي ﷺ في ذلك، ولا يزال الأعداء جاثمون على صدر الأمة، وما زلنـــا فـــي ترقـــب وانتظار لقضاء الله فينا إن لم نتب إليه سبحانه، ولكن لابد لنا أن نعلم ســـنن الله الكونيـــة والشرعية فيمن خالف أمره.

٢ـ **السيطرة العالمية لليهود :**وتمكينهم من تنفيذ مخططهم الشرير والذيـــن يســعون فــي الأرض فسادا، وذلك يرجع إلى تأثير عقدة الاستعلاء المسيطرة عليهم بأنـــهم شعـــب الله المختار، وعقدة الاضطهاد الواقع عليهم خلال تاريخهم لسوء أفعالهم ولذلك فهم يمتلئـــون حقداً دفيناً على البشرية كلها.

ولقد واتتهم الفرصة قديما حين رأوا في أوروبا بوادر التمرد على الدين بسبب طغيان الكنيسة ، ثم لما زاد ضعف الأمة الإسلامية جاءوا هم والصليبيون معا ليعيثوا في العـــالم الإسلامي ويفسدوا عقيدته وأخلاقه ويصلوا في نهاية الأمر إلى سيادة المفاهيم العلمانيـــة اللادينية، وهذا مقصودهم الأصلي، ولقد استغلوا كل الثورات المعاصرة لخدمه هذا الهدف

مثال ذلك :

استغل اليهود الثورة الفرنسية القائمة ضد طغيان رجال الدين ورجال الإقطـــاع فبثـــوا خلاياهم التي ساعدت على تأجيج الثورة وحولتها إلى ثورة على الدين ذاته بدلاً من كونها

" فرنسا الثورة " في أوروبا ثورة على رجال الدين، وأقامت أول دولة علمانية في أوروبا وجاءت الثورة الصناعية فاستغلها اليهود في أمرين خطيرين:

تمويل الصناعة بالربا مما مكنهم من جمع الذهب وتكديسه في جيوبهم والسيطرة من ثم على اقتصاديات العالم وسياسته ووسائل إعلامه.. إلى آخره

وإنشاء مجتمع منحل الأخلاق عن طريق تشغيل المرأة وإفساد أخلاقها وفك روابط الأسرة ونشر الفواحش والرذائل ... إلى آخره.

وهذه الشرور التي انتشرت كان يمكن تلافيها ألبته أو حصرها في نطاق ضيق في داخل أوروبا مثلاً لو أن الأمة الإسلامية لم تضعف ولم تنكل عن رسالتها لنفسها وللبشرية.

٣. انتشار الإلحاد : وذلك بكل مظاهره وصوره العلنية والباطنية حتى أصبح الإلحاد هو السمة البارزة لهذا القرن العشرين الذي نعيشه، وكل ذلك بسبب غياب المسلمين عن مركز القيادة والريادة.

٤. الانحلال الخلقي : إلى الدرجة التي يكاد يموت معها الحياء وهذا كله بسبب هيمنة اليهود على الحياة وسعيهم في نشر الرذيلة والتي بدأوها بإخراج المرأة من بيتها بحجة العمل وغير ذلك ولم يقف الأمر عند هذا الحد. بل وصل إلى مستنقع الرذائل والفواحش.

٥. اختلال النظام الاقتصادي العالمي : وذلك بسبب هيمنة نظام الربا على جميع الحياة الاقتصادية والذي يترتب عليه الحرب من الله تعالى، ومن توابع الاختلال الاقتصادي في العالم زيادة تضخم المال في أيدي فئة يتناقص عددها باستمرار وتزايد الفقر في فئة يتزايد عددها باستمرار، وكفى بذلك إثماً تذوق منه البشرية الوبال، وبالجملة لقد فسدت الحياة البشرية من جميع جوانبها.[٨]

ولقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ : " لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر أو ذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ، وفي رواية "حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه ".

وفي رواية أخرى قال ﷺ : " حتى إن كان فيهم من أتى أمه يكون فيكــــم فــلا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟ [٩]

وقال ﷺ " لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبــث النــاس بالتي تليها فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة " [١٠]

ولقد حدث كثير مما أخبر به النبي ﷺ وما زلنا ننتظر الآخر.

وأخيرا:

إنه مما يجب أن يعلم أن علاج الأمة في فترة انتكاستها لا يكون بالتسول على موائـــد الغرب لاستجلاب النظم والدساتير والأفكار ... إلى آخره.

إن العلم والتكنولوجيا يجوز أن تستجلب، ولكن مع الاحتراز من الروح اللادينية التـــي يقدم بها العلم في الغرب والتي تمارس بها التكنولوجيا، أما الأفكار والنظم والدساتير فهي من أمور العقيدة وأمور الشريعة وهذه ليس لمؤمن أن يتلقى فيها من عند غير الله لقولـــه تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [١١]

هوامش الفصل الثالث : فترة الانحسار

١ـ سورة آل عمران /١١٠

٢ ـ ،، البقرة / ١٤٣

٣ـ ،، النور/ ٥٥

٤ ـ رواه أبو داود ج٤ / ٤٨٣ برقم ٤٢٩٧ ، والإمام احمد في المسند ج٥ / ٢٧٨ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ج٦ / ٣٦٤ برقم ٨٠٣٥

٥ ـ كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب ص ١٧٦ ـ ١٧٨بتصرف،دار الوطن للنشر ،الرياض،ط.1995م.

٦ ـ المصدر السابق ص ١٨٣ بتصرف

٧ ـ المصدر السابق ص ١٨٤ بتصرف ، كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/ محمد محمد حسين ج٢ /الفصل الثالث : المعركة بين الجديد والقديم ـ الفصل الرابع : دعوات هدامة ، فلقد أفاد وأجاد في هذين الفصلين في بيان أساليب الفكر العصري المعاصر ، ولولا ضرورة الاختصار في هذا البحث لنقلت جملة كبيرة من أقواله، فليراجع هذا الكتاب العظيم فإنه من أفضل ما أولف في هذا الباب،مؤسسة الرسالة،عمان،ط.1984م.

٨ ـ يراجع ما كتبه العلامة / أبو الحسن الندوي في كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين فإنه أيضا من أفضل ما أولف في هذا الباب مع اختصاره،دار الكتاب العربي،بيروت،ط.1984م.

٩ ـ صحيح الجامع للألباني ج٥ برقم ٤٩٣٩ ، ٤٩٤٣؛

١٠ ـ المصدر السابق ج٥ رقم ٤٩٥١

١١ـ سورة المائدة / ٥٠

الباب الثاني

واقع الأقليات المسلمة في العالم

ويشتمل على ثلاثة فصول بعد التمهيد العام :

الفصل الأول : التعريف بالأقلية وكيفية توزعها .

الفصل الثاني : أوضاع الأقليات المسلمة في العالم .

الفصل الثالث : الدعوة بين الأقليات المسلمة .

الباب الثاني :

واقع الأقليات الإسلامية في العالم

التمهيد العام:

إن اصطلاح العالم الإسلامي والذي بناء عليه عرفت الأقلية الإسلامية اصطلاح حديث لا يعود إلى أكثر من قرن، وذلك عندما انتهت السيطرة الصليبية الأوروبية على الأمصار الإسلامية، تلك السيطرة التي شملت معظم تلك الأمصار ولم يبقى خارجاً منها عن السيطرة الصليبية سوى بعض الأجزاء التي كانت ولايات تتبع الدولة العثمانية، أو فقيرة لم تطمع جشع النصارى فيها كأفغانستان ووسط جزيرة العرب، فبعد أن حقق النصارى الأوروبيون مآربهم نتيجة تفوقهم العسكري، اتجهوا إلى دراسة المجتمع الإسلامي ليصلوا إلى بعض النقاط التي يمكنهم منها أن يتعرفوا على جوانب الضعف بين المسلمين وإمكانية التأثير عليهم مادياً وفكرياً ويحلوا أفكاراً محل الأفكار الإسلامية ويتمكنوا بعدها من ربطهم بأوروبا وتسييرهم في فلكها، وإبعادهم في الوقت نفسه عن عقيدتهم التي هي سبب عزهم ومجدهم ما إن تمسكوا بها، وقد وجدوا في أثناء هذه الدراسة أن المسلمين يلتقي بعضهم مع بعض برابط قوي يشد أزرهم ويجمع بعضهم إلى بعض بوشائج متينة وأواصر قوية وإن بدا بعض التباين في بيئاتهم أو الفروق في مستوياتهم أو الاختلاف في درجة أخذهم من أفكار النصرانية الأوروبية.

وهذا الشمول في الفكر والارتباط جعلهم يطلقون عليهم " اسم العالم الإسلامي "

وإن كان هذا المصطلح يضم الأقليات المسلمة التي تعيش خارج حدود الأمصار الإسلامية على اعتبار الالتقاء في العقيدة، إلا أن المستعمر أراد إنهاء القول بعالمية الإسلام.

وقامت الصحوة الإسلامية الحديثة وبدأ اهتمام المسلمين بأوضاع إخوانهم ودراسة بلدانهم فاستعملوا اصطلاح العالم الإسلامي وقد وجدوه مطروحاً في الكتب الأجنبية، إلا أنه استعمل بحيث يضم الأمصار الإسلامية فقط، وهي الدول التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠ % ، أما الدول التي تقل فيها النسبة عن ٥٠% قد عدت من الأقليات

وتختلف لا شك هذه النسبة بين دولة وأخرى وقد تكون مرتفعة فتقترب من ٥٠% وقد تقل جداً حتى تصل إلى ١%.

وأما إذا رجعنا إلى التاريخ فإنه في عصر صدر الإسلام كان العالم ينقسم إلى قسمين :

الأول : هو دار الإسلام : وهي البلاد الذي يطبق فيها نظام الإسلام بغض النظر عن نسبة المسلمين فيها.

الثاني : دار الكفر : وهي البلاد التي لا تأخذ بنظام الإسلام بغض النظر أيضاً عن نسبة المسلمين فيها ويدعى أهلها إلى الإسلام فإن أبوا فالجزية أو القتال.

واستمر هذا النظام قائماً ومعروفاً عند المسلمين حتى ابتعدوا عن عقيدتهم فضعف أمرهم وسلط الله عليهم أعدائهم فدخلوا أرضهم بعد أن وهن عزمهم، ولم يعد على وجه الأرض من يطبق النظام الإسلامي كاملا كما أراد الله تعالى.

وبالتالي : زال هذا التعريف لدار الإسلام ودار الكفر، فالتعريف على النظام غير قائم لأنه لا يوجد نظام مطبق، وبالتالي صار التعريف على أساس الانتماء.

وأصبحنا نرى أن البلدان التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠% نعدها أمصاراً إسلامية وهي التي تشكل العالم الإسلامي، ولكنا نكون في الوقت نفسه قد استبعدنا أيضاً الأقليات المسلمة من هذا العالم على الرغم من أنها جزء منه.

ومع هذه الهزيمة فقد أصبنا بهزيمة أخرى وهي أن المسلمين لم يكتبوا عن العالم الإسلامي، أو لم يكتب عنه بروح إيمانية أو أن الذين تصدوا للكتابة من الذين لا يحملون الفكر الإسلامي، وإنما كتبوا للتجارة نتيجة الإقبال على الكتب الإسلامية والذي حدث نتيجة الصحوة الإسلامية الحديثة، أو طلب منهم ذلك في مؤتمرات أو مقررات مناهج أجنبية، ولذا جاءت هذه المؤلفات باهتة تنطق عن أوضاع المسلمين البيئية ولا تريد أن تخرج عنها أبداً، فقد جمعت بين دفتيها موضوعات جغرافية عن الدول التي أطلقوا عليها إسلامية وأهملوا كثيراً من البلاد الإسلامية، وعلى سبيل المثال أن بلاد الشراكسة لا تزال عندهم وثنية وقد دخلت في الإسلام قبل أكثر من قرنين، وليس هذا بعجيب لأن الحرب على الإسلام الآن في شتى المجالات العسكرية والسياسية والفكرية والمعنوية.

الفصل الأول

التعريف بالأقلية وكيفية توزعها ومراحل تطورها

ويشتمل على مبحثين بعد التمهيد :

المبحث الأول : التعريف بالأقلية وكيفية توزعها .

المبحث الثاني : مراحـــل تطـــور الأقليـــة .

الفصل الأول :

التعريف بالأقلية وكيفية توزعها ومراحل تطورها

التمهيد العام :

المدقق في أوضاع العالم في القرن الخامس العاشر الهجري والعشرين الميلادي يتبين له أن الدول والشعوب تتمحور بصورة عامة حول ما يسمى بالعم الحر وغالبيته نصارى، وبالمنظومة الشيوعية والاشتراكية وفيها خليط من أديان وأجناس ومجموعات ضخمة بوذية ووثنية، وبالديانة اليهودية، وبين هذه المحاور ينتصب المحور الإسلامي محاولاً أن يستجمع قواه ليكون شاهداً على الناس، بينما يعاني المسلمون من تآمر المحاور الأخرى عليهم بصورة أو بأخرى.

و بهذا تتعدد ألوان الحصار على المسلمين في محاولات دائمة لطمس الوجود الإسلامي وقلعه من العالم كله، وإن اختلفت وسائل الحرب وكيفيتها من مكان إلى آخر بحسب طبيعة الصراع وحسب التواجد الإسلامي وقوته من مكان إلى آخر.

وقبلما ندرس حالة الأقليات الإسلامية في العالم والتي تتشابه إلى درجة كبيرة في طبيعة التحديات التي تواجهها، يجب توضيح مفهوم الأقليات الإسلامية وكيفية توزعها ومراحل تطورها.

المبحث الأول :

التعريف بالأقلية وكيفية توزعها

لقد تقدم معنا بيان أن اصطلاح العالم الإسلامي اصطلاح محدث وأجنبي عنا، حيث كان الاصطلاح الشرعي هو دار الإسلام ودار الكفر، وليس هذا من الناحية الجغرافية بل من الناحية الشرعية وتطبيق الإسلام فيها، وهذا هو أضبط فارق بين دار الإسلام ودار الكفر .

ولما ترك المسلمون دينهم اختفى هذا الفارق من الناحية العملية، وبالتالي اختلفوا في تعريف العالم الإسلامي وفي تعريف الأقلية الإسلامية.

فهل نعني بالأقلية ــ الأقلية العددية ؟

بمعنى أن يكون المسلمون في مجتمع أكثري يدين بعقيدة أخرى ؟

غير أن هذا التعريف يعترض عليه بوجود الأكثريات الإسلامية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي " سابقاً " ، وألبانيا ، والتركستان الشرقية في الصين، وفي الحبشة ..الخ

فالمسلمون في تلك البقاع أكثرية غير أنهم بفعل الاتحاد القسري أو بفعل سيطرة الحزب أو الجيش على زمام الأمور تحولت أكثرياتهم إلى أقليات بالنسبة للمجموع العام أو حولت القوة العسكرية أو الحزبية الأكثرية العددية إلى ركام من أرقام.

والراجح هو : أن كل مجموعة من المسلمين مغلوبة على أمرها هي أقلية وإن كانت تشكل في بعض المناطق أكثرية عددية، وعلى هذا الأساس يمكن دراسة الأكثريات الإسلامية في مناطق تواجدهم في الجمهوريات السوفيتية مثلاً على أنها أقليات قياساً إلى مجموع السكان من جهة وعلى غلبة القوة من جهة أخرى، وكذلك يمكن دراسة قضية فطامي في تايلاند، وسكان مورو في جنوب الفلبين، ومسلمي الحبشة وأرتيريا، وألبانيا، ولبنان وفلسطين على هذا الأساس.

ومع أن هذا المفهوم هو الأوضح وهو الذي يتفق مع تعريف دار الإسلام ودار الحرب إلا أن التعريف على الأساس العددي هو السائد، لأن المسلمين مستضعفون في الأرض كلها الآن إلا من رحم الله.

توزع الأقليات :

يقول الأستاذ / محمود شاكر : من الصعب جداً إعطاء أرقام دقيقة عن عدد الأقليات المسلمة، سواء أكان ذلك في العالم كله أم في قارة معينة أم في رقعة محددة لأن أكثر الإحصاءات إنما تعتمد في كثير من الجهات على التقدير، وخاصة في كثير من البلدان التي يعيشون فيها بحجة عدم إثارة القضايا الطائفية، أو لأن أكثرية السكان من المسلمين على حين أن حكامهم من غير المسلمين، لذا يخشون كشف الحقيقة حرصاً على مناصبهم وهو ما يسمونه إثارة القضايا الطائفية، ولا شك أن إرساليات التنصير والحكومات النصرانية لها دورها الكبير في هذا الشأن.

يضاف إلى ذلك، أن كثيراً من المسلمين يخافون تسجيل عقيدتهم في سجل الإحصاءات خوفاً مما قد يلحقهم من ظلم وخاصة من البلدان التي تتحكم فيها الشيوعية أو يسود فيها الاستبداد، وكما هو معلوم أن الحيف يلحق بالمسلمين في معظم جهات العالم، والحرب إنما توجه ضدهم في كل مكان، فليست البلدان الشيوعية وحدها هي التي تحارب الإسلام وإنما هي التي تعلن ذلك وتصرح به على حين يخفي غيرها ذلك، ويتخذ وسائل متنوعة لتلك الحرب تصل إلى الإبادة أحياناً، لذا ليس غريباً أن لا يظهر بعض المسلمين عقيدته وربما كان أحياناً وراء تحقيق بعض المنافع يحصلون عليها من الإرساليات التنصيرية أم من المنظمات الشيوعية.

ولعل أكثر ما تقع الأخطاء إنما في أفريقيا لعدم توفر إحصاءات دقيقة ولقيام عدد من الحكومات النصرانية تتحكم بالأكثرية المسلمة، ولدور الإرساليات التنصيرية الكبير.

ويقع التباين أحياناً في التقديرات للخلافات التي تقع في تحديد مفهوم الدولة الإسلامية، وفي تحديد هذه الدول، الذين يعدون بعض الدول الإسلامية يسقطون المسلمين فيها من الحساب فيقل عدد الأقليات، والذين يعدونها غير مسلمة يحسبون من فيها من المسلمين ضمن الأقليات فيزيد عددها، وإذا كنا نعد الدول إسلامية تلك التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠% ، غير أننا نقع في خطأ الإحصاءات أو تعمد الخطأ الذي تقوم به دول معينة وتعمل جاهدة لإنقاص عدد المسلمين فيها، حرصاً على مصالحها وتعصباً لدينها أو لصليبيتها مثل الحبشة، وسيراليون، وساحل العاج، والتوغو ، وبنين ، وأفريقيا الوسطى،

والكاميرون ، وتانزانيا، ونحن نتبنى إحصاءات المسلمين وتقديراتهم بعد مقارنتها ودراستها دراسة موضوعية مع إحصاءات دولهم ومحاولة الخروج بنتائج صحيحة.

يعيش خارج حدود العالم الإسلامي أقليات من المسلمين يصل عددهم إلى ما يقرب من / ٢٦٨ / مليون مسلم ، فهم يشكلون ٢٤% من عدد سكان العالم الإسلامي، ومع ذلك فهم أقليات يتوزعون في عدد كبير من الدول، منهم ٩٨% يعيشون على هامش العالم الإسلامي في البر القديم أي في القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، ويتوزعون بصورة غير متساوية ، إذ يقيم معظمهم في آسيا ويزيد عدهم هناك على ٢١٦مليونا ، ويشكلون أكثر من ٨٠.٣٦% على الرغم من أنه لا توجد نسب عالية من المسلمين في البلدان التي يعيشون فيها كأقليات، وفي الوقت نفسه لا يزيد عدد تلك البلدان على العشرين دولة، إلا أن تلك الدول ذات أعداد كثيرة من السكان الأمر الذي يجعل عدد المسلمين كبيرا، وخاصة إذا علمنا أن ما يقرب من ٩٠% من هذه الأقليات يتجمع في دولتين كبيرتين هما الصين والهند، إذ يقدر عدد المسلمين في الأولى بمائة مليون، وتبلغ نسبتهم ١٠%، ويعيش في الثانية أقل من هذا العدد بقليل ويقدرون بـ ٩٤مليونا .

أما في أفريقيا فيقطن / ٣٠,٥/ مليونا من المسلمين خارج حدود العالم الإسلامي، ويشكلون ما يقرب من ١١,٤٤% من الأقليات التي تعيش على مقربة من الحدود الإسلامية، على الرغم من أن النسب ترتفع في عدد من الدول إلى أكثر من ٣٠% كما هي الحال في كينيا، وأوغندا ، ومالاوي، والغابون ، وغينيا الاستوائية ، وغانا ، وليبيريا كما يوجد عدد من الدول تزيد نسبة المسلمين فيها على ٢٥% مثل ملاغاشي ، وموزمبيق وبروندي ، ...

ومع هذا فعدد المسلمين قليل ، وذلك لأن عدد سكان تلك الدول إنما هو بالأصل قليل، ومجموع سكان أفريقيا لا يزيد كثيرا على ثلث عدد سكان الصين، هذا مع العلم أن عدد الدول الأفريقية التي فيها أقليات مسلمة كبير ويزيد على ٣١ وحدة سياسية، وأن قارة أفريقيا ذات نسبة مسلمة كبيرة تصل إلى ٦٠% على حين أن نسبة المسلمين في قارة آسيا لاتصل إلى نصف هذه النسبة.

أما قارة أوروبا فليس فيها سوى ١٦,٤٤٠,٠٠٠مسلم من أبنائها يعيشـــون كأقليـــات، وتساوي نسبتهم ٦,٢% بالنسبة إلى مجموع الأقليات المسلمة، وأن ٤٣% منهم يقيم فـــي يوغسلافيا وبلغاريا، حيث يقيم في الأولى أربعة ملايين ونصف، وتبلغ نسبتهم بالنسبة إلى سكان البلاد ٢٠,٤% ، ويقيم في الثانية ما يقارب المليونين والنصـــف، وتبلـــغ نســـبتهم ٢١% بالنسبة إلى السكان، أما بقية بلدان أوروبا فإن نسبة المسلمين فيها ضعيفة باستثناء مالطا التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ١١% ولكنهم لا يزيدون على الأربعين ألفاً لأن سكان مالطا كلهم إنما هو ٣٥٠ ألفاً فقط.

ومن المعلوم أن عدداً كبيراً من المسلمين في أوروبا قد أبيد بسبب الحقد الصليبي كما هي الحال في الأندلس وصقلية وكريت، وأن عدداً منهم قد هُجّر كما هي الحال في شرق أوروبا كما نالتهم الإبادة في ذلك الجزء من القارة، ويجب ألا ننسى الأعداد الكبيرة مـــن المسلمين التي وفدت أوروبا في الأيام المعاصرة لأسباب كثيرة وتبلغ عدة ملايين.

أما الأقليات المسلمة التي تعيش بعيدة عن العالم الإسلامي والتي تبلـــغ نســـبتها ٢% بالنسبة إلى مجموع الأقليات المسلمة في العالم فهي تعيش في قارتي أمريكا وأوقيا نوسيا ويصل عددها إلى أقل من خمسة ملايين، ويتجمـــع معظمـــها فـــي الولايـــات المتحـــدة الأمريكية، إذ يبلغ عدد المسلمين فيها حوالي ثلاثة ملايين ويشكلون ٦٠%مـــن مجمـــوع المسلمين الذين يعيشون في العالم الجديد، والباقي يقطنون باقي دول أمريكا وأوقيا نوسيا وبذا يكون توزع المسلمين حسب القارات على النحو التالي :

آسيا	٢١٦,٠٠٠,٠٠٠ بنسبة ٨٠,٣٦%	من مجموع الأقليات
إفريقية	٣٠,٥٠٠,٠٠٠ بنسبة ١١,٤٤%	من مجموع الأقليات
أوربا	١٦,٤٤٠,٠٠٠ بنسبة ٦,٢٠%	من مجموع الأقليات
العالم الجديد	٥,٠٠٠,٠٠٠ بنسبة ٢,٠٠%	من مجموع الأقليات
	٢٦٧,٩٤٠,٠٠٠ ١٠٠,٠٠	

وعند المقارنة بين ما ورد في هذه الاحصائية عند الأستاذ / محمود شاكر وبيـــن مـــا ورد في موسوعة الأقليات المسلمة في العالم نجد تفاوتاً كبيراً في التقدير وهذا يرجع إلى

الاختلاف في تحديد مفهوم الدولة الإسلامية، فإذا زادت عدد الدول الإسلامية قلت نسبة الأقليات والعكس. وإليك بيان ما ورد في موسوعة الأقليات المسلمة في العالم

القارة	عدد المسلمين في الدول الإسلامية بالمليون	الأقليات المسلمة بالمليون	المجموع
آسيا ــ	٤٧٠	٢٨٢	٧٥٢
أفريقيا ــ	٢٢٣	٧٠	٢٩٣
أوروبا -	٢	١٥	١٧
الأمريكتان ــ	ــ	٤	٤
استراليا ــ	ــ	,٣	,٣
	٦٩٥	٣٧١,٣	١٠٦٦,٣
	٦٥ %	%٣٥	%١٠٠

[١]

ويضيف الأستاذ محمود شاكر قوله : "وبالنظر على مصور توزع الأقليات المسلمة يتبين لنا أن أكثر هذه الأقليات إنما يعيش على هامش العالم الإسلامي، بسبب تأثير المسلمين على من جاورهم، وبسبب الدعوة، إضافة إلى أن تخطيط الحدود السياسية قد فصل أحياناً بين المسلمين فترك قسماً منهم بعيداً عن البلدان التي أكثر سكانها من المسلمين في سبيل إضعافهم، أو لهدف سياسي آخر كما هي الحال عند تجزئة شبه القارة الهندية إلى عدد من الدول منها باكستان التي أغلبية سكانها من المسلمين، والهند التي بقيت فيها أقلية مسلمة يزيد عدد أبنائها اليوم على التسعين مليوناً، على الرغم من أن التقسيم كان على أساس ديني، في حين أن التقسيم في غير هذه الحالة لا ينظر إلى الناحية الدينية إلا إذا كان المسلمون طرفاً في الموضوع وهذا غالباً ما يكون، ويمكن أن نأخذ

مثالاً آخر من شبه جزيرة الملايو وهو منطقة فطامي التي بقيت بعيداً عن ماليزيا ووضعت تحت سيطرة التايلانديين.

وكلما ابتعدنا عن حدود العالم الإسلامي قلت نسبة المسلمين باستثناء الطرق التجارية سواء أكانت برية أم بحرية، وإن كانت البحرية هي الظاهرة لأن الطرق البرية كانت ضمن بلاد المسلمين. لقد انتشر الإسلام نتيجة انطلاق الدعاة الذين كانوا يتخذون من التجارة وسيلة، ونجد طريقين رئيسيين انتشر منهما الإسلام على نطاق واسع وهما :

أ. **شرقي افريقيا** : حيث نجد نسبة المسلمين مرتفعة في المناطق الساحلية وتقل كلما توغلنا نحو الداخل، وهي ١٠٠ % في الصومال و٧٠ % على طول الساحل الكيني، وأكثر من ذلك في تنزانيا إذ كانت مركزاً لإمارة لإسلامية تأسست في القرن الرابع الهجري، وعرفت باسم مملكة الزنج، وهي أيضا ١٠٠% في جزيرة زنجبار، و١٠٠% في جزر القمر، و٥٠ %على الساحل الموزمبيقي، وأكثر من ذلك على سواحل ملاغاشي الشمالية، وتختلف في الجزر المتناثرة في جزر المحيط الهندي، ومن المعلوم أن المسلمين قد وصلوا في رحلاتهم البحرية في شرقي أفريقيا إلى جنوبي موزمبيق، وكان آخر مرفأ لهم مدينة " سفالة " في موزمبيق وتقع على خط عرض ٢٠ درجة جنوباً.

ب. **طريق جنوب شرقي آسيا** : وقد عمّ الإسلام في أندونيسيا وماليزيا وجنوبي الفلبين بل في كل تلك الجزر، ونلاحظ أن السواحل التي تقع على الطرق التجارية قد أصبحت فيها نسبة المسلمين أكثر من التي لا تمر منها السفن، إذ انتشر الإسلام على سواحل الهند الغربية أكثر من الشرقية لكثرة السفن الإسلامية التي تفد إليها وتعود، أو تتخذ عليها قواعد في انتقالها نحو الشرق، وكذا في جنوبي السواحل الشرقية كان نسبة المسلمين فيها أكثر من الشمالية منها والمقعرة، حيث تضطر السفن إلى الرسو في المناطق الجنوبية عندما تجتاز الممر الذي يفصل بين شبه القارة الهندية وجزيرة سيلان، وتسير بعدها ميمّمة شطر سومطرة والملايو دون مسايرة السواحل، أما ارتفاع المسلمين في البنغال فإنما يعود إلى الفتح الذي جاء عن طريق الهند وبلاد السند، وليس عن طريق التجارة البحرية والدعوة كما سبق أن ذكرنا، وعن طريق سومطرة انتشر الإسلام في بقية الجزر الأندونيسية وبلاد الفلبين. وكانت بعض السفن تتخذ من غربي شبه جزيرة الملايو قاعدة

لها أو يكون آخر طريق لها، إذ تنتقل البضائع بعد ذلك براً عبر برزخ الملايو الضيق، ثم تعود إلى البحر ثانية نحو بلاد الهند الصينية والصين، الأمر الذي جعل نسبة المسلمين مرتفعة في منطقة فطاني عند مرور البضائع منها أو النزول إليها والإقلاع منها، وعند سير السفن على طول سواحل قارة آسيا الشرقية نجد المسلمين يتكاثرون في المحطات التي تتوقف عندها السفن وتظهر في المناطق الممتدة في البحر أكثر من غيرها، الأمر الذي يجعل منها بالضرورة محطات للسفن التي لم تكن لتبتعد كثيراً عن الشواطئ ، أي ترتفع نسبة المسلمين على السواحل المحدبة وتضعف على السواحل المقعرة التي تشكل خلجاناً، لهذا نلاحظ قلة نسبة المسلمين على سواحل خليج" سيام "المتقعر على حين ترتفع النسبة في وسط سواحل فيتنام حيث قامت هناك إمارة " شامبا " الإسلامية، واستمرت مدة من الزمن وحتى بداية القرن الماضي، ثم تعود النسبة إلى الانخفاض بل إلى شبه الانعدام على سواحل خليج " طونكين " ثم تبرز قاعدة " كانتون " وعدداً من المدن الأخرى منها " هانغ تشو" التي أطلق عليها المسلمون اسم " خانسو "، ولكثرة سكان الصين تعددت المراكز على سواحل تلك البلاد الأمر الذي جعل نسبة المسلمين ترتفع على طول شواطئ الصين الشرقية بينما تنخفض النسبة وسط البلاد بسبب البعد عن ديار المسلمين، ولم يصل المسلمون شمالاً إلى أكثر من شبه جزيرة " شانتونغ " لذا فإن نسبة المسلمين تقل كثيراً شمال سواحل الصين حتى تكاد تنعدم، هذا ما نلاحظه في كوريا وجزر اليابان وسواحل سيبيريا الشرقية.

وقد نلاحظ مناطق تكاد تكون خالية من المسلمين بجانب حدود العالم الإسلامي مثل " التبت " التي لم يدخل إليها المسلمون لارتفاعها وكثرة البرد فيها والجفاف، إضافة إلى قلة السكان، والمسلمون يريدون دعوة الناس ولا يفكرون في التراب واحتلال الأرض، كما نلاحظ منطقة البنجاب الشرقية التي غادرها أهلها من المسلمين بعد تقسيم القارة الهندية إلى الهند وباكستان، حيث تعرض المسلمون هناك لأشد أنواع الاضطهاد فغادرها أهلها فارين بدينهم، وإن لم ينج الكثير منهم من الموت عند الحدود حيث كان لهم الهنادك بالمرصاد، يدفعهم الحقد والتعصب، ونلاحظ انقطاعاً في انتشار الإسلام شمال أفريقيا، وذلك بسبب الإبادة التي لحقت بالمسلمين في الأندلس وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط، وكان آخرها جزيرة " كريت " التي كان فيها يوم خرج

العثمانيون منها عام ١٣١٦ هـ من المسلمين ما يقدر بـ " تسعة وثمانين ألفاً "، ثم أجبر قسم منهم على الهجرة من أرضهم، واختفى قسم كبير آخر في ظل الحكم اليوناني الذي تسلمها بعد أن دولت، وبقي من المسلمين في الجزيرة عام ١٣٢٧هـ ثلاثة وثلاثون ألفاً أي زال ثلثا عدد المسلمين في مدة لا تزيد على أحد عشر عاماً ثم استمر العدد في النقصان نتيجة الإبادة والتهجير حتى تكاد تخلو اليوم من أي مسلم، وكذا خضع جنوب شرقي أوروبا كله للإبادة والتهجير والإجبار على الردة والتنصير حتى انخفضت نسبة المسلمين كثيراً بعد أن كانت أكبر مما هي عليه الآن بكثير، على الرغم من أن زيادة تكاثر المسلمين تفوق غيرهم بكثير ولا يزال الأمر على أشده الآن وخاصة في بلغاريا.[٢]

المبحث الثاني

تطور وضع الأقليات المسلمة

مما يجب أن يذكر أن الأقلية الإسلامية إذا كان أفرادها مستمسكين بالإسلام عقيدة ودعوة وسلوكاً تحولت الأقلية إلى أكثرية، وعلى العكس قد تتحول الأكثرية إلى أقلية حينما تخلد إلى الأرض وتترك الجهاد في سبيل الله تعالى، كما حدث ذلك قديماً في الأندلس السليب الذين أصبحوا ذكرى ولمسلمي الحاضر عبرة.

وهناك أصول مختلفة يرجع إليها تكوين الأقليات الإسلامية، فقد تتكون الأقلية عن طريق اعتناق الإسلام، وقد تتكون عن طريق الهجرة الإسلامية إلى أراضي غير إسلامية، وقد تتكون عن طريق احتلال أرض إسلامية من دولة غير إسلامية وإدماجها فيها ... وغير ذلك من أحوال ومراحل نلقي عليها الضوء في هذا المبحث.

تطور وضع الأقليات المسلمة :

يمكن ملاحظة عدة مراحل للأقليات المسلمة وتوزعها في العالم.

المرحلة الأولى : وهي التي سبقت القرن العاشر الهجري، ولا نستطيع أن نقول : إن هناك أقليات مسلمة، وإنما كان التجار الذين ينتقلون من ديار الإسلام ويصلون إلى مناطق بعيدة خارج حدود بلاد الإسلام وخاصة إلى جنوب شرقي آسيا، وشرقي إفريقية كما تقدم معنا،وتحدوهم الدعوة إضافة إلى التجارة وقد يستقر لذلك بعضهم هناك من أجل الدعوة إن وجد ثمرة في دعوة أو أنه يبشر بخير، وربما كان لرواج تجارته أثر في استقراره، وربما كانت لبعض الأحداث السياسية أثر في البقاء أو في الهجرة من الأساس، وعلى كل حال فإن المسلم كان في أماكن استقراره الجديدة يتمتع بميزات حسنة تفوق ما يتمتع به أهل البلاد الأصليون وذلك لأسباب كثيرة منها:

١ـ السلوك الإسلامي الذي يتصرف به التاجر المسلم أو الداعية.

٢ ـ التفوق الحضاري لدى المسلمين.

٣ـ الثراء المادي نتيجة رواج تجارة المسلمين لحسن معاملتهم.

٤ ــ الدعم الذي يتوقعه سكان البلد الأصليون والذي كان قائما فعـــلا، إذ أن الدولـــة الإسلامية كانت ذات مكانة مرموقة في العالم كله، وتدعم المسلمين أينما وجدوا وترعاهم، وتطالب الدولة التي يقيمون على أرضها بحسن معاملتهم فهم سفراؤها ومن رعاياها.

ويجب ان نلاحظ نقطة مهمة في هذا الشان: وهي أن الدولة الإسلامية تدعم الدعاة والتجـــار المسلمين أياً كانت البلد التي انطلقوا منها سواء كانوا من رعاياها أم مـــن رعايـــا دولـــة أخرى، وذلك عندما تعددت الدول الإسلامية، وسواء أكانوا من أنصارها أم من خصومها السياسيين تنظر إليهم على أنهم مسلمون وهي دولة إسلامية، ولم تكن النظرة القائمة اليوم والتي لا تقوم على مفهوم صحيح بل على مفهوم خاطئ وهو أنه لا علاقـــة لـــهم إلا إذا كانوا من رعاياها ومن أنصارها وأعوانها، إذ المفهوم اليوم يقوم على العصبيـــة وعلـــى المصالح الشخصية وليس على أساس إسلامي، ومن هذا المنطلق ومن هذا الوضوح فـــي الرؤية استطاع التجار والدعاة نشر الإسلام، ولم تلبث المناطق التي نمت فيها مجموعـــة إسلامية كأقلية أن غدت بلاداً إسلامية وربما بقي تجـــار ودعـــاة علـــى شكـــل أفـــراد ومجموعات صغيرة في مناطق ثانية لكن لهم مركزهم الممتاز ولهم وضعـــهم الحســـن، فالمسلمون جميعاً من ورائهم.

المرحلة الثانية: وتمتد من القرن العاشر حتى نهاية القرن الثالث عشر، وفيـــها جـــاء الاستعمار وتفوق النصارى الصليبيون على المسلمين واحتلوا أكثر بلدانهم وقسموها إلـــى أجزاء سواء أكانت أقساماً فيما بينهم أم أجزاء تتبع نوعاً واحداً من الاســـتعمار، ونتيجـــة هذه التجزئة فقد نشأت الأقاليم التي تعيش فيها أقليات مسلمة، وهي التي تقع عادة علـــى هامش العالم الإسلامي، إذ أن المستعمرين قد اقتطعوا أقاليم من أطراف العالم الإســـلامي وألحقوها بالبلدان المجاورة لها فنشأت لذلك أقليات مسلمة في تلك البلدان التـــي أنشـــأت حديثاً، وربما كانت أفريقيا أهم مجال لقيام هذا النوع من الأقليـــات إذ ضمـــت أطـــراف السافانا التي انتشر فيها الإسلام إلى المناطق الغابية الجنوبية التي لم يصل إليها الإســـلام بعد، وربما كان بعض هذا النوع في آسيا إذ ضم المستعمرون منطقة فطامي المسلمة بعد سلخها من شبه جزيرة الملايو إلى بلاد تايلاند البوذية، أو أن المستعمرين قد احتلوا بلاداً فأجلوا عنها قسماً من المسلمين حتى غدوا أقلية في مناطق وتركزوا في مناطق ثانية، كما هي حال المسلمين في الفلبين الذين كانوا يحكمون الجزر كلها، "ويقوم راجـــا ســـليمان"

بإدارة شؤون الإمارة هناك فلما جاء الأسبان بدؤوا بحروب ضد المسلمين فجلى أكثر المسلمين عن المناطق الشمالية وتركزوا في الجزر الجنوبية فبقيت، أقلية مسلمة في الشمال، وارتفعت نسبة المسلمين في الجنوب. ثم غدا المسلمون جميعا أقلية.

وفي هذه المرحلة كانت الأقليات المسلمة تعيش في عزلة عن مجتمعها وفي انقطاع عن إخوانها للضعف الذي أصابهم والغفلة التي أصابتهم بسبب الاستعمار الذي نزل بساحتهم وسياستهم التي أورثتهم الجهل.

المرحلة الثالثة : وتمتد من بداية القرن الثالث عشر حتى الربع الأخير من القرن الرابع عشر. وهي تتمة للمرحلة السابقة من حيث ضعف المسلمين وعزلة الأقليات المسلمة، غير أن الأقليات بدأت تزداد نتيجة انتقال أعداد كبيرة من المسلمين إلى بلدان أخرى خارج حدود العالم الإسلامي لأسباب كثيرة، وربما كان أهمها انتقال المسلمين في بلادهم المستعمرة إلى بلاد المستعمر بالذات، ولعل من هذه الأسباب في الانتقال:

١ـ العمل : سواء أكان الانتقال برأي المسلمين أنفسهم أو بالإجبار من قبل مستعمريهم لاستخدامهم في الأعمال الشاقة كمناجم الفحم أو للخدمة وخاصة من البلدان الكثيرة السكان مثل الهند وأندونيسيا ومصر وتركيا وبلاد المغرب نسبيا، أو للعمل في الجيش والمستعمرات النائية كالهنود والملايويين والأندونيسيين الذي عملوا في أفريقيا وفي إنجلترا نفسها وفي هولندا وسكان المغرب الذين عملوا في فرنسا.

٢ـ الهجرة : نتيجة الأوضاع السياسية في بلدانهم كهجرة بعض التتار من روسيا نتيجة الظلم الذي لحق بهم من قبل المستعمرين الروس، أو المجموعات القفقاسية " داغستان ــ شاشان ــ شركس " بعد استعمار الروس لبلادهم، أو البوشناق والكومان بسبب ضغط الصربيين النصارى بعد استيلائهم على أراضيهم بعد خروج العثمانيين منها، وربما نتيجة حركات داخلية وثورات كالأكراد الموزعين في عدة دول والمضطهدين في كثير من الأحيان، وقد تكون لأسباب محلية ونزاعات قبلية أو عائلية.

المرحلة الرابعة : وتمتد من الربع الأخير من القرن الرابع عشر حتى يومنا هذا، وتمتاز عن المرحلتين السابقتين بزيادة عدد الأقليات، ويمكن ملاحظة الأسباب التالية لكثرة الأقليات أو الجاليات الإسلامية :

١ ـ استقلت أكثر دول العالم الإسلامي وكان لها سفارات وقنصليات في الدول الثانية غير المسلمة فكان على موظفي السفارة الإقامة في تلك الدول، ولما كانوا في بيئة مختلفة عن بيئتهم ومجتمع يتمايز عن مجتمعهم فقد نشأت عندهم مشكلة تعليم أبنائهم واحتكاكهم المجتمع الجديد واختلاطهم بأفراده، وهذا ما أوجد التقاء المسلمين من موظفي تلك السفارات بعضهم مع بعض وظهور جالية سياسية إسلامية أو أقلية، ولا يقتصر هذا على العاصمة بل يتعدى ذلك إلى المدن الكبرى حيث توجد القنصليات.

٢ ـ اتجه كثير من الطلاب لتلقي العلم في تلك الدول نتيجة تطوره وتوسعه هناك على حين كانت البلدان الإسلامية متخلفة، فالطلاب إضافة إلى من يلحق بهم من ذويهم يشكلون مجموعة أخرى تضاف إلى المجموعة السياسية وأكثر ما تكون أكثر هذه التجمعات في المدن التي توجد فيها جامعات.

٣ ـ ازداد اتجاه العمال المسلمين إلى تلك الدول للعمل وقد مرت ضائقات اقتصادية في عدد من البلدان الإسلامية دعتهم للارتحال .

٤ ـ حدثت أحداث في العالم الإسلامي ألجأت أعداداً من أبنائه للتوجه إلى الدول غير المسلمة للإقامة فيها، ومن هذه الأحداث الانقلابات العسكرية والحركات السياسية وأعمال الاستبداد والخلافات بين المنظمات، وربما كان حظ بلدان العالم الإسلامي من هذه الأحداث كبيراً يفوق بقية بلدان العالم الأخرى.

ومن التقاء هذه المجموعات تكونت الجاليات الإسلامية أو الأقليات، ومن المعلوم أن الدول الصناعية المتطورة هي التي تحظى بأكبر عدد من الأقليات إذ هي التي تحتاج إلى عدد كبير من العمال ويفدها الكثير من الطلاب، وهي التي يلجأ إليها عدد من المشردين أملا في وجود حماية أو وجود عمل مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ثم بلجيكا وبقية دول أوروبا الغربية، ويجب ألا ننسى الدول الجديدة ذات الإمكانات الكبيرة في الاستيعاب وتوفر العمل مثل الولايات المتحدة الأمريكية في أول أمرها وكندا والأرجنتين والبرازيل واستراليا، وهذا شأن العالم الجديد عامة. [٣]

١ــ موسوعة الأقليات المسلمة في العالم الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي مجلد ١ /٤٠٦

٢ ــ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ج٢٢ / ٩ــ ١٧، موسوعة الأقليات المسلمة في العالم مجلد ١ / ٤٠٣ ، الأقليات الإسلامية في العالم اليوم د/ على منتصر الكتاني ص ٥

٣ ــ التاريخ الإسلامي ج٢٢/ ١٨ ــ ٢١ ، الأقليات الإسلامية في العـــالم د/ محمـــد على ضناوي ص ١٣١ ، الأقليات الإسلامية في العالم اليوم د/ على المنتصـــر الكتـــاني ص ٧

الفصل الثاني

موجز عن أوضاع الأقليات المسلمة في العالم

وينقسم إلى ستة مباحث بعد التمهيد العام :

المبحث الأول : الأقليات المسلمة في قارة آسيا .
المبحث الثاني : المسلمون في الاتحاد السوفياتي .
المبحث الثالث : الأقليات المسلمة في قارة أفريقيا .
المبحث الرابع : الأقليات المسلمة في قارة اوروبا .
المبحث الخامس : الأقليات المسلمة في قارة أمريكا .
المبحث السادس : الأقليات المسلمة في قارة أوقيانوسيا .

الفصل الثاني

بيان موجز لأوضاع الأقليات المسلمة في العالم

التمهيد العام :

يوم أن كانت الحضارة الإسلامية في أوج عطائها كان أبناؤها يمارسون دور الشهادة ليكونوا شهداء على الناس فينطلقون إلى أرجاء المعمورة جيوشاً وتجاراً بخلفية صاحب الحق الملتزم به الراغب في إظلال الناس فيه، وهكذا انتشر الإسلامي في أقطاب المعمورة بعد معارك الجهاد الضارية وبفعل أخلاق الجنود والتزامهم بالإسلام وممارسة التجار المسلمين لمبادئ الإسلام ممارسة صحيحة، فإذا بالأقليات الإسلامية تتحول إلى أكثريات ويدخل الناس في دين الله أفواجا، ولقد حث الإسلام على الهجرة في سبيل الله تعالى، ولقد كانت الهجرة في عهد النبي ﷺ من مكة إلى المدينة وذلك حتى فتحت مكة فلا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وبقيت الهجرة في الإسلام متعددة المعاني منها الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وكذلك الهجرة من بلد يفتن فيها المرء عن دينه إلى بلد أخرى أقل محاربة وفتنة للمسلمين، قال تعالى: (إن الذين توافهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا غفورا) [١]

وكذلك من أنواع الهجرة.. الهجرة من أجل تبليغ دين الله عز وجل ولقد جعل الله سبحانه المسلمين شهداء على الناس جميعا قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[٢]

وبعدما استقرت الدولة الإسلامية قام الفقهاء بوضع الأساس الأول في القانون الدولي وقسموا العالم إلى دارين : دار الإسلام ودار الحرب،وجعلوا لكلٍ منها أحكاماً خاصة، لتنظيم العلاقة بين الأمة الإسلامية والأمم الأخرى.

المبحث الأول

الأقليات المسلمة في قارة آسيا

مقدمة :

تتجمع معظم الأقليات في آسيا في الجنوب الشرقي منها حيث يتكاثر السكان ولم ترتفع نسبة المسلمين كثيرا لأن الفتوحات الإسلامية لم تصل إلى تلك الجهات، كما أن بعض المناطق لم تكن على الطرق التجارية، لذا فقد تأخر انتشار الإسلام فيها في الوقت الذي يعدّ وقتا للتوسع الإسلامي إن لم نقل عن طريق الفتح فعن طريق الدعوة، إضافة إلى بعد البقاع مثل كوريا وجزر اليابان وفرموزا ولم تصل السفن الإسلامية إلى أبعد من شبه جزيرة " شانتونغ " والخليج المقابل للعاصمة الصينية بكين، إضافة إلى انعزال أجزاء في داخل القارة الواسعة مثل منغوليا وداخل الصين، واشتداد البرد في الأجزاء الشمالية، وامتداد الغابة المخروطية والصحاري الباردة، الأمر الذي يؤدي إلى قلة السكان وقلة المردود في الدعوة، وتوجد أقليات صغيرة في الشمال من حدود العالم الإسلامي ويعود ذلك إلى بعد سيبيريا ونأيها وقلة سكانها آنذاك، والمعوقات الطبيعية من المناخ والغابات مع العلم أن الفتوحات الإسلامية قد وصلت إلى بلاد ما وراء النهر في القرن الأول الهجري، ولكن لم تلبث أن توقفت إذ لم تكن الدعوة منظمة ليزداد الدخول في الإسلام والإقبال عليه، كما أن أعداد التجار الذين كانوا يفدون إلى تلك الجهات للاتجار بالفراء كان قليلا لم يف بالغرض المطلوب وكان تنقلهم في مواسم معينة في مطلع الصيف.

اما من جهة الغرب: فلا توجد أقليات لأن غري آسيا إنما هو وسط العالم الإسلامي، إلا قبرص فهي ذات أقلية مسلمة، لأن الحقد الصليبي قد ركز عمله على جزر البحر المتوسط حتى أزال منها الإسلام، وتعد جزيرة قبرص الجزء الباقي الذي لم ينته منه بعد ولم يستطع المد الصليبي أن يقضي عليه حتى الآن بسبب موقف المسلمين هناك، ودعم تركيا ولا يزال يقوم بدوره.

اما الجنوب الغربي من آسيا : فليس به من أقليات إذ أنه يقع في مركز العالم الإسلامي [٣]

والآن إلى إلقاء الضوء على البلدان التي بها أقليات إسلامية في آسيا.

١ـ الهند :

لمحة تاريخية :

عدد سكانها حوالي ٥٨٥ مليون نسمة، والمسلمون حوالي أكثر من ٩٤ مليون مسلم، ونسبتهم حوالي ١٤ %،وصل الإسلام إلى الهند عن طريق الفتح إذ دخل محمد بن القاسم الثقفي الجهات الشمالية الغربية عام ٩٤ هـ ، وتوقف بعدئذ الفتح ثم عاد أيام الغزنويين حيث فتح محمود الغزنوي " بومباي " وبعض تلك الجهات عامي ٣٩٢ ـ ٤١٥ هـ ، ووصل المسلمون أيام الغوريين إلى البنغال وقد فتحوا دهلي، وبهار، والبنغال عام ٥٩٧هـ.

وحكمت أسرة " تغلق " في" دهلي " الهند كلها عام ٧٣٩هـ، ثم جاء المغلّ وحكموا الهند كلها في القرن العاشر فانتشر الإسلام في الداخل أيام آل تغلق، ثم في عهد المغل.

وإذا كان الإسلام قد انتشر في الشمال نتيجة الفتح الذي كان طريقه من بحر العرب إلى البنغال فإن السواحل قد انتشر فيها الإسلام نتيجة التجارة والدعوة، وتعمق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعاة في مناطقها المختلفة، ولولا المستعمرون الذين دخلوا البلاد مغتصبين ووقفوا في وجه الإسلام وحاربوه بكل وسيلة امتلكوها لعم المناطق كلها، ولذا فإن المناطق الشمالية التي بين السند والبنغال والسواحل الغربية يجب أن تكون نسبة المسلمين فيها أكثر من المناطق الداخلية والسواحل الشرقية، لكن توزع المسلمون في الهند كلها عندما آل حكمها إليهم فقل الفرق بين النسب المتباينة، ولما جاء الاستعمار وخضع المسلمون للاضطهاد والتفرقة اضطروا إلى التجمع في مناطق محدودة حتى يكون بعضهم قريبا من بعض من أجل التعليم وإمكانية الحياة الاجتماعية والوقوف في وجه خصومهم الذين تمثلوا في الهنادك، والذين كان يحركهم المستعمرون للانتقام من المسلمين وكذا بعد الاستقلال إذ أصابهم الضغط الشديد بسبب عقيدتهم، إذ كيف يتفق المسلمون الذين يأكلون البقرة مع من يعبدها ويقدسها، ونتج عن ذلك مذابح دائمة للمسلمين وهذا ما جعل المسلمين يعيش بعضهم بجانب بعض، لهذا كله تجمع المسلمون مرة ثانية في مناطق محدودة في محاولة لمقاومة هذا التحدي السافر الذي يريد أن يستأصلهم من الوجود كله ويعاني المسلمون مشقة في حياتهم من الهنادك فلا تكاد تمر

سنة دون أن تصيبهم نكبة أو تحل بهم نازلة وغالباً ما تكون في المناطق التي ترتفع نسبة المسلمين فيها لأن الأقاليم التي لا يشكل فيها المسلمون سوى نسبة صغيرة يبقون مجبرين لإبراز الخضوع وإظهار الطاعة للهنادك، وأما المناطق ذات الأكثرية الإسلامية فإنهم يدافعون عن عقيدتهم في الغالب ولذلك تحدث المصادمات بينهم وبين الهنادك.

ولعل حقد الهنادك على المسلمين إنما يعود لسببين اثنين :

الأول : الديانة الهندوسية - البراهمية : والتي تقوم على عبادة البقرة، من ناحية أخرى تقوم على الطبقية حيث يقسم المجتمع إلى طبقات خمس " الكهنة ــ المحاربون ــ المزارعون الخدم ــ الشودرا "، وأما السلمون فيعدونهم دونهم وغرباء ودخلاء على هذا المجتمع.

الثاني : التسلط الإنجليزي الاستعماري : حيث وقف الإنجليز ضد المسلمين بجانب البراهميين بعد أن تمكنوا من السيطرة على البلاد وإخضاع الحكام من المسلمين، وأدت هذه السياسة الإنجليزية الماكرة الحاقدة إلى إضعاف المسلمين علمياً وسياسياً واقتصادياً على حين قوي أمر الهندوس، وذلك كله بدعم المستعمرين، وبسبب هذه السياسة قامت حركات من قبل المسلمين فقضي عليهم بمنتهى الوحشية عام ١٢٧٤ هـ ، ولما انتهت الثورة أعلنت إنجلترا انتهاء حكم شركة الهند الشرقية، وعدت البلاد من أملاك التاج البريطاني يتصرف بها كيف شاء، فصب المستعمرون جام غضبهم على المسلمين فصادروا أملاكهم وهدموا مساجدهم وشرد الناس.

ونتيجة تطرف اليهود ورد فعل المسلمين والخلاف العقيدي بين الطرفين كان لابد من الانقسام وهو ما تم في النهاية في ٢٨رمضان عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، وقامت دولتان في الهند، عرفت أولاهما باسم الهند وقد شملت المناطق التي أكثريتها من البراهميين، وعرفت الثانية باسم باكستان وشملت المناطق التي أكثريتها من المسلمين.

ومنذ ذلك الحين ومكائد الهند تلاحق باكستان المسلمة حتى استطاعت فصل بنجلاديش عن باكستان، واحتلت الهند قسماً كبيراً من كشمير الإسلامية والتي تعارض الانضمام إلى الهند، ولا تزال الهند ترفض إجراء استفتاء بين السكان لتقرير مصيرهم وفقاً لمقررات الأمم المتحدة، ولا يزال المسلمون في كشمير يجاهدون من أجل الاستقلال رغم كثير من القتل والاعتداء عليهم.

وكان من رعاية الله عز وجل للأمة الإسلامية أن جعل باكستان الإسلامية حصناً واقياً من انتشار الهندوس في المناطق الإسلامية الأخرى في آسيا، وعلى الرغم من امتلاك الهند لأسلحة الدمار الشامل وتتربص بباكستان الدوائر إلا أنه بفضل الله ورحمته تتمتع باكستان بقدرة عسكرية فائقة يشهد بها الجميع في الدوائر المحلية والعالمية، ونسأل الله تعالى أن يبارك فيها وأن يصرف عنها وعن المسلمين كيد الكائدين.

ورغم ما يحل بالمسلمين في الهند من نكبات، فإن عددهم يساعدهم للوقوف في وجه هذه التيارات إذ يؤسسون فيها المدارس والجامعات والمراكز الإسلامية الخاصة بهم التي يربون أبناءهم فيها حسب المناهج الإسلامية.

من أهم الجمعيات الإسلامية في الهند "الجماعة الإسلامية " التي ترتبط بالجماعة الأم في باكستان، وللمسلمين هناك عدة جامعات إسلامية مثل جامعة ديوبند الإسلامية في ديوبند، وندوة العلماء في لكهنؤ، ومظاهر العلوم في سهران بور.. وغيرها كثير، كما توجد عشرات الآلاف من المساجد عبر البلاد بأكملها ويلتحق بها آلاف المدارس لتعليم القرآن الكريم، وكذلك من الحماعات الشهيرة "جماعة التبليغ" والتي أسسها الشيخ / محمد إلياس الكاندهلوي عام ١٣٦٣هـ وقد خلفه في رئاسة هذه الجماعة ابنه محمد يوسف الكاندهلوي، والجماعة تنتشر في القارة الهندية بل وفي العالم أجمع.

ويلاحظ أن المؤسسات التعليمية لم تقم في المناطق التي ترتفع فيها نسبة المسلمين مثل أسام والبنغال الغربية وكشمير وغيرها، وإنما تتجمع في المناطق التي كانت مقراً للحكم الإسلامي مثل دهلي أو لحكومات إسلامية مثل حيد ر آباد، أو كانت محطات تجارية مثل منطقة بومباي وكيرلا، ولا شك فإن نشاط المؤسسات والأفراد له دوره في هذا المجال مثل الجماعة الإسلامية وندوة العلماء وبشير أحمد سعيد، وهذا ما نجده في لكنو ومدراس حيث ينتقل الطلاب إلى الجامعات والمؤسسات التعليمية من عدة مناطق ولو كانت بعيدة لينهلوا من العلم، والخير بفضل الله تعالى في زيادة رغم كل محاولات الإبادة. [٤]

٢- نيبال :

وهي منطقة جبلية تقع شمال الهند وكانت تعد جزءاً منها قبل تقسيمها على أساس ديني بوذي، وتبنت النظام الملكي، وبطبيعتها الجبلية وانعزالها فإن المسلمين لم يفتحوها وإنما

انتشر الإسلام فيها بشكل بطيء، ولا تزيد نسبة المسلمين فيها علـــى ٣.٨% مـــن عـــدد سكانها البالغ عددهم عشرة ملايين نسمة.

وتقوم في العاصمة " كاتمندو " جمعية مسلمي نيبال، ولجنة الإصلاح لكل نيبال.[٥]

٣. بوتان :

وهي منطقة جبلية صغيرة تقع شمالي الهند وكانت تعد جزءاً منها قبل تقسيمها علـــى أساس ديني بوذي، وتشبه نيبال من حيث الطبيعة، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٥ % مـــن عدد سكانها البالغ عددهم مليون نسمة، وما ينطبق على المسلمين في نيبال ينطبق عليـــهم في بوتان من حيث العزلة وعدم الاهتمام، الأمر الذي يخشى عليهم معه مـــن الضيـــاع والذوبان. [٦]

٤. سيرلانكا :

وتسمى جزيرة سيلان، وتقع جنوب الهند ويفصلها عن الهند مضيق بالك، وعاصمتها " كوالامبورو " وعدد سكانها حوالي ١٥ مليون نسمة منهم ١٠% مســـلمون، وكـــان العرب قد عرفوها باسم جزيرة سرنديب، ثم عرفت باسم سيلان ثـــم عرفـــت باســـم سيرلانكا نسبة للحزب الحاكم عام ١٣٩٢هـــ / ١٩٧٢م، وتعني البلد الجميل، وكـــانت مركزاً تجارياً هاماً لوجود الأحجار الكريمة بها بالإضافة لوجود التوابل.

دخلها الإسلامي في القرن الأول الهجري مع التجار والدعاة، وأخذ ينتشر فيها ســـلماً إلى أن تعرضت للغزو البرتغالي الصليبي سنة ٩١١هـــ، الذي أباد قرى إسلامية بأكملها وخلف الهولنديون البرتغاليين سنة ١٠٦٩هـــ فقاموا أيضا بمطاردة المسلمين الأمر الذي دفعهم للجوء إلى المناطق الداخلية في الجزيرة.

ولما احتل الإنجليز الجزيرة سنة ١٢١١هـــ شجعوا البوذيين وبعثات التبشير فـــزادت التحديات على المسلمين فانعزلوا وانقرض كثير منهم وقل عددهم وأصابهم الفقر والجهل واستمر الإنجليز حتى عام ١٣٦٨هـــ / ١٩٤٨م ، حيـــن اســـتقلت الجزيـــرة فـــانتعش المسلمون وعادت صلاتهم بالمسلمين، ولكنهم تعرضوا حاليا لضغط التـــاميل والتبشـــير والتاميل هم .. الأقلية التي بدأت حركتها للاستقلال بشمال الجزيرة عام ١٩٨٣م وتبلـــغ

نسبتهم حوالي ١٩%، وبالتالي وقع المسلمون بين شقي الرحى، وأغلبية سكان البلاد من البوذيين ويشكلون ٨٤% من مجموع السكان.

وفي عام ١٣٩٨هـ كان للمسلمين ١٤٠٠مسجد و٤٠٠مدرسة للقرآن الكريم و٥٩٨مدرسة و٢٥كلية تدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتدار المدارس الابتدائية الإسلامية من قبل منظمات إسلامية، ومن أشهر هذه المنظمات :

الجمعية التعليمية ـ الجماعة الإسلامية والتي تأسست عام ١٣٥٤هـ ـ جماعة أنصار السنة والتي تأسست عام ١٣٦٧هـ ـ جماعة التبليغ والتي تأسست عام ١٣٧٣هـ ـ هيئة الشبان المسلمين ـ جمعية الدعوة الإسلامية السلفية والإصلاح الاجتماعي ـ والجماعة الإسلامية والتي تتبع الجماعة الأم في باكستان.. وغيرها.[٧]

٥ـ بورما :

عدد سكانها ٣٠مليون ويدين معظمهم بالبوذية، والمسلمون حوالي ٢ مليون ومائة ألف مسلم أي حوالي ٧% من السكان، يقطن أكثرهم في العاصمة " رانغون " ومدينة " ماندلي" التي تقع شمال العاصمة، وأهم اللغات " البرمية " وكثير من المسلمين يتقن العربية.

وصل الإسلام إلى بورما عن طريق التجارة، كما انتشر الإسلام بعد عام ٦٨٦ هـ عندما غزا المسلمون التتار من الصين بورما وخلعوا ملكها الطاغية الأمر الذي سهل حرية الدعوة الإسلامية ، وعندما حكم الهند " أورانجزيب " في القرن الحادي عشر الهجري اختلف مع أخيه " سوجا " والذي انتقل إلى بورما ومعه عدد من أتباعه المسلمين فتوغلوا في الداخل ونشروا الإسلام هناك.

ويعاني المسلمون هناك في الوقت الحاضر الويلات من البوذيين بتحريض من سدنة المعابد البوذية خوفا من انقراض دينهم أمام التقدم الإسلامي، وليس كهنة النصارى والإرساليات التنصيرية وبعثات الاستعمار ودعاته الظاهريين والمخفيين بأقل تحريضا على المسلمين من سدنة المعابد البوذية، ولذا نسمع بين الأونة والأخرى عن مذابح تصيب المسلمين دون أسباب أو بادعاءات كاذبة.

إقليم أراكان :

يقع جنوب غرب بورما، ولقد كان القرن التاسع الهجري أزهى عصور المسلمين في أراكان، ففي عام ٨٣٥ هـ اعتلى العرش " زايوك شاه " واهتم بالإسلام فازدهرت الدعوة الإسلامية في بورما، وتعاقب على عرش أراكان العديد من الملوك المسلمين إلى أن جاء الغزو البريطاني لبورما سنة ١٣٠٣هـ وضمها للهند، ثم فصلها سنة ١٣٠٦هـ ثم استقلت بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبحت منطقة أراكان بأغلبيتها المسلمة ضمن بورما يخضع المسلمون فيها للسلطة الوثنية التي تحكم البلاد، وهنا بدأت مرحلة شاقة من اضطهاد المسلمين ببورما وخاصة بعد قيام الحكم الشيوعي عام ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢م ، فقد عمد الشيوعيون إلى إحراق المساجد ومنع الآذان للصلاة وبطشوا بالمسلمين وعذبوهم أينما وجدوا، وادعوا أن المسلمين الذين يبلغون حوالي ٥مليون نسمة من جماعات الرهنجيين أنهم ليسوا من مواطني بورما للتخلص منهم، فطبقت بورما عليهم قوانين الهجرة وتم تسجيلهم كأجانب حتى تضفي السلطات على إبادتهم صفة قانونية، وكثرت حوادث الطرد والقتل الجماعي حتى زاد عدد المهاجرين إلى بنجلاديش على نصف مليون لاجيء، ولقد تدخلت رابطة العالم الإسلامي وعدد من الدول العربية بمحاولات للتخفيف عن المسلمين ولكن هيهات هيهات.[٦]

٦ـ تايلاند :

تايلاند " سيام " هي احدى دول جنوب شرق آسيا في شبه جزيرة الهند الصينية، وعاصمتها " بانكوك "، وعدد سكانها أكثر من ٣٦ مليون نسمة يدين أكثرهم بالبوذية التي تنتشر في جنوب شرقي آسيا، ويعيش بينهم عدد من المسلمين يمثلون ١٤% من السكان أي يزيدون قليلاً على ٥ مليون مسلم ويتجمعون في منطقتين رئيسيتين :

" فطاني ـ وحول بانكوك "

والواقع أن المسلمين في كلا المنطقتين يرجعون جميعاً في أصولهم إلى فطاني ، ومنها نقل المسلمون إلى بانكوك وضواحيها كرهاً عندما كانوا يقعون في الأسر أثناء الحروب الطويلة التي نشبت بين فطاني وتايلاند، وقد قصد حكام تايلاند بهذا النقل تفتيت قوة المسلمين هناك، ثم محاولة إذابة المنقولين منهم في المجتمع البوذي في العاصمة وما

حولها، ويبلغ عدد هؤلاء الذين يعيشون في بانكوك وما حولها ما يزيد على المليونين من المسلمين.

ل.فطاني :

هي المنطقة الواقعة بين ماليزيا وتايلاند وينتمي سكانها إلى المجموعة الملايوية ويتكلمون اللغة الملايوية أيضاً ويكتبونها حتى الآن بأحرف عربية، ويصر السكان على لغاتهم وعلى الحرف العربي على حين يحاول الحكام التايلنديون نشر لغتهم لإذابة سكان فطاني في بوتقتهم، وتقوم الثورات في سبيل المحافظة على الشخصية ومحاولة الاستقلال، ويلغ عدد سكان فطاني ٣.٥مليون وتزيد نسبة المسلمين بينهم على ٨٠% ، وبذا يكون عددهم ٢.٨مليون يضاف لهم ٢مليون حول بانكوك، وأكثر من ثلاثة أرباع المليون في المناطق الباقية من شبه جزيرة الملايو والواقعة شمال منطقة فطامي وحتى ممر " كرا "

وصل الإسلام إلى فطاني عن طريق التجارة في القرن الخامس الهجري، ثم ازداد الانتشار في القرن التاسع حتى صار حكم المنطقة كلها بأيدي المسلمين، وبدأ الغزو التايلاندي من الشمال، واستطاع احتلال المنطقة عام ٩١٧هـ مع وصول الاستعمار الصليبي الذي تمثل في البرتغاليين يومذاك، ثم لم تلبث تايلاند أن انسحبت من المنطقة وعاد الاستقلال إلى فطاني.

وصل المستعمرون البرتغاليون إلى المنطقة في هذه المدة واحتلوا " مالاقا " عام ٩١٧هـ فاضطرت فطاني أن تقيم معهم علاقات عام ٩١٩هـ ثم مع اليابان عام ١٠٠٩ هـ وبدأت جيوش الدول الصليبية تتوافد على المنطقة في سبيل الاستعمار، فأقامت إمارة فطاني علاقات تجارية مع هولندا عام ١٠١٨هـ ومع إنجلترا عام ١٠٢١هـ ثم سمحت لكل الدول التجارية بإقامة مراكز لها في مدينة فطاني بالذات.

ثم عادت تايلاند فاحتلت فطاني عام ١٢٠١هـ وقام المسلمون بثورة في العام التالي ضد المستعمرين البوذيين الذين دعمهم استعمار الصليبي الإنجليزي، وكانت الثورة بقيادة " تنكولميدين " واستمرت ثورتهم حتى الآن، وإثر كل انتصار تايلاندي تنقل أعداد كبيرة من المسلمين إلى بانكوك وضواحيها.

وكان البوذيون قد قسموا إمارة فطاني إلى سبع ولايات في سبيل إضعــاف المقاومــة وتجزئتها، غير أن الفطانيين لم يلقوا السلاح وعادت الثورة عام ١٢٢٣هـ بقيادة " داتــو فنكلان " الذي أعلن استقلال بلاده ولكنه لم ينجح، ثم ثورة عام ١٢٤٧هـ بقيادة تنكودين ولكنه فشل، وبدأت الوحشية التايلاندية بالنهب والتهديم واغتصاب الأرض والقتل ونقــل الناس إلى بانكوك، وفي عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م ألحقت فطاني بتايلاند وغدت مديريــة تايلاندية، وفي عام ١٣٢١هـ أبعدت تايلاند آخر سلاطين المسلمين وهو الأمير تنكو عبد القادر قمر الدين عن فطاني وحمل إلى بانكوك وابتلعت تايلاند منطقة فطاني

ب ـ حول بانكوك :

ويعيش حول بانكوك ما يقرب من مليوني مسلم وإن كان أصلهم من فطاني نقلوا منها على مدار عدة قرون من الصراع بين الفطانيين وتايلاند، وقد حقق التايلانديون شيئاً من أهدافهم في إذابة هؤلاء المسلمين المنقولين من فطاني في وسط مجتمعهم الوثنــي وهــذا شيء طبيعي، غير أن الصحوة الإسلامية قد نالت عدداً منهم وبدأت تتوسع وغدا للشباب الإسلامي بعض اللقاءات الخاصة لتدارس الإسلام وهناك بعض المؤسسات الإســلامية : الكلية الإسلامية في بانكوك والجمعية الإسلامية، ومكتبة الجامعة الإســلامية، ورابطــة خريجي الجامعات المصرية، ومركز خريجي الجامعات العربيــة، ومؤسســة المركــز الإسلامي وغير ذلك.

ويوجد في فطاني مدرسة مهد العلوم ومركز القادة المسلمين بجنوب تايلاند.

مشكلات فطاني :

١ـ **وضع فطاني :** حيث أنها منطقة صغيرة محاصرة عسكريا وإعلاميا ولذلك لم يســمع بها إلا القليل من الناس وبالتالي لم تلق كثيراً من الاهتمام.

٢ـ **ماليزيا :** فطاني امتداد للملايو فهي جزء منها وترتبط معها برباط العقيدة والجنــس واللغة، ومع ذلك فلا تلقى المساعدة اللازمة، وبالتالي صاروا محاصرين بيــن تــايلاند وماليزيا حيث أن طريقها البري الوحيد للخارج هو ماليزيا.

٣.الأحلاف : إن حلف جنوب شرقي آسيا يضم تايلاند ومـــاليزا والفلبيـــن وأندونيســيا وسنغافوره، مما يجعل هذه الدول يقف بعضها بجانب بعض، وهذا ما يحول دون تلقـــي فطاني أي مساعدة من الدول المجاورة لها بينما تتلقى تايلاند كل المساعدة من المعســكر الغربي وإسرائيل.

٤.السلاح : يجد الفطانيون صعوبة بالغة في الحصول على السلاح ولا يتحصلون عليــه في الغالب إلا من الغنائم أو من أصحاب المصالح من الجنود التايلانديين الذين يبيعـــون أسلحتهم.

وباختصار شديد يعيش المسلمون في حالة يرثى لها من الفقر والاضطهاد، وأرغمـــت الحكومة البوذية المسلمين على اتخاذ الأسماء والألبسة والتقاليد واللغة البوذية " التاهية " ، وألغت المحاكم الشرعية وعملت على توطين البوذيين في المناطق الإسلامية وحـــاربت المدارس الإسلامية، وقامت بتصفية العلماء والدعاة جسدياً أو تشريدهم إلى ماليزيـــا ... إلى آخره.[٩]

٧ـ فيتنام :

عدد سكانها يزيد على ٥٠مليون نسمة يعيش بينهم ما يقرب من مليون وربع المليـــون من المسلمين أي حولي ٢.٥% ولكن لم يسمع بهم أحد من المسلمين.

بدأ الإسلام يصل إلى سواحل إمارة " تشامبا " عن طريق التجارة التي نشطت في تلك العصور وأخذ يدخل إلى نفوس بعض الأفراد وازداد إقبال الناس عليه في القرن الرابـــع الهجري وقامت المصاهرات بين التجار العرب المسلمين وبيـــن الســكان، وزوج ملـــك تشامبا ابنته من أحد التجار العرب ولم تلبث إمارة تشامبا أن انقلبت إلى إمارة إســـلامية وتبنى شعبها الإسلام، وبدأت هذه الدولة تتوسع حتى بلغت أوج قوتـــها واتســاعها عـــام ٨٧٥هـــ ، ثم قام صراع بينها وبين إمارة فيتنام في الشمال التي أخذت تغزوهـــا حتـــى سيطرت عليها عام ١٢٣٨هـــ وطردت منها أهلها، ولجأ ملك تشامبا " بوتشـــون " إلـــى كامبوديا فرحب ملكها به وبمن معه وأخذ التشامبيون المشردون يتجهون إلـــى كامبوديـــا ويستقرون هناك ، وهكذا زالت إمارة تشامبا وضمت أرضها إلى فيتنام وشرد أهلها فـــي عدد من الجهات وإن كان أكثرهم قد استوطن كامبوديا، وتم استيلاء الشيوعييـــن علـــى

فيتنام عام ١٣٩٥هـ وطبقوا نفس السياسية الشيوعية المعروفة ضد المسلمين حتى إنه بعد مضي ٤ سنوات على قيام الحكم الشيوعي في فيتنام الجنوبية وصل المسلمون إلى حالة لا يملكون ما يكفنون به موتاهم.

وفي الجملة يعاني المسلمون حاليا في فيتنام بقسميها ما يعانيه المسلمون في بقية أقطار شبه جزيرة الهند الصينية ولا زالت بقايا المسلمين الأناميين تعيش في أعداد صغيرة ويعيشون في مجموعات متماسكة قوية ناجحة ومرهوبة الجانب وهم مهرة في التجارة والزراعة وصيد السمك، ومعظمهم من أهل السنة وكثير منهم يحمل لقب الحاج ومساجدهم كثيرة وصغيرة وتستعمل لتعليم الصغار وتحفيظ القرآن.

وأبقت الحكومة على مسجدين كبيرين للدعاية فقط أحدهما في " هانوي " عاصمة الشمال، وآخر في " سايغون " عاصمة الجنوب.[١٠]

٨ـ لاووس :

ويزيد عدد سكانها على ٣مليون نسمة، وهي منطقة داخلية الأمر الذي جعل الإسلام لم يصل إليها، فهي بلاد جبلية صغيرة قلية السكان لم تجذب إليها الدعاة ولم يندفع إليها التجار، ولا يزيد عدد المسلمين في لاووس على عدة آلاف ويتجمع معظمهم حول العاصمة " فينتيان " ويعملون بالتجارة، ولهم جمعية معترف بها من قبل الحكومة إذ لا تشكل خطراً على الدولة لقلة عدد المسلمين هناك ولانصرافها عن موضوع الدين الإسلامي.

ويحتمل أن يكون المسلمون التشامبيون قد لجاؤا إلى لاووس قبل اتجاههم نحو كامبوديا، وربما انطلق بعضهم إليها يوم شردوا بشكل جماعي عام ١٢٣٨هـ ومن صار إليها استوطن فيها ولكن مر عليهم زمن طويل لم يتلقوا فيه أمور دينهم، وتعرض الأبناء لحملات التنصير فتأثر بعضهم بها وارتد بعضهم عن دينه، ومما يجدر ذكره أن هناك الآلاف من التجار الهنود والباكستانيين يتوزعون في أنحاء المنطقة " فيتنام ـ لاووس ـ كامبوديا " ويكثرون في فيتنام ويشاركون إخوانهم التشامبيين، وهم الذين أقاموا مسجد سايغون كما يوجد الآلاف من اليمنيين والحضارمة، وليس في لاووس أي مسجد يؤدون فيه عبادتهم وإنما هناك أماكن مخصصة لصلاة الجمعة فقط .[١١]

٩ـ كامبوديا :

ويقيم على أرضها أكثر من ٧مليون نسمة يعيش بينهم عدد قليل من المسلمين لا يزيد على مائة وعشرين ألفا أي حوالي ٢% من السكان.

وصل الإسلام إلى السواحل ولكن بأعداد قليلة واستمر على هذا الحـــال حتـــى عـــام ١٢٣٨هـــ عندما سقطت إمارة تشامبا بيد الفيتناميين فانتقلت جماعات من المسلمين إلـــى كامبوديا الأمر الذي زاد معه عدد المسلمين حتى بلغـــوا المليـــون وأصبحـــت نســـبتهم ١٤.٧%من السكان، ونظموا أنفسهم تنظيماً جيداً تحت قيادة واحدة تشرف على حياتـــهم الدينية ضمن الحدود التي رسمتها وزارة الدين البوذي في كامبوديا، ولكن الحكومة حقدت عليهم ونفرت السكان البوذيين منهم وحاولت في محاصرة المسلمين في الداخـــل وقطـــع صلاتهم بالخارج، بالتقليل من عدد الحجاج المسلمين ومنـــع خـــروج الطـــلاب للتعليـــم الإسلامي في الخارج، ومحاولة التضليل في أعداد المسلمين الحقيقية.

يتكون السكان في كامبوديا من جماعات " التشام ـــ والخمير " وغالبية التشام يعتنقون الإسلام كما تقدم ذكره، غير أن الخمير فرضت لغتها وحضارتها على المنطقة.

فقد عاش المسلمون في أمن وسكينة في كامبوديا قبل الاستعمار الفرنسي وعند رحيله عام ١٣٧٣هـــ وبعد ذلك إلى أن تعرضت البلاد لمصير مؤلـــم تحـــت ضغـــط النظـــام الشيوعي " الهومير " أي الخمير الحمر الذين وصلوا إلى الحكم عام ١٣٩٥هـــ ، فبـــدأوا عملية استئصال الأقلية المسلمة، فأخذ المسلمون يفرون بدينهم إلـــى ماليزيـــا وتـــايلاند، وتناقص عددهم إلى حوالي مائتين ألف فقط عام ١٣٩٨هـــ .

فقد قامت الحكومة الشيوعية سنة ١٣٩٦هـــ بشن الهجمات على الجماعـــات المســـلمة وقتلت قادتهم كشيخ الإسلام في كامبوديا " عبد الله إدريس " وطردوا المسلمين من قراهم فاضطرهم ذلك إلى الهجرة أو اللجوء إلى مناطق العزلـــة، وهدمـــوا المســـاجد ومنعـــوا المسلمين من استخدام لغتهم، وحرقوا كتب التراث الإسلامي، ومنعت السلطات الشبـــاب الإسلامي ممن تزيد أعمارهم عن خمسة عشر عاماً من الإقامة مع والديهم وأجبروا على الإقامة في معسكرات الشباب الوثنية حتى يضعفوا إيمانهم بالدين الإسلامي، هذا ويعيـــش

المسلمون في بورما وتايلاند وكامبوديا ولاووس وفيتنام بقسميها في محنة ومعاناة ومطاردة متشابهة في أسلوبها وطريقتها.

وقد قامت منذ عام ١٣٩٠هـ جمعيتان إسلاميتان وهما : الجمعية الإسلامية المركزية في كامبوديا، وجمعية الشبان المسلمين، وكان لها أثر كبير في خدمة الإسلام والمسلمين.[١٢]

١٠. سنغافورة :

وهي جزيرة صغيرة في نهاية شبه جزيرة الملايو، وكانت تؤلف ولاية من ولايات الملايو وأحيانا تنفصل عنها، واليوم تؤسس دولة يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ٢ مليون نسمة يقيم بينهم حوالي ثلاثمائة وأربعون ألفا من المسلمين أي بنسبة ١٧ % من السكان.

وقد انتشر فيها الإسلام مع انتشاره في شبه جزيرة الملايو وأندونيسيا، ونتيجة لموقعها المهم كطريق للتجارة فإنها كانت ملتقى لجماعات كثيرة، وعندما جاء الاستعمار إلى المنطقة جعلها قاعدة لسفنه ومركزاً لإدارته مما أبقى نسبة المسلمين قليلة.

ومن المؤسسات الإسلامية فيها : جمعية الأمانة الإسلامية ـ جمعية التبشير الإسلامي جبهة المسلمين بسنغافورة ـ مدرسة الجنيد الإسلامية .[١٣]

١١. الفلبين : عذراء ماليزيا

وهي مجموعة من الجزر يزيد عددها على سبعة آلاف ومائة جزيرة تنتشر في مياه المحيط الهادي في أقصى شرقي آسيا بين الجزر الإندونيسية والجزر اليابانية، بعضها كبير معروف مثل جزيرة لوزون في الشمال وجزيرة مندناو في الجنوب، وبعضها صغير مجهول .

ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات من الجزر هي:

١ـ **جزيرة لوزون وما حولها :** وهي المنطقة الشمالية ، وأغلب سكانها نصارى ووثنيون، وأكبر مدنها العاصمة " مانيلا "

٢ـ **جزيرة فيساياس وما حولها :** وهي المنطقة الوسطى وأشهر مدنها " سيبو "

٣- **جزيرة مندناو وما حولها :** وهي المنطقة الجنوبية ويتركز فيها المسلمون بالإضافة إلى جزر بالاون وصولو، ويطلق عليه اليوم اسم " مورو الإسلامية "

أطلق الأسبان على هذه البلاد اسم الفلبين باسم ملكهم " فيليب الثاني " الذي أرسل القائد " سجاستا " وحملته على تلك الجزر في حين كان العرب المسلمون يطلقون عليها اسم "عذراء ماليزيا " لأن أغلب سكانها من أصل ماليزي.

وبلغ عدد سكان الفلبين عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ٥٦مليون نسمة فيهم ٧ مليون مسلم على الأرجح، يشكلون ثُمُن السكان ، في حين أن ماركوس رئيس الفلبين أعلن عام ١٩٧٥م أن عدد المسلمين ثمانية ملايين يشكلون ٢٢% من السكان ، وهذا يدل على تناقص عدد المسلمين بسبب الإبادة والتهجير التي يتعرض لها المسلمون هناك.

دخول الإسلام :

بدأ الإسلام يصل إلى تلك الجزر في القرن الثالث الهجري عن طريق التجار والدعاة وما جاء القرن الخامس الهجري حتى بدأ أثر الإسلام يظهر واضحاً سواء أكان من حيث العدد أم من حيث الطابع السلوكي، وإذا كانت الجزر الجنوبية أكثر حظاً بقدوم التجار إليها إلا أنه لم تلبث أن حظيت الجزر الشمالية بما نالته الجنوبية منها إذ نزل إلى جزيرة " لوزون " الشمالية شريف من الملايو مع مجموعة من المسلمين نشروا الإسلام هناك وجاء منها " رجا سليمان " الذي كان سلطاناً على تلك الجهات وقت وصول المستعمر "ماجلان " إلى تلك الجزر.

وكان في البلاد عدة سلطنات مستقلة تبرز من بينها سلطنة إسلامية في منطقة" مانيلا " حيث تخضع لها أكثر سلطنات الشمال، وتظهر في الجنوب سلطنة " صولو " والتي تشرف على أكثر سلطنات الجنوب، وكان على رأس كل سلطنة حاكم يدعى " داتو " ويندمج بعضها مع بعض في كيانات أكبر يحكمها " راجا "

وأخيراً وصل ماجلان إلى هذه الجزر عام ٩٢٧هـ ، والذي قتل على يد الحاكم المسلم " لابولابو " حاكم جزيرة " ماكتنان " القريبة من جزيرة سيبو " ورفض تسليم جثته للأسبان " ولا يزال قبره شاهدا على ذلك هناك ويمثل أول قدم صليبية وطئت تلك الأرض.

ثم سيرت أسبانيا بعد ذلك أربع حملات قتل أفرادها جميعاً لأن الريح كانت تدفعهم نحو الجزر الجنوبية حيث يكثر المسلمون هناك.

وبعد إبادة الحملات الأسبانية المتكررة بدأ الغزو الأسباني الحقيقي عام ٩٧٣هـ ، أي بعد معرفتهم الأولى لهذه الجزر بسبع وأربعين سنة وقد أعلنوا صراحة أنهم جاءوا لتطبيق سياسة صليبية هدفها توسعة رقعة الممتلكات الأسبانية وتنصير سكان البلاد التي يحتلونها.

واستمرت المقاومة الإسلامية على الرغم من أن الأسبان قد ارتكبوا الجرائم والمذابح الوحشية كالتي ارتكبوها في الأندلس، وظلت مقاومة المسلمين للأسبان حتى تنازلت أسبانيا لأمريكا عن الفلبين مقابل مبلغ خمسة ملايين دولار طبقاً لمعاهدة باريس التي تمت بينهما.

رفض السكان معاهدة باريس كما رفضوا الحكم الأمريكي إلا أن أمريكا قد تمكنت من القضاء على الثورة عام ١٣١٩هـ وعدت البلاد إحدى ولاياتها.

ولم يتغير الوضع بالنسبة للمسلمين فالاستعمار واحد ونظرته الصليبية واحدة فاستمر المسلمون في مقاومتهم التي دامت مدة عشرين سنة أصابهم خلال هذه المرحلة ما أصابهم أيام الأسبان، ثم حصلت الفلبين على الاستقلال الذاتي عام ١٣٥٣هـ وقامت حكومة محلية تعمل على استقلال البلاد التام خلال عشر سنوات إلا أن منصب الحاكم العام الذي يمثل الولايات المتحدة قد بقي قائماً وبقيت الولايات المتحدة تتولى شؤون الدفاع والخارجية

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية احتلتها اليابان عام ١٣٥٨هـ وطردت القوات الأمريكية منها، وبعد هزيمة اليابان حصلت الفلبين على الاستقلال عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م وأصبح الحكم فيها رئاسياً يشبه الحكم في الولايات المتحدة.

إلا أنه لم يستفد المسلمون شيئاً من الاستقلال إذ تولى النصارى المتعصبون حكم البلاد وتابعوا مهمة الأسبان والأمريكيين في نشر النصرانية ومحاولة إفساد المجتمع وإبادة المسلمين بشتى الأساليب الإجرامية، وبخاصة في عهد ماركوس الذي يفتخر بأن الفلبين هي الدولة الوحيدة ذات الأغلبية النصرانية في آسيا.

حاضر المسلمين في الفلبين :

اشتد التحدي الصليبي الكاثوليكي بعد الاستقلال بشن هجمات إبادة جماعية على المسلمين كما جاء في عريضة منظمة تحرير شعب مورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح ما لا يقل عن مائة ألف مسلم وشردت نصف مليون واغتصبت مليون هكتار من أرض المسلمين وحرقت البيوت والمساجد والمدارس.

وبالإضافة إلى هذا نشأت منظمات كاثوليكية سرية بمباركة حكومة ماركوس الذي تولى رئاسة الفلبين عام ١٣٧٥هـ / ١٩٦٥م مثل منظمة " إيلا جاس " أي الفئران الإرهابية والتي زودتها إسرائيل بالخبراء والأسلحة وتدرب أفرادها على العمليات الإرهابية وأخذت هذه المنظمة الخطيرة منذ عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م تقتل المسلمين وتحرق بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم وتهدد زعماءهم ليقبلوا تنصير المسلمين، وهناك منظمة " جيفا الإرهابية " وهي الجناح العسكري السري للجمعيات الكاثوليكية العلنية، وتتلقى معونات من الكنيسة الكاثوليكية وتقوم بنفس دور المنظمة السابقة ضد المسلمين.

وتحت هذا الضغط الرهيب على المسلمين خرجت إلى حيز الوجود " جبهة تحرير بنجاسا مورو الوطنية " برئاسة نور ميسواري الأستاذ الجامعي للعمل على إقامة دولة إسلامية مستقلة، وكانت نواتها الأولى قد تكونت عام ١٩٦٢م باسم " جبهة تحرير مورو " وضمت مجموعة من الطلاب وفي مقدمتهم " سلامات هاشم " الذين كانوا يدرسون في الجامعات والمعاهد الإسلامية في الشرق الأوسط.

أعلن ماركوس الأحكام العرفية في الجنوب وتدفقت الجيوش إلى أقاليم المسلمين حتى بلغ تعدادهم في الجنوب ربع مليون جندي، وارتكب النصارى أفظع الجرائم من قتل جماعي وإحراق للأحياء وانتهاك الأعراض والحرمات، وصمد المسلمون بقوة في وجه هذه الفظائع وتحصنوا في الغابات والجبال ويقدر عدد جيشهم بثلاثين ألف مقاتل.

وقد أرسل مسواري رسائل إلى الأمم المتحدة وإلى رئيس الفلبين، وعرضت القضية الفلبينية على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م في جدة، وكشف الملك فيصل النقاب عن أحداث الفلبين ونبه العالم إلى خطورة الوضع وما

يتعرض له المسلمون في الجنوب، فانتدب المؤتمر لجنة وزارية رباعية من وزراء خارجية السعودية وليبيا والصومال والسنغال لتقصي الحقائق وأسفرت المباحثات عن اتفاق بين الثوار وحكومة ماركوس عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦في ليبيا وأعلن وقف إطلاق النار وإعطاء المسلمين حكم ذاتي في ثلاثة عشر ولاية، إلا أنه لم يكن الاتفاق في واقعه سوى مناورة استهدفت كسب الوقت من أجل القضاء على حركة الجهاد الإسلامية في جنوب الفلبين، فقد أراد ماركوس أن يتم وقف إطلاق النار ثم ينظم استفتاء لإقرار وضع معين في جنوب الفلبين، ولكن جبهة مورو قاطعت الانتخابات التي قرر لها عام ١٩٧٧م وعاد الصراع العسكري من جديد، غير أنه انشقت جبهة تحرير مورو إلى قسمين عام ١٩٧٧م إثر تلك الأحداث وهما :

أ- **جبهة تحرير مورو الإسلامية :** بقيادة سلامات هاشم وتصر على الاتجاه الإسلامي للجهاد.

ب- **جبهة تحرير مورو الوطنية :** بزعامة نزور ميسواري وتضم إلى جانب بعض الإسلاميين العلمانيين والوطنيين، وتبادل القسمان الاتهامات.

وسقط ماركوس وغادر البلاد إلى أمريكا بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٥م ووصلت " كورازون أكينو " إلى الحكم واستمرت في أسلوب ماركوس المراوغ وسياسة فرق تسد بإيجاد الصدع بين جبهة تحرير مورو الإسلامية وجبهة تحرير مورو الوطنية، ولاتزال منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي تبذلان جهدهما للإبقاء على وحدة الصف.

ولا يزال الجهاد الإسلامي يواجه الدوائر الثلاث:

الجيش الصليبي الفلبيني الحكومي، والعناصر المتعصبة ضد المسلمين من المستوطنين في بلاد المسلمين والذين يعاونهم الجيش الفلبيني ويسلحهم، والشيوعيون الذين يتظاهرون بالعطف مع المسلمين لينقضوا عليهم كلما وجدوا فرصة.

ومع كل هذا فعدد المساجد في الفلبين حوالي ٢٥٠٠مسجد، وهذا دليل على استمرار شعلة الإيمان في تلك البلدان المجاهدة وتعلن دائما أنها جزء من الأمة الإسلامية، وأنها على استعداد للتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والأزهر الشريف ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وبالفعل هناك دور كبير للتعاون بينهم والله المستعان.[١٤]

١٢ـ الصين :

الصين دولة كبيرة متسعة في شرق آسيا تزيد مساحتها عن ٩مليون كم٢ أي تزيد على خمس قارة آسيا ويصل عدد سكانها إلى حوالي مليار نسمة ونسبة المسلمين أكثر من ١٠ % فهي ثانية دول العالم مساحة والأولى سكانا.

الأقاليم الإسلامية في الصين :

اولاً : التركستان الشرقيـة :

التركستان .. موطن الترك الأصلي، بلاد واسعة في وسط آسيا تشكل جزءاً كبيراً من ديار الإسلام تقاسمتها الصين وروسيا، فأخذ الروس قسمها الغربي وعرفت بالتركستان الغربية، وأخذت الصين نصفها الشرقي وعرفت بالتركستان الشرقية، ويسميها الصينيون حالياً " سينكيانغ " أي المقاطعة الجديدة، ويقدر عدد سكانها بـ ٨ مليون نسمة ٩٥ % منهم مسلمون والباقي من الصينين البوذيين والروس النصارى.

واشهر مدنها:

أ.اورومجي: وهي العاصمة وتسمى اليوم " تيهوا "

ب.كاشغر : التي فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٦هـ وتسمى اليوم " شوفو "

جـ.يارقند : وتسمى اليوم " سوجي "

ولقد فتح قتيبة بن مسلم الباهلي هذه البلاد عام ٩٦هـ وراسل منها ملك الصين وأصبحت جزءاً من ديار الإسلام إلى اليوم، وكانت حاضرتها كاشغر وانتشرت فيها اللغة العربية، وأنجبت علماء أجلاء مثل : سديد الدين كاشغري ومحمود كاشغري أيام الدولة العباسية، ووقعت تحت الاحتلال الصيني في عهد الأسرة المنشورية في القرن الثامن عشر الميلادي" وشهدت البلاد عدة انتفاضات إسلامية للتخلص من الحكم الصينيين.

ثانيا: كانسو

وهي متممة للعالم الإسلامي وسكانها ١٣مليون نسمة، ٨٠ % منهم مسلمون، وعاصمتها مدينة " لان تشو " وتسمى اليوم " كاو لان "

والمسلمون في كانسو هم الأويجور المغول أحفاد جنكيز خان، ويسميهم الصينيون "هواي هو" أما هم فيؤثرون اسم " كيا ومن " أي أهل الدين .

ثالثا: نينج هسيا

وكانت في الأصل جزءاً من ولاية كانسو وعدد سكانها ٢مليون نسمة، ٧٥% منهم مسلمون، وتكثر فيها المساجد.

رابعا: ستشوان

وهي تجاور ولاية كانسو، وقد فصل جزء من الأخيرة وضم إلى هذه الولاية فأصبح عدد المسلمين حوالي ٥مليون يكونون ٨% من سكان الولاية.

خامسا : يونان

وهي ولاية جبلية يزيد عدد المسلمين فيها على ٧مليون الذي يقدرون به إذ يُخفي المسلمون هناك أنفسهم وعددهم الحقيقي خوفاً من السلطات الحاكمة ويعرفون باسم بانطي، وأشهر المدن : يونان حاضرة الولاية وتسمى اليوم كون مينج.

سادسا: شي

وسكانها ٢١مليون نسمة يشكل المسلمون حوالي ٤٠% منهم، أهم مراكز تجمع المسلمين مدينة سنجان وكان فيها ٧ مساجد.

سابعا: شانسي

وسكانها ١٨مليون نسمة، يشكل المسلمون فيها ٢٠%.

دخول الإسلام إلى الصين وانتشاره :

اولا: طريق الفتح والجهاد : بلغت الجيوش الإسلامية أطراف الصين عبر الطرق البرية إبان خلافة الوليد بن عبد الملك " ٨٦ ــ ٩٦ هــ " وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق آنذاك قتيبة بن مسلم الباهلي على رأس جيش إسلامي كبير خرج من سمرقند سنة ٩٣هــ ودخل كاشغر سنة ٩٦هــ في التركستان الشرقية والتي أصبحت من ديار الإسلام، وبعدها وافق ملك الصين على دفع الجزية للمسلمين، وبذلك بدأت الدعوة

تتسرب إلى الصين من جهة التركستان الشرقية بالدعاة والتجارة، وعرف هـذا بطريـق الحرير.

ثانيا: عن طريق الجند المسلمين الذين استقروا في الصين:

فقد طلب الامبراطور الصيني " تان سو تشو نغ " من أسرة تانغ نجدة المسلمين ضـد أحد الثوار فأرسل له أبو جعفر المنصور الجند حوالي سنة ١٣٩هـ وعاد الامبراطور إلى ملكه بعد أن كاد يذهب من يده، واستقر هؤلاء الجند وتزوجوا من صينيات وتولـدت منهم طبقة خاصة كانت نواة الإسلام داخل الصين أي في العاصمة القديمة " تشانغ آن "

ثالثا : عن طريق التجارة والدعاة في المناطق الساحلية :

قبض المسلمون على ناصية التجارة الدولية في الشرق والغرب، وخاصة في القـرن الثالث والرابع الهجريين فوصلوا موانيء الصين التجارية وخاصة كانتون " خـانفوا " أو "الخنساء " في القرن الأول الهجري، وعرف أول مسجد هناك بالمسجد ذي المنارة، وأما الذين قطعوا الجبال والأودية فوصلوا الصين عن طريق آسيا الوسطى " تركستان " فقـد ألقوا عصاهم في " تشانغ آن " وكانت التجارة وسيلة مهمة لنشر الإسلام.

رابعا : عن طريق تولي بعض المسلمين حكم الولايات

كان ملوك الصين يحبون المسلمين لما ظهر منهم من الأمانـة والذكـاء والشجاعـة والعزيمة فيشملونهم بالعناية والرعاية فظهر من المسلمين قادة وأمراء أشهرهم :

١ ــ شمس الدين عمر واسمه الصيني " هسين يانغ ": المشهور بالسيد الأجـل، ولاه الامبراطور الصيني منطقة " أوغوناي " عام ٦٢٨هـ ــ ٦٤٠هـ ثلاث ولايات وظـل يترقى في الرتب حتى صار والياً على ولاية " يونان " وهي من كبريات المدن، وضمت ولايته ٢٠مقاطعة ساد فيها العدل وفاضت البلاد بالخيرات وبنى المساجد وغير ذلك حتى توفي عام ٦٧٨هـ ، فتولى أولاده وأحفاده المقاطعة من بعده حتى مطلع القرن العشرين.

٢ ــ القائد " جين هو " واسمه الصيني" تشنج هو ": وهو مسلم صيني من ولاية يونان أرسله امبراطور الصين حوالي سنة ٨٦١هـ قائداً لأساطيل الصين المؤلفة من ٣٧ألـف بحار إلى جزائر الهند الشرقية وسيلان وسواحل الهند الجنوبية والعراق وسواحل الجزيرة

العربية وساحل أفريقيا الشرقية، وكان أحد الدعاة المشهورين وأسلم على يديه الكثير من الصينين.

خامساً : عن طريق إسلام الأويغور :

وهم قبيلة جنكيز خان المغولية في مقاطعة كانسو ومنغوليا وما جاورها أي في القطاع الشرقي والشمالي من الصين.

المسلمون في الصين تحت حكم الأسر المتعاقبة :

يقسم الصينيون تاريخهم إلى سبع مراحل حسب الأسر الحاكمة كالتالي :

١. **عهد تانغ :** أي التاريخ القديم وهي التي عاصرت بداية الدعـــوة الإســـلامية والعـــهد الأموي والعباسي وانتهى حكمها سنة ٢٩٥هـــ / ٩٠٧م.

٢ـ **عهد سونغ :** ٢٩٥ـ ٦٧٨ هـ : وفيه عين المسلمون ولاتهم منهم

٣ـ **عهد يوان :** ٦٧٩ـ ٧٧٠ هـ : وهو عهد أسرة جنكيز خان المغولي.

٤ـ **عهد منغ :** ٧٧٠ـ١٠٤٥هـ :وبلغ الإسلام في هذا العهد أوجه في الصين، وبانتـــهاء هـــذه الأسرة انتهى العصر الذهبي للمسلمين في الصين وأخذ دورهم يؤول إلى انحدار

٥ـ **عهد تسونغ : الأسرة المانشورية : ١٠٥٤ـ ١٣٢٩هـ**

وفي هذا العهد اشتدت الهجمة الصليبية على عالم الإسلام، فوصل الأوروبيون الصين ووجدوا الإسلام يتغلغل في البلاد فخافوا أن تتحول إلى دار إسلام فبعثوا البعثات لدراسة الواقع في الصين ووضع الخطط للحد من نفوذ الإسلام وانتشاره، فقد بعثت روسيا مـــرة بعثاً علمياً جال في الصين وجاب آفاقها وأطلع على دخائل أمورها، فكان من جملـــة مـــا قرره تحذير روسيا من مستقبل الإسلام في تلك البلاد، ولما لم يكن الصليبيون يتمكنـــون من بسط سلطانهم على هذه البلاد الواسعة العظيمة لذا لجأوا إلى أســـلوبين مـــن الـــدس والوقيعة لتحطيم الإسلام داخل هذه البلاد وهما :

الأول: أثاروا في المسلمين روح الثورة والتمرد على الحكام الصينين وأمدوهم بالمال والسلاح ففصلوا بذلك المسلمين عن أهل الصين وحدّوا بذلك من انتشار الإسلام.

الثاني : أوحوا إلى الإمبراطور وأهل الصين بخطر المسلمين وأنهم يتحينون الفرصة للانقضاض على الدولة وحكمها فأوغروا الصدور على المسلمين فقضوا على نفوذ المسلمين وأذاقوهم الأمرين، وتسلط عليهم الصينيون وانعزلوا عن العالم الإسلامي وخاصة بعد أن تقلص نفوذ المسلمين التجاري، وامتلك الصليبيون ناصية البحار في حين تمتع المنصّرون بالحرية في ظل الموظفين المنشوريين وتدخلوا في شؤون الصين الداخلية.

واستولت هذه الأسرة زمن الإمبراطور " جيانا ونغ " من عام " ١٧٣٦ـ ١٧٨٤م " على تركستان الشرقية من بلاد المسلمين وكانت تحكمها أسرة الخوجات التي أخذت بالضعف مثل سائر بلاد المسلمين، فقام المسلمون بثورات متعددة أدت إلى نقصان أعدادهم وتشريدهم وتقليص نفوذهم، وكانت هذه الحقبة التي امتدت ثلاثة قرون من أسوأ ما مر على المسلمين على مدى تاريخهم في الصين، حيث خسروا فيها ربع عددهم ولا يضاهيها إلا وضعهم تحت الحكم الشيوعي.

وأثر ذلك عليهم في مختلف النواحي فوقعوا في الفقر والجهل وأصاب دينهم بعض التحريف لعزلتهم الطويلة عن العالم الإسلامي، وعندما فكر السلطان عبد الحميد بفكرة الجامعة الإسلامية فكر بالاستفادة من مسلمي الصين باسم الخلافة، غير أنه أخفق في فكرته.

٦ـ عهد الصين الوطنية : العهد الجمهوري : ١٣٢٩ ـ ١٣٦٧ هـ / ١٩١١ ـ ١٩٤٨م

أعلن مؤسس جمهورية الصين الوطنية " صن يات صن " أن الأمة الصينية تتكون من خمسة شعوب وهي : " الهان ــ المانشو ــ المنغ ــ الهوي أي المسلمين ــ التسانج " وأعطى هذه الشعوب الخمسة حق المساواة وأعلنت الجمهورية الحرية الدينية في القانون الأساسي الذي أعلن سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م وكان علم الجمهورية يتكون من خمسة ألوان رمز للمسلمين باللون الأبيض، وكل ذلك شجع المسلمين فسرعان ما استعادوا حيويتهم ودورهم القيادي وتعاونوا مع الحكم الجمهوري، وأخذوا يتصلون بالمسلمين خارج الصين خاصة بالأزهر في مصر وقام علماؤهم بمحاربة البدع والدعوة إلى تصحيح الإيمان، وتأسست في الصين جمعيات عديدة من أهمها :

جمعية مسلمي الصين التقدمية : تأسست في بكين عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢م ،الجمعية الاتحادية الإسلامية لكل الصين:تأسست عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م في شنغهاي ،الجمعية الثقافية الصينية : تأسست في شنغهاي عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م ،جمعية اتحاد المسلمين وتأسست في شنغهاي عام ١٩٢٩م

وقد ازدهرت المساجد في النصف الأول من القرن العشرين وألحقت بها المدارس وبلغ عدد المساجد في الصين في الإحصاء الذي تم سنة١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥م حوالي ٤٠٣٢٧ مسجدا، عدا مساجد التركستان الشرقية الإسلامية، هذا بخلاف العديد من المساجد في الولايات الأخرى، وشيدت المدارس الإسلامية بجهود ذاتية في القرن والمدن وخصوصاً في ولاية كانسو التي كانت لا تكاد تخلو كل قرية إسلامية منها، وفي المجال السياسي استعاد المسلمون دورهم القيادي وأخلصوا للحكم الوطني بعد وفاة "صن يات صن "، ففي عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م كان ما يزيد على مائة نائب مسلم في مجلس النواب، وكان حكام مناطق متعددة من المسلمين مثل التركستان الشرقية، وتسينغان، وننج هسيا، وخانصو، كما شارك المسلمون في الوزارات الوطنية وكان منهم أول وزير للدفاع الصيني بعد الحرب العالمية الثانية، والتحق المسلمون بالجيش بأعداد كبيرة وارتقى الكثير منهم إلى رتبة لواء بالجيش الصيني.

وفي الوقت نفسه كانت حكومة الصين تعامل المسلمين بحذر وتوجس فألغت العلمَ الذي يرمز للشعوب الخمسة واعتبرت الشعوب الرئيسية في الصين ثلاثة، والمسلمين شعب فرعي، وحاولت أن يندمج المسلمون من تلقاء أنفسهم في شعب الهانيين.

وفي عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م شهدت التركستان انتفاضة إسلامية كبيرة بزعامة "خوجه نياز حاجي " وتمكنوا من طرد الصينيين وأقاموا دولة مستقلة، وقامت روسيا بدعم الجانبين، ثم اتفقت روسيا مع الصين في القضاء على الثورة خشية من قيام دولة إسلامية، ثم قام المسلمون بثورة أخرى شاملة انتصروا فيها على الجيوش الصينية والروسية، وأعلنوا تأسيس جمهورية التركستان الشرقية الإسلامية مع دستور مبنى على أساس الشريعة الإسلامية، وعاصمتها كاشغر عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م، وتم انتخاب خوجه نياز حاجي رئيساً للجمهورية، فقام الروس بهجوم كاسح مدعم بالطائرات وتمكنوا

من احتلالها واستحلوا الديار وقتلوا الزعماء والأهالي، ولكن المسلمين قاموا بعدة ثورات أدت إلى خروج الروس عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م / ولكن سرعان ما هاجمهم الصينيون واحتلوا أرضهم مرة أخرى بعد أن فقد المسلمون العديد منهم.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية " ١٣٥٨ ـ ١٣٦٥هـ / ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م " حاولت اليابان استغلال المسلمين لتنفيذ سياستها في السيطرة على الصين، وبالتالي على آسيا.

وفي الوقت نفسه ادعى الشيوعيون أن المسلمين يظاهرونهم في حربهم ضد اليابان وساقوا لهم الوعود المعسولة التي زعموا أنهم يحققونها لهم إذا تسلموا السلطة بعد الحرب الصينية اليابانية.

وبعد استسلام اليابان وخروجها من الصين اشتبكت الصين الوطنية مع الشيوعيين بزعامة " ماوتسي تونغ "، وتمكن الشيوعيون بعد حرب استمرت خمس سنوات من التغلب على الصين الوطنية التي انحسرت في فارموزا " تايوان "، وكان المسلمون وقوداً للجانبين المتحاربين ففر بعضهم من البلاد، وبخاصة الزعماء المعروفون بعدائهم للشيوعية والذين تسلموا مناصب ذات أهمية في العهد الجمهوري السابق.

وفي أثناء ذلك شهدت تركستان عدة انتفاضات بدعم من منغوليا وروسيا إلى أن سقطت بيد الشيوعيين عام ١٩٤٩ م بعد صراع المسلمين المرير في مقابلة الشيوعيين.

٧. عهد الشيوعيين : ١٣٦٩ ـ ١٣٨٦ هـ / ١٩٤٩ ـ ١٩٦٦م

استولى الشيوعيون على حكم الصين بعد حرب استمرت خمس سنوات بين القوات الوطنية التي تزعمها " شيانج كاي شيك " والشيوعية بزعامة " ماو تسي تونغ " وكان "ماو " كبير الأمل في اجتذاب الألوف حوله والاستفادة من أخطاء الدولة السابقة، وأعلن في بداية عهده التسامح مع أصحاب الأديان وخاصة المسلمين، ونص الدستور على حرية العبادة، غير أنها كانت مرحلة مهادنة مع الإسلام امتدت حتى عام١٣٧٨ هـ /١٩٥٨ م.

وبدأت الشيوعية بعد ذلك تنفيذ خطتها المرسومة تجاه الإسلام والمسلمين تدريجيا، فقسمت تركستان الشرقية إلى ٦ مناطق منذ عام١٩٥٤م، وغيرت اسمها وأسماء كثيرة من المدن والقرى بأسماء صينية، واتجهت إلى عزلها عن العالم وتحويلها إلى مقاطعة

شيوعية داخل الكيان الصيني، وفرضت رقابة شديدة على المسلمين التركستانيين حتى لا يصل إلى الرأي العام العالمي وضعهم، وتم إلغاء الجمعيات الإسـلامية الواحدة بعد الأخرى، ووضعت الدولة يدها على الأوقاف ولم يعد للمساجد أو المدارس الإسلامية دخل فتوقف عمل هذه المساجد والمدارس وانتهى دورها في الحياة الاجتماعية، وأغلقت بقية المساجد عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ومنع الأذان والصلاة الجماعة والصيام والتعليم الديني وقتل العلماء وسجنوا وحولوا المساجد إلى مخـازن أو نـواد أو دور لـهو، ونشطت الشيوعية في أسلوب تهجير المسلمين بنفيهم وإبعادهم عن أراضيهم وتوطين الصينيين مكانهم في محاولات لإذابة المسلمين في غيرهم، وأجبروا المسلمين على الزواج المختلط ونظام المعيشة المشتركة على الطريقة الشيوعية فأفقروهم إلى درجة المجاعة ونتج عن ذلك تدهور أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية، وفي عـام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م طبق نظام العمل الجماعي الإجباري على المسلمين وسيق أئمة المساجد والخطباء إلى المزارع والمصانع دون أية مقدمات، ثم أنشئت المعسكرات التي حشدت شباب المسلمين فيها رجالاً ونساءً وأجبروا على الحياة معاً من أجل إفساد الجميع، فقام المسلمون في مدينة كاشغر بعصيان عام ١٣٧٧هـ ودارت معركة ذهب ضحيتها ٣٦٠ألف مسلم من خيرة الشباب المسلم التركستاني.

وفي عام ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م توقف المعهد الديني في بكين التابع للجمعية الإسلامية عن استقبال طلبة العلم بعد أربع سنوات فقط من إنشائه وكان النافذة الوحيدة للمسلمين لتلقي علوم دينهم، كما توقف إصدار مجلة المسلمون في الصين، وفي عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م توقفت بعثات الحج نهائياً.

٨- عهد الثورة الثقافية : ١٣٨٦ - ١٣٩٦ هـ / ١٩٦٦- ١٩٧٦ م

وهذه المرحلة من أشد مراحل الضعف وتسمى بمرحلة الانتفاضة الثقافية، وقلبت الصين رأساً على عقب وعلى رأسها " جيانج كنج " أرملة ماو، عمل الشيوعيون في هذه الفترة على إنهاء الوجود الإسلامي في الصين فاستباحوا كل شيء حتى حرقوا الكتب الإسلامية والمصاحف في الشوارع وألغيت كل مظاهر الحياة الإسلامية.

وتوفي الرئيس " ماو تسي تونغ " عام ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م بعد أن أهدرت الثورة الثقافية كل ما بناه المسلمون وأنجزوه منذ إعلان الجمهورية عام ١٩١١م وبدأ أمامهم المستقبل قاتماً وكئيباً، وحجبت أخبارهم عن العالم الإسلامي، وكانت هذه السنوات هي السنوات العشر العجاف للمسلمين.

المسلمون في الصين : من عام ١٣٩٦ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٧٦ - ١٩٨٨م

حصل صراع على السلطة بعد وفاة " ماو" انتهى بسحق عصابة الأربعة، وبدأ المسلمون مرحلة جديدة من عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، حصل فيها بعض الانفراج في سياسة الحكومة تجاه المسلمين وظهرت مجاملة الدولة لهم ومحاولة كسب عطفهم في أعقاب الغزو السوفيتي لأفغانستان في أواخر عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م فتمت الدعوة لعقد المؤتمر الرابع للجمعية الإسلامية وانعقد بالفعل عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م بعد انقطاع دام سعة عشر عاماً، ورغم المآسي التي مرت على المسلمين إلا أن الترابط الاجتماعي لا يزال قوياً ويتميز بالطابع الإسلامي، وقد أعفت الحكومة المسلمين من قوانين تحديد النسل وسمحت لهم بحرية الإنجاب تلبية لرغبة المسلمين وبدأ التركستان تشهد بالفعل حركة إحياء إسلامي مكثفة تمثلت في إقامة أكثر من ستة آلاف مسجد في فترة تقل عن ست سنوات، وانتشرت المدارس لتعليم القرآن الكريم، وهذا كله يحمل الأمل بعودة دور الإسلام في تلك البلاد.(والله متم نوره ولو كره الكافرون)[١٥]

١٣- تايوان : فورموزا

جزيرة انفصلت عن الصين بعد أن تسلم الشيوعيون الحكم في البر الصيني في مطلع عام ١٣٦٩هـ وانتقلت الحكومة الوطنية التي كانت قائمة في الصين إلى تايوان، كما انتقل مع الحكومة بعض المسلمين وهكذا وجد في الصين حكومتان :

الأولى : في البر الصيني وتعرف باسم حكومة الصين الشعبية

الثانية :في تايوان وتعرف باسم حكومة الصين الوطنية

يبلغ عدد سكان الصين الوطنية " تايوان " أكثر من ٢٠ مليون، ويعيش بينهم ما يزيد على ٤٥ألف من المسلمين، أي بنسبة تقل عن ١% من السكان.

ولعل قلة المسلمين في جزيرة فورموزا هي أن السفن التجارية الإسلامية لم تكن لتتجاوز شمال الجزر التي عرفت فيما بعد باسم " جزر الفلبين " بسبب الأعاصير التي كانت تجتاح المنطقة وكانت السفن شراعية تخشى الابتعاد عن الساحل.

وتوجد في عاصمة تايوان " تايبيه " بعض المؤسسات الإسلامية مثل : رابطة الشباب المسلم الصينية، والهيئة الصينية الإسلامية، والمؤسسة الثقافية والتعليمية الصينية. [١٦]

١٤ـ اليابان :

لم يصل الإسلام إلى اليابان عندما وصل إلى الشرق الأقصى لأسباب كثيرة منها:

أ ــ البعد: حيث لم تستطع السفن الشراعية الوصول إليها

ب ــ التقوقع الياباني: والذي كان معروفاً حتى ١٢٨٦هــ حيث ألزمت على الانفتاح والاتجار مع الأجانب وفتح بعض مرافئها لهم، ولقد أبدى الإمبراطور الياباني "الميكادوموتسو هيتو " ميلاً وإعجاباً بالإسلام والمسلمين، وكذلك اتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني وطلب منه أن يبعث إلى اليابان معلمين للإسلام، غير أن السلطان عبد الحميد لم يستطع أن يحقق ما يريد حيث خلع عام ١٣٢٧هــ / ١٩٠٩م.

وفي الحقيقة: أن اتجاه اليابان نحو الإسلام كان بعدما انتصرت على الروس ففكرت في التوسع في القارة الأسيوية، ولما كان المسلمون يشكلون ما يقرب من ثلث سكان هذه القارة لذا فكرت بالإفادة منهم حيث تجعلهم يتجهون لها كمنقذة لهم من الاستعمار الصليبي الغربي الذين يقاتلونه ويلتقون في كراهيته مع اليابان.

ومن هنا أظهرت اهتمامها بالإسلام ورغبتها في نشاط أهله في بلادها وبدأت الدعاية لا للإسلام ولكن للإفادة من أبنائه وعواطفهم، وبدأ تنمو لدى اليابانيين فكرة الوحدة مع الصين التي تضم كتلة هائلة من البشر وإذا ما تمت هذه الوحدة فإنه يصبح بالإمكان الوقوف أمام العالم، والصين تضم أعداداً كبيرة من المسلمين، ومع الدعاية ومع انتشار فكرة الوحدة مع الصين، ومع فكرة التوسع بدأ التنفيذ والتطبيق فقد ضمت اليابان إليها كوريا عام ١٣٢٩هــ وليس في كوريا مسلمون، ثم بدأ العمل للتوسع في منشوريا ولم تمض مدة حتى دخلتها، غير أن المسلمين في منشوريا لم يختلطوا مع اليابانيين ومع ذلك

فقد رجع عدد من اليابانيين إلى بلادهم من منشوريا مسلمين، وبدأ التوسع فـــي الصيـــن واحتلت اليابان الجزء الشمالي من البر الصيني وحاولت تحسين علاقتها مـــع المســـلمين وأوجدت لهم تنظيم " اتحاد المسلمين في الصين " وعملت على نشاطهم ودعمهم، وجـــاء عدد من المسلمين من الهند ومن جاوا في أندونيسيا إلى اليابان ولكن لم يكن لهذا كله أثر في الدعوة إلى الإسلام في اليابانيين لأن هؤلاء المسلمين الوافدين لـــم يكونـــوا مؤهليـــن للدعوة، وفي الحرب العالمية الثانية أسلم عدد من اليابانيين لوجودهم بين المســـلمين فـــي أندونيسيا والملايو والمناطق الأخرى التي احتلها اليابانيون، وفر عدد من المسلمين مـــن الصين بعد سيطرة الشيوعيين عليها واتجهوا نحو اليابان، ثم وصل عدد آخر من الدعـــاة من الهند وباكستان ومن جماعة التبليغ خاصة، غير أن أكبر الأثر للدعوة إلى الإســـلام في اليابان إنما هو اليابانيون أنفسهم.

ويقدر عدد سكان اليابان بحوالي ٨٦مليون نسمة والمسلمون بينهم أكثر مـــن ٢٠ألفـــاً، وللمسلمين بعض المؤسسات الإسلامية، وأكثرها وأشهرها في طوكيو العاصمة ومنها:

"الجمعية الإسلامية اليابانية ــ الجمعية الثقافية الإسلامية ــ جمعية الطلاب المســـلمين المركز الإسلامي الدولي، كما يوجد معهد لتدريس اللغة العربية يتبع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية في السعودية" وهناك مسجد في طوكيو وعدد من المساجد في المـــدن الأخرى.[١٧]

١٥- كوريا :

لم تتجاوز سفن المسلمين التجارية الصين ولذلك لم يصل الإسلام إلى كوريا إلا متأخرا جداً حيث دخل عام ١٣٧٥هـــ / ١٩٥٤م ، وذلك عندما انقسمت كوريا إلـــى قســـمين : الشمالية والجنوبية، وحدث خلاف في العقيدة بين الطرفين وقامت الحرب بينـــهما عـــام ١٣٧٥هـــ وصلت قوات دولية لدعم كوريا الجنوبية كان من بين فرق هذه القوات فرقـــة تركية وكان إمامها الشيخ / عبد الرحمن ، فاستطاع أن ينشر الإسلام بين أعداد قليلة منهم

ويقدر عدد السكان هناك اليوم حوالي ٣٥مليون من بينهم حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة مسلم . [١٨] ويتجمع أكثر المسلمون في مدينة " سيؤول " عاصمة كوريا الجنوبية ولـــهم مسجد وسط المدينة كما ينظمهم اتحاد المسلمين في كوريا، وتصدر لهم مجلة شهرية باسم

" صوت الإسلام " ويوجد الاتحاد الإسلامي والمنظمة الخيرية الإسلامية وكلاهما في العاصمة ونشاطهما محدود لضعف الإمكانيات وعد تأهيل القائمين على العمل، وهناك مشروع متفق عليه بين السعودية وكوريا لإنشاء جامعة إسلامية كورية ولم يتم بعد. وهناك مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم والسيرة النبوية إلى اللغة الكورية.

أما كوريا الشمالية فتكاد تخلوا من المسلمين وذلك لأن عقيدتها لا تسمح باعتناق إي أو إتباع أي مذهب اللهم إذا استثنينا المذهب الأرثوذكسي ديانة ومذهب روسيا [١٩]

١٦- منغوليا :

منطقة واسعة من الصحراء وسط آسيا كانت تتبع الصين تزيد مساحتها على ١.٥ مليون كيلو متر مربع، ولكن لا يزيد عدد سكانها على مليون ونصف بسبب الجفاف ويعيش فيها أقل من خمسة عشر ألفا من المسلمين ولذا فإن نسبتهم حوالي ١% فقط[٢٠]

١٧- قبرص :

وهي ثالثة كبريات جزر البحر الأبيض المتوسط، وتوجد في جزئه الشرقي وتبعد عن الساحل السوري ٩٠ كم وعن الساحل التركي ٦٥ كم وعن الساحل المصري ٤٠٠كم وعن الساحل اليوناني ٩٠٠كم ويبلغ عدد سكانها عام ١٤٠٧ هـ حوالي ٧٥٠ألف نسمة منهم ١٧٥ ألف مسلم من الأتراك والباقي من النصارى اليونانيين ومن جنسيات أخرى.

وموقعها الاستراتيجي يجعلها تصلح نقطة انطلاق إلى الغرب أو الشرق ولذا فكلا المعسكرين الشيوعي والرأسمالي يحاول أن يكون له فيها قواعد عسكرية، وتقد تعاقب عليها عدد من الفاتحين بحكم موقعها هذا، عندما ظهر الإسلام كانت بيد الدولة البيزنطية منذ عام ٣٥٩م وكانت النصرانية قد أخذت طريقها إليها حوالي عام ٤٨م على يد بولس.

ومع أن قبرص تعد آسيوية من حيث الطبيعة والتضاريس إذ هي تتمة للأرض السورية إلا أن الدول الأوروبية تصرّعلى تصنيفها كدولة أوروبية تأكيداً على نصرانيتها.

دخول الإسلام :

فتح المسلمون ديار الشام وأصبحت قاعدة من قواعد الإسلام وولي عليها معاوية بن أبي سفيان الذي تابع الفتوحات الإسلامية في بلاد الروم، ورأى أن يستولي على القواعد

الهامة ليتمكن من منازلة الروم وليحول دون استخدامها ضد المسلمين وكان أهم هذه القواعد" قبرص " التي كان العدو يغير منها على الثغور الإسلامية فاستنفر معاوية العمال ومن كان لهم خبرات في صناعة السفن وحشده في عكا ورمّم الحصن والمرفأ وجعله داراً لصناعة السفن وتجهيز الأسطول الإسلامي وإعداده، كما رمم مدينة صور وشحنها بالمقاتلة،واستأذن عثمان بن عفان في غزو قبرص فأذن له بشرط ألا يحمل الناس كرهاً على ركوب البحر فتكون الخدمة البحرية عن طريق التطوع، وأن يصطحب معه زوجته وكان المسلمون يفعلون ذلك في حروبهم لإظهار النكاية بالعدو والعزم على بلوغ النصر، فعين معاوية لقيادة القوة البحري عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة وكان من رجال البحر المعروفين غزا خمسين غزوة لم يغرق من جيشه أحد، وركب معاوية ﷺ البحر بألف وسبعمائة سفينة ومعه زوجته وعدد من الصحابة فيهم أبو ذر والمقداد بن الأسود وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، ففتح المسلمون قبرص عام ٢٨هـ صلحاً، واستخدمت كقاعدة إنذار للمسلمين من حيث يجب على أهلها بموجب المعاهدة إخبار المسلمين عن التحركات المعادية مع استخدام الجزيرة كقاعدة لدعم البحرية الإسلامية، وفي هذه الجزيرة دفنت أم حرام بنت ملحان وقبرها يشهد على هذا التاريخ العظيم، فأين نحن منه اليوم ؟

ونقض أهل قبرص العهد عام ٣٣هـ فوجه معاوية قوة مكونة من خمسمائة مركب وحاصرها وفتحها عنوة ونقل إليها جيشاً من اثني عشر ألفاً من المسلمين لحمايتها فأقام هذا الجيش وعمّر المساجد وبنى الحصون وأقام المراصد وأصبحت جزءا من دار الإسلام.

واتصل أهل قبرص بالنصارى الروم عام ١٢٥هـ فجهز الوليد بن يزيد جيشاً بقيادة أخيه الغمر بن يزيد بن عبد الملك وعين الأسود بن بلال المحاربي أميرا على البحر وأعادت الجيوش الإسلامية فتح الجزيرة وخيروا أهلها بين الذهاب إلى الشام أو الالتحاق ببلاد الروم، فاختار جمع كبير من أهلها الذهاب إلى الشام، وأقامت قوات إسلامية في الجزيرة حيث بقيت درع الدفاع عن بلاد المسلمين في الشام ومصر، حتى إذا ما بدأ الضعف يتسرب للدولة الإسلامية زمن البويهيين ٣٣٤ـ ٤٤٧هـ كان أول عمل قام به

" نقفور" ملك القسطنطينية أن أرسل حملة أعادت السيطرة البيزنطية على الجزيرة عـــام ٣٥٤هـ واتخذت بحرية البيزنطيين منها قاعدة أثناء الحملات الصليبية.

واحتلها " ريتشارد قلب الأسد " عام ٥٨٧هـ واتخذها قاعدة لحملته الصليبية على عكا وباعها إلى إحدى الطوائف الدينية " فرسان الداوية " الذين باعوها بدورهم للملك " غاي " سنة ٥٨٨هـ وأصبحت مملكته عام ٥٩٥هـ .

وكانت قبرص قاعدة الملك " لويس التاسع " في حملته على مصر حيث أقام بها ســنة كاملة سنة ٦٤٦ هـ قبل أن يتوجه إلى مصر، وكان ملك قبرص الموجه للتعـــاون مــع التتار " المغول " للقضاء على المسلمين، وعندما تم تحرير عكا سنة ٦٩٠هـ علـــى يـد الأشرف خليل ابن قلاوون بقيت قبرص الحكومة النصرانية الوحيدة التي تابعت الحروب الصليبية ضد المسلمين، وعاقت تهديدات المغول السلطان الأشرف عن فتح قبرص، غير أن السلطان المملوكي " برسباي " نجح في فتحها وأسر ملكها عام ٨٣٠هـــ فـأصبحت قبرص تحت حماية مصر وتدفع لها الجزية إلى أن احتلها البنادقة عام ٨٩٥هـ.

قبرص في عهد العثمانيين :

ظهرت الدولة العثمانية وأخذ الأتراك العثمانيون على عاتقهم حماية العالم الإســـلامي وتولوا قيادة الجهاد ضد الصليبيين ونقلوا الصراع من آسيا إلى أوروبا وفتحوا قبرص عام ٩٧٩هـ ولاحقوا البنادقة وأخرجوهم من كريت عام ١٠٨٠هـ وبـــهذا يكـون خـروج البنادقة من قبرص نهاية الحروب الصليبية في المشرق، وخلت الديار الإسلامية من كـل أثر صليبي وعادت قبرص إلى دار الإسلام، وبقي العثمانيون في قبرص ثلاثـــة قـرون تقريباً عملوا من بدايتها على توطيد دعائم الإسلام في الجزيرة فقد أسكنها السلطان سـليم الثاني حامية عثمانية منذ أن فتحها، وأقام فيها الدعاة فأصبح المســـلمون ثلاثـة أمثـال النصارى عام ١٢٠٥هـ فأصبحت قبرص بلداً إسلامية وجزء من ديار الإسلام بأرضها وأهلها وشهدت الأمن في ظل وضعها الطبيعي ضمن دار الإســلام، وتمتــع النصـارى بالأمن وأعاد العثمانيون للكنيسة الأرثوذكسية نفوذها.

قبرص في ظل الاحتلال البريطاني :

ضعفت الدولة العثمانية وطمعت الدول في تخطف أطرافها والاستيلاء على أجزائها فكانت الحروب لا تفتر بينها وبين جيرانها من روسيا والنمسا، وكانت سياسة بريطانيا تنصب على الحفاظ على الهند " درة التاج البريطاني " فعمل " دزرائيلي " رئيس وزراء انجلترا اليهودي على فرض معاهدة على الدولة العثمانية عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م باسم " الحلف الدفاعي " قبلت فيه الدولة العثمانية الاحتلال البريطاني لقبرص مقابل ضمان بريطانيا الدفاع عن الممتلكات العثمانية في آسيا ضد روسيا، كما تعهدت بريطانيا بدفع مبلغ اثنين وتسعين ألفاً وثمانمائة جنيه سنوياً وهو ما يفيض عن ميزانية قبرص، وادعت أن الاحتلال مؤقت ريثما تعيد روسيا للعثمانيين المناطق التي احتلتها وهي أقاليم " قارص وباطوم وأردهان " وفي الوقت نفسه اتفقت بريطانيا مع فرنسا أن تطلق يد فرنسا في تونس التي كانت تسعى لاحتلالها، واتفقت مع روسيا على أن تحتفظ بالمناطق التي احتلتها وتوجت تلك الاتفاقيات بعقد مؤتمر برلين عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م ليعطي الصفة الدولية والقانونية لهذه الاتفاقيات الجانبية والسرية، وعملت بريطانيا دورها في إضعاف المسلمين في الجزيرة فشجعت هجرة النصارى من اليونان إلى الجزيرة وضيقت على المسلمين الأتراك، ففي عام ١٨٩٠م كان عدد سكان الجزيرة ٨٠ ألف نسمة ، وعدد المسلمين ٦٠ألفا، ٢٠ألفا من النصارى.

وفي عام ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م عند اندلاع الحرب العالمية الأولى أنهت بريطانيا تبعية الجزيرة الإسمية لتركيا وألحقتها بالتاج بالبريطاني، وعرضت على اليونان أن تضمها إليها مقابل دخولها مع الحلفاء في الحرب ضد ألمانيا، ومنذ ذلك الوقت والقبارصة اليونانيون الدخلاء والذين غدوا أكثرية في عهد السيطرة الإنجليزية يطالبون باستقلال الجزيرة وإلحاقها بالأراضي اليونانية حيث بلغ عدد النصارى أكثر من ٥٢٩ ألفا بينما وصل عدد المسلمين ١٢٠الفا فقط عند الاستقلال.

تنازلت تركيا رسمياً عن الجزيرة في معاهدة لوزان عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٣م واتخذت قبرص قاعدة حربية للحلفاء عند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ م وجعل الإنجليز منها قاعدة تجارية لنشاط اليهود لنشر الفساد والتأثير على العقيدة الإسلامية، كما جعلوها مركزاً لتهريب البضائع بعد المقاطعة العربية للبضائع اليهودية ومقراً لعصابات الصهاينة، ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ذهب وفد قبرص للمطالبة

بحق تقرير المصير لقبرص عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م وبرز على المسرح السياسي المطران " مكاريوس " وهو يوناني الأصل والذي انتخب رئيساً لأساقفة قبرص عام ١٩٤٧م ودعا إلى وحدة الجزيرة.

استقلال قبرص : عام ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

وافقت بريطانيا على استقلال قبرص وسلمت السلطة للمطران مكاريوس كممثل من القبارصة اليونانيين، ونائبه " فاضل كوتشوك " كممثل عن الأتراك وينتخبان لمدة خمس سنوات وللاثنين فقط حق الرفض لأي قانون، واستبعدت بريطانيا فكرة اتحاد قبرص مع أية دولة أخرى كلياً أو جزئياً، واحتفظت بريطانيا بقواعد عسكرية كبرى في قبرص.

قبرص بعد الاستقلال :

أصبح الجنرال "غر يفاس " وهو يوناني متعصب لقوميته رئيساً للحرس الوطني فبدأ يتصرف بالأمن، مما جعل الأتراك يتصلبون في مواقفهم وحدث الصدام والخلاف فتفرد اليونانيون بالحكم، وقامت معارك دامية عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م وحاولت تركيا التدخل عام ١٩٦٤ م على عهد " عصمت اينونو " إلا أن الرئيس الأمريكي " جونسون " هدده من التدخل وتشكلت الجمهورية القبرصية الفيدرالية سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م واعترف وزراء خارجية العالم الإسلامي بها سنة ١٣٩٧ هـ وأكد المؤتمر تأييده لاتحاد المنطقتين التركية واليونانية في اتحاد فدرالي حرصاً على وحدة الجزيرة القبرصية.

ولا تزال جزيرة قبرص منطقة صراع، حيث ترى تركيا أن الحل يكون في تكوين دولة فدرالية على أساس مقاطعتين : تركية ويونانية لكل منهما هويته الذاتية، بينما تصر الحكومة اليونانية على ضم قبرص إلى اليونان.

والغريب في وضع الجزيرة أنها قريبة إلى بلاد الإسلام وبعيدة كل البعد عن اليونان ولكنها تدير ظهرها للعالم الإسلامي رغم أنها جزء منه وتتطلع أبداً إلى الغرب وهي ليست منه، فحل مشاكلها الحقيقية لا يكون إلا بوضعها الطبيعي كجزء من بلاد الإسلام تماماً كوضع لبنان وفلسطين [٢١]

المبحث الثاني :

المسلمون في الاتحاد السوفيتي " سابقاً "

إن ما يسمى بالاتحاد السوفياتي " سابقا " هو أوسع بلاد العالم مساحة إذ تبلغ مساحته ٢٢.٤ مليون كيلو متر مربع، أي سدس مساحة اليابسة، موزعة على قارتي آسيا وأوروبا، فهو يشمل ثلثي مساحة قارة آسيا ونصف مساحة أوروبا.

وأما روسيا الأصلية : فهي تلك المنطقة التي تقع في الركن الشمالي الشرقي من أوروبا، والتي سكنها الشعب الروسي من الشعب السلافي بأقسامه الثلاث" الروس الكبار والأوكران ، والروس البيض " وهذه البلاد الروسية الأصل لا تزيد على ١.٥ مليون كيلو متر مربع، أما المناطق الشرقية والشمالية والجنوبية، فيما يسمى روسيا الأوروبية اليوم فقد كانت قبائل قليلة العدد، تتنقل في أرجائها وكان الروس وتلك القبائل يدينون بالوثنية، إلى أن تنصر الملك فلاديمير سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٨م على المذهب الأرثوذكسي.

ويزيد مجموع سكان الاتحاد السوفياتي " سابقا " على ٣٠٠مليون نسمة، والمسلمون حوالي ٩٠ مليون مسلم، والروس وحدهم حوالي ١٥٠ مليون روسي، ويشكل المسلمون من هذه التكوينه حوالي ٤٠ قومية، ويتحدثون بأكثر من ٤٥ لغة، وأغلب المسلمين فيهم أصولهم تركية، ونسبة السنة بين المسلمين حوالي ٩٥%.

ويتكون الاتحاد السوفياتي الحالي من خمس عشرة جمهورية، فيها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها، ويضم البلدان التالية :

١ ـــ روسيا الأصلية : وهي زعيمة الاتحاد والمتسلطة عليه، وإن كان هذا الاتحاد قد انهار من الناحية الرسمية، غير أنه بقيت هيمنة روسيا من الناحية الفعلية.

٢ ـــ سيبيريا : وتتبع جمهورية روسيا.

٣ ـــ بلاد حوض الفولغة

٤ ـــ شبه جزيرة القرم

٥ ـــ بلاد القفقاس

٦ ــ تركستان الغربية

وجميع هذه البلدان دخلها الإسلام وكونت جزءاً من دار الإسلام، بعضها مــن القــرن الأول الهجري وبعضها بعد ذلك بكثير، وأما الأقاليم النصرانية والتــي شملــها التوســع الروسي فضئيلة المساحة قليلة الموارد وهي: " روسيا البيضاء، أوكرانيا ، أستونيا، لاتفيا ، لتوانيا ، ملدفيا "

دخول الإسلام:

لقد انتشر الإسلام في تلك الديار منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، ففــي عام ٢٢هــ دخل تحت السيطرة الإسلامية كل من أذربيجان، أرمينيا ، جورجيا ، وظــل المد الإسلامي عبر التاريخ وازداد انتشاره في هذه الديار في عهد الدولة الأموية على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، والذي افتتح خوارزم، وبخارى، وسمرقند، وفرغانة، وبلاد الترك، وولي خراسان عشر سنين من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، وكذلك انتشــر الإســلام على يد التتار، الذين جاءوا ليستأصلوا شأفة الإسلام، وإذا بالإسلام يستأصل شأفة الكفــر من قلوبهم وإذا بهم بعد أن دمروا حاضرة الخلافة الإسلامية بغداد عام ٦٥٦هــ يسيحون في الأرض من أجل نشر دين الله، ولقد عمل التتار الذين أسلموا حاجزاً شمالي تركستان الإسلامية، يمتد من الصين شرقاً إلى البحر الأسود غرباً، وكان الإســـلام يتحكــم فــي أوضاع روسيا والتي كانت تدفع الجزية للمسلمين، ولذلك فالروس لا يحقدون على أحـــد مثلما يحقدون على التتار، ولقد حكم التتار روسيا ودفعت روسيا الجزية للتتار المســلمين ٢٤٠ عاماً، حتى استقلت روسيا وأسست دولتها بزعامة " إيفان الثالث " عــام " ٨٦٧ ــ ٩١١هــ " والذي أعلن الحرب الصليبية على التتار، واعتبر موسكو وارثة الإمبراطورية البيزنطية، وذلك بعد سقوط الكنيسة الأرثوذكسية في أيدي العثمانيين عام ٨٥٧هـــ فــي القسطنطينية وتغير اسمها إلى استانبول، انتقلت الكنيسة الأرثوذكسية إلى موســكو ورأى الروس أن يتولوا مهمة الدفاع عنها والتي كان يقوم بها البيزنطيون، فقــام البابــا يحــث "فاسيلي الثالث" أمير موسكو بإشعال حرب مقدسة ضد المسلمين، ولكن فاسيلي ترك هذه المهمة لولده " إيفان الرابع " والذي سمي " بالرهيب " بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتــل وذبح وأذى بتوجيه البابا.

وقام بغزو الأقاليم الإسلامية في روسيا، فاحتل "خانية قازان" وهي عاصمة التتار، وهدموا أكثر مساجدها، فكانت أول البلاد الإسلامية التي وقعت تحت براثن الاستعمار الروسي عام ٩٦٠هـ، وذلك بعد ستين سنة من سقوط غرناطة في الأندلس، وبهذا فرحت الكنيسة الأرثوذكسية فرحة شديدة بعد سقوط عاصمتين عظيمتين للمسلمين في الشرق والغرب، واستمرت الحرب سجالاً بين التتار والروس، ولما وقع الخلاف بين أبناء العمومة من التتار، استغله الروس وقضوا على إمارة قازان الإسلامية، ثم اتجه الروس بعد ذلك إلى بلاد النوغاي وإلى استرا خان التي دانت للروس عام ٩٦١هـ، ثم استمر الروس في السيطرة على بلاد التتار حتى سيبريا الغربية، وأجلوا احتلال بلاد القرم المحيطة بالبحر الأسود خوفاً من الدولة العثمانية، والتي كانت مشغولة بحروبها المتواصلة، وقد قوى كسب هذه الأراضي من قبل الروس شوكتهم وأصبح الوقت متأخراً من قبل العثمانيين لاستعادة هذه الأراضي أو على الأقل مساعدة جيرانهم.

وأخذ الروس يناجزون القفقاس وقاموا بحروب ضد القفقاس، ولما لم يجد الشاشانيون والداغستانيون بداً أعلنوا عن تشكيل حكومة لهم بقيادة الإمام المجاهد الشيخ شامل الداغستاني الذي وقف في وجه القياصرة الروم يقاتلهم ٣٥ عاماً ابتداء من عام ١٢٤١هـ وإلا لكانت الجزيرة العربية اليوم ولاية من ولايات الاتحاد السوفياتي.

ولم يستطع الروس أن يوقفوه إلا بعد أن رصدوا له أكثر من ثلاثمائة ألف جندي ومقاتل، ولقد كان الإمام شامل مصدر رعب للحكام النصارى في جورجيا، فقد كان يخطف أبناءهم ويقف لهم بالمرصاد في الطريق، ولما انفضت الأمة الإسلامية عنه ومن حوله قبضوا عليه ولم يقتلوه إجلالاً له، وخيّروه فاختار أن ينفى إلى الأستانة حاضرة الدولة العثمانية وكان ذلك عام ١٢٨١هـ، ومن هناك اتجه إلى المدينة المنورة وقضى نحبه فيها رحمه الله.

وأما أمة التركستان فبعد أن سيطر الروس على سيبيريا الغربية عام ١٠٧٨ هـ أصبحت التركستان مكشوفة لهم من الجنوب، فما أن انتهوا من القفقاس حتى التفتوا إلى تركستان، وسيطروا على سواحل بحر الخزر الشرقية عام ١٢٤٢هـ وتقدموا نحو نهر سيحون، وفي عام ١٢٩٣هـ سيطر الروس بعد أن سيطروا على نهر سيحون على

طشقند، وسمرقند، ومنها اتجهوا إلى نهر جيحون ثم إلى قوقند، وبخـــارى، وخـــوارزم، وسيطروا بالتالي على بحر الخزر الشرقي، ثم بلاد الطاجيك، وتوجهوا نحو الجنوب إلى أفغانستان، إيغالاً في الحقد ورغبة في الانتقام من المسلمين ولم يخرجوا منـــها إلا بعــد تفتيت الاتحاد السوفياتي. [٢٢]

احوال المسلمين :

لقد عاش مسلمو الاتحاد السوفياتي قبيل الثورة الشيوعية والتي قامت في عام ١٩١٧م نهضة إسلامية كبيرة، كان مركزها على ضفاف نهر" إتل " في مدينتي قازان وأوفة، ولقد وعد الشيوعيون المسلمين بتحريرهم من الكنيسة الأرثوذكسية قبل ثورتهم وذلك طمعاً في مساندتهم، وعندما اكتشف المسلمون غدر الشيوعيين بعد ثورتهم ثاروا ضدهم في طـــول البلاد وعرضها، في بشكيريا، وفي القرم تحت زعامة الإمام الشلبي، وفي بخارى تحـــت زعامة الأمير سعيد عالم، وأدت تلك الثورات إلى مذابح ذهب ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين، كما أدت السياسة التي اتبعتها الحكومة ضد الرّحل في كازاخستان إلى مجاعة ذهب ضحيتها مليون مسلم كازاخي، ولقد أصبح المسلمون ضحية أكبر اضطـــهاد فـــي تاريخهم إبان الحكم الستاليني، الذي عمل على القضاء على جميع المؤسسات الإسلامية، وإضعاف شوكة علماء المسلمين، وقتل وتهجير ملايين منهم لأتفه الأسباب، وقـــد تـــابع النظام السوفياتي أيام خروتشوف سياسة الاستهزاء بالإسلام والدعاية ضده بين الشعـــوب الإسلامية، والعمل على مسحه نهائياً من الحياة الخاصة بعد أن مسح أيام " ستالين " مـــن الحياة العامة، وبعض الأرقام تعطي فكرة عن المجهود الذي قامت به الدولة في الاتحـــاد السوفياتي لمسح الإسلام من البلاد والقضاء عليه، فقد كان يوجـــد فـــي الإمبراطوريـــة الروسية قبل الثورة الشيوعية ستة وعشرين ألف مسجد لم يبقي منها اليوم سوى أربعمائة وخمسين مسجداً، ومن هذا المجموع مائة وخمسين مسجداً في آسيا الوســـطى، ومـــائتين مسجدا في المنطقة الأوروبية من الاتحاد السوفياتي، وواحد وستين مسجدا في أذربيجـــان وشمال القفقاس.

أما المدارس الإسلامية التي كانت تعد بالمئات قبل ثورة ١٩١٧م لم يبق منـــها اليـــوم سوى مدرستين، وعملت الدولة على تجزئة الأمة الإسلامية وتقطيع أصولها، إذ عملـــت

على الاعتراف بكل لهجة من اللهجات كلغة خاصة، وقامت بتجزئة أوصـــال المســلمين الأتراك الذين يكونون أكثرية مسلمي الاتحاد السوفيتي إلى عشرات القوميـــات، وقــامت الدولة بحرب متواصلة ضد اللغة العربية وتعليمها وضد الحرف العربي بصفة خاصــــة، فكتبت كل لغات الشعوب الإسلامية بالحروف الروسية، وقامت الدولة بمجـــهود ضخـــم للدعاية ضد الإسلام وعقائده، و الاستهزاء بمقدساته، حتى تبعد المسلمين عنه، كما عملت على مسح جميع مظاهره في الشؤون الخاصة والعامة، ولقـــد جــزأت الدولـــة التنظيـــم الإسلامي في الاتحاد السوفيتي إلى أربع إدارات دينية تابعة لها وتحت سلطانها وهي:

الإدارة الإسلامية الدينية لروسيا ومركزها قازان، إدارة القفقاس ومركزها باكو، وإدارة شمال القفقاس ومركزها محج قلعة عاصمة داغستان، وإدارة آسيا الوســـطى ومركزهـــا طشقند

ومع ذلك بفضل الله تعالى لقد نجح المسلمون في مقاومة هذا الضغط والحفـــاظ علـــى شخصيتهم رغم المكائد التي هم ضحيتها، وهم الآن ينظرون إلى المستقبل بأمل كبير في الرجوع إلى دينهم وإستعادة أملاكهم السليبة بعون الله تعالى .[٢٣]

المناطق الإسلامية :

الاتحاد السوفيتي يطل عل بحار عظيمة ويشمل قوميات كثيرة، وفيما يلي بعض نقاط يسيرة عن الجمهوريات الإسلامية في التركستان الغربية، وغيرها من الجمهوريات.

١. كازاخستان :

ثاني أكبر جمهورية بعد روسيا، وتقع في آسيا الوسطى وعاصمتها " المآتا" أي مدينة التفاح، وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكـــثر مـــن ٥٠%، واســـم رئيسها نور سلطان نزر باييف، وتقع فيها كثير من الرؤوس النووية والمحطات الذريـــة والحربية ومحطات الفضاء والصواريخ، وهي دولة تتمتع بانتاج كثير من المعادن، وغنية بالثروة الزراعية والحيوانية، ولذلك لا تغفل عنها روسيا أبدا.[٢٤]

٢. اوزبكستان :

وتقع في آسيا الوسطى وتأسست عام ١٩٢٤م، وعاصمتها" طشقند "، وعـــدد ســـكانها ٢٢مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٠%.

وعلى الرغم من الضربات الموجعة من الروس على هـــذه المنطقـــة والتـــي كـــانوا يعتبرونها العاصمة الدينية، إلا أن هذه الديار كانت من أعظم الديار هناك حفاظـــا علـــى الإسلام، وبخاصة في منطقة وادي فرغانة، فقد كان المسلمون يرســـلون أبنـــاءهم مـــن الجمهوريات الأخرى إلى هذه الديار ليتعلموا القرآن الكريم فلا تمر الســـنة والســـنتان إلا وقد حفظوا القرآن الكريم، وكانت المدارس تحت محطات البنزين وخزانات الوقـــود، أو يخصص الشيخ غرفة صغيرة سرية للطلاب وتخصص زوجته غرفة أخرى للطالبات.

ورئيس الجمهورية " إسلام كريموف " ولا يزال الخط السياسي كالسابق ولم تتغير إلا اللافتة فقط، فبعد أن كان يسمى المجلس الشيوعي أصبح يسمى المجلس الديمقراطي.

وهذه الجمهورية كانت تتبع تركستان، وتقع فيها معظم المدن الإسلامية ذات التـــاريخ المجيد كطشقند، وسمرقند ، وبخارى، وخوارزم، غيرهم.

وفيها توجد المدرستان الوحيدتان اللتان كانتا في ذلك العهد يسمح فيهما بالتدريس.

وتتميز أوزبكستان بالإنتاج الزراعي الوفير، ولذلك كانت بمثابـــة ســـلة المحـــاصيل والفواكه لجميع الاتحاد السوفيتي، وعندها ثلث الاتحاد السوفيتي من إنتاج الذهب، وتشتهر بالحرير الطبيعي، ولذلك فالسباق نحوها شديد من جميع دول العالم، ومن جميـــع الملـــل والنحل.[٢٥]

٣ـ تركمانستان :

عاصمتها " عشق آباد " وعدد سكانها ١٠مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر مـــن ٦٠% ، ورئيسها الحالي " نيازووف " ومنها ظهر الإمام السرخسي صاحب المبســـوط، والإمام البيهقي صاحب السنن الكبرى، والإمام الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل، وبلدة " مرو " تقع في هذه الجمهورية ويمر بها نهر جيحون حيـــث تعرضـــت لمذابـــح عظيمة عام ١٢٩٩هـ.[٢٦]

٤. قيرغيزستان :

عاصمتها " فرونزا "، وعدد سكانها ٤ مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٧٥%، ولقد تعرض المسلمون فيها لحملات الإبادة والتهجير وإحلال الروس مكانهم، وهذه سياسة الروس العامة في كل المناطق الإسلامية التي اجتاحوها[٢٧]

٥. طاجكستان :

تقع في آسيا الوسطى، وعاصمتها " دوشانبه "، وعدد سكانها ٦ مليون نسمة، وعدد الروس فيها ٣٠٠ ألف نسمة، والباقي مسلمون، ورئيسها " رحمان بنيوف " وسكانها من العنصر الفارسي، وسياسة الحكم العامة لم تتغير عن سابق عهدها[٢٨]

٦. أذربيجان :

وتقع ضمن روسيا الاتحادية في منطقة القفقاس شمال غرب إيران، وعدد سكانها أكثر من ٦مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٧٠%.

وقد تعرضت كغيرها من المناطق الإسلامية للمجازر الرهيبة، وقتل الزعماء المسلمين، وإحلال الروس فيها، وحيث أن هذه الجمهورية غنية بالمعادن وبخاصة البترول حيث تنتج حوالي ٢٠% من النفط السوفيتي لذلك بقيت تحت أنظار الروس.

٧. تترستان :

وتقع في روسيا الاتحادية، وعاصمتها " قازان " وعدد سكانها ٨ مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٧٥%، وتنافس قازان باكو في انتاج البترول، ويمر بها نهر الفولغا، وقد هدم أكثر مساجدها أثناء الغزو الشيوعي، وهجر التتار بأكملهم إلى غير ديارهم ليموتوا في مجاهيل سيبيريا في أسوأ ظروف معيشية عرفت[٣٠]

٨. بشكيرستان :

وعاصمتها " أوفا " وعدد سكانها ٤مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٥٥%، وهي غنية بالبترول والذهب والفضة وغيرها من المعادن، ولغة السكان التترية، وهي تتشكل مع الأجزاء الجنوبية من جبال أورال.[٣١]

٩. قرتشاي :

وعاصمتها " شركسيك "، وعدد سكانها مليون وخمسمائة ألف نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٥٠ %، ولغة السكان الأوزبكية.[٣٢]

١٠. الشاشان :

وتقع في روسيا الاتحادية، وعاصمتها " جروزني "، وعدد سكانها مليون وثلاثمائة ألف، ونسبة المسلمين فيهم أكثر من ٩٠%، ويتميز الشاشانيون بأنهم من أشد المقاتلين، ورئيسها " جوهر داديوف " والذي كان يعمل برتبة جنرال في سلاح الطيران السوفيتي، وعاد إلى بلاده وحسن إسلامه وعين رئيساً للجمهورية في السابع من أكتوبر عام ١٩٩١م، ثم قام بطرد الروس من الجمهورية فاستعرت الحرب بينه وبين الروس، الذين أرسلوا له أكثر من ٧٠ألف جندي فتصدى لهم بنحو من ٦٠ألف مقاتل، وأنشأ المعسكرات في الجبال والكهوف لتدريب بني قومه على القتال، ويلقى المساعدة من إخوانه في داغستان، والقفقاس، وأوزبكستان.

والعجيب أن في هذه الجمهورية محطات من محطات إطلاق الأقمار الصناعية، وتمتلك حوالي أربعمائة طائرة مقاتلة، وستمائة صاروخ استراتيجي.

ولقد تطورت الأحداث في هذا البلد المجاهد، فبعد مقتل الزعيم المسلم جوهر دوداييف بتخطيط من روسيا، بارك الله في جهود إخوانه فزادت المقاومة ضد الغزو الشيوعي الغاشم، وقامت بعمليات ناجحة ضد الغزاة، بل قاموا بعمليات فدائية عظيمة داخل الأراضي الروسية، واحتجزوا آلاف الرهائن الروسيين وجعلوا كرامة روسيا في التراب أمام العالم أجمع، وهذه هي المرة الثانية في وقتنا الحاضر التي يركع فيها الجيش الروسي الغاشم تحت أقدام المجاهدين المسلمين، ولله الحمد والمنة، بالإضافة إلى تعذيب الله للروس بالفقر الرهيب والذي نخر قواهم وجعلهم يستسلمون ويخرجون من أرض الشيشان عام ١٩٩٦م، وجرت انتخابات حرة في الشيشان وفاز فيها أصلان مسخادوف. فنسأل الله تعالى أن يمكن لهم.[٣٣]

١١- داغستان :

وعاصمتها" محج قلعة " وعدد سكانها مليون وثمانمائة ألف نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٠ %، ومنهم ظهر العالم المجاهد الإمام / شامل، وهو أعظم من رسخ دعائم اللغة العربية في داغستان، وفي قفقاسيا، وقد وقف في وجه القياصرة خمسة أئمة منهم " الإمام غازي ، والإمام شامل ، والإمام نجم الدين "

وفي منطقة " يوكانك " في الداغستان تقوم الإدارة الدينية لمسلمي شمالي القفقاس، وقد أسست عام ١٩٤٤م، ولكن تبقى سلطتها كما هو معلوم شكلية جدا.

وهناك غير ما ذكر من الجمهوريات الإسلامية إذ يبلغ عدد هذه الجمهوريات حوالي ٢٠جمهورية، ولكن في هذا العدد المذكور كفاية في هذا المقام حيث أننا نضطر إلى الاختصار، ومن ناحية أخرى فهو يعطي الانطباع العام لمناطق المسلمين وأحوالهم.

ومما يجب ذكره أن عدد المسلمين الكبير في الاتحاد السوفيتي يعينهم إن استيقظوا على أن يستعيدوا مكانتهم وسيادتهم في تلك الديار، فعددهم حوالي ٩٠مليون نسمة يمثلون أكثر من ٢٥% من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ٣٠٠مليون نسمة.[٣٤]

خاتمة :

لقد نجح الإسلام، رغم جميع المحاولات وكل أنواع الاضطهاد والدعاية والكذب والبهتان، على الحفاظ على شخصيته وقوته ووجوده بين الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وأخذت ظاهرة جديدة تظهر منذ عشرين سنة، وهي تزايد المسلمين بالنسبة لغيرهم، لدرجة أن عدد المسلمين سيصل إلى ثلث سكان الاتحاد السوفيتي بأكمله في أواخر هذا القرن الميلادي الحالي إذا ظلت الحالة الديموغرافية على ما هي عليه الآن، ولا شك أن للإسلام دورا مهما سيلعبه في مستقبل الاتحاد السوفيتي، وهذا ما سيؤثر بدوره على تعامل تلك الدولة مع العالم الإسلامي، ولذا أصبح واجبا على مسلمي العالم ربط رباط الأخوة والمحبة والتعاون لإعلاء كلمة الله ونشر العقيدة الإسلامية ولغة القرآن بينه وبين هذا القسم المهم من الأمة الإسلامية الذي أنجبت أئمة كبارا مثل البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والنسفي وغيرهم كثير، ولينصرن الله من ينصره.

المبحث الثالث :

الأقليات المسلمة في أفريقيا

تمهيد :

تعد القارة الأفريقية مع القارة الآسيوية مهد الإسلام، حيث انتشرت فيه أهم دوله، وحيث توجد فيه أكبر أكثرياته، غير أنها أيضاً يوجد فيها أقليات إسلامية تكونت نتيجة عدة أسباب منها :

أ ـ احتلال الأراضي الإسلامية من منطلق الدول الاستعمارية الأوروبية في القرن الماضي وإدماجها في مجموعات سياسية أصبحوا فيها أقلية.

ب ـ اعتناق غير المسلمين للإسلام، وهذه الظاهرة لازالت قائمة بالرغم من المواجهة الصليبية.

جـ ـ هجرة المسلمين من مناطق الكثافة الإسلامية إلى مناطق أخرى.

وينتمي معظم السكان في أفريقيا إلى مذهبين من مذاهب أهل السنة والجماعة، وهو المذهب المالكي في شمال وغرب أفريقيا وأفريقيا الاستوائية، والمذهب الشافعي في معظم مناطق شرق أفريقيا وجنوبها، وتوجد بقايا للمذهب الحنفي في الجزائر وتونس وليبيا ومصر ناتجة عن الوجود العثماني، وفي جنوب أفريقيا ناتجة عن الهجرة الهندية.

وينتج وضع الأقليات الإسلامية السيئ في أفريقيا في الوقت الحاضر عن الحقبة الاستعمارية للقارة، التي دامت أكثر من قرن، والتي كان مستهدفاً فيها قبل كل شيء الإسلام وأهله، وكان المسلمون وراء كل مقاومة للسيطرة على القارة الأفريقية من طرف الدول المستعمرة الأوربية، فعندما فشلت المقاومة الإسلامية ركز المستعمرون على السيطرة على القارة مستعملين مؤسستين مهمتين وهما :

" الجيش والكنيسة " وركز المستعمرون في كل أنحاء القارة على القضاء على المؤسسات الإسلامية وقطع ينابيع الرزق والتجارة عن المسلمين، بينما عملوا مجهودهم على تنصير وتعليم غيرهم وإيثارهم في مؤسسات الدولة على المسلمين، وبهذا لم يخرج

الاستعمار وتأخذ الدول الأفريقية استقلالها الواحدة تلو الأخرى إلا بعد أن كـــون أجيـــالاً كاملة من المتنصرين، الذين ورثوا عنه في كثير من الأحيان بعضاً من عداوته للإسلام، بينما ترك الجماعات الإسلامية مهما كانت أعدادها في براثن الجهل والفقـــر والمـــرض، وقد كانت قبل هي صاحبة العلم والجاه والمال، بالإضافة إلى أنهم سلّموا التعليم فيها إلى يد الإرساليات التبشيرية، وبهذا صار مصير أطفال المسلمين إما الجـــهل وذلـــك بعـــدم الذهاب إلى المدارس، وإما التنصير إن هم فعلوا، ولهذا نرى أن معظم الدول الأفريقيـــة التي يكون المسلمون فيها أقلية أصبح زمام الحكم والتوجيه والمـــال والتعليـــم فـــي يـــد المتنصرين، حتى لو كان عددهم لا يزيد عن عدد المسلمين أو يقل عنهم بكثير، بينما يتبع أكثر الأفارقة الأخرين الديانات القبلية الوثنية[٣٥]

والآن إلى بيان وضع الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية :

اولا: شرق أفريقيا:

١ـ كينيا :

بدأ انتشار الإسلام فيها عام ٤٨٥ هـــ، ويبلغ عدد سكانها ١١مليـــون نســـمة، وعـــدد المسلمين فيها ثلاثة مليون وثمانمائة وخمسين ألفا، أي بنسبة ٣٥% من تعداد الســـكان ، ومدينة " ممباسا " الساحلية ذات مسحة إسلامية، " ومالندي " فيها جالية عربية كبـــيرة، وفي كينيا مدارس عربية وبعض المسلمين يتكلمـــون العربيـــة مـــع اللغـــات المحليـــة، والإنجليزية هي اللغة الرسمية، وفي كينيا جمعيات إسلامية عديدة تزيد على ٥٣جمعيـــة، وفيها مجلس أعلى لمسلمي كينيا يضم هذه الجاليات جميعا، وللمسلمين محاكم للأحـــوال الشخصية، والغزو التبشيري واليهودي شديد في البلاد، ولقد تعرض المسلمون في كينيـــا وشرق إفريقيا عامة إلى حرب صليبية مع مجيء البرتغاليين، وبعد زوالهم عاد النشـــاط النسبي، لكن لم يلبث أن جاء الاستعمار الصليبي الحديث فوقف فـــي وجـــه المســـلمين، إضافة إلى الجهل الذي كان سمة هذه المرحلة التي يعيشها المسلمون آنذاك، مما زاد في ضعف المسلمين وهيمنة المستعمرين، وتبع ذلك أن الحكومة الاستعمارية والتي تشكلـــت عام ١٣٨٣هـــ ، عند استقلال كينيا عن بريطانيا قد وضعت يدها على معظـــم أراضـــي المسلمين وأملاكهم وجعلتها من ضمن أملاك الدولة، وعملت في الوقت نفسه على الحـــد

من نشاط المسلمين التجاري، فتردت أوضاعهم الاقتصادية وساءت أحوالهم الاجتماعية، ودعمت السلطات الاستعمارية الفرق الضالة كالقاديانية والبهائية لمحاربة الإسلام، كما أن هذه السلطات حاربت التعليم الإسلامي، والذي كان وحده قائما في البلاد قبل مجيء الاستعمار.[٣٦]

٢ـ أوغندا :

بدأ انتشار الإسلام فيها عام ٥٧١هـ، وعدد سكانها حوالي ١١مليون نسمة، وعدد المسلمين فيها أربعة ملايين وأربعمائة ألف مسلم، أي بنسبة ٤٠%، ويرجع السبب في زيادة عدد المسلمين إلى اعتناق كثير من المسيحيين الإسلام.

ومما يجدر ذكره أنه في عهد الخديو إسماعيل حاكم مصر، طلب ملك أوغندا إرسال وفود لهدايته وقومه إلى الإسلام، غير أن البريطانيين سرعان ما عملوا على قطع الصلات بمصر، وحاولوا طمس معالم الإسلام وتنشيط الحركة التنصيرية، ومع أن "لعيدي أمين " وهو أول رئيس للجمهورية مسلم تولى عام ١٣٩١هـ بعض الأخطاء، إلا أنه أعطى أوغندا حجما إسلاميا مهما، وبعده عانى المسلمون الأخطار والأهوال، وللمسلمين مدارس ومعاهد وجمعيات باتت مهددة في ظل الحكم النصراني الذي جاء في أعقاب الحرب على عيدي أمين

ولقد حرصت الصليبية العالمية واليهودية الحاقدة على إسقاط نظام عيدي أمين، وذلك للحد من سرعة انتشار الإسلام فيها، فأثاروا الخلاف بين تنزانيا وأوغندا، ودخلت جيوش تنزانيا "كمبالا "، وسقط نظام الحكم وهرب عيدي أمين، وقتل نصف مليون مسلم، وشرد مثلهم، وطويت الصفحة وسكتت أجهزة الإعلام العالمية، والجدير بالذكر أن بريطانيا عرضت على اليهود أن تكون أوغندا وطنا قوميا لهم، وبحث وزير المستعمرات البريطاني "تشمبرلن " مع " هرتزل" منح اليهود تلك البقعة من الأرض، وعلى الرغم من موافقة المؤتمر الصهيوني على ذلك، إلا أن القادة اليهود المتطرفين رأوا يومذاك رأي الدول الاستعمارية الصليبية في إيجاد نقطة ارتكاز لهم في قلب العالم الإسلامي تمنع العالم الإسلامي من الاجتماع مرة أخرى، وقد كان ما أرادوه وزيادة، بالإضافة إلى الفكرة الدينية التي تحرك اليهود وترى في فلسطين بقعة مقدسة لهم، وفي نفس الوقت لم

ترفع إسرائيل يدها عن الدول الأفريقية قط، والتي تعتبرها أحـد الشرايين الاقتصادية الرئيسية لإسرائيل[٣٧]

٣. موزمبيق :

بدأ انتشار الإسلام في موزمبيق عام ٥٧٣هـ، ودخل إليها عن طريق التجارة البحرية والدعوة، وأسس المسلمون مدناً أشهرها مدينة " سفالة " التي تحدث عنه الرحالة بن بطوطة، كما دخل عن طريق إمارة الزنج التي قامت في القرن الرابع الهجري، والتي بسطت سلطانها على مدينة سفالة عام ٥٣٥هـ، وتأسست في القرن العاشر الهجري نواة إمارة إسلامية تدعى " شيكانغا " بالقرب من " مونيكا " غير أن البرتغاليين قد قضوا عليها عام ٩٧٧هـ

واستمر الاستعمار البرتغالي لها حتى عام ١٣٩٥هـ فاستقلت موزمبيق بعد اضطرابات عنيفة في البلاد، وتغير نظام الحكم في البرتغال، وفي الإحصاء الذي أجري فيها قبيل الاستقلال تبين أن عدد السكان حوالي تسعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألفاً، بينهم حوالي ٣٣% من المسلمين، إلا أن الهيئات الإسلامية تقدر المسلمين بخمسة ملايين أي ما يعادل ٥٢%، وأما الدول النصرانية فتزعم أن نسبة المسلمين فيها ١٠%.

وتوجد في موزمبيق منظمة رئيسية هي " أنوار الإسلام "، أما المؤسسات الخيرية والاجتماعية فقليلة ولا توجد أية مؤسسة [٣٨]

٤ - ملاوي :

وصل الإسلام إلى ملاوي عن طريق التجار والدعاة الذين قدموا إلى المنطقة أيام إمارة الزنج في القرن الرابع الهجري، وأيام حكم عُمان لشرقي أفريقيا منذ القرن الثاني عشر الهجري، وارتحل التجار المسلمون إلى سواحل بحيرة ملاوي،ويقدر عدد سكان ملاوي اليوم بحوالي ٦،٥ مليون، ونسبة المسلمين حوالي ٣٥ %.

لقد تبعت المنطقة الاستعمار البرتغالي حتى عام ١٢٧٦ هـ حيث حل الاستعمار الإنجليزي محل الاستعمار البرتغالي، ولقد قاوم المسلمون الإنجليز لمدة عامين ثم هزموا وأبيدوا، فبعدما كانت نسبتهم ٦٠% انخفضت إلى ٢٥ % بالإبادة والتشريد ثم ارتفعت

قليلاً حتى وصلت إلى ٣٥% الآن، واستقلت ملاوي عام ١٣٨٣ هـ وكان الحكم فيها ملكياً ثم أعلنت فيها الجمهورية عام ١٣٨٦ هـ .

ولقد كان التعليم قبل الاستعمار باللغة العربية والسواحلية، فلما جاء الاستعمار حول التعليم إلى اللغة الإنجليزية أو إلى اللهجات المحلية بحروف لاتينية، فكان ذلك ضربة قوية للتعليم الإسلامي، وعمل المسلمون بعد ذلك على افتتاح بعض المدارس الدينية ولكنها ضعيفة، وهذه المدارس أشبه ما تكون بالكتاتيب تتبع المساجد والبالغ عددها ٥٠٠مسجدا، وهناك بعض الجمعيات الإسلامية[٣٩]

٥. مالاغاشي :

دولة في شرقي أفريقيا تشمل أراضيها جزيرة مدغشقر، والتي تعد خامس جزر العالم مساحة، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٨مليون نسمة، نصفهم من الوثنيين، والباقي نصفهم مسلمون والنصف الآخر نصارى، ولقد امتزجت فيها الدماء العربية والأفريقية والملايوية وجاءها الإسلام من كل جهة، ولما ضعف أمر المسلمين وأحاط البرتغاليون بأفريقيا بعد معرفتهم رأس الرجاء الصالح في محاولة لهم لملاحقة المسلمين والإحاطة بهم من كل جهة، بعدما طردوهم من الأندلس عام ٨٩٨هـ. ووصل الصليبيون البرتغاليون إلى مدغشقر عام ٩١٣هـ ، فقاومهم المسلمون مقاومة عنيفة، وحاولوا دون دخولهم إلى الجزيرة، ولكن البرتغاليين سيطروا عليها فيما بعد ونكلوا بالمسلمين وأطلقوا عليهم اسم "المورو "، وهذا الاسم كان يطلقه الأسبان والبرتغاليون على المسلمين في البلاد التي استعمروها، ثم جاء الاستعمار الفرنسي الذي جعلها مستعمرة فرنسية عام ١٣١٤هـ وشجع الفرنسيون البعثات التنصيرية الكاثوليكية في مدغشقر، وفرضوا الحصار على السكان فانقطعت الصلة بين المسلمين في داخل الجزيرة وخارجها فزادت عزلتهم.

وأخيراً استقلت البلاد عام ١٣٨٠هـ، غير أن النفوذ الفرنسي بقي قوياً فيها، وأصبحت جمهورية وعرفت باسم " مالاغاشي "، والمسلمون أكثرهم من أهل السنة والجماعة، وهم الذين جاءوا من بلاد العرب ومن الساحل الأفريقي، وخاصة من جزر القمر وبعض من جاء الهند ومن أندونيسيا والملايو ... وغير ذلك، وينتمي البعض إلى المذهب الإباضي، والبعض إلى فرقة البهرة ...وغير ذلك وقد كانت نسبة المسلمين في الجزيرة أكبر من

هذا وربما كانت تزيد على النصف، غير أن الانقطاع عن المسلمين، والحياة وسط مجتمع وثني، والضغط عليهم، قد أنساهم عقيدتهم وعبادتهم حتى تحول بعضهم إلى الوثنية وآخرون إلى النصرانية.

ولقد أنشأت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مركزاً لها في العاصمة "تناناريف "

إن ما حلّ بالمسلمين في هذا البلد، لم يكن إلا نتيجة اضطهاد المستعمرين وسلبهم أملاكهم والاستيلاء على أحسن أراضيهم، وإبعادهم عن وظائف الدولة، وجعل التعليم تحت إشراف الإرساليات التنصيرية، وهذا ما يرفضه المسلمون ويجبرهم على الابتعاد عن التعليم خوفاً على عقيدتهم، وكانت النتيجة أن أضاعوها ولم يُبقوا على علم شيء من أمور دينهم [٤٠]

ثانياً: غربي إفريقيا

١. ليبيريا :

تعد جمهورية ليبيريا من الدول التي يتحكم فيها المسيحيون بشدة، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٣.٥ مليون نسمة، ونسبة المسلمين بها حوالي ٣٠% ، وليس للمسلمين بها أي تنظيم أو نشاط مذكور، وجميع الأمور ومقدراتها بأيدي المسيحيين، وغالبيتهم من الأمريكيين السود الذين نقلوا من أمريكا إلى ليبيريا، والحكام في ليبيريا متعاطفون إلى حد ما مع المسلمين، ولكن هذا لا يؤثر في شيء لأن الحركة التعليمية تخضع لتوجيه الإرساليات النصرانية.

وقد تأسست مدرسة إسلامية حديثة تحت إشراف ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية، ويعتبر مستوى المعيشة في ليبيريا من أرقى المستويات الأفريقية، وتتعامل بالدولار الأمريكي، كما تعد مركزاً تجارياً هاماً في تجارة الترانزيت، نتيجة لسهولة الإجراءات، والمسلمون بها في حاجة ماسة إلى المدارس الإسلامية لمواجهة التنصير، ووقف زحفه المنظم والمدعوم بكل الإمكانات المتصورة [٤١]

٢ ـ غانا :

انتشر الإسلام فيها عام ٤٨٥هـ ، ويبلغ عدد سكانها ١٣مليون نسمة، وعدد المسلمين فيها حوالي ٣٠% من مجموع السكان، وعاصمة البلاد مدينة " أكرا " التي تقع على الساحل، ينتشر الإسلام بين قبائل " الشانتي " وهم مجموعات قبلية في الداخل، ومركزها مدينة " كوماسي "، وكان لها حكومة خاصة إلا أ ن الإنجليز فرضوا الحماية وضموها إلى بلاد قبائل " الغانتي " التي تقيم في الساحل وذلك في عام ١٩٠١م، والمسلمون من قبائل الغانتي قلة، وحكم البلاد يخضع بصورة عامة للغانتي، وفي غانا جالية إسلامية من أهل الشام وطرابلس على الأخص [٤٢]

٣ ـ غينيا الاستوائية :

يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ألف نسمة، وعدد المسلمين ١٠٥ ألف مسلم أي بنسبة ٣٠ %

يسكن المسلمون في منطقة " ريوموني " بينما النصارى يسكنون "فرناند وبو " والمسلمون قبائل من البانتو، واللغة الرسمية الأسبانية، يتمتع النصارى بامتيازات تفوق حجمهم، ولهم حق الاعتراض على الموازنة والتوزيع المالي في البلاد [٤٣]

٤ ـ الغابون :

بدأ انتشار الإسلام فيها عام ٤٩٣هـ، منذ أيام دولة المرابطين الذين امتد نفوذهم إلى المنطقة، وكذلك استمر وصول الدعاة المسلمين إلى المنطقة في ظل دولة الموحدين، وسكان البلاد حوالي مليون ومائة ألف، وعدد المسلمين حوالي ٤٩٥ألف أي بنسبة ٤٥%.

وأعلن استقلالها من الاستعمار الفرنسي عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

وعلى الرغم من كل المكائد الصليبية في الغابون، فإن الإسلام أخذ طريقه فيها حتى أسلم رئيسها " عمر بونجو " وأسرته وقبيلته عام ١٩٧٣م، والغابون إحدى الدول المصدرة للنفط، وهي من ضمن أعضاء منظمة " أوبك "

وينتشر فيها المساجد والمدارس وأحوال المسلمين فيها جيدة [٤٤]

ثالثاً : وسط افريقيا

١. بوروندي :

بدأ انتشار الإسلام فيها عام ٥٧١هـ ، ويبلغ عدد سكانها ٤مليون نسمة، وعدد المسلمين فيها حوالي ١مليون مسلم أي بنسبة ٢٥%.

حاولت ألمانيا المستعمرة الحد من انتشار الإسلام، ثم جاءت بلجيكا والتي كان من نصيبها " بروندي ورواندا وزائير " والتي تفننت في حرب المسلمين والحد من وجودهم.

ولقد استقلت البلاد عام ١٣٨٢هـ، وكان نظام الحكم فيها ملكياً، ثم أصبح جمهورياً عام ١٣٨٦ هـ ، وأعطي المسلمون بعدئذ شيئاً من الحرية، واعترف بالدين الإسلامي رسمياً، وعادت الجمعية الإسلامية إلى نشاطها وأقامت بعض المساجد والمدارس في أنحاء البلاد، وأكثر المسلمين يتواجدون في العاصمة، وفيها قبيلتان " الهوتو " وهم قصار، ٢٤% منهم مسلمون، " والتوتسي " وهم طوال، ١١% منهم مسلمون، والإرساليات التبشيرية كثيرة هناك [٤٥]

٢ ـ رواندا :

بدأ انتشار الإسلام فيها عام ٥٧١هـ ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٦%، أي عدد المسلمين ٢٤٠ألف مسلم، ويتجمع أكثرهم في العاصمة " كيغالي " ولهم حي خاص بهم، ولهم مسجدان.

ويتألف السكان من قبيلتين رئيسيتين وهما :

الهوتو : وتعود إلى أصل زنجي، التوتسي : التي تعود إلى أصلا خليط من العناصر الجامية والزنجية، وهما القبيلتان الموجودتان نفسهما في بروندي، غير أن قبيلة الهوتو هنا هي القبيلة الحاكمة على الرغم من قلة عددها على عكس بروندي،ولقد تمكنت الهوتو في رواندا أن تجبر كثيراً من أفراد قبيلة التوتسي على الهجرة من أراضيها إلى الدول المجاورة، ولا تزال الحروب مستمرة على أشدها بين القبيلتين، ويعاني المسلمون في رواندا عزلة عن إخوانهم في الأمصار الإسلامية، وقل أن يهتم بهم أحد لقلة عددهم، وتوجد لهم هيئة في العاصمة تعرف باسم " هيئة المسلمين برواندا" [٤٦]

٣- زائير :

بدأ انتشار الإسلام فيها عام ٥٨٠هـ، ويبلغ عدد سكانها ٢٨مليون نسمة، يعيش بينهم حوالي ١٠% مسلمون، أي ما يزيد على ٢.٨مليون مسلم، ولقد حكم الإمارات الإسلامية في شرقي زائير " حامد بن محمد بن جمعة المرجبي " باسم سلطان زنجبار وشرقي أفريقيا، ولكن عندما غادر المنطقة متجها إلى سلطانه في المشرق ضعف أمر المسلمين، فأرسل ملك بلجيكا حملات قوية استطاعت دخول المنطقة، وإخضاع أمرائها حسب توصيات الرحالة الصليبي " ستانلي "، وهكذا خرج شمال شرقي زائير من يد المسلمين، وأعلن ملك بلجيكا سيادته عليها وعدها مستعمرة له عام ١٣١٢هـ .

وبدأ بعد ذلك اضطهاد المسلمين حيث صدر قرار بحصر التعليم في مراكز البعثات التنصيرية، وهب المسلمون يطالبون بحرية التعليم، فاستغلت الحكومة هذا الأمر فقضت على الممالك الصغيرة التي كانت موزعة في شرقي زائير، وهدمت مساجدها ومدارسها وقراها كلها حتى أصبحت أثرا بعد عين.

وبعد الاستقلال عام ١٩٦٠م، اعترف بالإسلام دينا، وللمسلمين جمعية وكلية وقد أخرجت الحكومة المسلمين الأفريقيين الوافدين من بلادها.

ولا توجد في زائير من المؤسسات الإسلامية سوى المجلس الإسلامي الزائيري الأعلى، والجمعية الخيرية الإسلامية في العاصمة " كينشاسا "، وفي المقابل تجد التبشير قوة لايستهان بها، ففي مدينة كنشاسا وحدها ١٤ ألف من القسس والرهبان، وفي زائير ١٥ ألف بعثة تنصيرية، من الولايات المتحدة وبلجيكا وإيطاليا وفرنسا، كما لم تنج زائير من النشاط اليهودي الكبير، والذي يحاول السيطرة على موارد البلاد، وعلى الصحافة وكل وسائل الإعلام، وتغمر بضائعهم الأسواق، ويدرس عدد من أبناء زائير في إسرائيل.[٤٧]

٤- كنغو برازفيل :

بدأ انتشار الإسلام فيها عام ٥٨٠هـ، يبلغ عدد سكانها حوالي مليون وثمانمائة ألف، والمسلمون حوالي ٢٠% من السكان، أي حوالي ٣٦٠ألف مسلم، وأكثرهم يسكن المدن الرئيسية، وفي مقدمتها العاصمة " برازفيل " وتبلغ نسبة الوثنيين ٤٢%،النصارى ٣٨%.

ومنذ أن دخل الفرنسيون المنطقة تدفقت البعثات التنصيرية، ومنـــع التعليـم الإســلامي، واستمر وضع العقبات في وجه المسلمين حتى نالت البلاد استقلالها عام ١٣٨٠هـــ، وفي العاصمة برازفيل خمسة مساجد، وعدة مدارس، وبعض الجمعيات الإســلامية، ومكتــب لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة [٤٨]

رابعاً : جنوبي افريقيا

١ـ زامبيا :

وصل الإسلام إلى زامبيا عن طريق التجار الذين جاءوا من الساحل الأفريقي الشرقي، وتوغلوا في الداخل، وانتشر الإسلام عن طريقهم، ويبدو أن هذا يعود إلى المراحل الأولى من انتشار الإسلام، وزاد انتقال التجار من الساحل أيام مملكة الزنج التي كانت قاعدتـــها مدينة "كلوة "، التي تقع اليوم في جنوبي تنزانيا، واستقر عدد منهم في المنطقـــة ويعــود بعضهم إلى أصل عربي، ويبلغ عدد السكان أكثر من ٦ مليون نسمة، وعـــدد المســلمين أكثر من مائة ألف أي بنسبة ١.٧% من مجموع السكان.

وكانت المنطقة تحت الاحتلال البريطاني حيث استلمتها بريطانيا من شركتها التجارية والتي أسسها " سيسل رودس "، ولذلك عرفت باسم " روديسيا "، وتضم الشمالية" زامبيا" والجنوبية "زيمبابوي "، وألفت الحكومة البريطانية اتحاد وسط أفريقيا، تحت سيطرتها عام ١٣٧٣هـــ ، واستمر عشر سنوات، واستقلت بعد ذلك روديسيا الشمالية عن ١٣٨٣هـــــ باسم زامبيا نسبة إلى نهر " الزامبيزي " الذي يجري في أرضـــها، وبعــداً عــن الاســم الاستعماري الذي عرفت به سابقا، ونظراً لقلة عدد السلمين فإنهم قد انقطعوا عن إخوانهم في بقية الأمصار الإسلامية وأوضاعهم سيئة جداً ولا يعرفون من الإسلام إلا النادر.[٤٩]

٢ـ زيمبابوي - روديسيا :

يبلغ عدد السكان ما يزيد على ٨ مليون نسمة، ويعيش بينهم ما يزيد على خمسين ألف مسلم، أي نسبتهم أقل من ١% من السكان.

ويبدو أن الإسلام وصل هذه البلاد منذ ثلاثة عشر قرناً، إلا أنه بقي ضعيفـــا، وبفعــل الإنجليز قطعت قبيلة " الوارمبا " صلتها بالإسلام، وهي تدعي أن أصولها عربية، كمــــا

أنها تحتفظ بكثير من العادات الإسلامية، ويعود عدد منهم الآن إلى الإسـلام، وأقيمـت مدينة باسم "إسلام آباد " بدلاً من موهيرا،وحصلت زيمبابوي على استقلالهاعام١٣٨٥ هـ

ويوجد في زيمبابوي ثلاثون مسجداً وعشرون مصلى ولا توجد مدارس إسلامية وإنما توجد بعض الكتاتيب الملحقة بالمساجد، وإمكانات المسلمين ضعيفة جداً [٥٠]

٣- بتسوانا :

يبلغ عدد سكانها حوالي ٦٨٤ألفاً، ونسبة المسلمين حوالي ٥% ، ولقد عملت بريطانيا على فرض حمايتها على بتسوانا عام ١٣٠٣هـ، واستمرت هذه الحمايـة حتـى نـالت استقلالها عام ١٣٨٦هـ، وفي العام التالي أعلنت الجمهورية، وفي العاصمة " غابرون " مسجد تتبعه مدرسة يتعلم فيها أبناء المسلمين، وكذلك في مدينة " لوبـا تسـي " مسـجد وتتبعه مدرسة، ومع قلة هذا العدد فقد عقد في بتسوانا المؤتمر الأول للشباب المسلم فـي جنوبي أفريقيا، وحضرته إحدى عشرة دولة إفريقية، وقد نظم من قبل الاتحـاد العـالمي للشباب المسلم بالرياض بالاشتراك مع الشباب المسلم في اتحاد جنوبي أفريقيا، وتم عقده في مدينة غابرون في عام ١٣٩٧هـ [٥١]

٤- سوازيلند :

وهي مملكة صغيرة تحيط بها أراضي اتحاد جنوبي أفريقيا من ثلاث جـهات، وأمـا الجهة الرابعة وهي الشمالية الشرقية فتحدها دولة موزمبيـق، وهـي مـن دول رابطـة الشعوب البريطانية "الكومنولث "، وعدد سكانها حوالي خمسمائة ألف، ونسبة المسـلمين حوالي ٢٥%، وأغلبهم من العناصر الآسيوية، وعاصمتها " مبابان " [٥٢]

٥ ـ ليسوتو :

وهي مملكة صغيرة تقع وسط دولة اتحاد جنوبي إفريقيا، وهي من دول الكومنولـث، عدد سكانها حوالي مليون، ونسبة المسلمين حوالي ٥%، وأكثرهم يرجع إلى سكان شبـه القارة الهندية، ومدينة " مازيرو " هي العاصمة [٥٣]

٦. انجولا :

وهي دولة شيوعية واسعة المساحة، سيطر عليها البرتغاليون أثناء التفافهم حول القارة لتطويق المسلمين، وذلك في مطلع القرن العاشر، واستمرت في أيديهم حتى نهاية القــرن الرابع عشر، فنالت استقلالها وصارت دولة شيوعية، ولذا فوضع المسلمين هناك أســوأ من أي وضع آخر، فلقد أذاقهم البرتغاليون سوء العذاب، ولقد ابتلوا بعدهــا بالاســتعمار الشيوعي الملحد والذي يحمل أيضاً حقداً صليبياً متوارثاً، ونسبة المسلمين فــي أنجــولا حوالي ١٥% من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ٧مليون نسمة [٥٤]

٧. ناميبيا :

يزيد عدد سكانها على خمسمائة ألف نسمة، والمسلمون حوالي ألفين وخمسمائة مسلم، ولقد خضعت المنطقة للسيطرة الألمانية في مطلع القرن الرابع عشــر الــهجري، فلمــا هزمت ألمانيا في الحرب العالمية أجبرت على التخلي عن مستعمراتها التي وضعت تحت إشراف عصبة الأمم، والتي قامت بدورها بتكليف جنوبي أفريقيا بإدارة ناميبيا، غــير أن جنوبي أفريقيا قد فرضت سيطرتها وطبقت سياستها العنصرية عليها، ولا يــزال الأمــر قائماً رغم الدعايات التي تصدر عن تحريرها، والمسلمون هناك ضائعون ولا يجدون أي دعم، كما أنهم قلة شديدة، وعاصمة ناميبيا " وندهوك " الداخلية التي لــم تنفتــح علــى الحضارة بعد لما يعاني أهلها البسطاء [٥٥]

٨. اتحاد جنوبي أفريقيا :

يبلغ عدد سكان اتحاد جنوبي أفريقيا ما يزيد على ٢٨مليون نســمة، ويصنفــون إلــى مجموعات وهي :

الأفريقيون : ويزيد عددهم على ٢٠مليون، وينتمي معظمهم إلى زنوج البانتو.

الملونون : ويقرب عددهم من ٣مليون، ونشأوا من تــزاوج الأوروبييــن مــع شعــب الهومنتوت.

الآسيويون : ويقرب عددهم من المليون، ومعظمهم من شبه القارة الهنديــة، ثــم مــن الملايو.

البيض : ويزيد عددهم على ٤.٥مليون، وهم من أصول هولندية وإنجليزية وألمانية وفرنسية

واما المسلمون : والذين بدأ أصولهم إلى جنوبي أفريقيا عام ١٠٦٢هـ يقرب من ٥٠٠ألف مسلم، أي يشكلون ٢% من السكان، ويعود أكثرهم إلى مناطق بعيدة عن جنوبي أفريقيا، فقد جاءوا من سيلان وأندونيسيا والبنغال والهند، وينتمي المسلمون إلى جماعات المجتمع كله وحتى البيضاء منها، ويتوزعون في الأقاليم الأربعة التي تتألف منها الدولة وهي "الكاب، الفاتال ، الترانفال، الأورانج "، ولقد أعطت إنجلترا اتحاد جنوبي أفريقيا الحكم الذاتي عام ١٣٢٨هـ، وجرت انتخابات عامة في عام ١٣٦٧هـ، وقامت حكومة للبيض على أساس سياسة التمييز العنصري، واستولوا على حوالي ٨٧% من الأرض، وبقيت ١٣% من الأرض لبقية الأجناس، وظلت هذه السياسة قائمة إلى تولى الحكم " نلسون ماندلا " عام ١٩٩٤م فألغى سياسة التمييز العنصري.

ولقد أسس المسلون عدة مؤسسات لهم رغم قلة عددهم، ورغم العنت الذي يلقونه، ويعد النشاط كبيراً إذا قارناه مع بقية دول أفريقيا عامة، وخاصة مع الدول في الجزء الجنوبي من هذه القارة التي يعد فيها المسلمون من الضائعين، ويزيد المساجد في اتحاد جوبي افريقيا الآن على ٢٠٠ مسجد، ويوجد لهم عدد من المعاهد العلمية، وغالباً يلحق بالمساجد مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، كما للمسلمين عدد كبير من الصحف والمجلات، ويوجد بها عدد كبير من المنظمات الإسلامية، ومنها المجلس الإسلامي والذي أنشأ عام ١٣٩٥هـ ويمثل الهيئة الوطنية لجميع مسلمي جنوب إفريقيا [٥٦]

خامساً : الجزر الأفريقية

وهي مجموعة جزر صغيرة الحجم وقليلة السكان وقليلة الموارد، ونسبة المسلمين فيها قليلة وهي كالتالي: ـــ

اسم الجزيرة	عدد المسلمين	نسبتهم المئوية
١ ــ ماديرا	٣٥,٠٠٠	%١٠
٢ــ الخالدات	٧٠,٠٠٠	%٧
٣ ــ الرأس الأخضر	٢٨,٠٠٠	%١١
٤ ــ القديسة هيلانة	٧٠	%١
٥ ــ ريونيون	٥٠,٠٠٠	%١٠
٦ ــ موريشيوس	٢٠٠,٠٠٠	%٢٠
٧ ــ سيشل	٣٥٠	%٥
٨ ــ الدبرا	١٠٠٠	%٢
	٣٨٤,٤٢٠	[٥٧]

خاتمة :

الناظر يرى أن طبيعة التحديات التي تواجه الأقليات الإسلامية في العالم متفقة في الهدف، وإن اختلفت الوسائل، فشعار الكفار الدائم " دمروا الإسلام أبيدوا أهله "، ولقد نشط في أفريقيا على وجه الخصوص النشاط الصليبي، ولقد اهتموا بالدول الأفريقية لما لها من الأهمية وما تحتويه من ثروات طبيعية، ولذا فقد تكاتفت قوى الشر والطغيان من شيوعية حاقدة وصهيونية بغيضة واستعمار متلون يخرج من الباب ليدخل من النافذة، كي يدعم وجوده وسطرته بأشد مما كان، وتنصير سافر يلبث ثياب الرهبان ومسوح الرحماء ليتخفى في ظلال لا تكاد تستر أهدافه لحظة إلا وتكشف عنها الحقائق، وتعتبر نقطة التحول في هذا الموضوع الخطير بدءا من الانقلاب الخطير الذي حدث في موازين التاريخ البشري والصحوة الأوروبية التي أقامت دولها من رقدتها وسباتها العميق مما جعلها تعمل على تشجيع المسيحية والحملات التنصيرية، ولتذيق العالم الإسلامي خاصة، وبلدان أفريقيا وأسيا عامة، ويلات الحروب وتعمل جاهدة بكل ما أوتيت من قوة على

تنصير هذه الشعوب، مستغلة كل ما أتيح لها من ظروف هذه الصحوة الأوروبية التي حقدت على الإسلام والمسلمين، وهالها تاريخه المشرق، وسعى هؤلاء الحاقدون إلى تحقيق طموحاتهم في السيطرة على مقدرات العالم الإسلامي أجمع، وسقطت في أيديهم الأندلس المسلمة التي ما زالت آثارها تحكي عظمة المجد الذي ظل يرفل فيه الإسلام والحضارة الإسلامية، التي بلغت شأوا كبيرا من التقدم والرقي خلال العصور الزاهية للمسلمين على أيدي حكامها من أبناء المسلمين.

وبعد أن سقطت الأندلس جاء دور التطلع الاستعماري مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، ليعرف مدى خطورة الإسلام في هذه البلدان الأفريقية، خاصة بالنسبة لمستقبل الصليبية، وتم لهم تنصير بلاد الأندلس بعد أن فر منها من فر وبقي فيها من بقي ليعيش في ظل المسيحية معلنا مسيحيته، وتعتبر هذه الحركة أول مجزرة سافرة في تاريخ البشرية، ثم بدأ بعدها ركب التنصير ينطلق زاحفا إلى كل مناطق الإسلام في أفريقيا، وتحركت الغزوات الاستعمارية لاحتلال هذه الآفاق المسلمة، ونهب خيراتها واستعباد أهلها، وتكاتف الجميع على محاربة الإسلام وأهله باسم الصليب أو ما عرف باسم الحروب الصليبية، ولقد آزرت الكنيسة هذه الخطوات وعقدت الاجتماعات واللقاءات، وجمعت الملايين للإنفاق على هذه الأهداف وتحقيقها تحت إشراف الكنيسة، ولا تزال هذه الخطط لا تهدأ طرفة عين في سبيل تحقيق أهدافها، ومن آخر فصول هذه المعارك محاولة الصليبية العالمية تكوين دولة صليبية في جنوب السودان، وذلك حتى يقطعوا أفريقيا عن البلدان الإسلامية.

المبحث الرابع:

المسلمون في قارة أوروبا

تمهيد :

اتجه المسلمون نحو أوروبا فاتحين في مراحل متعددة من التاريخ، كما اتجهوا مهاجرين واستقروا فيها. لقد ساروا إليها من الجنوب الغربي، كما انطلقوا من الجنوب ومن الجنوب الشرقي، ومن الشرق.

اما من جهة الجنوب الغربي، ففتحوا الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري، واستقروا هناك، ودعوا إلى دينهم فانتشر، وخيمت حضارتهم على ربوع الأندلس عدة قرون وكانت مركز إشعاع يقبل إليها طلاب العلم من أوروبا ينهلون من المعارف. ومن الأندلس اتجه المسلمون نحو فرنسا فأخذوا أكثر من نصفها الجنوبي، واستوطنوا في الجنوب أكثر من نصف قرن، وكانت مدن ذلك الجزء في تلك المرحلة من التاريخ معلماً من معالم الحضارة، وربما برز اسم مدينة " مونبليه " بين أسماء ما جاورها من المدن لكثرة من جاءها من رواد العلم. ثم نزل المسلمون في جنوب شرقي فرنسا عام ٢٨٥ هـ، ووصلوا إلى شمالي إيطاليا وإلى سويسرا، واستمر كيانهم هناك حتى عام ٣٦٥هـ.

وتوجه المسلمون فاتحين لجنوب أوروبا ففتحوا مالطا عام ٢٥٦هـ ، كما كانوا قد فتحوا قوصرة، وصقلية، وسردينيا، وكورسيكا، وجزر البالئار، وجنوبي إيطاليا، وجزيرة كريت، واستقر المسلمون في هذه المناطق مدة من الزمن وبلغوا دينهم ونشروا حضارتهم حتى جاء الغزو الصليبي.

و من جهة الجنوب الشرقي، فقد غزا المسلمون القسطنطينية بإمرة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عام ٥٠هـ ، وتأخر فتحها لأسباب كثيرة، وتوقف الفتح في هذه الجهة عدة قرون حتى قامت الدولة العثمانية وتقدمت في أوروبا من ناحية الجنوب الشرقي، وامتدت فتوحاتها هناك، واستقر بعض العثمانيين في تلك الجهات، كما أسلم بعض سكان المنطقة، فظهر الكيان الإسلامي من جديد في أوروبا بعد أن كاد يندثر، واستمر التقدم حتى جاء الغزو الصليبي فقضى على هذا الكيان ولم يبق منه إلا القليل.

واعتنقت الإسلام جماعات في شرقي أوروبا عرفت باسم " البلغار " كما عرفت بذلك حاضرتها، وهي في موقع مدينة " قازان " اليوم، اعتنقت هذه الجماعات الإسلام في وقت مبكر عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يفدون إلى تلك المناطق، ويتاجرون بالفراء وكافة السلع التي يحصلون عليها من البلاد الشمالية، وقد طلب البلغار من الخليفة العباسي "المقتدر بالله" أن يرسل إليهم من يفقههم في الدين، فأرسل إليهم وفداً معه قائده أحمد بن عباس " ابن فضلان " وذلك عام ٢٩٥هـ، وقد دخلت جماعات كثيرة منهم في الإسلام، ولكن لم تمضي مدة حتى تحركت قبائلهم نحو الغرب والجنوب الغربي، واستقر في جنوب شرقي أوروبا، منهم المسلمون، ومنهم الذين تأثروا بالإسلام، ومنهم غير المسلمين، ومن هذه القبائل البلغار الذين سكنوا المنطقة التي أخذت اسمهم وهي" بلغاريا" وقبائل " الباشغرد " الذين أقاموا في المجر، وهم من المسلمين، ولا تزال جماعات منهم في مواطنهم الأصلية في حوض نهر الفولغا وجبال الأورال، ويعرفون بالاسم نفسه "الباشغرد " أو " الباشكير "، ولهم جمهورية خاصة بهم اليوم. ومنها قبائل البوشناق "البوسنة " التي تقيم في يوغسلافيا اليوم، وتعرف منطقتها باسمها" البوسنة والهرسك " ومنها قبائل الكومان التي أقامت في منطقة ألبانيا اليوم، وكان لها تأثير كبير على النصارى حتى نشأت كنيسة خاصة عرفت باسم كنيسة "البوجوميل " التي تحمل اسم الطائفة الخاصة بها، ويظهر على هذه الكنسية الأثر الإسلامي واضحاً. غير أن أكثر هذه القبائل قد زال عنها الأثر الإسلامي لأنها لم تكن من قبل قد تمكنت منه، ولانقطاع صلتها مع إخوانها المسلمين في بقية الأمصار.

واما من جهة الشرق: فعندما دخل المغول أوروبا واجتاحوا روسيا وبعض جهات أوروبا الشرقية ٦٣٣ـ ٦٣٥هـ وجعلوا منها مقاطعة مغولية، ولكن لم تلبث أن أسلمت هذه القبائل، فكان حوض نهر الفولغا، وجبال الأورال، وشبه جزيرة القرم والأجزاء الشمالية منها ذات أكثرية مسلمة، إضافة إلى تجمعات أخرى في المدن الكبرى أمثال موسكو وكييف وغيرها، وكانت للمغول دولة كبرى مقرها " ساراي " على نهر الفولغا وهي مكان " ساراتوف " اليوم.

ومع الغزو الصليبي الذي قام مع نهاية القرن التاسع الهجري طرد المسلمون من الأندلس، وقامت محاكم التفتيش، فأبيد جميع من طالتهم أيدي الصليبيين، ونجا من تمكن

من الفرار، وهناك من أعلن اعتناقه للنصرانية خوفاً وجزعاً أو تقية وانتظارا، وبذا فقد خلا جنوب غربي أوروبا من أي أثر للإسلام. وكان قد سبق هذا إبادة المسلمين أيضاً في جنوب أوروبا من جزر صقلية، والبالئار، وشردوا من جزر سردينيا وكورسيكا، وكذلك من جنوبي إيطاليا، ومن جزيرة قوصرة، ولم يبق سوى أثر في جزيرة مالطا إن تجاوزنا بعض الشيء.

ومع الغزو الصليبي نفسه ومع ضعف الدولة العثمانية وتراجعها التدريجي نحو الجنوب الشرقي كان المسلمون يتراجعون، وعندما زالت الخلافة وقضي عليها لم تبق إلا أقليات في جنوب شرقي أوروبا، تجمع بعضهم فكانوا أكثرية في دولة ألبانيا، وهي أكبر دولة مسلمة اليوم هناك بالنسبة للعددية والانتماء، وكذلك في مقاطعة البوسنة والهرسك في يوغسلافيا، ولا يزالون يخضعون لحرب الإبادة في بلغاريا، كما أبيد منهم من أبيد في جزيرة كريت، وشرد من شرد، وفر الذي استطاع النجاة حتى خلت الجزيرة من أي أثر للإسلام. وبقيت مجموعة أيضاً من المسلمين في كل من اليونان والمجر ورومانيا.

أما من ناحية الشرق فقد ثبت التتار رغم الضعف العنيف والحقد الصليبي الشديد، وإن كان قد أبيد منهم الكثير، وفرت أعداد حتى سيطر في النهاية الاستعمار الصليبي الإلحادي الروسي الشيوعي فسحق الناس وأذلهم إلى درجة كبيرة من الذل أنستهم عقيدتهم كما أنستهم إياها التربية الإلحادية، وألجأهم إلى كتمانها وإخفائها السيف المسلط دائما على المسلمين فكل من يتوجه منهم نحو الإسلام يكون الموت مصيره وبأقصى سرعة.

ومع بداية القرن الرابع عشر الهجري لم يكن في أوروبا من أثر للإسلام سوى التتار في أوروبا الشرقية وأقليات من المسلمين في جنوب شرقي القارة في يوغسلافيا، ورومانيا، وبلغاريا، واليونان، إضافة إلى دولة ألبانيا ذات الأكثرية المسلمة.

العصر الحديث :

بدأ المسلمون يرجعون إلى أوروبا حديثاً، ولكن ليس على الصورة التي دخلوا فيها أول مرة حيث لم يأتوا في هذه المرة فاتحين، ولم يُقبلوا دعاة، ولم يفدوا مؤثرين، وإنما جاءوا عمالاً وجاءوا فارين من بلدانهم تحت الضغط الذي يحيق بهم وتحت تأثير المخططات المرسومة لهم ولبلدانهم، وجاءوا طلاباً للعلم ومتأثرين في أغلب الأحيان.

ولما سيطرت إنجلترا على شبه القارة الهندية عام ١٢٧٤هـ سيطرة تامة وعدتها جزءا منها، أو سمتها من ممتلكات التاج البريطاني فانتقل عدد من الهند للعمل في إنجلترا التي تحتاج مثل هذه الأيدي العاملة وخاصة في الصناعة الناهضة، كما عمل عدد منهم في الجيش أو سيقوا إليه فخدم بعضهم في إنجلترا نفسها ليكون على مقربة من ميدان الأحداث التي كانت تعج بها أوروبا يومذاك.

وسيطرت فرنسا على الجزائر عام ١٢٤٦هـ وعدتها جزءاً من أراضيها، ثم سيطرت على تونس في مطلع القرن الرابع عشر، وعلى المغرب في الثلث الأول من القرن نفسه، وبدأت هجرة عمالية من بلاد المغرب إلى فرنسا، وخاصة من الجزائر.

واشتد الضغط الروسي على التتار ففر عدد منهم إلى أوروبا الغربية واستقروا فيها، وتبعهم أمثالهم عندما قامت الحركة الشيوعية وتغلب الجيش الأحمر على الأمصار الإسلامية في شرقي أوروبا والتي تخضع للروس.

وبدأ المسلمون يتجهون إلى العلم فانطلقوا نحو مصدره الذي غدا في أوروبا حيث سار عدد من الرجال يطلبون العلم في مختلف فروعه وخاصة في فرنسا وإنجلترا، فبدأت تظهر بعض التجمعات الإسلامية وإن كانت لا تزال على مستوى ضيق ومحدود.

وأخذت الدول الإسلامية تستقل عن المستعمرين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، فكانت تؤسس سفارات لها في ديار الغرب وتبعث بالممثلين السياسيين لها فكانوا وأسرهم يقيمون هناك ويزداد عددهم يوماً بعد يوم مع استقلال دول جديدة.

بعد الحرب العالمية الثانية سقطت دول أوروبا الشرقية تحت السيطرة الشيوعية فهرب كثيرون من المسلمين إلى دول أوروبا وخاصة من اليوغسلاف والألبان.

وزادت الأزمات السياسية في البلدان الإسلامية وكان يخرج إثر كل أزمة فوج من المسلمين ولم يجدوا لهم مكاناً أرحب من دول أوروبا ذات الحياد مثل سويسرا والنمسا أو الدول الاسكندنافية ، وإلا لم تخلو دولة في غرب أوروبا منهم، إذ هي التي تفتح أبوابها عادة لمثل هؤلاء الهاربين بينما أبواب دول شرقي أوروبا موصدة لا تفتح إلا أمام الشيوعيين.

وازداد طلب العلم ، وكثرت الحاجة إلى الخبرة، وتضاعفت الرغبة في الرحلة سـواء أكانت للإطلاع أم للنزهة.كل هذا زاد من عدد المسلمين في أوروبا وغدوا جالية كبـيرة تشكل في كثير من الدول المجموعة الثانية من حيث العقيدة، وغدت بحاجة إلـى بعـض المؤسسات لتحافظ على كيانها، أو أنها وجدت نفسها بحاجة إلى هذه المؤسسات مع الزمن مادامت مستقرة أو مستمرة في قدومها وإن تبدل أعضاؤهـا، وهـذا مـا لفـت أنظـار الأوروبيين إلى هذه الظاهرة وشغلت حيزاً من تفكيرهم فيها. وهـذا الكيـان الإسـلامي الجديد لابد من أن يكون له أثره على عقيدة سكان أوروبا حتى صار عدد من يقبل منـهم على الإسلام ومنهم رجال لهم مركزهم العلمي أو السياسي أو الاجتماعي، وبذا نسـتطيع أن نقول : إن الإسلام بدأ يغزوا من جديد، وسنتحدث عن هذا الغـزو حسـب الكيانـات الصليبية القائمة، وإن كانت بعض الاختلافات بين دول أوروبا الغربيـة ودول أوروبـا الشرقية [٥٨]

والأن إلى ذكر لمحة خاطفة عن تاريخ الإسلام والمسلمين في هذا الجزء سواء كـان في الماضي أم في العصر الحديث.

أولاً: دول غربي أوروبا

ويقصد بها الدول التي تأخذ بنظام الدول الواقعة في غربي أوروبا، وهو مـا يعـرف بالنظام الرأسمالي، والذي يقابل نظام الدول في أوروبا الشرقيـة أو النظـام الشيوعـي، وبالتالي سواء وقعت الدولة في غربي أوروبا أو وسطها أو جنوبها أو جنوبها الشرقـي فإنها ينطبق عليها هذه التسمية.

١- اسبانيا :

وهي إحدى دول أوروبا الواسعة حيث تشغل حوالي أربعة أخماس مسـاحة جزيـرة أيبريا، كما تسيطر على سبته ومليلة من سواحل المغرب وبعض الجزر القريبة منـهما، وعدد السكان حوالي ٤٠ مليون من النصارى، ويقيم بينهم حوالي مائة ألف مسلم فقـط، معظمهم من العمال الوافدين من دول المغرب العربي. وللأسـف لقـد كـانت أسـبانيا "الأندلس " دولة إسلامية عظمى يوماً ما، وأما اليوم فلم يعـد فيـها إلا بعـض الآثـار الإسلامية فقط.

لقد دخل المسلمون البلاد فاتحين عام ٩٢هـ واستمر المد الإسلامي حتى ضعف أهله وتقاعس حملته، فقوي أمر الأسبان وبدأ يتوسعون من الشمال إلى الجنوب، ورقعة الأرض الإسلامية تتقلص حتى لم تبق لهم سوى دولة غرناطة التي سقطت أخيرا بأيدي الأسبان عم ٨٩٨هـ، وبعدها بدأت حرب الإبادة والتصفية النهائية في الوجود الإسلامي هناك بقيادة فرناندو وزوجته إيزابيلا ، وقد تم لهما ما أردا ولم يبق هناك سوى بعض الآثار الإسلامية التي تحكي تاريخها المجيد.

ولقد أعطيت حرية الأديان عام ١٣٨٧هـ / ١٩٧٦م، ثم أكد ذلك بنص الدستور الصادر سنة ١٩٧٩م، والذي نص على أن الدولة الأسبانية مؤسسة لا تلتزم بدين معين. وبالتالي رجع عدد من الأسبان إلى الإسلام بعد دخولهم في النصرانية ظاهرا أو حقيقة أيام التنصير الإجباري الذي مرت به الأندلس ، وهذه الحرية أسهمت في نشر الدعوة هناك ولو بصورة محدودة، ويوجد بأسبانيا عدد من الجمعيات والمراكز والهيئات الإسلامية، ويلتحق ببعضها المساجد والمدارس، ومن أشهر مساجدهم مسجد الملك عبد العزيز بمدينة " مربيا " المطلة على شاطىء البحر حيث يفد إليه المسلمون من كل مكان، ويتوزع المسلمون في كل المدن الأسبانية، وأكثرهم في مدريد وغرناطة [٥٩]

٢ ـ البرتغال :

وهي إحدى دول شبه جزيرة أيبريا، تحيط بها أسبانيا من الشمال والشرق وتشرف على المحيط الأطلسي من الغرب والجنوب، ويزيد عدد سكانها على ١٠مليون نسمة، وتدين الغالبية بالنصرانية الكاثوليكية، ويوجد بينهم ٣٥ ألفا من البروتستانت، ١٢٠٠مسلم.

ولقد فتح المسلمون البرتغال عام ٩٢هـ عندما دخلوا شبه جزيرة أيبريا، وكانت تعرف باسم غربي الأندلس، ولقد مرت بأطوار تاريخية شبيهة بالأندلس، وعندما قضى الأسبان على دولة غرناطة عام ٨٩٨هـ، وبدأت حرب الإبادة قامت مثلها في البرتغال.

والمسلمون اليوم قلة حيث لا تزيد الجالية الإسلامية على ١٢٠٠مسلم، ولقد أسسوا لهم جمعية عام ١٣٨٨هـ ، وتصدر مجلة شهرية باللغة البرتغالية تحمل اسم الإسلام، وكان مركزها مقر التقاء للمسلمين ثم بنوا مسجدا لهم في العاصمة. [٦٠]

٣- جبل طارق :

وهو عبارة عن امتداد من البر الأسباني في البحر المتوسط، ولقد أطلق عليه اسم هـذا الاسم على اسم فاتحه طارق بن زياد، وقد حاول عبد المؤمن بن علي السلطان الموحدي أن يطلق عليه اسم " جبل الفتح " وذلك عام ٥٥٥هـ بعد أن بنى عليه مدينة عرفت باسم "مدينة الفتح " لتكون قاعدة لجنده، ولكن هذا الاسم زال بزوال دولة الموحدين.

وفي عام ٧٠٩هـ استولى عليه النصارى وطردوا منه جميع سكانه المسلمين، غير أن السلطان المريني قد عاد واستولى عليه عام ٧٣٢هـ وحاول إعادة تسميته جبل الفتح، ورجع عليه النصارى عام ٨٦٨هـ أي قبل سقوط غرناطة بثلاثين سنة، وبقي في أيديهم.

احتلته بريطانيا عام ١١١٦هـ وجاءوا إليه بمهاجرين من مالطا وجنوه وأسبانيا، ولا يزال بأيدي الإنجليز، وهو منطقة حرة وتطالب به أسبانيا، ويبلغ عدد سكانه حوالي ثلاثين ألفا معظمهم من النصارى الكاثوليك وبعض البروتستانت وقليل من اليهود، وعدد المسلمين حوالي ٣٢٠٠مسلم ولهم مكان خاص للصلاة، واللغة الرسمية في البلاد هي الإنجليزية ويتكلمون أيضا بالأسبانية [٦١]

٤- فرنسا :

وهي إحدى الدول الكبرى في أوروبا، ويزيد عدد سكانها على ٥٤ مليون نسمة، والغالبية العظمى منهم نصارى كاثوليك، ويوجد بينهم بعض البروتستانت وبعض اليهود، وأما عدد المسلمين فيزيد على ٣مليون مسلم، أي حوالي ٥.٥% من السكان.

المرحلة الأولى للمسلمين في فرنسا : تقدم المسلمون إلى فرنسا بعد فتح الأندلس عام ٩٥هـ، حيث دخلوا مدينة سبتمانيا وتقدموا في وادي الرون حتى وصلوا إلى مدينة حبانص على مقربة من باريس من ناحية الشرق، كما تقدموا في حوض الغارون ففتحوا مدينة طولوز "طلوشه " وبوردو " بردال "، ثم تقدموا نحو الشمال حتى " بواتييه " حيث جرت معركة بلاط الشهداء عام ١١٤هـ ، والتي هزموا فيها وقتل قائدهم " عبد الرحمن الغافقي " واضطروا للانسحاب من حوض نهر الغارون وحوض نهر الرون، ولكنهم احتفظوا بمقاطعة سابتمانيا " المدن السبعة " ما يقرب من تسعين سنة، وكانت هذه المنطقة في هذه المرحلة منارا للعلم، وأشهر مدن هذه المقاطعة " مونبليه " وبعدها بدأ العد التنازلي

للوجود الإسلامي في المنطقة حتى جاء العصر الحديث حيث كانت أرض فرنسا خالية من الإسلام.

المرحلة الثانية للمسلين في فرنسا : احتلت فرنسا الجزائر عام ١٢٤٦هـ، ثم توسعت فشملت دول الشمال الأفريقي، وبدأت الهجرة من هذه البلدان إلى فرنسا للعمل وخاصة من الجزائر، واستمرت الهجرة حتى غدت الجالية الإسلامية في فرنسا أكبر جالية في أوروبا، ولقد ارتقى عدد من المسلمين سلم الاقتصاد بخطى سريعة، واحتلوا مراتب عالية في عالم الأعمال والتجارة، والمسلمون يعملون كمستخدمين وتجار وطلاب، ونظراً لهامش الحرية الدينية الموجود فإن كثيراً من الفرنسيين يدخل في الإسلام حتى يقدر الذين يعتنقونه سنوياً بألف إنسان.

المنظمات الإسلامية : يوجد بفرنسا عدة جمعيات إسلامية ومنظمات، غير أنها مختلفة فيما بينها إلا من رحم الله، كاتحاد الطلبة المسلمين وجمعية المسلمين الدولية، والمعهد الإسلامي الأوروبي، ومكتب لرابطة العالم الإسلامي في باريس.. وغير ذلك كثير.

وبالنسبة للمساجد فهي كثيرة وفي الغالب لكل جماعة مسجدا، ففي باريس يقوم جامع باريس ومسجد الدعوة ومسجد التبليغ ومسجد الرابطة وتقام صلاة الجمعة فيها كلها، وهناك مساجد أخرى في المدن المشهورة مثل مرسيليا وليون وطولوز ...وغير ذلك، ولكن على كل حال فالكيد الصليبي واحد في الداخل والخارج.[٢٦]

٥- بلجيكا :

وهي مملكة صناعية صغيرة يبلغ عدد سكانها مليون وأربعمائة ألف نسمة، وأغلبية السكان من النصارى الكاثوليك، وعدد المسلمين حوالي مائة وثمانين ألفا، ونسبتهم حوالي ١,٧%.

ويرجع تاريخ وجود المسلمين هناك إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث جاءتها جماعة من الألبان ثم تبعهم الأتراك والمغاربة والطلاب من الجنسيات المختلفة، وقد اعترفت الحكومة عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م بالدين الإسلامي رسمياً، كما وافقت على تدريس التربية الإسلامية في مدارس المسلمين عام ١٩٧٦م، وأنشيء مركز إسلامي ضخم في بروكسل بمعاونة دول الجامعة العربية، وفي عام ١٣٨٨هـ تأسس المركز

الإسلامي الثقافي واعترفت به الحكومة البلجيكية، ومنحته الشخصية المدنية ولـــه نشـــرة شهرية اسمها " رسالة المسجد " وفي بلجيكا أكثر من خمسة وعشرين مسجدا، إضافة إلى أكثر من مائة مصلى [٦٣]

٦ـ هولندا :

وهي مملكة صغيرة يبلغ عدد سكانها ١٥مليون نسمة، نصفهم من البروتستانت ومنهم الأسرة المالكة، والنصف الآخر من الكاثوليك، وأما المسلمون فهم حوالي مـــائتي ألـــف مسلم وأكثرهم من تركيا والمغرب والهند وإندونيسيا والعراق ودول أفريقيا الشمالية، وقد تمكنوا من تخطي الفروق القومية والجغرافية واللغوية وتوحيد الجهود من أجـــل قضيـــة مشتركة وهي المحافظة على شخصيتهم الإسلامية، ولا يجد الهولنديون حرجاً من الذيـــن يعتنقون الإسلام من أبنائهم، كما لا يضايقون المسلمين وإنما يسمحون لهم بتدريس أبنائهم المنتسبين إلى المدارس الرسمية الإسلام، أو نقلهم إلى المراكز والجمعيات الإســـلامية إن كان معترفاً بها، وفي الوقت نفسه تعطي هذه المؤسسات الحق في عقد الـــزواج للذيـــن ينتمون إلى الإسلام، كما يوجد للمسلمين عدد من المقابر الخاصة بهم، وعدد من المسالخ لبيع اللحوم على الطريقة الإسلامية، وفي " أمستردام " مركز إسلامي ضخم، وفي هولندا عدد كبير من المساجد وصل إلى ثلاثمائة وخمسين مسجدا، وأكثر ما يضايق المســـلمين هناك فرقة القاديانية، واليهود الذين يسيطرون على الصحافة ولهم دور كبير في التجـــارة والصناعة [٦٤]

٧ـ لوكسمبورغ :

وهي مملكة صغيرة انفصلت عن ألمانيا عام ١٢٨٤هـ ، ويقرب عدد ســـكانها مـــن أربعمائة ألف نسمة، أكثرهم من الكاثوليك، وبينـــهم ألفـــان مـــن المســـلمين، وترتبـــط لوكسمبورغ وبلجيكا وهولندا باتحاد اقتصادي، ولذا فهي تعتبر منطقة صناعيـــة، وأكـــثر المسلمين فيها من المغرب وتركيا، ومعظمهم من العمال، لذا كانت إقامتهم مؤقتة وليـــس لهم أي تنظيم وغالباً ما يرتبطون بإخوانهم في بلجيكا [٦٥]

٨ـ إنجلترا :

مملكة اتحادية تتألف من أربع مقاطعات ثلاثة منها تقع في الجزيرة الكبرى وهي : "انكلند، ويلز، اسكوتلندا والرابعة هي شمالي ايرلندا"

ويبلغ عدد سكانها حوالي ٥٧ مليون نسمة، ويبلغ عدد المسلمين حوالي مليون ومائتين وخمسين ألف مسلم، ونسبتهم ٢,٢% من مجموع السكان.

وقد قدم إليها المسلمون من مستعمرات بريطانيا الكثيرة، وتزايد عدد المسلمين في الستينات من هذا القرن، غير أن أبناء دول الكومنولث البريطاني يتمتعون بحقوق وخيرات أكثر من المهاجرين المسلمين من مناطق أخرى، وأكثر المسلمين هناك من شبه القارة الهندية.

ويكافح المسلمون هناك للاعتراف بالإسلام وحقهم في العبادة، والانصراف من العمل لصلاة الجمعة، وحقهم في التعليم الديني وإقامة مدارس خاصة بهم، وفي لندن مسجد كبير للطلبة المسلمين والجمعية الطبية الإسلامية والمركز الإسلامي، وفيها مقر للمجلس الإسلامي المؤسس عام ١٩٧٣م للتنسيق بين جهود المنظمات الإسلامية في أوروبا الغربية والتي تزيد عن سبعين منظمة، ويوجد في إنجلترا حوالي ١٢٥مسجدا، كما يوجد هامش للحرية بالنسبة للمسلمين مما يمكنهم من ممارسة كثيرمن الأنشطة الإسلامية، ولكن المشكلة التي تقابل المسلمين هناك هي وقوف اليهود والقاديانيون في وجه المسلمين [٦٦]

٩ـ ايرلندا :

وهي جمهورية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ٣مليون نسمة وكانت مقاطعة إنجليزية، وأعلنت فيها الجمهورية عام ١٣٣٥هـ، واستقلت عن إنجلترا عام ١٣٦٨هـ، والسكان نصارى كاثوليك، ويعيش بينهم ألفا مسلم، ويعيش معظمهم في العاصمة " دوبلن" وهجرتهم إليها حديثا، ولهم جمعية دوبلن الإسلامية، ولقلة عددهم يلتحقون عادة بإخوانهم في إنجلترا [٦٧]

١٠ـ إيسلندا:

وتعني أرض الجليد، وهي جزيرة بركانية جبلية تخرج منها عيون من المياه الحـــارة، ولايزيد عدد سكانها على مائتين وخمسين ألف نسمة، يقيمون على أطرافها ويعتمدون في حياتهم على صيد السمك وبعض الصناعات الكيماوية، وأكثر من نصفهم يسكن العاصمة "ريكيافيك " التي تقع على الساحل الغربي، وكانت تتبع الدانمارك وقد انفصلت عنها عام ١٣٦٠هــ وأعلنت فيها الجمهوريـــة، ويعتنــق الأهــالي النصرانيــة علــى المذهــب البروتستانتي، وعشرات من السكان اعتنقوا الإسلام [٦٨]

١١ـ الدانمارك :

وهي مملكة صغيرة يقرب عدد سكانها من ٥.٥مليون نسمة وهم نصارى بروتستانت، ويعيش بينهم ما يقرب من أربعين ألفا من المسلمين، من تركيا وباكســتان ويوغســلافيا وألبانيا ومن دول المغرب وبقية الدول العربية، وقد اعتنق عدد كبير من أصل دانماركي الإسلام، وفي عام ١٣٩٤هــ تم افتتاح فرع لرابطة العـــالم الإســلامي فــي العاصمــة "كوبنهاجن" وفيها تقوم مدرسة الفيصل ومدرسة الأقصى ويوجد فيها بعـــض المــدارس الأخرى للجاليات، وفي عام ١٣٩١هــ سمحت بلدية كوبنـــهاجن بإقامـــة صـــلاة عيـــد الأضحى فحضر الصلاة ستة آلاف مسلم، وفي العام نفسه شكلوا لجنة تأسيســـية لبنـــاء مسجد ومركز إسلامي واسم المسجد، مسجد التابعين، ولقـــد زاد عـــدد المســاجد علـــى العشرة، ويلقى المسلمون عنتا من اليهود والقاديانيين في كل مشروع يريدونه [٦٩]

١٢ـ ألمانيا الغربية :

دولة صناعية من دول أوروبا الوسطى، يبلغ عدد سكانها أكثر من ٦٢ مليون نســمة، نصفهم من البروتستانت وأكثرهم في الشمال، ونصفهم الآخر من الكاثوليك وأكثرهم فـــي الجنوب، ويعيش بينهم ما يقرب من ٢,٥مليون مسلم، أي بنسبة ٤% من السكان.

ومعظم المسلمين من الأتراك حيث يبلغ عددهم مليون وستمائة ألـــف تركـــي مســلم، ويليهم المغاربة حوالي أربعمائة ألف، واليوغسلاف حوالي أربعمائة ألـــف، وجنســيات أخرى حوالي مائة ألف، ويعتبر الدين الإسلامي القوة الدينية الثالثة في ألمانيا بعد الـــروم الكاثوليك والبروتستانت، ويوجد في ألمانيا حوالي أربعمائة جمعيـــة إســلامية مســجلة،

بالإضافة عشرات المساجد والمراكز الإسلامية في المدن الكبرى، عدا أماكن الصلاة المتوفرة في كل تجمع تركي، أما أشهر المراكز الإسلامية والثقافية والتي تقوم بدور بارز في تدريس وتعليم والقرآن والتجويد والحديث والفقه فهي موجودة في" برلين الغربية وميونيخ وهامبورغ وكولونيا " ، وأما في " آخن " فيوجد فيها أكبر الإسلامية تحت إشراف الأستاذ/ عصام العطار، ويصدر هذا المركز مجلة الرائد باللغة العربية، ويشرف هذا المركز على اتحاد الطلاب المسلمين في أوروبا وعلى اتحاد العمال المسلمين في أوروبا، وتضم هذه المراكز المسجد والمدرسة وصالات المحاضرات والمكتبة، وتقوم أيضاً برعاية مصالح المسلمين ونشر الإسلام والدعوة له، وإشهار إسلام الألمان وتوثيقه، والإفتاء في بعض أمور المسلمين ، وكذلك إتمام عقود الزواج والطلاق والإرث ...الخ

أما عن الاعتراف بالإسلام كديانة رسمية فهو لا يزال فكرة تختمر في عقول القادة، وتقف الكنيسة الكاثوليكية موقفاً أفضل في هذا الصدد من البروتستانتية والتي تحاربه.

وباختصار : فإن الإسلام في ألمانيا تركي الوجه والمظهر، وهناك شعور دائم بكراهية الأتراك من قبل الألمان، وقد بدت مظاهر هذا الحقد واضحة في وسائل الإعلام من خلال الصحف والكتابة على الجدران والميادين العامة في المدن الصناعية الألمانية، ومن خلال الشعارات المعادية التي ظهرت مثل " اطردوا الأتراك "" امنعوا الإسلام وامنعوا القرآن" ولقد ظهرت أمور أخطر في الفترة الأخيرة وهي إحراق بيوت الأتراك على أيدي النازيين الجدد، والطامة الكبرى تتمثل في انتشار ظاهرة التبشير والتنصير في أوساطهم والتي تغزوهم وتلاحقهم في أماكن عملهم وبيوتهم، وكذلك يقف في وجه النشاط الإسلامي البهائيون الذين لهم مركز في فرانكفورت، والقاديانيون الذين لهم معابد في كل من هامبورغ وبرلين وفرانكفورت، واليهود وأخطر ما فيهم أن بعضهم يظهر الإسلام ويعمل على حربه في الداخل [٧٠]

١٣ـ النمسا :

وهي دولة صغيرة تقع وسط أوروبا، وعدد سكانها حوالي ٨مليون نسمة، وحوالي ٨٥% منهم على المذهب الكاثوليكي والباقي على المذهب البروتستانتي، ويعيش معهم أربعون ألف مسلم، وخمسة عشر ألف يهودي، ولليهود أثر كبير على الصحافة.

ولقد جرى احتكاك بين النمسا والمسلمين في الحروب التي شنتها أوروبا ضد الدولة العثمانية، لتقف في وجه تقدمها في أوروبا، وقد تمكن العثمانيون من حصار النمسا عدة مرات كان أولها عام ٩٣٥هـ أيام السلطان سليمان القانوني، واضطرت النمسا إلى دفع الجزية للعثمانيين، ولما ضعف أمر الدولة العثمانية وأخذت النمسا مقاطعة البوسنة والهرسك إثر مؤتمر برلين عام ١٢٩٠هـ، فانتقل عدد من مسلمي هذه المقاطعة إلى النمسا، وتزوج بعض المسلمين هناك بنساء نمساويات، ولذلك فالمسلمون من البوسنة والهرسك أكبر الأعداد الموجودة في النمسا، ثم يليهم الأتراك، ثم يليهم الطلاب من بلدان العالم الإسلامي.

وفي النمسا بعض الجمعيات الإسلامية غير أنها ضعيفة، ولا توجد مدارس إسلامية، والمسلمين هناك مهملون، وقد ارتدت ٧٦عائلة عن الإسلام للجهل والدعاية والتشكيك، وحتى الآن لم تعترف النمسا بالإسلام، ولقد عمل بعض سفراء الدول الإسلامية على فتح مركز إسلامي في فيينا العاصمة [٧١]

١٤ـ سويسرا :

دولة اتحادية صغيرة، عدد سكانها حوالي ٧مليون نسمة، نصفهم كاثوليك ونصفهم بروتستانت، ويعيش بينهم ما يقرب من أربعين ألف مسلم، وعشرين ألف يهودي.

لقد وصل المسلمون في العصر الحديث إلى سويسرا بعد الحرب العالمية الأولى، وكان أكثرهم من اللاجئين السياسيين، ولكن العدد بقي قليلا حتى عام ١٣٧١هـ، حيث لم يزد على الألفين، كما اعتنق بعض السويسريين الإسلام، وبعد هذه المرحلة بدأ العمال المسلمون يفدون إلى البلاد حتى وصل العدد الآن حوالي أربعين ألف مسلم.

وفي سويسرا تأسست جمعية إسلامية عام ١٣٩٢هـ، وقامت ببناء مسجد ومركز إسلامي، وكانت تشرف على تعليم أطفال المسلمين في المسجد، وكذلك قامت المؤسسة الإسلامية في مدينة" جنيف " عام ١٣٩٣هـ وأقامت مسجداً ومكتبة ومدرسة وقاعة للمحاضرات بدعم من السعودية، وهناك معهد إسلامي في مدينة جنيف وآخر في مدينة زوريخ.

ويجد المسلمون عنتاً كبيرا من اليهود الذين لهم تأثير كبير على الرأي العــــام، ومــن القاديانيين الذين لهم معبد في مدينة زوريخ منذ عام ١٣٨٢هـ[٧٢]

١٥ - إيطاليا :

جمهورية متوسطية من الدول الكبيرة المساحة في أوروبا، ويزيد عدد سكانها علـــى ٥٥ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة " روما " والتي تضم دولـــة الفاتيكـــان، ومعظمـــهم كاثوليك، ويبلغ عدد المسلمين حوالي ٣٥ألف مسلم، وكانت هذه الدولة مجزأة وتوحـــدت عام ١٢٨٨هـ ، وألغيت الملكية فيها بعد الحرب العالمية الثانية وأعلنت الجمهورية.

وتتبع إيطاليا عدة جزر أهمها : صقلية وسردينيا وقوصرة وإلبا، ولقد فتح المســلمون جزر البحر المتوسط، ومنها صقلية وسردينيا وقوصرة، كما فتحوا جنوبي إيطاليا، ولـــذا فإن احتكاكاً كبيراً قد حدث بين المسلمين والطليان وربما كان أكثره في جزيرة صقليـــة حيث طال بقاء المسلمين حتى انتشرت حضارتهم وعمت لغتهم وساد دينهم، وفـــي أيـــام الدولة العثمانية دخل المسلمون ميناء " أوترانتو " في الجنوب عام ٨٨٥هـ أيام السلطان محمد الفاتح، ثم عام ١١٢٤هـ زال أثر الإسلام من إيطاليا بعد هذا المدة حتى العصـــر الحديث، ولقد بشرنا النبي ﷺ بفتح " روما " في آخر الزمان، ونحن ننتظر هذه البشرى.

وفي الوقت المعاصر جاء مسلمون مهاجرون من أوروبا الشرقية فارين من الضغـــط الشيوعي فاستقر بهم المقام في إيطاليا، كما وفد إليها عمال للعمل في المصانع الإيطاليـــة إضافة إلى الطلاب الذين يدرسون في جامعاتها، ورجال السلك السياســـي، والإيطـــاليون الذين اعتنقوا الإسلام.

التنظيمات الإسلامية : تأسست جمعية الاتحاد الإسلامي في الغرب لرعايـــة المســلمين القادمين من أوروبا الشرقية وذلك بعد الحرب العالمية الثانيـــة ومقرهـــا مدينـــة رومـــا، والمركز الإسلامي في مدينة روما أنشأ عام ١٣٨٦هـ وكذلك المركز الإســـلامي فـــي ميلانو، واتحاد الطلبة المسلمين وله فروع كثيرة في البلاد.

ويقف في وجه المسلمين اليهود الذين لهم تأثير على الصحافة وعلى الـــرأي العـــام، والقاديانيون والبهائيون والذين ترجموا معاني القرآن الكريم إلى الإيطالية حسب عقيدتهم الباطلة [٧٣]

١٦ ـ مالطا:

دولة تتألف من مجموعة جزر تعرف باسم أكبرها وهي " مالطا " ولا يزيد عدد سكانا على ثلاثمائة وخمسين ألف نسمة، بينهم حوالي أربعون ألفا مسلم أي بنسبة ١١% من السكان.

ولقد فتح المسلمون مالطا أيام حكم الأغالبة عام ٢٥٦هـ ، واستمر المسلمون فيها حتى عام ٤٨٣هـ، فعمّ الإسلام وانتشرت اللغة العربية، ولما جاء النورمانديون أيام "روجر" أرغموا أهلها على الخروج من الإسلام حتى عام ٩٣٧هـ عندما استولى عليها فرسان القديس يوحنا وبقوا فيها حتى طردهم نابليون بونابرت منها عام ١٢١٣هـ وهو في طريقه إلى مصر لاحتلالها، ثم أخرج الإنجليز الفرنسيين منها عام ١٢١٧هـ، وبقيت مالطا بعدها بيد الإنجليز حتى حصلت على استقلالها عام ١٣٨٤هـ، ضمن رابطة الشعوب البريطانية "الكومنولث " وبقي للإنجليز قواعد فيها.

ويتكلم السكان المالطية وهي عبارة عن خليط من العربية والإيطالية والإنجليزية، ومعظم سكانها نصارى كاثوليك، وجاء مسلمون من ليبياوتونس مهاجرين إليها، وأقامت ليبيا عام ١٣٩٤هـ مركزاً إسلاميا ومسجداً جامعاً [٧٤]

١٧ ـ اليونان :

وهي جمهورية صغيرة وتشمل عدداً كبيراً من الجزر منتشرة في بحر إيجه الذي بينها وبين تركيا، وأهم الجزر اليونانية رودوس وكريت، وكانت مملكة وأعلنت فيها الجمهورية عام ١٣٩٣هـ، وعدد السكان يزيد على ١٠مليون نسمة، يعيش بينهم ٢٥٠ألفا مسلم.

ولقد فتح المسلمون جزيرة رودوس في عهد عثمان ﷺ لله عنه عام ٣١هـ تمهيداً لفتح القسطنطينية، ثم عادوا وانسحبوا منها عام ٣٩هـ للأحداث التي قامت داخل المجتمع الإسلامي، ثم عادوا وفتحوها أيام سليمان بن عبد الملك عام ٩٩هـ للغرض نفسه، ولكن انسحبوا منها أيام عمر بن عبد العزيز ﷺ، وفي العهد العثماني دخل المسلمون رودوس عام ٩٢٩هـ أيام السلطان سليمان القانوني وبقيت بأيديهم أكثر من أربعة قرون، ثم أجبروا على الانسحاب منها عام ١٣٣١ هـ، حيث تبعت إيطاليا حتى عام ١٣٦٧هـ، ثم

ألحقت باليونان، وكان الإسلام قد ساد بين أهلها، وبعد مجيء النصارى بـــدأت حمـــلات الإبادة والتهجير والتنصير حتى لم يبق من المسلمين سوى عشرة آلاف مسلم.

وغزا المسلمون جزيرة كريت أيام معاوية بن أبي سفيان، ولكن لم يتمكنوا من فتحها، ثم فتحها أبو حفص عمر بن عيسى البلوطي الأندلسي عام ٢١٢هـ واستمروا فيها حتى عام ٣٥٠هـ حيث عادت إلى الروم، وكان المسلمون يسمونها " إقريطش "، وفـــي أيـــام الحكم الإسلامي اعتنق جميع أهلها الإسلام، فلما جاء البيزنطيون بدءوا بحـــرب الإبـــادة والتهجير والتنصير حتى لم يبق للمسلمين أي أثر، ومع ذلك فقد بقي الظلم يلاحق أهلـــها النصارى حتى استعانوا بالعثمانيين والذين جاءوا إلى الجزيرة عام ١٠٨٠هـ بناء علـــى طلب أهلها في سبيل إزالة الظلم عنها، ورجع كثير من أهلها إلى الإسلام، ثـــم ضعفـــت الدولة العثمانية ودخل محمد على باشا الجزيرة عام ١٢٣٩هـ، واستمرت تتبـــع مصـــر حتى عام ١٢٥٦هـ حيث أعيدت للدولة العثمانية، ثم أجبر ت على الانسحاب منها عـــام ١٣١٦هـ واستقلت ثم تبعت اليونان ١٣٣١هـ، عندما خرج العثمانيون من الجزيرة كان عدد المسلمين ٨٩ألف مسلم، ونتيجة لحروب الإبادة وصل عدد المســـلمين بعـــد عشـــر سنوات إلى ٣٣ألف مسلم ، واستمر العدد في النقصان حتى خلت الجزيـــرة نـــهائياً مـــن المسلمين، أما أرض اليونان فلم يصل إليها المسلمون إلا في العهد العثمـــاني فقـــد فتـــح السلطان مراد الأول مقدونيا عام ٧٨٢هـ، وفتح السلطان بايزيد الأول منطقـــة تســـاليا، وفتح السلطان محمد الفاتح بلاد المورا عام ٨٦٣هـ، كما فتح السلطان نفسه جزر بحـــر إيجه، وهكذا أصبحت بلاد اليونان يومها كلها ضمن أراضي العثمـــانيين، وانتقـــل إلـــى الأرض اليونانية عدد كبير من المسلمين من الأتراك والبلغار والألبـــان، ووصـــل عـــدد المسلمين في اليونان إلى ما يقرب من نصف السكان.

وعندما ضعفت الدولة العثمانية أعانت أوروبا اليونان بالمال والســـلاح ضـــد الدولـــة العثمانية وجرت حروب بينهما وانتهت باستقلال اليونان، ثم بدأ عدد المسلمين يتنـــاقص بسبب الاضطهاد، فلقد كان عدد المسلمين عام ١٣٣٩هـ مليوناً وأربعمائة ألف، أي مـــا يزيد على ربع السكان، ثم أصبح عام ١٣٨١هـ حوالي ١٢٦ألف مسلم فقط.

وينتمي المسلمون في اليونان إلى ثلاث مجموعات وهي :

الأتراك، ويشكلون ثلاثة أرباع المسلمين، ثم الألبان، ثم البلغار.

ويتجمع المسلمون في خمس مناطق وهي:

تراقيا الغربية، ومقدونيا ، وجزر بحر إيجه، ومقاطعة إيبروس، وأثينا العاصمة.

ولقد كان عدد المساجد كبيرا أيام الحكم العثماني، وقد انخفض إلى ٣٠٠مسجدا عندما آل الأمر إلى اليونانيين، ولا يزال العدد في تناقص مستمر حتى وصل إلى قريب من ثلاثين مسجدا، ويوجد في كل قرية مسلمة مدرسة ابتدائية للأطفال، كما يوجد بعض التنظيمات الإسلامية مثل منظمة اتحاد الإسلام، وتصدر مجلة نصف شهرية باسم "المحافظون "، وجمعية يقظة الإسلام وتصدر مجلة "الثبات" أسبوعيا، وهناك اللجنة الإسلامية في مدينة كيوركاو [٧٥]

٨. يوغسلافيا:

وهي جمهورية اتحادية توجد في جنوب وسط أوروبا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك، وتتكون من ست جمهوريات صغيرة وهي :

.صربيا : وعاصمتها "بلغراد" وهي العاصمة الاتحادية، وعدد سكانها ٩ مليون نسمة، وعدد المسلمين مليون وأربعمائة وخمسين ألفا، أي بنسبة ٦.١% من السكان.

.كرواتيا : وعاصمتها "زغرب"، وعدد السكان ٥ مليون نسمة، وعدد المسلمين مائة ألف مسلم، أي بنسبة ٢,% من السكان.

.البوسنة والهرسك: عاصمتها " سراييفو " وعدد سكانها أربعة ملايين ومائتين وخمسين ألف نسمة، وعدد المسلمين فيها مليون وثمانمائة وثلاث وعشرين ألف مسلم أي بنسبة٤٣.٥%.

.مقدونيا: وعاصمتها " سكوبيا "، ويبلغ عدد سكانها ١.٧مليون نسمة، وعدد المسلمين فيها ٣٨٧ ألف مسلم، أي بنسبة ٢٢.٧%.

ـ الجبل الأسود : يبلغ عدد سكانها ستمائة ألف نسمة، وعدد المسلمين ٧٥ألف مسلم.

ـ سلوفينيا : وعاصمتها " ليوبليانا "، وعدد سكانها مليون وستمائة وخمسين ألف نسمه، وليس هناك أي إحصائية لتواجد المسلمين فيها.

ويضاف إلى هذه الجمهوريات إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما : كوسفو، وفوجفورينا، ويتبعان جمهورية صربيا وتضم البلاد أكثر من عشرين قومية يتكلم كل منها لغة خاصة بها، وقد ظهرت هذه الجمهورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تسوية ما بعد الحرب باسم مملكة " صربيا "، واحتلها الألمان والإيطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم استقلت بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فدرالية، وسيطر الشيوعيين على حكمها، ثم اتبعت سياسة عدم الانحياز ومصادقة جميع الكتل السياسية العالمية، وحكمها الرئيس" تيتو " فترة طويلة.

ولقد وصلها الإسلام بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري، ولكنه وصلها بشكل كبير مع الفتح العثماني، والذي فتح البلاد عام ٨٦٨هـ على يد السلطان محمد الفاتح والذي استجاب لنجدة البوشناق ــ أهل البوسنة ــ حيث كانوا على مذهب البوجوميل أو الكنيسة البشناقية والمعارضة الكاثوليك والأرثوذكس، حيث كانت متأثرة بالإسلام، وبهذا الفتح حسم الصراع بين المذاهب النصرانية، وأصبحت البلاد جزءا من دار الإسلام، واعتنق البوشناق الإسلام وصاروا من أقوى أنصاره وشيدوا المدن ذات الطابع الإسلامي وأشهرها: سيراييفو.

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن إدارة البوسنة والهرسك عام ١٢٩٥هـ لإمبراطورية النمسا والمجر، ثم ضمتها النمسا إلى إمبراطوريتها، وفي سيراييفو كانت شرارة الحرب العالمية الأولى عندما اغتال طالب صربي ولي عهد النمسا " الأرشيدوق فرديناند وزوجته " أثناء زيارته لمدينة سيراييفو عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٤م، وبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت مملكة صربيا، ثم ظهرت جمهورية يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية تحت الحكم الشيوعي.

أحوال المسلمين :

لقد تعرض المسلمون لموجات قاسية من الاضطهاد في عهد الحكم النمساوي الصليبي وإلى عمليات التنصير، وهاجر العديد منهم فراراً بدينهم إلى تركيا والبلاد الإسلامية سنة ١٢٩٧هـ، وقامت النمسا بتهجير أعداد كبيرة من الكاثوليك النصارى إلى البوسنة، وتعرضت المساجد للهدم، وثار المسلمون ضد الحكم النمساوي بقيادة رئيسهم "على فهمي جانيش " عام ١٣١٨هـ، وانضم إليهم الأرثوذكس، ونجحوا في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية عام ١٣٢٧هـ، وعندما ظهرت دولة الصرب بمساعدة روسيا استبشر المسلمون بالتخلص من الاستعمار النمساوي، ولكن الأرثوذكس غدروا بهم بعد الاستقلال، واستمروا كالنمسا في أسلوب تهجير المسلمين وإغلاق مدارسهم ومساجدهم وإقامة المسارح والفنادق مكانها، حتى أن البرلمان اليوغسلافي اليوم على أنقاض مسجد "بتار " وكان أجمل مساجدها من عام ٨٢٨هـ.

ومن حركات المقاومة التي نظمها المسلمون : الحزب الإسلامي بزعامة الدكتور / محمد سباهو عام ١٣٣٨هـ، وعندما استلم الشيوعيون الحكم بزعامة " تيتو " بعد الحرب العالمية الثانية قاموا بمذابح كبيرة ضد المسلمين وبتهديم مساجدهم وأغلقت بقايا المدارس الإسلامية وأبيد حوالي ٢٤ألف مسلم بعد الحرب مباشرة.

وفي عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م بدأ الانفراج النسبي بالنسبة للمسلمين هناك، فاعترفت الدولة بكيانهم وقامت جمهورية إسلامية في البوسنة والهرسك، شكل المسلمون أغلبها وأصبحت لهم حرية التعبد وإقامة المساجد وبناء المدارس حتى وصل عدد المساجد إلى ألفين وسبعمائة مسجدا، كما كان في البلاد اتحاد إسلامي عام يرأسه كبير العلماء، وفي عواصم البوسنة والهرسك وصربيا ومقدونيا والجبل الأسود مجالس للعلماء ينظمون شؤون المسلمون، ولهذه الهيئات نفوذها وقوتها بين المسلمين باعتراف حكومة يوغسلافيا بهذا التنظيم، كما تعتبر جامعة سيراييفو أكبر جامعة إسلامية في أوروبا، وبصورة عامة فالمسلمون هناك بوشناق، وهم من أصل سلافي، ولغتهم صربية، وهم أحسن حالاً على سوئها من الأتراك والألبان.

وقد انتهى الاتحاد اليوغسلافي عام ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣ م باستقلال كرواتيا، وجمهورية البوسنة، والتي اشتعلت فيها حرب ضروس، صبت فيها صربيا حممــها اللاهبــة نحــو عاصمتها سيراييفو مدمرة المساجد والآثار، ومقتلة المسلمين وعلماءهم بطريقة همجية لم يشهد التاريخ مثلها أمام نظر الأمم المتحدة والتي ساعدت الصرب في الحقيقة والبــاطن على دمار بلاد المسلمين، وبعدما انتصر المسلمون في معارك كثيرة بفضــل الله تعــالى اضطروا لإيقاف الحرب حفظاً لماء وجه الصرب الذين عجزوا أمام أبطال الإسلام فــي البوسنة والهرسك، واعترف العالم بجمهورية البوسنة والهرسك بقيادة رئيسها "على عزت بيجوفيتش " غير أنهم جاروا عليها عند التقسيم حيث جعلوها ضمن اتحاد قســري مــع الكروات الصليبين، وما زالوا يناضلون من أجل استقلالهم التام والله الموفق [٧٦]

١٩ـ فنلندا :

وهي إحدى الدول الاسكندنافية، كانت تتبع مملكة السويد حتى احتلــها الــروس عــام ١٢٢٤هــ ثم استقلت عام ١٣٣٦هــ، ثم احتلها الروس ثانية عام ١٣٦٠هــ أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم استقلت بعد الحرب مباشرة، ويبلغ عدد سكانها ٥مليون نســمة،٩٥% منهم نصارى بروتستانت، وعدد المسلمين حوالي ثلاثة آلاف مسلم، ويعود أكثرهم إلــى أصول تركية وتترية ويوغسلافية وباكستانية ومغربية.

وأسس المسلمون في العاصمة " هلسنكي " مركزاً إسلامياً ضخماً يضم مسجداً ومدرسة ومكتبة وقاعة للمحاضرات ومقراً للإمام، كما أقاموا نادياً للشباب المســلم، كمــا توجــد جمعية للمسلمين في هلسنكي وأخرى في تمبيري، كما توجد الجمعية التركية الفنلندية في هلسنكي ولها فروع في عدة مدن ، وأهم المدن التي يتوزع فيها المسلمون هي: هلسنكي، وتامبيري، وتوركو، وكوتكا [٧٧]

٢٠ـ السويد :

وهي إحدى الدول الاسكندنافية، يبلغ عدد سكانها ٨.٥مليون نســمة، وهــم نصــارى بروتستانت، ويعيش بينهم ثلاثون ألفاً من المسلمين.

وأول من وصل من المسلمين إلى السويد تتار من روسيا ومن بعض مسلمي فنلنــدا، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ بعض أهل السويد يعتنقون الإسلام ولكن بــأعداد قليلــة،

ونصف المسلمين هناك من الأتراك والتتار، والنصف الباقي من المجموعـــات الأخـــرى ويأتي في طليعتهم العرب واليوغسلاف وبعض الجماعات من الأتراك.

واعترفت حكومة السويد بالإسلام ديناً رسمياً في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وتأسست عام ١٣٩٣هـــ الجمعية الإسلامية وأنشأت لها مركزاً في العاصمة" استوكهولم " كما افتتحت مدرسة في العاصمة وتمكنت من الحصول على اعتراف الحكومة الســـويدية بالإسلام، كما أنشأت مركزاً في مدينة " مالمو " يضم مكتبة ومدرســــة وداراً للحضانـــة ونادي للعجزة ومركزاً لبيع اللحوم الحلال، كما يوجد فـــي مـــالمو رابطـــة الجمعيـــات الإسلامية.

ويعاني المسلمون من خطر القاديانيين واليهود، كما يعانون من توزعهم في المدن مع قلتهم ومع تعدد لغاتهم لتعدد أصولهم [٧٨]

٢١ـ النرويج :

وهي إحدى الاسكندنافية، استقلت عن السويد عام ١٣٢٣هـــ، وعدد سكانها حوالـــــي ٤.٥مليون نسمة، وهم نصارى بروتستانت، ويوجد بينهم أحد عشر ألـــف مســـلم، وبـــدأ بعض العمال المسلمين يتجهون نحو النرويج بعد عام ١٣٨٠هـــ، وكـــان أكـــثرهم مـــن باكستان، إذ يشكلون حوالي نصف المسلمين، والباقي من تركيا ويوغسلافيا والمغرب.

وتأسست الجمعية الإسلامية الحنيفية في العاصمة " أوسلو " وكذلك المركز الإســـلامي الثقافي، وفي عام ١٣٩٤هـــ تأسس اتحاد الجمعيات الإسلامية بجهود العاملين في مركز رابطة العالم الإسلامي في عاصمة الدانمارك " كوبنهاجن " والذي افتتح فرعاً لـــــها فـــي أوسلو.

ويعاني المسلمون مشكلة في التعليم لتعدد اللغات بتعدد المجموعات مع قلة المسلمين.

الخلاصة :

يمكن القول أن الأقليات المسلمة في دول أوروبا الغربية كلها قد وجدت حديثـــاً، عـــدا الأقلية في يوغسلافيا واليونان فإنهما من أثر الفتوحـــات العثمانيـــة فـــي أوروبـــا، وأن المسلمين الذين جاءوا مع الفتوحات الأولى قد أبيدوا أو فـــروا مشرديـــن نتيجـــة الحقـــد

الصليبي، اللهم إلا إن كانت هناك بقية في مالطا، ولكن بفضل الله تعالى فمع كل حملات الإبادة للمسلمين ومحاربة الإسلام إلا أنك لا تجد مكاناً في أوروبا الغربية إلا وفيه مسلمون ولو قلة، وهؤلاء بمثابة حجة الله على العباد، وعلى كل حال لقد بشرنا النبي ﷺ بفتح رومية في إيطاليا عند الفتح الإسلامي الأعظم في مستقبل الأيام إن شاء الله تعالى كما بشرنا النبي ﷺ بدخول كثير من نصارى الروم في الإسلام في آخر الزمان عند ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام.

ثانياً : الأقلية المسلمة في دول شرقي أوروبا :

مقدمة : دول شرقي أوروبا يقصد بها الدول التي كانت أو مازالت تأخذ بالنظام الشيوعي وتطبقه حسب مفهومها، وهي التي تنتظم في فلك موسكو وفي فلك حلف" وارسو " سابقاً ، وهناك بعض الدول تقع في شرقي أوروبا غير أنها لا تعد ضمن هذه المجموعة، إما لكثرة المسلمين فيها بحيث تعدّ حكماً دولة إسلامية وإن لم تكن كذلك واقعاً كدولة ألبانيا، أو تكون الدولة لا تدور في فلك موسكو فلا تضاف ضمن هذه المجموعة كيوغسلافيا والتي لها شيوعية من نوع خاص.

وأما هذه الدول المقصودة في هذه المجموعة فهي كالتالي :

١- بلغاريا :

وهي دولة صغيرة تشرف على البحر الأسود، ويبلغ عدد سكانها ١١.٥مليون نسمة، وعدد المسلمين ٢.٥مليون مسلم أي بنسبة ٢١% من السكان.

وبعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى عانى المسلمون البلغار الاضطهاد، وزاد هذا العذاب بوصول الشيوعيين إلى الحكم بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤م.

والمسلمون في بلغاريا من الترك ومن البلغار الذين أسلموا ويعرفوا بـ " البوماك " ومن الغجر البدو الرحل، ويغلب على المسلمين الفقر والتخلف والحرمان، ويمنعون من الهجرة إلى الخارج، وقد حاولت بلغاريا قبل أن تصبح شيوعية تنصير المسلمين، إلا أن مقاومة هؤلاء أفشلت مخططاتهم، وقد سقط تحت سياطهم الألوف، وقد منعت السلطات الشيوعية الحاكمة المسلمين من تأدية فريضة الحج، وليس لهم مدارس خاصة، وكانت

بلغاريا تضم أكثر من ١٢٠٠ مسجدا، وقد ألزمتهم السلطات بمقابر واحدة مع سائر السكان، وحظرت النحر يوم عيد الأضحى، وأجبرت النساء على السفور، وأجبرت المسلمين على إسقاط التمايز القومي والديني، وألزمتهم بتغيير أسمائهم بالقوة إلى أسماء نصرانية أو بلغارية، وقد عارض المسلمون فوقعت مجازر رهيبة وهرب البعض إلى تركيا بلغ عددهم حوالي ثلاثمائة ألف مهاجر عام ١٩٨٩م، والجدير بالذكر أن متحف صوفيا في العاصمة أصله مسجد هدمت مئذنته، كما هدم عدد كبير من المساجد وحول عدد كبير منها إلى مهام أخرى، كما أنه منع بناء المساجد ومنه الآذان.

وأخيراً حدث انفراج في سياسة الحكومة تجاه المسلمين ففي ١٩٩٠/١/١٥ م وحدث اتفاق بين الحكومة والمعارضة وممثلين عن المسلمين الأتراك والبلغار جرى فيه إقرار حريات المسلمين الدينية والثقافية، وأعيدت إليهم حرية اختيار الأسماء الإسلامية شريطة ألا يقيموا أو لا يطالبوا بحكم ذاتي، ومع ذلك فلا يزال المسلمون يعانون من أمور كثيرة ومنها الفقر [٧٩]

٢ـ رومانيا :

وهي دولة شيوعية تشرف على البحر الأسود، ويقدر عدد سكانها حوالي ٢٤مليون نسمة، وحوالي ٨٤% منهم نصارى أرثوذكس، ١٣% نصارى كاثوليك، والباقي وهو ٣% مسلمون، ويقيم أكثر المسلمين في منطقة " دوبروجا " وتعد مدينة " كونسطانطة " أكبر مركز لتجمعهم فهي مقر المفتى ولهم مسجد فيها كما لهم مسجد جميل في العاصمة "بوخارست " يسمى مسجد " كارول "

والجدير بالذكر أن عددا كبيراً من المسلمين الأتراك هاجر من ألمانيا بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى ثم تناقصت الأعداد بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية خوفاً من اضطهاد الحكم الشيوعي، ومن يومها والمسلمون يلاقون ضغطاً من الشيوعيين ومن النصارى معاً، وليس لهم أي تنظيم حيث لا يسمح النظام القائم بهذا أبداً، وربما كان الضغط عليهم أقل مما هو على إخوانهم في بلغاريا لقلة عددهم، إذ لا يخشى منهم لقلة عددهم وسوء أحوالهم [٨٠]

٣ـ المجر:

وهي دولة شيوعية، عدد سكانها حوالي ١١مليون نسمة، وحوالي ٧٥% منهم نصارى كاثوليك، والباقي بروتستانت، وأما المسلمون فحوالي ستة آلاف مسلم، معظمهم من بقايا الأتراك الذين استعصوا على الملك المجري " شارل " عام ١٨٤٠هـ، ولقد تعرض المسلمون بعد نهاية الحكم العثماني عام ١١٠٠ هـ لحملات إبادة وحشية، حيث كان عددهم عند نهاية الحكم العثماني حوالي ٢٥٠ألف مسلم، وأما عددهم الآن فحوالي ستة آلاف فقط، ويعيش ألف منهم في العاصمة " بودابست " وليس لهم أية مدرسة أو مسجد ولا يستطيعون المطالبة بذلك [٨١]

٤ـ بولندا:

وهي دولة شيوعية، يبلغ عدد سكانها حوالي ٣٨مليون نسمة، وحوالي ٩٥ % منهم نصارى كاثوليك، وأما المسلمون فكان عددهم قبل الحرب العالمية الأولى ١٥٠ألف مسلم وأما اليوم فيقارب ٣٠ألف، وقد نشط المسلمون قديماً في دراسة العلوم الشرعية واللغات الشرقية، حيث كان يشجعهم على ذلك ملوك بولندا والذين كانوا يسمحون للمسلمين باستقدام أئمة علماء يعلمونهم الدين، واستعمل التتار المسلمين هناك الحرف العربي في الكتابة، ولذا فالمتاحف هناك تحوي نسخاً من القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير وغيرها مكتوبة بالحرف العربي بأيدي تتار بولنديين، وهذا يدل على إقامة الحجة من الله تعالى على العباد حيث أوصل إليهم الدين في كل مكان، ولكن لما جاء الحكم الشيوعي عام ١٩٤٤م حدّ من نشاط المسلمين وهدم مساجدهم الستة عشر إلا ثلاثة، أحدها في العاصمة وارسو، واثنان في مقاطعة بيالستوك، وبعد الانقلاب في بولندا عام ١٩٨٤م أعطي المسلمون جزءاً من الحرية، وزارهم مفتي لبنان مع وفد ديني، وفي بداية عام ١٩٩٠م انتفضت بولندا وسائر دول أوروبا الشرقية ضد الشيوعية حتى أنه أعلن رسمياً في بولندا عن حظر الحزب الشيوعي [٨٢]

٥ـ تشيكوسلوفاكيا:

وهي جمهورية شيوعية اتحادية تتألف من اتحاد جمهوريتي " التشيك " في الغرب، ويشكل أبناؤها ٦٥% من السكان، وعاصمتهم " براغ " وهي العاصمة الاتحادية

وجمهورية " سلوفاكيا " في الشرق، ويشكل السلوفاك ٣٢% من السكان، وعاصمتهم "بارتسلافما " ويقدر عدد السكان بحوالي ١٦ مليون نسمة، وحوالي ٧٥ % منهم كاثوليك والباقي بروتستانت، وأما المسلمون فهم حوالي ثلاثة آلاف مسلم.

ولقد خضعت سلوفاكيا للعثمانيين وأقام بعضهم فيها، كما اعتنق بعض أبناء البلاد الإسلام، فلما أجبر العثمانيون على الانسحاب وتبعت المنطقة النمسا بدأ الحقد الصليبي يظهر وبدأ الضغط على المسلمين فهاجر الكثير منهم، وتحمل الأذى والضغط عدد بقوا في البلاد، ولكن أزيلت المساجد والمدارس الإسلامية ولم يبق سوى واحد.

ولقد استطاع المسلمون أن يبنوا مدرسة واحدة لأطفالهم، وأنشأ مركز إسلامي في براغ عام ١٣٩٤هـ بجهود بذلها سفراء الدول الإسلامية، وماعدا ذلك فليس هناك للمسلمين أي كيان [٨٣]

٦ ـ ألمانيا الشرقية :

وكانت دولة شيوعية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية وفصلت من ألمانيا، وجزئت برلين إلى مدينتين شرقية وهي عاصمة ألمانيا الشرقية، وغربية وهي عاصمة ألمانيا الغربية، وبنى الشيوعيون بينهما سوراً كي لا يفر الشرقيون إلى الغرب، ويقدر عدد السكان بحوالي ١٧مليون نسمة، ومعظمهم في الأصل بروتستانت.

وبعد الحرب العالمية الثانية فر كثير من المسلمين إلى ألمانيا الغربية فلم تبق إلا قلة منهم في ألمانيا الشرقية يقدر عددهم بحوالي خمسمائة مسلم، ولقد حدثت تطورات خطيرة في السياسة العالمية بسقوط الشيوعية وسقوط سور برلين وضم ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية [٨٤]

الخلاصة :

إن الأقليات المسلمة في شرقي أوروبا في حالة بئيسة جداً، فالحرب تشن عليهم بشكل دائم وينظر إلى المسلمين نظرة خاصة ملؤها الحقد والكراهية، وكل تصرف من قبلهم يفسر تفسيراً معاديا للنظام والدولة وتحل نتيجته بالمسلمين المصائب والنكبات، وتحت وطأة هذا الضغط تخلى كثير من المسلمين عن عقيدتهم، ولا يسمح النظام في تلك الدول

للمسلمين بتنظيم أنفسهم أو تعليم أطفالهم الإسلام أو اللقاء فيما بينهم لتدارس أمور دينهم وهذا ما أنساهم المعرفة بمبادىء الإسلام، بالإضافة إلى أنها بلاد مغلقة فالمسلمون لا يستطيعون الاتصال بإخوانهم في البلدان الأخرى، وهذا بخلاف بلدان أوروبا الغربية،

ولقد زادت هذه العزلة من جهل المسلمين، ويلاحظ أن عدد المسلمين في أوروبا الشرقية يتناقص بسبب حرب الإبادة والتهجير والانتقال إلى الإلحاد، على حين يتزايد عدد المسلمين في أوروبا الغربية مع زيادة التجنس وطلب العلم والهجرة إلى العمل والتشريد من بلدان العالم الإسلامي، ويجب ألا ننسى الإقبال على الإسلام في الغرب واعتناقه من قبل بعض سكان أوروبا الغربية وإن كان العدد قليلاً نسبياً، كما يلاحظ أن المسلمين في أوروبا الشرقية في الغالب من أبناء البلاد، على حين أنهم في أوروبا الغربية غرباء مهاجرون.

المبحث الخامس :

المسلمون في القارة الأمريكية

مقدمة :

لقد ابتدأت قصة الإسلام مع القارة الأمريكية قبل وصول الأوروبيين لها بالتأكيد، إذ ذكر الشريف الإدريسي، الجغرافي الصقلي المعروف في القرن السادس الهجري قصة الشبان المغرورين الأندلسيين الذين قطعوا بحر الظلمات من مدينة لشبونة الأندلسية ووصلوا إلى أرض ما وراء المحيط، كما أن هناك وجدت في بحر الكاريبي تدل على علاقة بين تلك المنطقة والممالك الإسلامية في غرب أفريقيا، وأخيراً كان كثير من كبار البحارة الذين قادوا سفن كريستوفر كلومبس من الموريسكيين الأندلسيين ـ أي المسلمين الذين تنصروا في الظاهر وبقوا على إسلامهم سراً خشية القتل أيام محاكم التفتيش في الأندلس ـ وفي القرنين التاسع والعاشر الهجريين كان يتابع مجاهدو مدينتي سلا والرباط بالمغرب السفن المعادية التابعة للأسبان والبرتغال إلى شواطيء أمريكا الجنوبية والوسطى، ولكن لم تتكون الجماعات الإسلامية المجودة الآن في القارة الأمريكية إلا نتيجة ثلاث موجات من الهجرة الإسلامية وهي حسب القدم كالتالي :

الموجة الأوروبية من الأندلس، والموجة الأفريقية، والموجة الآسيوية.

اما الموجة الأوروبية: فقد ابتدأت بوصول كرستوفر كلومبس إلى القارة الأمريكية عام ١٤٩٢م، فقد صادفت هذه السنة سقوط غرناطة المسلمة، وقد تبع هذا السقوط موجة من الاضطهاد الغاشم والتنصير الإجباري ضد المسلمين في أسبانيا والبرتغال، ولقد هاجرت أعداد كبيرة من هؤلاء المسلمين إلى القارة الأمريكية هروباً من محاكم التفتيش الكاثوليكية، ومن هؤلاء " رود ريغودي لوبي " قائد سفينة كولمبس و" استفنيكو دي آزمور " الجنرال الأسباني الذي احتل منطقة أريزونا.. وغيرهم كثير، فأعلنوا إسلامهم في القارة الأمريكية بل حاولوا نشر الإسلام بين الهنود الحمر لكن محاكم التفتيش لاحقتهم وقضت على فلولهم، ولم يبق من هذه الهجرة سوى بقايا بعض العائلات في المكسيك والأرجنتين والبرازيل الذين حافظوا على إسلامهم ويعدون أنفسهم من سلالة الأندلسيين.

الموجة الثانية من افريقيا ، وابتدأت بعد الأولى مباشرة وفي ظــروف مأســاوية تشابــه ظروف الموجة الأولى، إذ أخذ الأوروبيون بالإتيان بآلاف البشر المستعبدين من القــارة الأفريقية، وكان فيهم عدد كبير من المسلمين بما فيهم العلماء والمجاهدين، فنجح هــؤلاء في تكوين جالية مزدهرة خاصة في البرازيل، وقد قامت ثورة إســلامية فــي جزيــرة "هاييتي" سنة ١٧٥٨م قام بعدها الفرنسيون بالقضاء على الإسلام في الجزيرة، ثم قــامت ثورة في البرازيل سنة ١٨٣٨م أدت إلى تأسيس دولة إسلامية لعدة سنوات، نتــج عــن انهزامها طرد جماعي للمسلمين وقتل وتنصير، ولم يبق من هذه الموجة سوى بقايا لكــن ذكراها أصبحت من أهم القوى الدافعة للأمريكيين من أصل أفريقي للرجوع إلى الإسلام.

الموجة الثالثة من آسيا: وبدأت مباشرة بعد الثانية عن طريق البريطــانيين والــهولنديين الذين أخذوا يأتون بالعمالة الإجبارية لمستعمراتهم من جاوة والهند بآسيا وذلك منذ ســنة ١٨٣٠م وتبع تلك الموجة هجرات في آخر القرن من بلاد الشام، وهجرات جديــدة مــن أوائل هذا القرن الميلادي من شرق أوروبا ومعظم دول العالم الإسلامي، ولم تنته بعــد، وكونت هذه الموجة معظم الجماعات الإسلامية القائمة اليوم في القارة الأمريكية [٨٥]

والآن إلى بيان وضع الأقليات في هذه القارة :

أولا : أمريكا الشمالية :

١ـ الولايات المتحدة :

بدأ الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة منذ بداية الاستعمار البريطاني لــها، وبــدأ المسلمون بالتنظيم منذ بداية هذا القرن الميلادي، وذلك عندما أسس المسلمون من أصــل أفريقي أول جمعية إسلامية لهم عام ١٩١٢م في " ديترويت " وأول مســجد فــي نفــس المدينة عام ١٩١٩م، ويبلغ عدد المسلمين في الولايات المتحدة طبقا لما قدمتــه الباحثــة الأمريكية "كارلستون" في تقريرها حوالي ٤.٧مليون مســلم، أي بنســبة ١.٦% مــن مجموع السكان، وتضيف أن نسبة الهجرة السنوية من المسلمين إلى أمريكا حوالي مائــة ألف، معظمهم من الدول الآسيوية [٨٦]

ومعظم هؤلاء المسلمين أصبحوا مواطنين بالتجنس، ثلثهم من أصول أفريقية تعتنق الإسلام من جديد، وثلثهم من أصول عربية، وثلث آخر من أصول مختلفة هندية وتركية وألبانية وبشناقية وغير ذلك، كما يوجد حوالي مائة ألف طالب مسلم في الجامعات الأمريكية، ويعتنق الإسلام كثير من الأمريكيين السود والبيض خاصة في السنوات الأخيرة.

ويتركز معظم المسلمين في كبريات المدن الأمريكية مثل نيويورك وبوسطن وواشنطن وديترويت وشيكاغو ولوس انجلوس وهيوستن وغيرها، ويوجد من بين المسلمين عدد كبير من أصحاب الخبرة العالية الذين هاجروا من البلدان الإسلامية، ولكن النفوذ الإسلامي في البلاد يكاد يكون منعدماً لعدم قدرتهم على المشاركة في أي سلطة سياسية، غير أن لهم الحرية في التنظيم وإعلان شعائرهم والدعوة إلى الإسلام وبناء المساجد والمدارس والجمعيات الإسلامية.

وتوجد في الولايات المتحدة أكثر من خمسمائة جمعية إسلامية، كل واحدة منها تمثل جماعة من المسلمين لها في غالب الأحيان مسجدها، وتطورت بعض هذه المساجد إلى مراكز كبرى كمركز كوينسي الإسلامي قرب بوسطن، ومركز واتر بري الإسلامي للمسلمين الألبان، ومركز سيدار رابيدز الإسلامي، ومسجد سكرمنتو بكلفورنيا، ومركز جنوب كلفورنيا الإسلامي، ومركز هيوستن الإسلامي.. وغيرها كثير، وأما المركز الإسلامي في واشنطن فهو في يد البعثات الدبلوماسية ومفعوله الإسلامي محدود.

ولقد أخذ المجهود يتجه نحو التنظيم على مجال الولايات المتحدة بأكملها، وذلك منذ أن تكون " اتحاد الجمعيات الإسلامية " سنة ١٩٥٢م " واتحاد الطلبة المسلمين سنة ١٩٦٢م " وأمة الإسلام في الغرب " غير أن هذه الجمعية الأخيرة كان يتزعمها الراحل "أليجا محمد" والذي كانت دعوته خليطاً من تعاليم الإسلام والمسيحية والتحيز للعنصر الأسود، وقد تفهم بعض أفرد هذه الجماعة قواعد الإسلام الصحيح، واستطاعوا أن يدخلوا

أمة الإسلام في العباءة الإسلامية، ومن أبرز شخصياتها الخطيب المفوه" مالكولم اكس" "الحاج مالك شباز "، والذي لم يكن لشعبيته وشهرته مثيل في دعوة الجماهير الأمريكية

إلى الإسلام، كذلك ساعد أداؤه فريضة الحج وقبوله المنهج الصحيح على انتشار الإسلام إلى أن اغتيل عام ١٩٦٥م [٨٧]

كما كونت مجالس إسلامية في مناطق متعددة، كمجلس شمال كلفورنيا الإسلامي، وأخذ المسلمون يعملون على تأسيس المدارس الابتدائية لأطفالهم، كمدرسة سكرمنتو ومدرسة فيلاديفيا، وحتى الكليات والجامعات مثل التي في شيكاغو، غير أن المسلمين يجدون عقبات في وجه نشاطهم ووجودهم يتمثل في، اليهود ..والذين يحقدون على المسلمين ويحاربون الوجود الإسلامي في أوروبا، والصليبية .. والذين يحقدون على الإسلام ويحرصون على ترويج الكذب والتشويه على الإسلام وأهله، والبهائيون والقاديانيون أدعياء الإسلام وهم خارجون عنه، ولذلك فهم يلبّسون على الإسلام والمسلمين [٨٨]

٢ـ كندا :

وهي دولة اتحادية عرفتها أوروبا عام ٩٠٣هـ ، وتنافست إنجلترا وفرنسا على استعمارها، وأخيراً خضعت للنفوذ الإنجليزي، ثم استقلت عام ١٣٤٥هـ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٣٢مليون نسمة، وأما المسلمون فحوالي مائتين وسبع وثلاثين ألفاً وثلاثمائة، أي أقل من ١%، ولكن هذه النسبة تتزايد بسرعة بسبب الهجرة، ومعظم المسلمين من بلاد الشام وبلاد البلقان، الألبان والبوشناق، ويقيم معظم المسلمين في كندا في المناطق الجنوبية الشرقية، وإن كان توزعهم يشمل معظم الولايات، والإعمار بدأ من الجنوب الشرقي وتكاثر السكان، وبالتالي فأكثر المسلمين يستوطن ولاية " أونتاريو " ثم "كويبك "

ولقد اعترفت حكومة كندا بالإسلام رسميا عام ١٣٩٣هـ، ولقد قام اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة بالاتحاد مع الجمعيات الإسلامية في كندا، وأصبح لهم عنواناً واحداً وهو اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا وذلك عام ١٣٧٤هـ إذ ضم هذا الاتحاد ثمان وعشرين جمعية من بينها بعض جمعيات كندا، كما تأسست جمعية الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا، وهكذا فإن التنظيم إنما جاء عن طريق المسلمين في الولايات المتحدة في بداية الأمر، ثم ترتب العمل في كندا حيث تشكل مجلس الجامعات الإسلامية في أونتاريو، ثم توسع هذا المجلس عام ١٣٩٢ هـ

ليشمل كافة الجمعيات في كندا، وحمل اسم مجلس الجماعات الإسلامية في كندا، واتفقوا على إصدار نشرة شهرية تحمل اسم " إسلام كندا " ، ويقوم هذا المجلس بإلقاء المحاضرات ونشر الكتب وتنظيم المعسكرات لأبناء المسلمين [٨٩]

الخلاصة :

يعيش المسلمون في أمريكا الشمالية في عالم واسع يموج بالحركية والدأب، ولسعة رقعته يحتاج إلى إعمار دائم فيتطلب أيدي عاملة وعقول مفكرة لبنائه، وهذا ما استدعى هجرة المسلمين إليها والذين يهربون إليها لظروفهم الاقتصادية وأحوالهم المعاشية وأوضاعهم السياسية من بلادهم الأصلية، ومهما وضعت الولايات المتحدة وكندا من شروط للحد من عملية الهجرة إلا أن البلدين في حاجة دائمة للأيدي العاملة والعقول المفكرة من أبناء المسلمين، ويلاحظ أن عدد المسلمين يتزايد بسرعة بسبب الهجرة من ناحية وبسبب دخول كثير من الزنوج في الولايات المتحدة في الإسلام أو العودة إليه، ونظراً لتقدم حركة التجارة والصناعة والسياحة في الولايات المتحدة نتج عن ذلك زيادة الاحتكاك بين المسلمين في الولايات المتحدة وإخوانهم القادمين لزيارتها، مما زاد في حركة العمل الإسلامي وزيادة الدعم الخارجي في بناء المساجد والمدارس والمراكز وغير ذلك، ويعاني المسلمون في تلك المجتمعات من الشعور بالغربة الشديدة وسط مجتمعات مادية متطورة لا يستطيع أن يسايرها لأنها أجنبية عنه في كل شيء، بالإضافة إلى النظرة العنصرية تجاههم، كما يعاني المسلمون من التجمعات العنصرية فيما بينهم والتي تنشأ من عدم المعرفة الصحيحة بالإسلام ومن اختلاف اللغة والبلدان مما يترتب عليه الخلافات فيما بينهم، كما يعاني المسلمون من الحرب التي تشنها اليهودية، والصليبية، والقاديانية، والبهائية على المسلمين، كما يعاني المسلمون من عدم وجود هيئة إسلامية عليا تدعمهم وتهتم بأمورهم. والله المستعان

ثانيا : أمريكا الوسطى

تضيق الأرض بعد أمريكا الشمالية بالاتجاه جنوباً، وهذا يعني أنها لا تحـــاج لســكان كثير كي يعمروها، وبالتالي لا تحتاج إلى مهاجرين زيادة عما فيها، ولـــــذا فـــإن عـــدد المسلمين فيها قلة، وفي الوقت فقد بقيت هذه المناطق تابعة لدول أوروبية أو مستعمرة لها مدة طويلة، مما حال دون الأخذ بأساليب العلم والتطور وبالتالي لم تقصد هـــذه البلـــدان للسياحة أو للتجارة أو للعمل، ولذا بقيت أعداد المسلمين فيها قلة ويعيشون بعيديـــن عـــن عيون إخوانهم في الأمصار الإسلامية حتى أنه لا يعرف في عدد المسلمين في أكثر هذه الدول، وإنما تقديرا ت فيها تضارب كبير، ويطلق اسم أمريكا الوســـطى علـــى الجـــزء القاري الضيق الذي يصل بين أميركا الشمالية والجنوبية، إضافة إلى الجزر المنتشرة في البحر الكاريبي، وخليج المكسيك والتي تشكل عدة دول أيضاً.

ويقدر عدد المسلمين في الجزء القاري والذي يشمل :

" المكسيك ، بيلز ، غواتيمالا ، هوندوراس، سلفادور، نيكارجوا، كوستاريكا، بنمـــــا " بحوالي سبعة آلاف وخمسمائة مسلم فقط.

وأما في جزر بحر الكاريبي فهي كالآتي :

ـ جزر الأنتيل الكبرى : وهي " كوبا ، جمايكا ، هاييتي ، الدومينيكان، بوير توريكو ، الجزر العذراء " فعدد المسلمين فيها حوالي ستة عشر ألفاً وأربعمائة مسلم.

ـ جزر الأنتيل الصغرى : وهي " الجزر الفرنسية، الجـــزر الإنجليزيـــة، غرينـــادا، بربادوس " فعدد المسلمين حوالي ألفين وعشرين مسلما.

ـ جزر الأنتيل الهولندية : وعدد المسلمين فيها حوالي ألفي مسلم.

ـ جزر الباهاما : وعدد المسلمين حوالي ثلاثمائة مسلم.

وبذا يكون عدد المسلمين حوالي ثمان وعشرين ألفا ومائتين وعشرين مـــــن مجمـــوع السكان والبالغ عددهم مائة وخمسين مليوناً وستمائة وثلاثين ألفا، فنسبة المسلمين أقل من اثنين بالألف [٩٠]

ثالثاً : أمريكا الجنوبية

تتسع الأرض في أمريكا الجنوبية، فهي بحاجة إلى أعداد وفيرة من البشر لإعمارها وقد وفد عليها المهاجرون وكان بينهم أعداد كبيرة من المسلمين، وتقوم في أمريكا الجنوبية أربع عشرة وحدة سياسية، وتسود اللغة الهولندية في سورينام، واللغة الفرنسية في غويانا الفرنسية، والبرتغالية في البرازيل، والإنجليزية في ترينداد وتوباكو وغويّانا، أما الدول التسع الباقية فتعم اللغة الأسبانية فيها، وتسود النصرانية الكاثوليكية في أكثر دول أمريكا الجنوبية، وهي الدول التي تتكلم الأسبانية والفرنسية والبرتغالية، أما النصرانية البروتستانتية فيزداد أتباعها في الدول التي تتكلم الإنجليزية والهولندية، أي أن الديانة تتعلق بالدول المستعمرة، ويشكل السكان الأصليون نسبة كبيرة من السكان الحاليين باستثناء الأرجنتين والشيلي والأورغواي، حيث تقل نسبة السكان الأصليين وترتفع نسبة المسلمين في المناطق التي يكثر فيها الأفارقة والهنود والعرب، وهي غالباً المناطق الشمالية الشرقية والبرازيل والأرجنتين، والآن إلى بيان وضع الأقليات المسلمة في هذه الدول :

١ـ ترينداد وتوباكو :

وهما جزيرتان من جزر بحر الكاريبي غير أن جزيرة ترينداد تكاد تلاصق ساحل أمريكا الجنوبية، ولذلك عدت ضمن دول أمريكا الجنوبية، ويبلغ عدد سكانها حوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألف نسمة، وهي تشكل ٩٤% من مساحة الدولة، وعاصمتها مدينة بورت أوف اسبين " ميناء أسبانيا "

ولقد عرف كريستوف كلومبس جزيرة ترينداد عام ٩٠٤هـ، وكان يسكنها من قبل الهنود الحمر، واحتلتها أسبانيا عام ٩٤٠هـ، ثم احتلها الإنجليز عام ١٢١٢هـ وجلبت أسبانيا الرقيق من أفريقيا، وكذلك فعلت بريطانيا من بعد للعمل في الأرض غير أن إنجلترا قد ألغت الرقيق عام ١٢٥٤هـ وبدأت تستقدم العمال من شبه القارة الهندية واستمر ذلك حتى عام ١٣٣٠هـ، وحصلت البلاد على استقلالها عام ١٣٨٢هـ ضمن رابطة الشعوب البريطانية " الكومنولث " وتشترك الولايات المتحدة في الدفاع عنها حسب اتفاقية عام ١٣٦٠هـ، وبعد الموجتين الأولى والثانية للمسلمين من أفريقيا ومن شبه

القارة الهندية إلى ترينداد جاءت الموجة الثالثة من الشاميين منذ مطلع القرن الماضي، وبينهم نسبة من المسلمين، ولكن ارتد عدد من المسلمين عن دينهم لتمييز الإنجليز في المعاملة، كما ضاع عدد أيضاً بسبب الجهل بالدين والزواج من النصرانيات وتوابع ذلك من الفساد.

ويقوم في البلاد أكثر من سبعين مسجدا، وتشرف الجمعيات على التعليم الإسلامي، وتتحمل الدولة ثلثي نفقات المدارس لاعترافها الرسمي بالدين الإسلامي، وتشرف جمعية أهل السنة والجماعة على أكثر من سبعين من الكتاتيب الموزعة في أنحاء البلاد والتي تقوم بتدريس القرآن الكريم، وتتبعها ثلاث مدارس ثانوية، وسبع مدارس ابتدائية، ويتجمع المسلمون في العاصمة، وأرينا، وسان فرناندو، وقرى جنوبي ترينداد، ويبلغ عددهم حوالي ١٦٥ ألف مسلم، ويجد المسلمون عنتاً من القاديانيين واليهود والصليبيين.

٢ـ غويانا :

يبلغ عدد سكانها حوالي مليون نسمة، وعاصمتها مدينة جورج تاون، والمجتمع عبارة عن خليط من الأديان فالنصارى يشكلون ٤٠% والهندوس ٣٥% والمسلمون ١٥% والباقي وثنيات مختلفة وبعض اليهود.

ومعظم المسلمين هناك من الهند وباكستان، حيث يبلغ عددهم ١٣٥ ألف مسلم، والمسلمون الأفارقة عشرة آلاف مسلم، والباقي خمسة آلاف من المجموعات المختلفة، فمجموع المسلمين ١٥٠ ألف مسلم، ويرجع قلة المسلمين الأفارقة بسبب حروب الإبادة التي واجهتهم عند بنائهم للعالم الجديد حينما جيء بهم كرقيق لإعمار العالم الجديد ويوجد في البلاد أكثر مائتي مسجد، وفي معظمها كتاتيب لتعليم القرآن الكريم، ويتجمع أكثر المسلمين في العاصمة جورج تاون، ولهم عدة جمعيات، منها جمعية أنجمان والتي انقسمت إلى عدة تنظيمات إسلامية، ويصدر المسلمون مجلة الغارديان الإسلامية، ويجد المسلمون عنتاً من القومية الهندية العلمانية ومن اليهود والصليبيين، بالإضافة إلى الاختلافات الحادة بين المسلمين أنفسهم [٩١]

٣ـ سورينام :

يبلغ عدد سكانها حوالي خمسمائة ألف نسمة، وعاصمتها مدينة " باراما ريبو " وفيها أعلى نسبة إسلامية في القارة الأمريكية حيث تبلغ ٣٤% من مجموع السكان، أي يبلغ عددهم حوالي ١٧٠ ألف مسلم، ومعظمهم من أصول أندونيسية ثم الهنود ثم الأفارقة ثم المجموعات الأخرى، وللمسلمين تنظيم شامل وهو " مجلس مسلمي سورينام" ولهم عدة جمعيات إسلامية، وحوالي ستين مسجدا وعشرين كتّاباً وثلاثة مدارس ابتدائية، ولهم ممثلون في الأوساط الحكومية بدرجة لا بأس بها [٩٢]

٤ـ غويانا الفرنسية:

لايزيد عدد سكانها على ٧٥ ألف نسمة،وعاصمتها مدينة " كايان "عرفها الأسبان،واحتلها الفرنسيون عام ١٠٣٥هـ،وأقاموا فيها سجناً للسياسيين الذين يثورون ضدهم في مستعمراتهم،وضم هذا السجن الكثير من مسلمي بلاد المغرب،الذين ثاروا ضد الفرنسيين في مطلع القرن الرابع عشر الهجري،ثم خرج هؤلاء المسلمون بعد الحرب العالمية الثانية،وبلغ عددهم عند خروجهم حوالي ٢٥٠٠،ولم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم فبقوا في أماكنهم وتزوجوا من أهل البلاد،وزاد عددهم حتى بلغ ٧٥٠٠مسلم،أي مايعادل ١٠%من مجموع السكان،ولاشك أن بينهم عدد من الأفريقيين الذين عادوا إلى الإسلام،ومن المهاجرين الشاميين الذين وفدوا إلى البلاد في القرن الماضي،ولكن ليس للمسلمين أي مسجد يلتقون فيه أو تنظيم يجمعهم،ويقيم أكثرهم في العاصمة كايان[٩٣]

٥ـ فنزويلا:

عدد سكانها حوالي١٥مليون نسمة،وعاصمتها مدينة "كاراكاس"،عرفها كولمبس عام٩٠٤هـ،واحتلها الأسبان عام٩٠٦هـ،واستقلت عن أسبانيا مع كولومبيا عام ١٢٣٦هـ ثم انفصلت عن كولومبيا عام١٢٤٦هـ ،ومعظم السكان كاثوليك،بينهم حوالي٤٠ألف مسلم،وأول من وصل إليها من المسلمين كان من المسلمين الأسبان الفارين من أسبانيا غير أنهم انتهوا مع الزمن،كما وصل عدد كبير في مطلع القرن الرابع عشر الهجري من بلاد الشام،وللمسلمين مسجد كبير في العاصمة ويلتحق به مركز ومدرسة،ويجدون كالعادة عنتاً من اليهود والنصارى [٩٤]

٦- كولومبيا :

يزيد عدد سكانها على ٢٨ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "بوغوتا"، احتلـها الأسـبان عام ٩١٥هـ، وأطلقوا عليها اسم "غرناطة الجديدة" عام ٩٧٢هـ، وكانت أراضيها تشمل أراضي دولة "بنما" اليوم، وفي عام ١٢٣٣هـ أطلق عليها اسم جمهورية كلومبيا الكبرى إذ ضمت أيضاً أراضي فنزويلا واكوادور، ثم انسحبت فنزويلا واكوادور وبنما وأطلـق عليها أخيراً عام ١٣٢١هـ اسم كلومبيا، وغالبية السكان من عناصر الميستيزو الناشئـة من اختلاط الأسبان مع الزنوج الأفريقيين، وهذا العنصر موجود في فنزويلا والأكوادور أيضاً، ويدين معظم السكان بالكاثوليكية، وبينهم حوالي عشرة آلاف مسلم، ونفس ظروف هجرتهم القديمة والحديثة مثل فنزويلا، ويقيم نصف عدد المسلمين في العاصمة بوغوتـا، ومعظمهم من فلسطين وقد هاجروا إليها حديثاً، ولا يوجد للمسلمين أي مسجد أو تنظيـم، ويجدون كالعادة ضغطاً من اليهود والصليبيين [٩٥]

٧- إكوادور :

يصل عدد سكانها إلى ١٠ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "كيتـو"، ويشكـل الـهنود الأمريكيون ٦٠% من مجموع السكان، وعنصـر الميسـتيزو ٣٣%، ويديـن السـكان بالنصرانية الكاثوليكية، وعدد المسلمين لا يزيد عن ٤٠٠ ألف مسـلم، وأكـثرهم مـن فلسطين ويقيم معظمهم في العاصمة كيتو وفي ميناء "غوايا كيل"، وليس لهم أي تنظيم أو مسجد يصلون فيه [٩٦].

٨- البيرو :

عدد سكانها حوالي ٢٠ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "ليما"، واستقلت عن الأسـبان عام ١٢٣٦هـ، ويدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ويصل عدد المسلمين إلـى ألـف مسلم فقط، معظمهم من فلسطين ويقيم أكثرهم في العاصمة، كما أسلم عدد مـن سـكان البلاد الأصليين، وحالة المسلمين هناك جيدة من الناحية المادية والاجتماعية، ولكن ليـس لهم أي تنظيم ولا توجد مساجد في البلاد، وفي العاصمة معـهد "البـيروني" للدراسـات

الإسلامية، كما تذيع محطة إذاعة ليما ساعة كل يوم باللغة العربية، ويخصص كل جمعة للحديث عن الإسلام. [٩٧]

٩- بوليفيا :

يبلغ عدد سكانها ٦ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "لاباز"، واستقلت عن الأسبان عـــام ١٢٣٧هـــ، ومعظم السكان من الهنود الحمر وعنصـــر الميســـتيزو، ومذهـــب الســـكان كاثوليك، وهناك حوالي خمسة آلاف من العرب النصارى الكاثوليك، وأما المسلمون فهم حوالي عدة مئات فقط، ويقيم نصفهم في العاصمة، وهناك بعض أبناء البلاد الذين اعتنقوا الإسلام، ومنهم عبد المؤمن أحمد الذي كان أبوه قنصلاً في المغرب فاعتنق ابنه الإســـلام هناك، وعاد ليعمل بحماس للإسلام في بوليفيا، ولكن ليس للمسلمين أي مركز أو مســـجد في بوليفيا [٩٨]

١٠- البرازيل :

تعد أكبر دول أمريكا الجنوبية مساحة وسكاناً، حيث تشكل أراضيها ٤٣% من مساحة أمريكا الجنوبية، ويزيد عدد سكانها على ١٣٠ مليون نسمة، وعاصمتها الجديـــدة مدينـــة "برازيليا"، وكانت البرازيل مستعمرة برتغالية، ونالت استقلالها عام ١٣٠٧هـــ، ومعظـــم السكان كاثوليك، ويعيش بينهم حوالي ٣٢٠ ألف مسلم.

ولقد وصل المسلمون إلى أمريكا الجنوبية قبل البرتغاليين بما يقـــرب القرنيـــن مـــن الزمان، ولكن أبيدوا مع من أبيد من السكان على أيدي الأوروبيين الذين وصلوا إلى هناك يحملون الحقد على الإسلام والمسلمين، وبالنسبة لواقع المسلمين اليوم فحوالي ٨٠% من هذا العدد شاميون و٢٠% أفارقة، وأكثر المسلمين من الشام يسكنون مدينة "سان بـــاولو" وفي العاصمة برازيليا، وأما المسلمون الأفارقة فيسكنون في ولاية "باهيـــا" ولقـــد أنشـــأ المسلمون الجمعية الخيرية الإسلامية والتي أسست أول مسجد في أمريكا الجنوبية عـــام ١٩٤١م [٩٩]

١١- باراغواي :

سميت باسم النهر الذي يجري فيها، ويبلغ عدد سكانها ٣.٥ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "أوسو نسيون"، واستقلت من الاحتلال الأسباني عام ١٢٣٠هـ، ويشكل عنصر الميستيزو ٩٨% من السكان، وغالبيتهم كاثوليك، ويوجد بينهم حوالي ألف مسلم، معظمهم من الشام، ويعمل كثير منهم باعة متجولون ويقيمون قرب الحدود البرازيلية، وليس لهم أي تنظيم أو مؤسسة إسلامية أو مسجد يؤدون فيه شعائرهم [١٠٠]

١٢- الأورغواي :

يزيد عدد سكانها على ٣ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "مونتفيديو"، ونالت استقلالها من الأسبان عام ١٢٤١هـ، ويشكل الأوربيون ٩٠% من السكان، ومعظمهم من الأسبان والإيطاليين، ويدين السكان بالنصرانية الكاثوليكية، ويعيش هناك حوالي ألف مسلم، ولا تنظيم لهم ولا مؤسسة تجمعهم ولا مسجد ولا اهتمام بهم من إخوانهم [١٠١]

١٣- الأرجنتين :

وهي ثاني دول أمريكا الجنوبية مساحة بعد البرازيل، ويبلغ عدد سكانها ٣٠ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "بونيس آيرس"، واستقلت عن الاستعمار الأسباني عام ١٢٣٢هـ، ويشكل الأوربيون ٩٠% من السكان ومعظمهم من إيطاليا وأسبانيا، ومعظم السكان نصارى كاثوليك، والمسلمون هناك حوالي ٤٠٠ ألف مسلم، ومعظمهم من بلاد الشام، وفي العاصمة يوجد الجمعية الإسلامية السنية والتي أنشأت مسجداً ومكتبة، كما يوجد في العاصمة المركز الإسلامي الذي يعمل على الإشراف على الجمعيات الإسلامية، ومركز الدراسات الإسلامية، والمعهد الأرجنتيني العربي، وفي ولاية قرطبة تأسست الجمعية الإسلامية العربية عام ١٣٤٧هـ، وقد بنت المسجد الجامع وهو أول جامع في الأرجنتين، وفيها أيضاً معهد التربية الإسلامية، وللمسلمين مقبرة خاصة، ويعاني المسلمون في الأرجنتين من اليهود والنصارى وخاصة نصارى العرب، كما يعانون من إهمال إخوانهم لهم ومن نقص العلماء والمدرسيين والكتب والدعم [١٠٢]

١٤- الشيلي :

يبلغ عدد سكانها ١٢ مليون نسمة، وعاصمتـها مدينـة "سـنتياغو"، واسـتقلت عـن الاستعمار الأسباني عام ١٢٣٣هـ، ويشكل عنصـر الميسـتيزو ٦٥% مـن السـكان، والإسبان ٢٥%، والباقي أقليات أوروبية وغيرها، ومعظم السكان نصارى كاثوليك، وأما المسلمون فحوالي ألفي مسلم معظمهم من الشام، وأما المسلمون الأسبان "الموريسـكيين" فقد ضاعوا مع الزمن، ويقيم حوالي ٨٠٠ مسلم في العاصمة، ويتـوزع البـاقون، وقـد دخلت البلاد مجموعات من مسلمي يوغوسلافيا وباكستان، وقد ارتد عدد من المسـلمين عن دينهم عن طريق جهد النصارى العرب الأرثوذكس، وتأسست عام ١٣٤٥هـ جمعية إسلامية في سنتياغو، ولكن ليس لهم أي مسجد، وفي جامعة سـنتياغو قسـم للدراسـات العربية والإسلامية، ويجد المسلمون عنة من اليهود والنصارى العرب خاصة. [١٠٣]

الخلاصة :

يعيش في أمريكا الجنوبية أكثر من مليون ومائتين وخمسين ألف مسـلم، ولكنـهم لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة تقل عن نصف بالمائة، ويتوزعون في بلدان القارة كلها، غـير أنهم في بعض بلدانها يرتفع عددهم نسبياً فيساعدهم ذلك على تنظيم أنفسهم، والوقوف في وجه التيارات التي تريد أن تعصف بهم، ولكن بطبيعة الحال فهي مواجهة غير متكافئـة لوجود عوامل داخلية وخارجية، فأما الداخلية فهي بين المسلمين أنفسـهم، حيث أنـهم مختلفون فيما بينهم نظراً لاختلاف المشارب والأهواء والأفكار والعصبيات، ونتيجة لهذا تذوب الأجيال في المجتمع الإسلامي من الناحية العقائدية والأخلاقية وغير ذلك، ومن أهم هذه العوامل الذاتية التي تهدد الأقليات المسلمة في أمريكا الجنوبية هي الدعوة العنصرية أو العصبية القومية وبخاصة الشامية حيث أنه يكثر النصارى بينهم جداً، ولذلـك تـرى كثيراً من أبناء المسلمين يتزوجون من النصرانيات بسبب اللغـة المشتركـة والعـادات المتقاربة وهذا الذي يريده الصليبيون من ضياع الأجيال الإسلامية، وأما بالنسبة للعوامل الخارجية فهي تتمثل في اليهود والنصارى، وبخاصة النصارى العرب، وكذلـك الفـرق الضالة كالقاديانية والبهائية، وبالإضافة إلى تلك العوامل تجد عاملاً آخر مهماً في ضياع المسلمين في تلك المجتمعات، وهو إهمال المسلمين لإخوانهم في تلك الديار.

المبحث السادس :

الأقليات المسلمة في قارة أوقيا نوسيا

مقدمة :

قارة أوقيا نوسيا أصغر القارات، إذ لا تزيد مساحتها عن ٩ مليون كيلومتر مربع، وفي الوقت نفسه فهي أحدث القارات معرفة، إذ تعود هذه المعرفة إلى عام ١٠٥٢هـ عندما تمكن "تسمان الهولندي" أن يصل إلى سواحلها الجنوبية، ولم تعرف كامل سواحلها إلا في عام ١١٩٥هـ، كما أن هذه القارة أقل قارات العالم سكاناً حيث لا يزيد عدد سكانها عن ٢٠ مليون نسمة، كذلك تضم أقل القارات دولاً إذ لا تتعدى دولها الست، وأكثرها جزر متناثرة في المحيط الهادي، ومن هنا جاء اسم القارة "أوقيا نوسيا" أي القارة المحيطية، ويمكن أن يستثنى من ذلك استراليا التي تشمل ٨٧% من مساحة القارة، لذا كثيرا ما تحمل القارة اسمها فيقال قارة "استراليا" وهذا غلط، ولما كانت القارة حديثة المعرفة فإن وصول الإسلام إليها جاء حديثا أيضا في الوقت الذي يعيش فيه المسلمون ضعفاء فهم فيها متأثرين لا مؤثرون، غير أن طبيعة العقيدة الإسلامية تجعل بعض السكان يقبلون نحوها وهذا من فضل الله تعالى، وإذا كان بعض الأفراد من المسلمين قد أسهموا في اكتشاف داخل استراليا فإنما جاء هؤلاء مأجورين لغيرهم، أو جاءوا مدفوعين غير مندفعين، حيث لم يكونوا سوى أصحاب جمال وأصحاب صبر أكثر من غيرهم، وربما وجد الأنجليز أن التضحية فيهم خير من التضحية بغيرهم، لقد هاجر معظم المسلمين إلى هذه القارة للعمل وإيجاد مجال للرزق فانطلقوا متفرقين وعاشوا موزعين، فلما زاد عددهم وخشي بعضهم على أبناءه أو على نفسه من الضياع عمل لتنظيم المسلمين والتقت الجهود وقامت بعض الجمعيات، ولكن غالبا ما تكون دون الحاجة المطلوبة، وأما دول قارة أوقيا نوسيا التي تضم تجمعات إسلامية بارزة فهي:

١- استراليا:

يبلغ عدد سكانها ١٦ مليون نسمة، وعاصمتها مدينة "كانبرا"، ولقد كانت مستعمرة إنجليزية من عام ١١٩٥هـ - ١٣١٩هـ، حيث دخلت استراليا الحرب العالمية الأولى

بجانب انجلترا ثم خرجت من الحرب مستقلة، ولقد وصل إليها المسلمون عندما استقدمت السلطات الإنجليزية عام ١٢٦٧هـ اثني عشر جمالاً من بلاد الأفغان ومعهم ١٢٠ جملاً للولوج داخل البلاد والتعرف على فيافي استراليا، واستمر استقدام الجمالين وتعدى الأفغان إلى الهند وإيران، إلا أن الجميع كان يطلق عليهم أفغان لسبقهم واقتران الجمال بهم، وزاد بذلك عدد المسلمين حتى وصل عام ١٣١٩هـ إلى ٦٥٩٩ مسلماً، ولقد كان هؤلاء المسلمون يقيمون مصليات على طول الطريق التي يسلكونها، وقد أقام بعضهم في مدينة "بورث"، وشيدوا مسجداً لهم عام ١٣٢٣هـ، ولما انتهت مهمة الأفغان في معرفة فيافي استراليا استقر بعضهم هناك وعمل بالتجارة، ورجع البعض الآخر، ومن هنا بدأ عدد المسلمين في التناقص، ولكن منذ عام ١٣٣٤هـ بدأت هجرة أخرى للمسلمين تجاه استراليا من إندونيسيا والهند ومصر والشام وتركيا وألبانيا ويوغسلافيا لما تتعرض له بلادهم من ضائقات مالية أو هزات سياسية، ولقد وصل عدد المسلمين في استراليا إلى ٢٥٠ ألف مسلم طبقاً للإحصائية الواردة عن اتحاد المجالس الإسلامية الاسترالية، وقد اعترفت الحكومة الاسترالية بهذا الاتحاد عام ١٣٩٦هـ والذي مقره مدينة "ملبورن" وله فرع في "سيدني".ويضم ممثلا عن كل ولاية إسترالية ويتبعه إتحاد المجالس المحلية بكل ولاية ويضاف إلى هذا الاتحاد الجمعيات الطلابية الإسلامية وعدد المجالس الإسلامية الإسترالية تسعة،ستة منها في استراليا،وثلاثة فى المناطق الأخرى التابعة لها خارج استراليا ويصدر الاتحاد صحيفة كل شهرين مرة،وتعرف باسم"المنارة الإسلامية"،كما أنشأ الاتحاد" شركة الهلال التجارية الاسترالية " للذبح الاسلامى،للاستهلاك المحلى والتصدير الخارجى،كما قام الاتحاد ببناء مدرستين إسلاميتين،إحداهما في مدينة "سدني" ،والأخرى في مدينة "ملبورن " ،وأما المساجد فتكثر في استراليا،وقد بني أول مسجد في مدينة " أليدد" عام ١٣٢٣هـ [١٠٤]

٢- نيوزيلندا:

يبلغ عدد سكانها٣٠٥مليون نسمة،وعاصمتها مدينة"ولنغتون" ولم يصل المسلمون إلى نيوزيلندا إلا من عهد قريب لايبعد من عام ١٣٩٠ه،إذ هاجر مسلمون من جنوب شرقي آسيا،ومن جزر فيجي،وتجار من الهند من منطقة كوجرات،ثم من البانيا

ويوغسلافياوتركيا وباكستان،وأسلم عدد من سكان نيوزيلندا،ويزيد عدد المسلمين اليوم عن أربعةآلاف مسلم،ويتجمعون في المدن الكبرى مثل "أوكلاند"،وفي العاصمة"ولنغتون"،وتأسست في أوكلاند"جمعية حماية الإسلام النيوزيلندية"،وفي أوكلاند أيضاً مركز إسلامي يعرف باسم "المركز الإسلامي النيوزيلندي" وله فرع في العاصمة،وقد بني مسجد في نفس المدينةعام ١٣٩٩هـ،ولقد قامت الجمعية في اوكلاند بجهود لقيام اتحاد يضم الجمعيات الإسلامية في مختلف المدن،كما تتصل بالمسلمين في جزر فيجي واستراليا والهند وجنوبي أفريقيا[١٠٥]

٣-جزر فيجي:

يزيد عدد سكانها على ٦٠٠ألف نسمة،وينتمي نصفهم على الأقل إلى أصل هندى والنصف الآخر إلى سكان البلاد الأصليين،ولقد استولت بريطانيا على هذه الجزر عام،واستقدمت لها العمال من الهند لزراعة قصب السكر، وحصلت على الاستقلال عام١٣٩٠هـ،وعاصمتها"سوفا" ولقد وصل الإسلام إلى هذه الجزر عن طريق المهاجرين من شبه القارة الهندية والذين استطاعوا أن يؤثروا على بعض السكان فاعتنقوا الإسلام،كما جاء أيضاً مسلمون مهاجرون من الملايو وأندونيسيا وشرقي أفريقية،ويقدر عدد المسلمين بحوالي ٥٤ألف مسلم،أي بنسبة ٩% من السكان،ويقيم خمسهم في العاصمة ويتوزع الباقي في انحاء البلاد.

وفي عام ١٩٢٦م تنتظم مسلمي الجزر تحت" رابطةمسلمي فيجي "،وهي اليوم من أقوى التنظيمات وانفعها،ولها مايزيد على سبعين مسجداً،كما بنت المدارس الإسلامية الابتدائية والمتوسطة والثانوية،وتزيد هذه المدارس على العشرين مدرسة وبها حوالي عشرة آلاف طالب،ولقد نجح مسلمو فيجي في الاندماج في مجتمعهم حتى أصبح منهم الوزراءوالسفراء،واعترفت الحكومة بالأعياد الإسلامية وهناك حرية مطلقة للحياة الإسلامية،ويشتكي مسلمو فيجي من قلة اهتمام المسلمين بهم [١٠٦].

وهناك جزر أخرى مبعثرة في المحيط الهادي تؤلف بقية أجزاء القارة،وتعد "كاليدونيا الجديدة " أكبرها، وكذلك دولة غينيا الجديدة " بابوا "،وغير ذلك من الجزر غير أ ن أعداد المسلمين فيها لاتتجاوز المئات.

توقعات حول مستقبل العالم الإسلامي

التحديات والعقبات:

كانت الأحداث الأ ليمة والضربات الموجعة التى تعرض لها العالم الإسلامي خلال قرون عديدة كافية لإيقاظه من رقاده الطويل،فقد فتح كثير من أبناء المسلين عيونـــهم ليشـــهدوا آخر فصول المأساة الرهيبة تمثل على أرضهم وليجدوا أنفسهم فـــي مواجهـــة العقبـــات والتحديات الكثيرة التي فرضها عليهم عدوهم،فالأمة الواحدة التي كان الإسلام ألف بينـــها وجمعها على عقيدة التوحيد،فرقتها القوميات والجاهليات والعصبيات الضيقة،فـــإذا هـــي شعوب متناحرة،تقيم دولاً بينها ألوان من الخلاف والنزاع.

والمسلمون في معظم أقاليمهم لايزالون يتعرضون لألوان من الاضطهاد والتعذيـــب أو الإبادة والتشريد،وذلك تحت مظلة كل الأنظمة المعاصرة،ويقدمون أبناءهم وقوداً لثورات اضطروا إلى إعلانها دفاعاً عن عقيدتهم وحقهم في الحياة الكريمة،ثم لايجدون في بقيـــة الأقطار الإسلامية من ينصرهم لأن كل قطر فيه من المشكلات والمتاعب مايكفيه ويشغله عن غيره.

والصهيونيه العالمية تنجح بدعم من أوربا وأمريكا بل والعالم كله الآن في اغتصـــاب بقعة من أغلى بقاع المسلمين وأقدسها وتقيم عليها دولتها الباغية لتكون سكيناً تمزق قلب العالم الإسلامي وتبدد جهوده وثرواته.

والصليبية الماكرة ومخططاتها في الشرق والغرب تقف بالمرصـــاد لكـــل نهضـــة أو محاولة للتمرد على الواقع الأليم.

وكذلك بقية أنظمة الكفر العالمية من بوذيـــة وشيوعيـــة وغيرهـــا تقـــف للمســـلمين بالمرصاد،وجميع أنظمة الكفر تجتمع مع بعضها طالما أن العدو المشترك هو الإسلام.

والاستقلال الذي نالته البلدان الإسلامية وقف عند حد جلاء جيوش المســـتعمر،ولكـــن بقيت عقيدته وسياسته هى المطبقة في الواقع الأليم.

ودعاة الإسلام في صراع غير متكافئ مع العلمانيين ومن يسمون أنفســـهم بـــالمثقفين والتقدميين،والعاقبة إن شاء الله تعالى للمتقين.

وجهة العالم الإسلامي:

وقد كان لهذه التحديات العنيفة نتائجها الإيجابية إذ أصبح معظم الشباب في العالم الإسلامي كله ممن أحياهم الله تعالى بهذا الدين يدركون هذه الحقيقة المرة ويفكرون في مواجهة التحديات،وبفضل الله ورحمته نرى الصحوة الإسلامية تنتشر في كل مكان الآن حتى في قلب بلاد الكفر،وهذا مما أقلق مضاجع الكفار.

وإذا لم يكن في وسع المسلمين اليوم -أفراداً وجماعات-أن يبدلوا في الأوضاع الدولية ويستلموا مقاليد أمورهم ويضمنوا مصالحهم وحقوقهم بتفوقهم العسكري والسياسي والاقتصادي،فلابد من محاولة تدارك النقص في هذه المجالات أن يبدءوا بما يملكون من إصلاح وبناء وأن يدخلوا من أبوابها ويستفيدوا من سنن الله تعالى في التغيير.

ففي السيرة النبوية وأحداث التاريخ الإسلامي وغير الإسلامي الكثير من الدروس والعبر.

وطريقنا في ذلك غرس الإيمان في قلوب المسلمين وإيقاد عاطفتهم الدينية وتسليحهم بالفهم الصحيح لمبادئ الإسلام،وأنه هو الطريق الوحيد لعزتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة،وأنه لاخلاص للبشرية من جاهليتها إلابهذا الدين وبأن يستلم المسلمون القيادة من اليد الآثمة شرقية كانت أو غربية.

ومن البديهي أن قوى الباطل لن تسمح للمسلمين بأن ينهضوا من كبوتهم وينسلخوا من تبعيتهم ويستعيدوا كيانهم،وستحول بينهم وبين الإسلام ودعاته لأنها تعرف قوة الإسلام الذاتية وقدرته على الصمود والنصر، وهذه هي طبيعة الإسلام على مر السنين إلى قيام الساعة "فالإسلام يتحدى" ،ولابد أن يعلم أن العاقبة إن شاء الله للمتقين الصابرين،

١-سورة النساء/٩٧

٢-سورة البقرة/١٤٣

٣-التاريخ الإسلامي/محمود شاكر ج٢٢/٢٥

٤-المصدر السابق/ج٢٢/٢٧،موسوعة الأقليات المسلمة في العالم/مجلد ٢ص٧٣٥،الأقليات الإسلامية في العالم د/محمد علي ضناوي ص١٩٣،الأقليات الإسلامية في العالم اليوم د/علي المنتصر الكتاني ص٥٠،مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،ط. ١٩٩٢ م.

٥-التاريخ الإسلامي/ محمود شاكر ص٤٦،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة/د /جميل المصري ص٣٧٩،مكتبة العبيكان،الرياض،ط. ١٩٩٦م.

٦-انظر المصدرين السابقين

٧-انظر المصدرين السابقين

٨-الأقليات المسلمة في العالم/مجلد٢ص٦٠٩،التاريخ الإسلامي/محمود شاكر ج٢٢/٥٤،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة د/جميل المصري ص٥٨٩

٩-صفحات من حاضر العالم الإسلامي/محيي الدين قضماني ص١٢٢،التاريخ الإسلامي/محمود شاكر ج٢٢/٥٥،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص٥٩٢

١٠-حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ،ص٥٩١،التاريخ الإسلامي/محمود شاكر ج٢٢/٨٣

١١-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٩٢

١٢-المصدر السابق ج٢٢/٩٣،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصره ص٥٩١

١٣-التاريخ الإسلامي/ج٢٢/١٠٦

١٤-المصدر السابق ج٢٢/١٠٨،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص٣٥٩،صفحات من حاضر العالم الإسلامي ص١١٦،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٧١،مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،ط. ١٩٩٢م.

١٥-التاريخ الإسلامي ج٢٢/١٣٦،صفحات من حاضر العالم الإسلامي ص٩٧،الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٦٠،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصره ص٥٥٧

١٦-التاريخ الإسلامي ج٢٢/١٦٧

١٧-المصدر السابق ج٢٢/١٦٩،موسوعة الأقليات المسلمة في العالم مجلد٢ ص٥٩١

١٨-ورد في موسوعة الأقليات المسلمة في العالم أن عدد المسلمين في كوريا ثلاثمائة ألف مسلم

١٩-التاريخ الإسلامي ج٢٢/١٨٠

٢٠-المصدر السابق ج٢٢/١٨٢

٢١-المصدر السابق ج٢٢/١٨٣،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصره ص٦٠٩،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٧١

٢٢-المبين في أحوال الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفيتي/عبد الحميد الداغستاني ص١١-١٦باختصار،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص٤٩٥

٢٣-المبين في أحوال الإسلام والمسلمين ص١٨،المسلمون تحت السيطرة الشيوعية/محمود شاكر ص٥٧،الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٦٦،الأقليات المسلمة في العالم مجلد ٤٣٥/١،صفحات من حاضر العالم الإسلامي ص٨٩

٢٤-المبين في أحوال الإسلام والمسلمين ص٢٣.

ولقد قمت أنا الباحث بزيارة جمهورية كازاخستان،وشاركت في دورة تعليمية للغة العربية والمواد الشرعية في مدينة "جيمكنت"والتي تعد هناك العاصمة الدينية،ولقد كانت الدورة موفقة إلى درجة كبيرة بفضل الله تعالى،من ناحية المادة العلمية،والإقبال

الكبير عليها،والتأثر الشديد من الحاضرين بعودتهم إلى دينهم بعد هذه الغيبة الطويلة بسبب الشيوعية الغاشمة،ولكن كما هو معلوم أن الواقع هناك يحتاج إلى جهد كبير جدا لإصلاحه من الناحية العقدية والعلمية، وهذا واجب المسلمين نحو إخوانهم.والله الموفق.

٢٥-المصدر السابق ص٢٤

ولقد زرت أيضا جمهورية أزبكستان،والتي تعد العاصمة الدينية لكل المناطق الإسلامية في الاتحاد السوفيتي،ولذلك فروسيا لاتغفل عنها لحظة واحدة حتى الآن على الرغم من استقلاها الظاهري،وأفضل مناطقها تدينا "إقليم وادي فرغانة وعلى الأخص مدينة أنديجان" ذات الصبغة الإسلامية الظاهرة رغم كل محاولات أعداء الإسلام.

٢٦-المصدر السابق ص٢٥

٢٧-المصدر السابق ص٢٥،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٥١

٢٨-المصدرين السابقين ص٢٥،١٥٠

٢٩-المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٩١-٩٤،المبين ص٢٦،المكتب الاسلامي

٣٠-المبين ص٢٦

٣١-المصدر السابق ص٢٧

٣٢-المصدر السابق ص٢٨

٣٣-المصدر السابق ص٢٩

٣٤-المصدر السابق ص٢٩،موسوعة الأقليات المسلمة في العالم مجلد١/٤٠٧

٣٥-الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٣٨

٣٦-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٢٢٤،الأقليات المسلمة في العالم مجلد٢/٩٠٥،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٧٤

٣٧-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٢٣٢،الأقليات المسلمة في العالم مجلد٢/ ٩٠٦

٣٨-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٢٥٣

٣٩-المصدر السابق ج٢٢/ ٢٥٧

٤٠-المصدر السابق ج٢٢/ ٢٦٢

٤١-الأقليات المسلمة في العالم مجلد ٢/٩٠٥

٤٢-الأقليات الإسلامية في العالم ص١٧٣،التاريخ الإسلامي ج٢٢ /٢٨٢

٤٣-الأقليات الإسلامية في العالم ص١٧٣

٤٤-المصدر السابق ص١٧٥،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٢٩٣

٤٥-المصدر السابق ص١٧٥،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٢٩٩

٤٦-المصدر السابق ص ١٧٦،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣٠٥

٤٧-المصدر السابق ص١٧٦،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣٠٨

٤٨-المصدر السابق ص١٧٧،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣١٥

٤٩-المصدر السابق ص١٧٧،التاريخ الإسلامي ج٢٢ /٣٢١

٥٠-المصدر السابق ص١٧٧،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣٢٥

٥١-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣٢٥،الأقليات المسلمة في العالم مجلد ٢/٩٠٣

٥٢-المصدرين السابقين.

٥٣-المصدرين السابقين

٥٤-المصدرين السابقين

٥٥-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣٣٥

٥٦-المصدر السابق ج٢٢/٣٣٧

٥٧-المصدر السابق ج٢٢/٣٦٥

٥٨-المصدر السابق ج٢٢/٣٧٧

٥٩-المصدر السابق ج٢٢/٣٨٦،الأقليات المسلمة في العالم/مجلد٣/ ١٠٥٩

٦٠-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣٩١

٦١-المصدر السابق ج٢٢/٣٩٣

٦٢-الأقليات الإسلامية في العالم ص١٧٩،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٣٩٦

٦٣-المصدرين السابقين

٦٤-المصدرين السابقين

٦٥-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤١١

٦٦-الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٧٥،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٧٩،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص٢٣

٦٧-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤١٨

٦٨-المصدر السابق ج٢٢/٤٢٠

٦٩-المصدر السابق ج٢٢/٤٢٢

٧٠-الأقليات المسلمة في العالم/مجلد٣/١٠٣٨،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٢٦

٧١-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٣٤

٧٢-المصدر السابق ج٢٢/٤٣٨

٧٣-المصدر السابق ج٢٢/٤٤١

٧٤-الأقليات الإسلامية في العالم ص١٨٠

٧٥-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٤٨،الأقليات المسلمة في العالم/مجلد٣/١٠٧٩

٧٦-الأقليات الإسلامية في العالم ص١٥٦،حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص٦٣٠،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٥٤

٧٧-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٦٥،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٨٠

٧٨-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٦٧

٧٩-الأقليات الإسلامية في العالم ص١٥٩

٨٠-المصدر السابق ص١٥٩،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٩١

٨١-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٤٩٤

٨٢-المصدر السابق ج٢٢/٤٩٨،حـــاضر العـــالم الإســـلامي وقضايـــاه المعـــاصرة ص٦٣٧،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٦١

٨٣-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٥٠١

٨٤-المصدر السابق ج٢٢/٥٠٣

٨٥-الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٧٨

٨٦-الأقليات الإسلامية في العالم ص٨١

٨٧-موسوعة الأقليات الإسلامية في العالم/مجلد٣/١٢٥٤

٨٨-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٥٦١

٨٩-المصدر السابق ج٢٢/٥٧٦،الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٨٢

٩٠-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٥٨٥

٩١-المصدر السابق ج٢٢/٦٣١

٩٢-الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٨٢

٩٣-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٦٣٩

٩٤-المصدر السابق ج٢٢/٦٤١

٩٥-المصدر السابق ج٢٢/٦٤٤

٩٦-المصدر السابق ج٢٢/٦٤٦

٩٧-المصدر السابق ج٢٢/٦٤٧

٩٨-المصدر السابق ج٢٢/٦٤٩

٩٩-المصدر السابق ج٢٢/٦٥١،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٨٢

١٠٠-المصدر السابق ص٦٥٨

١٠١-المصدر السابق ص٦٥٩

١٠٢-الأقليات الإسلامية في العالم ص١٨٣،الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٧٩،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٦٢٠

١٠٣-التاريخ الإسلامي ج٢٢/٦٦٤

١٠٤-المصدر السابق ج٢٢/٦٧٥،الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٨٦،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٨٣

١٠٥-الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٨٩،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٨٤،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٦٨٠

١٠٦-الأقليات الإسلامية في العالم اليوم ص٨٨،الأقليات الإسلامية في العالم ص١٨٤،التاريخ الإسلامي ج٢٢/٦٨٢

الفصل الثالث

الدعوة إلى الله تعالى في مجتمع الأقليات المسلمة

ويشتمل على مبحثين بعد التمهيد العام :

المبحث الأول : حكم الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث الثاني : فقه الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الثالث:

الدعوة إلى الله تعالى في مجتمع الأقليات

ويشتمل على مبحثين بعد التمهيد العام

التمهيد:

مكث النبيﷺ ثلاثاً وعشرين سنة يبلغ رسالات الله ويدعوا إليه وينشر أحكامــه،منــها ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة.

أولاً بالسر، ثم بالجهر،فصدع بالحق وأوذي، وصبر على الدعوة وأذى الناس مع أنهم يعرفون صدقه وأمانته ويعرفون فضله ونسبه ومكانته،ولكنه الهوى والحسد والعناد مــن الأكابر،والجهل والتقليد من العامة للأكابر

ولمّا اشتد الأمر بالنبيﷺ،وعزم الكفار على قتله،هاجر إلى المدينة المنورة،وصـــارت عاصمة الإسلام الأولى وظهر فيها دين الله تعالى،واســتمرﷺ فــي الدعــوة وإيضــاح الحق،وشرع في الجهاد بالسيف،وأرسل الرسل يدعون الناس إلى الخير والــهدى،وبعــث السرايا وغزا الغزوات المعروفة،حتى أكمل الله به الدين،وأتم عليه وعلى أمته النعمة،ثــم تُوفيﷺ ،فتحمل أصحابه من بعده الأمانة وساروا على الطريق فدعوا إلـــى الله تعــالى وانتشروا في أرجاء المعمورة دعاة للحق ومجاهدين في سبيل الله تعالى لايخشون في الله لومة لائم وصبروا على ذلك صبراً عظيماً وجاهدوا في الله جهاداً كبيرا رضى الله عنهم وأرضاهم.وتبعهم على ذلك أئمة الهدى من التابعين وأتباع التابعين من العـــرب وغــير العرب وساروا في هذا السبيل الذي أمر به رب العالمين،فصارت لهم الســيادة والقيــادة والأمانة في الدين،بسبب صبرهم وإيمانهم وجهادهم في سبيل الله تعالى،وصدق فيهم قوله تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)[١]

وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات،ولذلـــك كـــان ولابد من بيان هذين المبحثين الهامين حول :حكم الدعوة إلى الله تعـــالى،وفقـــه الدعـــوة بإيجاز واختصار.

المبحث الأول:

حكم الدعوة إلى الله تعالى

لقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلـــى الله تعـــالى،وأنـــها مـــن الفرائض،والأدلة في ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[٢]

وقال تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلـــهم بـــالتي هـــي أحسن) [٣]

وقال تعالى: (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) [٤]

فبين سبحانه وتعـــالى أن أتبـــاع الرســـول ﷺ هـــم الدعـــاة إلـــى الله وهـــم أهـــل البصائر،والواجب كما هو معلوم هو اتباعه والسير على منهاجه ﷺ .

وقد صرح العلماء أن الدعوة إلى الله عزّ وجلّ "فرض كفاية" بالنسبة إ لى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة ،فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة فيها فهى فرض كفاية،إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين،وتصير الدعوة في حق الباقين ســـنة مؤكـــدة وعمـــلاً صالحا،وإذا لم يقم به أحد صار الإثم على الجميع،وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته،أما بالنظر إلى عموم البلاد فالواجب أن يوجد طائفة مختصة تقوم بالدعوة إلى الله عز وجلّ في أرجاء المعمورة تبلغ رسالات الله،وتبين أوامره ونواهيه بالطرق الممكنـــة، كما كان هدي النبيﷺ في إرسال الكتب إلى الناس وإلى الملوك والأمراء ودعوتهم إلـــى الله تعالى.

وفي وقتنا الحاضر قد يسر الله تعالى أمر الدعوة أكثر من ذي قبل،فمن الممكـــن الآن تبليغ الدعوة بالطرق الحديثة كالصحافة والإذاعة. .وغير ذلك.

فالواجب على أهل العلم والإيمان أن يقوموا بهذا الواجب وأن يتكاتفوا فيه وأن يبلغـــوا رسالات الله إلى الناس كافة.

وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:عند تفسير هذه الآية (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

قال:" إن المراد من هذه الآية أن تقوم فرقة من هذه الأمة تتصدى لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرةﷺ قـــال:قـــال رسول اللهﷺ : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،فإن لم يســـتطع فبقلبه،وذلك أضعف الإيمان "وفي رواية" وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل "[٥]

ولقد بين النبيﷺ فضل الدعوة إلى الله تعالى كما في حديث أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهـــم شيئا،ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آ ثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامـــهم شيئا "[٦]

ففي هذا الحديث وغيره من الأحاديث يتبين فضل الدعوة إلى الله تعالى،ووجوبها فـــي حق الجميع،وكلٌ بحسب استطاعته،وعلى المسلمين أن ينتبهوا لحجم الـــهجمات الشرســـة على المسلمين في كل مكان،ويجب مضاعفة الجهود في الدعوة إلى الله تعالى.

وإذا كان هذا حكم الدعوة إلى الله تعالى في بلاد المسلمين فـــهي فـــي بـــلاد الكفـــر أوجب،ولقد حرص النبي ﷺعلى تبليغ الدعوة الإسلامية بالبيان قبل السنان،وذلك لإقامـــة الحجة على العباد،ولذلك أرسل رسله إلى الملوك والأمراء لتبليغ دعوة الله تعالى.

ومما يجب أن يعلم أن الأقليات الإسلامية في العالم إن لم تجد من يعينها علـــى أمـــر دينها وربطها بالمسلمين في العالم فإنها مهددة بالذوبان في المجتمعات الكافرة.

ومن هنا يتبين لنا أهمية الدعوة إلى الله تعالى في أوساط الأقليات الإسلامية في العالم.

المبحث الثاني:

فقه الدعوة إلى الله تعالى

لقد بين الله تعالى في كتابه الحكيم كيفية الدعوة إليه سبحانه حيث قال: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [٧] وقال تعالى: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) [٨]

والحكمة هي : "الإصابة في القول والعمل والاعتقاد،ووضع كل شئ في موضعه بإحكام وإتقان " [٩]

وبالنسبة للدعوة في مجتمع الأقليات فإن الحكمة في الدعوة فيها يجب أن تتوافر فيها هذه الأمور:

اولاً:العلم الشرعي: لقوله تعالى:(قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)[١٠]

أي على علم وبرهان أنا ومن اتبعنى.إن الداعية إلى الله على بصيرة وعلم يمكنه أن يدافع عن الذي يدعو إليه وفي نفس الوقت يمكنه أن يهاجم الاعتقادات الباطلة التي تلبّس على الناس دينهم ،وليس العكس،لأن فاقد الشئ لايعطيه والإنسان عدو ماجهل.

ثانياً: العمل : فالعمل ترجمة للقول،وكل قول لايترجم إلى عمل فإن مآله إلى الفشل،ولذلك يقول الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) [١١]

وكما يقال: العلم يهتف بالعمل   فإن وجده وإلا ارتحل

والمهم أن فعل الداعية له قيمة كبيرة عند المدعوين،بل ربما يعتبرون الداعية بفعله أكثر من قوله،ومن أكثر الأشياء التي تصد الناس عن دين الله تعالى الآن هي أخلاق

وأفعال الدعاة والذين تخالف أفعالهم أقوالهم،فينسب جهال الناس ذلـــك إلـــى الديـــن ولا ينسبونها إلى قائليها.

ثالثاً : وضع الشئ في موضعه شرعاً وعقلاً: فلابد من النظر إلى أحوال المدعوين مع اعتبار الزمان والمكان والتدرج في الدعوة على حسب ذلك، ولقد دلنا الله تعالىٰ على هذا المنهج في مواضع كثيرة من كتابه الكريم،ومن ذلك التدرج في تحريم الخمر والتي كان يدمنـــها العرب ويحبونها حتى أنه ورد مدحها في معظم أشعارهم ولذلك كان التدرج في تحريمها ليسهل على النفوس تركها،وكذلك صوم رمضان أول مافرض كان على التخيير إن شـــاء صام وإن شاء أطعم ثم أوجب الله الصوم عيناً.

ومن هذا الباب أيضاً ماورد في صحيح البخاري من حديث ابن عبـــاس أن النبـــي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن وقال له: " إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لاإله إلاالله .وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة،فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم،واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " [١٢]

ومن هذا الحديث يتضح لنا: أن من الحكمة الشرعية أن نتدرج مع المدعـــو بحســـب حاله حتى لاننفره من دين الله تعالى،كما أنه لابد من معرفة لغة العصرالحاضر والـــذي لبس مسوح العلم،وبخاصة في المجتمعات الغربية أو غيرها من المجتمعات الكافرة،فلابد لها من خطاب خاص،ولقد اعتمد القرآن الكريم طريقة المحاورة بالتي هي أحسن لبيـــان الحق،كما في قصة ابراهيم عليه السلام مع الذي ادّعى الربوبية من دون الله تعالى،

قال تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قـــال ابراهيـــم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أوحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يـــأتي بـــالشمس مـــن المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين) [١٣]

كما أن القرآن الكريم نهى عن سبّ آلهة الكفار حتى لايسبوا الله عدواً بغير علم.

قال تعالى : (ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)[١٤]

ومن هذه الآية الكريمة أخذ العلماء قاعدة مهمة وهي: "درء المفاسد أولى من جلب المصالح مع التساوي أو التقارب " وهذا أيضاً من الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

رابعا : توحيد الصفوف: قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا)[١٥]

فالاعتصام بدين الله واجب على الجميع كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة،وعند التنازع يجب ردّ الأمور إلى الله تعالى والرسول ﷺ قال تعالى: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)[١٦]

أي ردّ المسائل عند التنازع إلى الكتاب والسنة خير في الحاضر وأحسن تأويلاً في المآل والمستقبل.

ومن تمام توحيد الصفوف أن يكون للمسلمين أمير عام يجتمعون عليه لتوحيد الصفوف والكلمة،فإن لم يكن جماعة ولاأمير بالمعنى العام والشامل " كواقعنا المعاصر "فيبقى القياس على إمارة السفر،وبخاصة في مجتمع الأقليات،والتي تعاني من حروب الإبادة الدائمة،فاتخاذ أمير في حقها أوكد،حتى يحفظوا كيانهم من الذوبان في المجتمعات الكافرة،ولكن يجب ألاّ يكون ذلك ذريعة للخلاف والشقاق،كما هو واقع الآن بسبب الخلط بين مفهوم الخلافة الإسلامية العامة،ومفهوم الإمارة الخاصة والمقاسة على إمارة السفر،وادّعى كل فريق أنه على الحق، وكل حزب بما لديهم فرحون، إلا من رحم الله .

ومع هذا الواقع الأليم إلا أنه يجب على الدعاة إلى الله تعالى بذل الجهد لتوحيد الكلمة،وكما قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولاسراة إذا جهالهم سادوا

خامساً: الإخلاص لله تعالى : فهو جوهر الحقيقة، وعين الحكمة،وأحد شرطي قبول العمل عند الله تعالى،ويجب ألا يغيب عن أذهان الدعاة إلى الله تعالى شرف الرسالة التي يحملونها من ميراث النبوة حتى يضعوها في موضعها اللائق بها تعلماً وتعليماً.

هوامش الفصل الثالث:الدعوة إلى الله تعالى

١-سورة السجدة/٢٤

٢-" آل عمران/١٠٤

٣-" النحل/١٢٥

٤-"القصص/٨٧

٥-مختصر تفسير ابن كثير/محمد نسيب الرفاعي ج١/٢٩٩،والحديث رواه مسلم ج١/٦٩/رقم٤٩،كتاب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة/ابن باز ص١٣

٦-رواه مسلم ج٤/٢٠٥٩ رقم٢٦٧٤،وأبو داود ج٥/١٥ رقم٤٦٠٩،والترمذي ج٥/٤٣ رقم٢٦٧٤

٧-سورة النحل/١٢٥

٨- سورة البقرة/٢٦٩

٩-الحكمة في الدعوة إلى الله ص٣٠

١٠-سورة يوسف/١٠٨

١١-" الصف/٣

١٢-رواه البخاري

١٣-سورة البقرة/٢٥٨

١٤-سورة الأنعام/١٠٨

١٥-سورة آل عمران/١٠٣

١٦-سورة النساء/٥٩

الباب الثالث

الأحكام الشرعية بين دار الإسلام ودار الحرب والتحديات التي تواجه المسلمين في دار الحرب

ويشتمل على ثلاثة فصول بعد التمهيد العام :

الفصل الأول : التحديات العقائدية و الفكرية .

الفصل الثاني : التحديات الاجتماعية و التعليمية .

الفصل الثالث : التحديات المالية و الاقتصادية .

الباب الثالث:

الأحكام الشرعية بين دار الإسلام ودار الحرب

والتحديات التي تواجه المسلمين في دار الحرب

التمهيد العام :

من أبرز مايسود موضوع الأقليات الإسلامية مسألة نسبية الأحكام الشرعية إلى داري الحرب والإسلام، تلك المسألة التي يطرحها بقوة الإمام أبو حنيفة رحمه الله والسادة الأحناف، فاستتباعاً لنظرية تقسيم العالم إلى داري الإسلام والحرب نشأت مسألة نسبية سيادة الأحكام الشرعية في كل منها.

فدار الإسلام : تمتلك السيادة عليها الشريعة الإسلامية بكل تفصيلاتها،وتتمتع هذه بقدرة التنفيذ فهي صاحبة الكلمة، وهي من حيث المبدأ تطبق بمختلف نظرياتها ووحداتها التشريعية والفكرية والثقافية،فهي عندما تفرض إقامة الحدود الشرعية على الزنا أو السرقة أو الربا فإنما تفعل ذلك بعد أن تضمن في نظرياتها الاجتماعية والثقافية والتربوية مجموعة أحكام تربوية توفر الجو الملائم لمنع مقدمات الزنا أو السرقة أو الترابي، فتحمي الأخلاق العامة ، وتحافظ على المرأة كإنسان له كرامته،محددة الوسائل المشروعة لملاقاتها ضمن نظرية الزواج وإنشاء الأسرة محرمة ماسوى ذلك،في حين أن دار الحرب قد تبيح الفجور وتتبع نظريات اجتماعية متناقضة، ولاتعتبر الاتصال بالمرأة برضاها جريمة يعاقب عليها، فضلاً عن أن الثقافة الاجتماعية والإعلامية تيسر الأعمال التي يعتبرها الإسلام إباحية أو مقدمات لجريمة الزنا،وكذا القول في السرقة، فار الإسلام تضمن نظرياً وعملياً حاجات الإنسان الضرورية باعتبارها ضرورات إنسانية واجبة الضمان، فإن قصرت السلطة في ذلك ولم تؤمن له ضروراته بات في الأمر شبهة تحجب الحدّ ،كما حصل في عهد عمر رضي الله عنه عام الرمادة "حادثة العاملين اللذين سرقا مال مولاهما فلم يقم عليهما الحد "،أما في دار الحرب فقد يكون الأمر على خلاف ذلك،وقد لايترتب على السلطة تأمين الكفاية أو لايكون لديها قدرات سد الحاجة أو أن المسلم في دار الحرب أباح لنفسه السرقة ضمن انحراف عام طرأ عليه أو نشأ معه،أو

لشعوره أنه بعيد عن السلطة الإسلامية التي بإمكانها إن تقيم عليه الحد الشرعي،كما أن المراباة وهي حرام شرعاً ويعاقب فاعلها في دار الإسلام نرى دار الحرب قد فرضتها في نظرياتها الاقتصادية، ومن هنا تنشأ لدى المسلم مشكلة مواجهة الأمر فيلتمس لنفسه التبرير والتوسع في الفتوى باعتباره في دار حرب والأحكام الشرعية نسبية ولاتطبق بالمطلق،وفقاً لمذهب السادة الأحناف حيث يرون عدم وجوب إقامة الحد عليه أصلاً في دار الحرب، ولاعند رجوعه إلى دار الإسلام.

كما يرى السادة الأحناف جواز التعامل بالربا في دار الحرب،في حين يرى جمهور الفقهاء عدم جواز ذلك.

ومما لاريب فيه أن هذه المسألة تأخذ أبعاداً عملية ذات أهمية بالغة في حياة المسلمين في مناطق الأقليات،وخاصة مع تعقد الظروف الحياتية،وتستلزم بحثاً جاداً،ويستدعي هذا بلا ريب إيجاد لجنة شرعية تتفرع عن المجلس الأعلى للجاليات والأقليات الإسلامية لدراسة أوضاع المسلمين هناك.

ومع أن القضايا الفقهية المتعلقة بالمشكلات الاجتماعية والأخلاقية والمالية والسياسية..وغيرها والتي تواجه المسلمين في الديار الغير إسلامية قد شغلت كثيراً من الباحثين في تقييمها وإيجاد الحلول المناسبة لها مع صعوبة ذلك جداً،وذلك نظراً لسيادة أحكام الكفر في جميع قضايا الحياة،إلا أنه لابد من بذل الجهد في سبيل المحافظة على الوجود الإسلامي في تلك الديار، وذلك لأن وجود الأقليات الإسلامية أصبح واقعاً حتمياً لامحيد عنه،حيث أن معظم هذه الأقليات يعيشون في بلادهم الأصلية والتي كانت تحكم بالإسلام ثم انحسرت عنها السيادة الإسلامية،وأن وصفها بالأقلية طارئ عليها وذلك لتغير نوع الحكم فيها والضم القسري لمناطق المسلمين وتهجير أهلها،ولذلك فهي أقلية نسبية كما في مناطق الاتحاد السوفياتي سابقاً،أو أن الأقليات والجاليات نشأت بسبب الهجرة بجميع أنواعها وذلك يرجع لأنواع كثيرة من الظلم الواقع عليهم في بلادهم .

ومن عجائب الأمور أن كثيراً من المهاجرين في وقتنا الحاضر هاجروا من ديار المفترض فيها أنها دار إسلام إلى ديار الكفر لأن الثانية ترفع شعار حقوق الإنسان،ولذلك أصبح البحث في قضية دار الإسلام ودار الكفر الآن من أصعب القضايا على

الإطلاق،وذلك من ناحية التطبيق الحدي لتعريف الدارين وأثر ذلك في الحياة والعلاقات الدولية التي تنشأ بين الدارين والأحكام الشرعية بينهما ونسبية هذه الأحكام.

وفي الحقيقة : أنا لم أقصد من هذا الباب مجرد رصد المشكلات والتحديات التي تواجه المسلمين في دار الحرب فقط لأن هذه مشهورة ومعلومة،ولكني قصدت من هذا الباب رصد طبيعة الصراع بين منهج الإسلام ومناهج الجاهلية أو مايسمى بصراع الحضارات،ابتداءً بالصراع العقائدي وما يعقبه من صراع فكري واقتصادي واجتماعي وسياسي..الخ.

ولذا فلقد حرصت على عقد مقارنة بين منهج الإسلام عقيدة وشريعة ومعاملة وتربية وأخلاقا،وبين المناهج الجاهلية،والقصد منها تعريف المسلمين في تلك الديار بدينهم.

وبمعنى آخر.. قصدت الكتابة عنهم ولهم،عنهم في وصف أحوالهم والتحديات التي تواجههم،ولهم في تعريفهم بالإسلام كله مقارناً بالواقع الجاهلي الذي يعيشون فيه حتى يعتزوا بدينهم.

ولقد قسمت الحديث في هذا الباب إلى ثلاثة فصول،والتي تبرز نوع التحديات التي تواجه المسلمين.

الفصل الأول:التحديات العقائدية والفكرية

الفصل الثاني:التحديات الاجتماعية والتعليمية

الفصل الثالث:التحديات المالية والاقتصادية

الفصل الأول

التحديات العقائدية و الفكرية

وينقسم إلى مبحثين بعد التمهيد العام :

المبحث الأول : خصائص الثقافة الإسلامية .

المبحث الثاني : الصرع بين الإسلام والجاهلية .

الفصل الأول:

التحديات العقائدية والفكرية

ويشتمل على مبحثين بعد التمهيد العام :

التمهيد العام :

الثقافة الإسلامية ثقافة فريدة ومتميزة بين الثقافات ذلك لأن ثقافات الأمم هـي نتيجة لأفكارها ومعتقداتها وعاداتها،فهي نتاج المجتمع نفسه،أما الثقافة الإسلامية فإن أصولـها العقائدية والأخلاقية هي وحي إلهي من رب العالمين،فالإسلام هو الذي أنشأ عقيدة الأمـة وأخلاقها،وهو الذي حدد مسارها وبين منهجها،وأقام الضوابط التي تعصـم الفكـر مـن الانحراف،وخلاصة القول أن الدين الإسلامي هو الذي صنع الأمة الإسلامية.

ونظراً لهذا التباين والاختلاف الجوهري في الأصل والفروع وفي الأهداف والنتـائج بين العقيدة الإسلامية وغيرها من العقائد الوثنية والمحرفة نشأ الصراع الدائم بين الحـق والباطل وسيبقى إلى قيام الساعة.

ولقد ظنت المناهج الجاهلية أنها انتصرت انتصاراً نهائياً على المسلمين،وبخاصة فـي هذه المرحلة الحرجة من عمر الأمة الإسلامية،بعدما مزّقوا وحدة الأمـة ومحـوا اسـم الخلافة الإسلامية من الأرض،وأخرجوا أبناء المسلمين من ديارهم بكل صور المكر حتى يلهثوا خلفهم في ديار الكفر،بحثاً عن الملاذ الأمن ولقمة العيش ..وغير ذلك

غير أنها غفلت عن حقيقة مهمة ألا وهي "حقيقة المنهج الإسلامي" الذي يستمد وجوده من الله العزيز الحكيم.ولذا فالإسلام يتحدى،والعاقبة للمتقين،وقـال تعـالى: (ولاتـهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين،إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس،وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكـم شـهداء والله لايحـب الظالمين،وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) [١]

المبحث الأول:

خصائص الثقافة الإسلامية

مما يجب أن يعلم أن الثقافة الإسلامية مبنية على الإسلام،والذي في حقيقته" منهج حياة كامل " ،ومحور ثقافة الأمة مبنية على الإسلام في عقائده وأخلاقه وأحكامه في الاقتصاد والسياسة والتشريع.

وللثقافة الإسلامية عدة خصائص نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.. الآتي:

١-صبغة إلهية ربانية:

فأنماط الحياة عند غير المسلمين تحددها العادات والتقاليد والنظريات والمناهج التي يضعها مفكروها وعباقرتها،وتتفرد الأمة الإسلامية دون غيرها بنمط إلهي، وصبغة إلهية،كما قال تعالى: (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون)[٢]

فالله تعالى أنزل لنا دينا بين لنا فيه الحال التي ينبغي أن نكون عليها في أحوالنا الظاهرة والباطنة، كما وضح لنا الغاية التي ينبغي أن نهدف إليها من وراء الحياة،كما أوضح لنا منهج حياتنا،وهو الصراط المستقيم المخالف لطريق اليهود والنصارى والمشركين،كما قال تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[٣]

وفي ظلال هذه الصبغة الإلهية التي تحيط بالأمة الإسلامية تتربى الأجيال فتتشرب الإسلوب الذي تحيا به الأمة الإسلامية جيلا بعد جيل.

٢-عالمية الثقافة الإسلامية:

تقوم الثقافات البشرية على اعتبارات وأسس محكومة بالنظرة القومية والعنصرية،فمثلا هتلر النازي صنف أمته في المرتبة الأولى وجعل العرب في المرتبة الرابعة عشر ولم يبق وراءهم إلا اليهود والكلاب وكان شعاره الدائم ألمانيا فوق الجميع، ولايزال داء العنصرية يسري في الأمم الغربية إلى وقتنا الحاضر،فالأسود هناك مكروه ممقوت

يضرب ويهان،ولاعجب إذا رأيت في بلاد الكفر لافتة كتب عليها "ممنوع دخول السـود والكلاب" ولذلك فإن السود هناك يثورون بين فترة وأخرى.

أما الثقافة الإسلامية فهي ثقافة المسلمين أجمعين مـع اختـلاف أوطانـهم وألوانـهم وألسنتهم وأجناسهم،وجعل الله التفاضل بالتقوى، قال تعالى: (ياأيها الناس إ نا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٤]

ومن هنا يتبين لنا بطلان ما ينادي به الغرب من عالمية الثقافة الغربية،وإن فرضـوا لغتهم على معظم بلاد العالم،وقد تقدم تفصيل هذا المبحث عند الكلام على عالمية الدعوة الإسلامية.

٣- الشمول والكمال:

ويرجع ذلك إلى أن الإسلام يتضمن :

العقيدة: التي تعطي المسلم تصورا كاملا عن الإنسان والكون والحياة،كما تعطي تفسيرا للقضايا الكبرى التي شغلت الفكر الإنساني ولاتزال تشغله،فالإنسان كان ولايزال يتساءل عن أصله ونشأته ومصيره ونهايته وخالقه وعلاقته بخالقه،ودوره في هذا الوجود والعوالم الخافية المستورة وراء هذا الكون المشهود،ولايجيبه عن هذه الأسئلة إلا العقيدة الإسلامية

والشريعة : والتي تحيط بالإنسان إحاطة تامة،نطفة وجنينا وطفلا وشابـا وشيخـا،حيـاة ومماتا،روحا وجسدا وعقلا،كما أن الشريعة تشمل كل القوانين التي سماها البشر بأسـماء مختلفة،كالقانون الدستوري والمدني والإداري والمالي والجنائي والدولي،ولكـن بطبيعـة الحال طبقا طبقا للقانون الشرعي الخاص بالشريعة الإسلامية.

٤-الخيرية في العطاء:

فالإسلام يأمر أتباعه بالسعي في الأرض وإعمارها،وفي مجال الحياة الاجتماعية لايتوقف عند النهي عن الإفساد في الأرض بالقتل والسرقة والزنا وشـرب الخمـر والتخريـب ..وغير ذلك،ولكنه يأمر بالإصلاح والتعمير،ولذا قال تعالى: (كنتم خير أمـة أخرجـت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) [٥]

وقال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) [٦]

وشتان بين الإسلام الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والقوانين الجاهلية التي تأمر بالمنكر وتحارب المعروف،ولاالتفات لأقوال المخدوعين بالحضـــــارة الجاهليـــة حينمـــا وصفوها بالعدالة والمساواة والحرية،فالناظر في هذه المجتمعات يراها مهدمـــة الأركـــان ولابقاء لها إلا بغياب المسلمين عن القيادة العالمية.

٥-التوازن:

الإسلام هو الوحيد الذي وازن بين مطالب الروح والجسد،وبين الحقوق والواجبات،وبيـــن الحقوق بعضها مع بعض،والواجبات بعضها مع بعض،أمر الإسلام الإنسان بعبادة ربـــه فهي الهدف والغاية من وجود الإنسان،وفـــي نفـــس الوقـــت يعطـــي أولاده ومجتمعـــه نصيبيا،وجعل ذلك نمطا من التعبد،وأمره أن يصرف همه للآخرة ولاينسى نصيبـــه مـــن الدنيا،وهذا يدلنا على أن منهج الإسلام منهج متوازن غاية التوازن يجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني:

الإسلام يتحدى : صراع الحضارات

لقد أمر الإسلام بمحاربة الباطل في حنايا النفس الإنســـــانية، وفـــي داخـــل المجتمـــع المسلم،كما أمر بدحر الباطل في معاقله،وهي تلك المجتمعات التي تقيم حياتها بعيدا عـــن منهج الله،ولقد أهدى الإسلام البشرية الحياة والحق والنور والضياء وأنقذها مـــن الجـــهل والشرك والضلال،ولكن هناك من يصر على الحياة في الظلام.

لقد حاول الكفار تطويق الزحف الإسلامي عبر تاريخه كله،ولكن يأبى الله إلا أن يتـــم نوره ولو كره الكافرون،وتمثل ذلك في المكائد اليهودية عبر التاريخ والتي لم تنقطع حتى الآن، والحروب الصليبية والتي لم تنقطع قديما ولاحديثا،ولكنهم لم يستطيعوا أن يقدمـــوا أنموذجا صحيحا لأممهم،فالنصارى مثلا صارت كنائسهم مباءة للفسق والفجـــور تحـــت دعوى الرهبانية والتبتل،وأصبح الرهبان من أكبر كانزي الأموال بالظلم والبـــهتان،ولقـــد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة حيث قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار

والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكـــنزون الذهــب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب)[٧]

ومن ثم قام الصراع المرير بين رجال النصرانية المحرفة وبين رجال النهضة العلمية الأوربية،وانتهى الصراع بهزيمة رجال الكنيسة،وأصر البشر على حكم أنفسهم،وأصبـــح الإنسان مهما كان اتجاهه في الغرب يعرف دينا واحدا هو الرقي المادي،وأقاموا معـــابد لهذا الدين الجديد ،وهي تتمثل في المصانع العملاقة الضخمة ودور الســـينما والرقـــص ومختبرات الكيمياء،وكهنة هذه المعابد هم رؤساء المصـــارف والمهندســـون والممثلـــون وكواكب السينما وأقطاب التجارة والصناعة،وهذه باختصار شديد هي "علمانيـــة "القـــرن العشرين،ونظرا لبناء الغرب عقيدته على هذه الروح الإلحادية فإنه ناصب الإسلام العداء.

مدى عداء الغرب للإسلام:

الحقد الصليبي : يرى المسلم المتابع للحياة في الغرب أنها تنضـــح بـــالحقد والكراهيـــة للإسلام وأهله،ولقد بلغ العداء إلى درجة الإسفاف،فلقد طبعوا صفحات من القرآن الكريـــم على الأوراق التي تغلف بها المبيعات،وكتبوا اسم "مكة "على محلات للدعـــارة ..وغـــير ذلك كثير جدا،بالإضافة إلى المجلات والصحف والكتـــب التـــي تسـخر مـــن الإســـلام والمسلمين،ولقد استغلت المنظمات العالمية في الحرب على الإسلام،فمنظمـــة اليونســـكو العالمية تشرف على موسوعة تعرف باسم "تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي "وفي الجزء الثالث من هذه المجموعة "الحضارات الكبرى في العصر الوســـيط "الـــذي ترجم عن الإنجليزية والفرنسية نجد في الفصل العاشر حديثا عـــن العـــرب وقـــد ملـــئ بالتشويه والمسخ لتاريخ الإسلام والكذب على الرسول ﷺ وخلفائه.[٨]

ولم يهدأ النصارى لحظة واحدة من تاريخهم عن الحروب المتتالية علـــى المســـلمين، سواء الحروب العسكرية أو الحروب الفكرية،وفي هذا يقول المستشرق الكندي المعاصر" كانتول سميث " في كتابه " الإسلام في التاريخ المعاصر ": " إن أوربـــا لاتســـتطيع أن تنسى الفزع الذي ظلت تزاوله خمسة قرون متوالية والإسلام يغزوها من الشرق والغرب والجنوب ويقطع في كل يوم جزء من أجزاء الإمبراطورية الرومانية ويكاد يستولي على

العاصمة ذاتها..ذلك الفزع الذي لا يدانيه شئ ولاحتى فزع أوربا من استيلاء الشيوعية على تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٨م " [٩]

ويتضح من هذا أن الروح الصليبية ماتزال في نفوس أوربا باتجاه الإسلام حتى وقتنا الحاضر،رغم كل التغيير السياسي والاقتصادي والفكري والعقائدي الذي حدث خلال القرون الأخيرة .

واما اليهود : فمع أن الإسلام قد أكرمهم بما لم يكرمهم أحد في التاريخ وفتح لهم صدره و آ منهم على أنفسهم وأموالهم وعبادتهم ولم يكن لهم في كلها صدر حنون يسعهم وينقذهم من الاضطهاد والضيم الواقع عليهم إلا الأندلس المسلمة ومع ذلك كله فقد ظلوا يكيدون للإسلام كيداً ويتمنون زواله، بل ويضعون أيديهم في يد الصليبية التي تضطهدهم وتعذبهم وذلك لتحطيم الإسلام.

واما المشركون : على اختلاف مللهم فهم لا يقلون في شرا ستهم وكيدهم للإسلام والمسلمين عن اليهود والنصارى، وقد أخبرنا الله بهذا في كتابه الكريم حيث قال تعالى : (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيرا،وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)[١٠]

ركائز الجاهلية الجديدة في صراعها مع الإسلام :

ترتكز الجاهلية الجديدة في صراعها مع الإسلام على ركائز عدة .. منها:

١-مقومات الجاهلية القديمة،الوثنية المادية كالجاهلية الإغريقية والتي تقوم على الوثنية وتقديس العقل وعلى الفلسفات الوهمية للدين الحق،والرومانية التي تقوم على الوثنية وتقديس الشهوات والماديات.

٢-التأثير اليهودي المباشر في الفكر والأدب والسياسة والأخلاق والمفاهيم وغيرها،ولايخفى خطورة الدور اليهودي في التأثير على مجريات السياسة العالمية.

٣-النزعة إلى السيطرة وتحقيق الأغراض القومية والحسية والتى نشأ عنها الاحتلال والسيطرة الدولية،واحتكار كنوز الأرض وخيراتها لإشباع شهوة الرجل الأبيض.

٤-الانحلال الخلقي ونشر الفوضى والإباحيـــة وتقنينــها وحمايتــها باســم الحريــة الشخصية،وسيأتي بيان هذا الواقع الغير أخلاقي في موضعه من البحث.

٥-العلمانية والإلحاد باسم الديمقراطية وفصل الدين عن الدولة والتمرد على حكــم الله وشرعه .

٦-الإفادة من العلوم التجريبية والإنسانية والتي بدأها المسلمون وتسخيرها في النهضة الأوربية الحديثة والتقدم العلمي الكبير ،وهذا التقدم هو الذي بـــهر الأمــم المســتضعفة وأخضع الشعوب وأتاح للغربيين فرصة الاستعلاء والغطرسة والتعـــالي والفســاد فــي الأرض والصد عن دين الله .

٧-الديانة النصرانية المحرفة الضالة واليهودية المحرفة الحاقدة والصليبية الاستعمارية بكل صورها القديمة والحديثة.

٨-طوائف المشركين من بوذية وهندوسية ووثنية وغيرهم ممن لا يحصون عددا،ولقد ذكر الشيخ العلامة/أبو الحسن الندوي: " أن الأمة الهندية علـــى ســبيل المثــال عبــدت ٣٣٠مليون إله باطل " كجزء من وثنية القرن العشرين.[١١]

٩-المبادئ الرأسمالية الربوية، والاشتراكية المدمرة والتي ذاق العالم وبالها ومازال.

١٠-الاعتماد على وسائل التمكين في الأرض من النظام والانضباط والجـــد وتحمــل المسؤولية والتخطيط السليم لكل نواحي الحياة المادية وفنون التعامل مع الآخرين..وغير ذلك وهذا من أسباب التمكين لهم [١٢]

واجب المسلمين تجاه هذه التحديات :

وعلى المسلمين واجبات كثيرة تجاه هذه التحديات نذكر منها على سبيل المثال:

اولا: واجب الدعـوة إلى الله تعالى : وذلك انطلاقا من مبدأ عالمية الدعوة الإسلامية،وهذا لأن لايقف عند حد من حدود الأرض بل يتخطى جميع الحدود وهذا تطبيق لرسالة هذه الأمة والتي تأتي شهيدة على الأمم كلها مصداقا لقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمـــة وســطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [١٣]

ثانيا: وجوب الصبر : بناء على الواقع الفعلي للمسلمين الآن، وأنه ليست هناك دار هجرة بالاصطلاح الشرعي التام حتى يهاجر إليها المسلمون المستضعفون في الأرض، فعلى ذلك تعين الصبر والعمل بدين الله والتمسك به في تلك الديار والمحافظة على العقيدة الإسلامية والتشبث بها مهما كانت طبيعة التحديات،مع العمل لإيجاد الحلول الشرعية المناسبة وفرض الواقع الإسلامي في كل الديار.

ثالثا: الاستعلاء بالإيمان : لقوله تعالى: (ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [١٤]

هذا الاستعلاء الذي لايتهاوى أمام أي قوة باغية ولاعرف اجتماعي ولاتشريع باطل،فهو استعلاء المؤمن بإيمانه في مقابلة جيوش الإلحاد المعاصر، والله تعالى ما كان ليترك المؤمن وحيدا يواجه الضغط وينوء به الثقل ويهده الحزن والوهن،ومن ثم يجئ هذا التوجيه الإلهي (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)إن المؤمن هو الأعلى سندا ومصدرا،فهو من الله يتلقى وإلى الله يرجع وعلى منهجه يسير،وهو الأعلى إدراكا وتصورا لحقيقة الوجود،فالإيمان بالله الواحد في هذه الصورة التي جاء بها الإسلام هو أكمل صورة للمعرفة بالحقيقة الكبرى، حقيقة وجود الخلق لعبادة الله وحده،والمؤمن هوالأعلى شريعة ونظاما،وحين يراجع المؤمن كل ماعرفته البشرية قديما وحديثا ويقيسه إلى شريعة الله ونظامه فسينظر عندها إلى البشرية الضالة من عل في عطف وإشفاق على بؤ سها وشقوتها ولا يجد في نفسه إلا الاستعلاء على الشقوة والضلال.ويتذكر حينئذ قوله تعالى: (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد)[١٥]

هوامش الفصل الأول :التحديات العقائدية والفكرية

١-سورة آل عمران /١٤٠

٢-سورة البقرة /١٣٨

٣-سورة الفاتحة /٧

٤-سورة الحجرات /١٣، كتاب نحو ثقافة إسلامية أصيلة/عمر سليمان الأشقر ص٤٧

٥-سورة آل عمران /١١٠

٦-سورة المائدة /٢

٧-سورة التوبة /٣٤

٨-نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص٥٥

٩-الصراع بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي/محمد قطب ص١١

١٠-سورة آل عمران /١٨٦

١١-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين /أبو الحسن الندوي ص٤٧

١٢-الجاهلية الجديدة وآثارها النكدة على المسلمين/ناصر عبد الكريم العقل ص١٣

١٣-سورة البقرة /١٤٣

١٤-سورة آل عمران /١٣٩

١٥-سورة آل عمران /١٩٦،كتاب معالم في الطريق/سيد قطب،فصل استعلاء الإيمان

الفصل الثاني

التحديات والمشكلات الاجتماعية والتعليمية

ويشتمل على أربعة مباحث بعد التمهيد العام :

المبــحث الأول : الأسرة بين منهج الإسلام والمناهج الجاهلية

المبحث الثاني : حكم الإسلام في الاختلاط والحجــــاب

المبحث الثالث : أحكـــام الطعام والشراب

المبــحث الرابع : مشكلـــة التعليـــــم

الفصل الثاني:

التحديات والمشكلات الاجتماعية والتعليمية

ويشتمل على أربعة مباحث بعد التمهيد العام :

التمهيد العام :

مما لاشك فيه أن المسائل الاجتماعية من أشد الأمور التصاقاً بشخصية الإنسان وعلاقته بمحيطه ضمن معطيات الثقافة والعادات،والإسلام شأنه في الاجتماع شأن سائر نواحي الحياة يمتلك النظرية الاجتماعية المتكاملة ضمن مخطط تنفيذي شامل بحيث تغدو الجزئيات التنفيذية عادات متأصلة في الشعوب الإسلامية من العسير اقتلاعها أو تغييرها،وهذا الأمر هو مجموعة من الأسباب التي حفظت المسلمين عبر الزمن مع ما تقلب عليهم من عواد وحروب واحتلال واستعمار وألوان من الهجوم الماكر الحاقد على أيدي جميع ملل الكفر،وأشد أنواع الاحتلال هو الغزو الثقافي والاجتماعي والفكري تمهيداً للقضاء على الشخصية الإسلامية في الشعوب والأقليات الإسلامية،ولئن تمكن كثير من الأقليات فضلاً عن العالم الإسلامي من الصمود في وجه التحول الاجتماعي والثقافي الماس بأصول العقيدة الإسلامية إلا أن عدداً ضخماً من المسلمين وبخاصة في مجتمع الأقليات تأثروا بالعادات الجديدة أو انبهروا بها ظناً منهم أن الإسلام لا يتضمن مثل هذه الأحكام، أو لا علاقة له بها أو لم يتحدث عن مثيلاتها تأثراً منهم بنظرية أن الدين عبارة عن عبادة فردية وعلاقة مع ضمير الفرد،وهي نظرية مسيحية تبناها الفكر الغربي عامة،غير أن رسوخ العادات الاجتماعية والإسلامية جعلت محاولات التغيير صراعاً عنيفاً أخذ في بعض الأحيان صور العنف والممارسة العسكرية،فضلاً عن الصورة الدستورية عبر إصدار القوانين والمراسيم لجعل التطبيع أسلم وأضمن،وتحت هذا الضغط المتواصل تأثر عدد كبير من أبناء المسلمين بهذا الواقع، وبالتالي تغيرت وساءت أحوالنا،وقال تعالى: (ذلك بأن الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن الله سميع عليم) [١]

المبحث الأول:

الأسرة بين منهج الإسلام والمناهج الجاهلية

وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى : اهتمام الإسلام بالأسرة

كل الأديان التي أنزلها الله تعالى اهتمت بالأسرة اهتماماً كبيرا، وبخاصة الإسلام، قال تعالى : (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرا) [٢]

ولايتصور أن تقوم الحياة الإنسانية على استقامة إذا هدّمت الأسر،والذين ينادون بـهدم نظام الأسرة ويزعمون أنه " نظام عتيق "ضالون شرعاً وعقلاً،وهم لا يريدون بالبشرية خيرا،فالشيوعية مع كل ما فعلته من تحطيم للمبادئ الأخلاقية غير أنها لم تستطع أن تلغي نظام الأسرة لأنها في الحقيقة حاجة فطرية،وفي مقابل الإباحية الشيوعية نجد أدعياء الرهبنة المبتدعة عند النصارى،ولكنها لم تلبث أن تحولت إلى إباحية أشد من الشيوعية داخل الكنائس والتي تحولت إلى مواخير للدعارة والفساد.

حكمة الزواج في الإسلام :

جعله الله تعالى سكناً للنفوس قال تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) [٣]

وكلمة "تسكنوا "تعني حاجة فطرية بعيدة الغور في النفس الإنسانية،وإذا لم تلبّ هذه الحاجة الفطرية فإن البديل الوحيد هو القلق النفسي والتعب القلبي،وقد عدّ علماء النفس العزوف عن الزواج أحد أسباب الأمراض النفسية السائدة في عالم الغرب .

ولقد رغّب الإسلام في الزواج،وبين القرآن الكريم أن الزواج سنة المرسلين أجمعين قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية)[٤]

والزواج منّة من الله تعالى،قال تعالى : (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)[٥]

وفي السنة النبوية تأكيد على هذه السنة العظيمة،وإليك بعض الأحاديث الواردة:

عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبيﷺ " تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ولاتكونوا كرهبانية النصارى " [٦]

وعن ابن مسعود :أن رسول الله ﷺ قال: " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج،ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " [٧]،وهكذا أبطل الإسلام تنطع المتنطعين المعاندين لسنة الله في التعبد بترك النكاح، ولم تعد الرابطة الزوجية دناءة بهيمية، فإن إشعاع الإسلام بدّد تلك الظلمات في العالمين،ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل تسامى الإسلام بتلك الرابطة حتى جعل منها ذريعة لواجبات كثيرة رفع الإسلام قدرها [٨]

فالناظر يرى فرقاً كبيراً جداً بين منهج الإسلام في تكوين الأسرة،والذي تقدم بعض الحديث عنه،وبين المناهج الجاهلية والتي دمّرت فيها الكرامة واستبيحت الأعراض وضاعت الأنساب وهدّمت أركان الأسرة،وهذه بعض صور الضياع والفوضى في المناهج الجاهلية والتي انعكست بدورها على واقع المسلمين في تلك الدول بل وأثرت فيهم تأثيراً بالغاً حيث تفككت الروابط الأسرية فيما بينهم إلا من رحم الله تعالى.

المسألة الثانية : أصول تكوين الأسرة

الزواج في الإسلام يختلف عن القوانين الوضعية والتي تجرّد عقد الزواج من كل صفة دينية،بينما الشريعة الإسلامية تعتبر الزواج من المسائل الدينية التي حث عليها الإسلام ووضع لها أحكاماً كثيرة ..منها :

عدم صحة زواج المسلمة بغير المسلم،وعدم صحة زواج المسلم بالمشركة التي ليس لها كتاب سماوي،وكذلك حرّم الإسلام من الرضاعة ماحرّم من النسب ..وغير ذلك من الأحكام،بخلاف القوانين الوضعية فإنها تبيح ذلك كله .

ولقد وضع الإسلام أصولاً لتكوين الأسرة منها :

أولاً: الاختيار :

لقد حث النبي ﷺ على تزويج الرجل المرضي في دينه وأمانته،كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض " [٩]

كما حث الإسلام على اختيار المرأة الصالحة العفيفة،وهذا الأمر ليس له محل في الجاهلية الحديثة،والتي ترى الرجل الصالح في مقدار ما يملك من مال أو ما يحصل عليه من شهادة،بل ومقدار ما يعرفه من أخلاق الجاهلية،وكذلك بالنسبة للمرأة،وأصبح من العسير جداً في مجتمع الأقليات الإسلامية وجود المرأة المسلمة والرجل المسلم بالمقياس الإسلامي.

ثانياً :الخطبة :

لقد شرع الإسلام الخِطبة وأباح النظر إلى المرأة المخطوبة "إلى وجهها وكفيها" ولم يبح لهما الخلوة، كما يفعل أدعياء الحضارة من مقلدي الغرب،وذلك بحجة التعارف بينهما،حتى عمّت البلوى وانتشر الفساد،كما أن هذه الفترة تبنى على التكلف وليس على الحقيقة،وبالتالي يكثر الكذب والغش والغرر.

ثالثاً : الرضا :

يشترط الرضا بين ولي الأمر والخاطب،ويكون بصيغة الإيجاب والقبول،كما يشترط رضا المرأة،فالزواج لا يتم إلا بعد موافقة المرأة،فإن أ جبرت فللقاضي حق الفسخ إن رفع الأمر إليه،وهذا يدل على احترام الإسلام لرأي المرأة والعدل معها، بخلاف الذين يزعمون أن المرأة بمثابة السجينة في الإسلام ويجب تحريرها.

رابعاً : الولي والشهود :

لقد أوجب الإسلام موافقة ولي الأمر على الزواج،وكذلك وجود شاهدي عدل،وهذا بخلاف القوانين الجاهلية،والتي تسقط السلطة الأبوية على الأسرة بأكملها،وهذه هي الطامة الكبرى في مجتمع الأقليات، فكم سمعنا وقرأنا ورأينا ضياع أسر بأكملها،بسبب إسقاط قوامة الرجل على بيته بنص القانون الجاهلي،والذي يودع الرجل السجن لأدنى شكوى ضده من أبنائه وزوجته،وترتب على ذلك فساد كبير.

خامسا : المهر والصداق :

أمر الإسلام بمنح الزوجات مبلغا من المال عطية، إكراما لها واحتراما لحقـــها،قـال تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) [١٠]

وليس كما صور أعداء الإسلام الذين زعموا أن المرأة بـــهذا تصــير سـلعة تبـاع وتشترى،وبالتالي كلفوا المرأة بما لا تطيق حيث أجبروها على تأسيس البيــت للخـاطب وهو الذي يسمونه "دوطة "، ولماذا لم يسموا الرجل في هذه الحالة سلعة أيضا؟ وترتـــب على هذا تضييق طرق بناء الحياة الشرعية وفتح لأبواب الحرام والإباحية [١١]

سادسا : الكفاءة :

لايجوز تزويج المرأة المسلمة من كافر مطلقا،لقوله تعالى : (ولاتنكحـوا المشركيـن حتى يؤمنوا) [١٢]

ولايجوز للمسلم أن ينكح المشركة، إلا أن تكون كتابية محصنة أي "عفيفة " وذلك لقوله تعالى : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) [١٣]

وأما القوانين الجاهلية فإنها تخالف الحكم الإسلامي،ولذا تجد أعدادا كبيرة من المسلمين والمسلمات الأصل في مجتمع الأقليات قد خالفوا حكم الله في هذه المسألة.

المسألة الثالثة : تعدد الزوجات

شرع الإسلام للرجل إن يتزوج أكثر من امرأة إلى أربع قـال تعـالى : (وإن خفتـم ألاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)[١٤]

ولقد صدرت كتابات كثيرة في أوربا من المستشرقين والاجتماعيين في مســألة تعـدد الزوجات في الإسلام،وكلها ترمي إلى استهجان هذه العادة وتنصح المسلمين بضـــرورة الإقلاع عنها،بل وإن منهم من علّق ارتقاء المسلمين من الناحية الاجتماعية على إلغائها،ثم سنت الدول الأوربية قانونها على أساس المنع من تعدد الزوجات،وبالتالي ضيقـــت فـــي الحقوق الشرعية للمسلمين.

وفي هذا القانون الجائر مصادمة للشرع والفطرة والعقل،فالتعدد أباحه الشرع الإسلامي كما جاء ذلك في الكتاب والسنة،بل التعدد من سنن المرسلين كإبراهيم ويعقوب وســليمان

وداود ومحمد عليهم الصلاة والتسليم،كما لايوجد نص في الإنجيل يمنـــع التعــدد،وأمــا الرهبنة فنظام ابتدعه النصارى.

والتعدد لحماية المرأة،ولقد أقر الإسلام هذا المبدأ لأنه يرمي إلى هدف بعيد الغور في الإصلاح الاجتماعي لايدركه إلا نافذوا البصر في العالم،وذلك لكبح جماح الشهوة بتعــدد الزوجات بدلاً من تعدد الخليلات،فالزوجة مصونة والفاجرة ملعونة.

ولقد أراد الإسلام حماية المرأة من الوقوع في حالة بؤس تتجرد فيها جميع الضمانات الاجتماعية وتبرز في عداد النسوة الساقطات،فـــأي الأمريـــن أجـدى للمــرأة وأحفـظ لكرامتها،هل في أن تصبح زوجة ثانية لرجل يحميها ويصونها وترثه هي وأولادها بعـــد مماته ؟ أو أن تصبح في عداد المبتذلات لاحق لها ولا لأبنائها اللقطاء ؟ [١٥]

المبررات العلمية للتعدد :

وهذه المبررات ترجع إلى خصائص طبيعيـــة، أو ضـــرورات معيشيـــة اجتماعيـــة، فالخصائص الطبيعية.. ترجع إلى الزيادة الكبيرة في عدد النساء مقارنة بالرجال وبخاصة لكثرة وقوع الحروب في الأرض،بالإضافة إلى وجود عوارض الـــزواج عنـد الرجـــال كالفقر والمرض وغير ذلك، بالإضافة إلى نسبة المطلقات،فكيف تكون النتيجة؟

وأما الضرورات المعيشية والاجتماعية .. فقد تصاب المرأة بداء عضال أو بعقـــم أو تذهب عنها جميع المغريات الحسية والنفسية،أو يرى الرجل أن زوجة واحـــدة لاتكفـــي لإحصانه لبرودة شهوتها أو لطول زمن حيضها..وغير ذلك من الأسباب،وبالتالي يكـــون الزوج أمام حالات ثلاث : التعدد أوالطلاق أو اقتراف الحرام فأيهما أهدى سبيلا ؟

وقال الشاعر: وليس النبت ينبت في جنان كمثل النبت ينبت في الفلاة

وهل يُرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثدي الناقصات [١٦]

المسألة الرابعة : الطلاق :

إذا كان الزواج بناء فإن الطلاق هدم،والزواج شرع للحاجة،والطلاق قد تدعـــو إليـــه الحاجة،والزواج يحتاج إلى نظام حتى تنضبط العلاقة بين الزوجين،وكذلك الطلاق يحتاج إلى نظام لأن من لا يحسن الهدم أضرّ بنفسه وبغيره،ولما كانت الدواعـــي إلـــى الفرقـــة

والانفصال قد لا تكون حقيقية،فقد أمر الإسلام باتباع نظام معين للتقليل من نسبة الطلاق،فلقد أمر الله تعالى بالصبر على الزوجة حتى ولو كرهها،قال تعالى : (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا) [١٧]

كما رتب القرآن الكريم خطوات لمعالجة نشوز المرأة كما في قوله تعالى : (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن الله كان علياً كبيرا،وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينها، إن الله كان عليماً خبيرا) [١٨]

ولقد طعن أعداء الإسلام ومطاياهم من المنتسبين إليه،والذين يتظاهرون بتقديسهم للمرأة ويصرحون بعبادتهن ليخدعوهن عن أعراضهن ويوردوهن موارد الهلكة،يطعنون في حكم ضرب الزوجة ويعدونه إهانة للمرأة.

فهم يستكبرون مشروعية تأديب الناشز،ولا يستكبرون أن تنشز هي وتترفع على زوجها فتجعله وهو رئيس البيت مرعوساً بل محتقراً وتصر على نشوزها،حتى أنها لا تلين لوعظه ولا تستجيب لنصحه ولا تبالي بإعراضه وهجره،فترى كيف يعالجون هذا النشوز؟

لعل الجواب تضمنه قول الشنفري الشاعر الجاهلي المعروف مخاطباً زوجته:

إذا جئت ما أنهاك عنه ولم أنكر عليك فطلقيني

فأنت البعل يومئذ فقومي بسوطك لا أباً لك فاضربيني [١٩]

فإذا لم يُجدْ ذلك شيئا،ولم يستطع الرجل البقاء مع زوجه فله أن يطلق،ولقد جعل الإسلام الطلاق بيد الزوج،وذلك لأن الشرع جعل له القوامة،ولكن بالعدل والتقوى،كما أن الرجل أملك للقرار وأضبط للنفس من المرأة،والتي قد تنفعل لأدنى سبب،ولو كان الأمر بيدها لأوقعت الطلاق لأتفه الأسباب،ومع أن الإسلام جعل الطلاق بيد الرجل إلا أنه جعل له أحكاماً خاصة يخضع لها الرجل حتى لا يُعضل المرأة ويكرهها.

حق المرأة في الطلاق :

إذا كانت المرأة هي الراغبة في الفراق فلها أن ترفع الأمر إلى القاضي،وهنا تكون ملزمة بأن تعيد لزوجها المال الذي بذله لها،وإذا تحقق ذلك أصدر القاضي أمره بالفرقة،وهذه العملية تسمى "الخلع ".

فهذا باختصار منهج الإسلام في الطلاق فكيف المناهج الجاهلية؟

لقد اعتمدت كثير من بلدان العالم اليوم القانون الوضعي،والذي يجعل قدرة المرأة على طلاق زوجها من دون إرادته،وعدم قدرة الرجل على الطلاق إلا بإرادة المحكمة،مع ما يستتبع ذلك من آثار في مال الزوجين والمشاركة والمقاسمة عند الطلاق، مع عدم التقيد بعدد الطلقات والأصول المعروفة في ذلك شرعاً [٢٠]

وفي هذا مصادمة للشرع الإسلامي والعقل والمنطق والفطرة،وهذه إحدى المشكلات الحقيقية في مجتمع الأقليات الإسلامية،حيث أن القانون الوضعي ألغى سلطة الرجل تماماً

الطلاق في المسيحية المحرفة:

الرأي الغالب بين رجال الكنيسة هو:أن الطلاق محرّم حتى في حالة الزنا،فيجب على الزوج إعادة زوجته الخاطئة متى ندمت وتابت من ذنبها،فإن أصرت ابتعد عنها،ولكن ليس للزوج الحق في التزوج من أخرى،فزنا الزوجة يؤدي إلى الانفصال الجسماني إذا ادّعاه الزوج،وليس الأمر كذلك بالنسبة لزنا الزوج.

وفي هذا القانون الباطل فتح لباب الزنا لكلا الطرفين على مصراعيه،لأن قيام الزواج اسماً يمنعهما من الزواج ثانية،ويكونان كما قال: " المسيو بلانيول ": "قد ضحيا ببقائهما دون ما أمل ويجدان أنفسهما قد حكم عليهما بالعزوبة الإجبارية " ثم قال في موضع آخر"إن التفريق الجسدي لا يزيل داءً إلا ويستبدله بداءٍ آخر،فإنه لا يوجد ألبته صيغة حياة زوجية بين زوجين مكرهين على أن يعيشا معاً ولكن يوجد فضائح علنية تحمل الزوج الأخر على اليأس حتى أن الزوجين بعد التفريق الجسدي يمكنهما أن يقترفا المساوئ أكثر من ذي قبل " [٢١]

ولهذا نرى كثيراً من الدول الأوربية والأمريكية اضطرت أخيراً إلى تبني ما كانت تنكره على الإسلام سابقاً،فقد أقرت الزواج المدني الذي يحتوي على الطلاق،وجعلته شرعة ثابتة في قانونها الشخصي وأصلاً من أصول مدنيتها الحديثة وإن خالف ذلك آراء الكنيسة [٢٢]

الخلاصة :

بعد عقد هذه المقارنة السريعة لبعض قضايا الأسرة بين منهج الإسلام والمناهج الجاهلية وما يتبع ذلك من تأثير مباشر على واقع الأقليات الإسلامية في العالم،بل وفي العالم الإسلامي المقلد للغرب والمناهج الجاهلية الحديثة،يتضح أن المناهج الجاهلية الحديثة تقوم على عدة أصول باطلة في قضايا الأسرة،وهي باختصار تتمثل في التالي:

١-إضعاف السلطة الأبوية وإسقاط القوامة للرجل في العائلة .

٢-وجوب إجراء الزواج مدنياً كي يجري تسجيله من الناحية القانونية وإن سبقه أو لحقه العقد الديني،ولكن قد يكون العقد الديني شكلياً بالنسبة للقوانين الباطلة في العقود المدنية والمخالفة للشريعة الإسلامية.

٣- إ سقاط المانع الديني لزواج المسلمة من غير المسلم.

٤-قدرة المرأة على طلاق زوجها من دون إرادته،وعدم قدرة الزوج على الطلاق إلاّ بإرادة المحكمة .

٥-منع تعدد الزوجات،وإن كان له ضرورة شرعية.

٦-عدم الاعتراف بموانع الزواج إلا وفقاً للقانون المدني، وهو مايختلف في كثير من جوانبه مع الشريعة الإسلامية.

٧-توزيع الإرث وفقاً للقانون المدني المخالف للشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني :

حكم الإسلام في الاختلاط والحجاب

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : مكانة المرأة في الإسلام

لقد تعرض وضع المرأة في الإسلام لهجوم شديد من أعداء الإسلام،وذلك لأنهم يعلمون أن فسادها يعني فساد الأجيال كلها،وقد رفع هذه الراية الباطلة المستغربون في ديار الإسلام،وأول شئ هاجموه هو "الحجاب " فقالوا عنه:

"ظاهرة عفنة " "رمز مذلة المرأة ومصادرة لما وهبتها إياه الطبيعة وصورة انقطاعها القسري عن الحياة الحقيقية الواسعة والخصيبة " "الحجاب تحجر وجمود " "الحجاب عودة للجاهلية الأولى " "الحجاب لا يصلح إلا في مجتمع قبلي جاهلي" .. وغير ذلك من الأقوال الباطلة،ولذلك كان ولابد من بيان حالة المرأة في الإسلام حتى تعتز المرأة بدينها ولا تسمع لأقوال المغرضين.

لقد تبوأت المرأة مكانة عالية في الإسلام،مكانة تحفظ لها كرامتها وإنسانيتها،وتصون عفافها، فالإسلام لا يعتبر المرأة جرثومة خبيثة كما اعتبرتها اليهودية والنصرانية قديما،بل يعتبرها نعمة يجب على الرجل أن يحمد ربّه تعالى عليها،قال تعالى: (ياأيها اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة،وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساأء)[٢٤]

والمرأة في ميزان الإسلام كالرجل فرض الله عليها التكاليف الشرعية،قال تعالى: (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها،ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)[٢٥]

والتناصر والتراحم في المجتمع الإسلامي والقيام بالأعباء الاجتماعية يشمل الرجال والنساء،قال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكـــاة ويطيعــون الله ورســوله أولئــك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)[٢٦]

وإيذاء المؤمنات في المجتمع الإسلامي كإيذاء المؤمنين يمقت الله صاحبه،قال تعـــالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا)[٢٧]

وجعل الإسلام حقوقا لكلا الزوجين على الآخر،قال تعالى: (ولهن مثل الــذي عليــهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)[٢٨]

والمراد بهذه الدرجة "درجة القوامة "التي نص الله عليها في قوله تعـــالى: (الرجــال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)[٢٩]

المسألة الثانية : التفاضل بين الرجل والمرأة

لقد تعرضت هذه الآية من كتاب الله لنقد شديد من أدعياء التقدم فقالوا: "هذا ظلم للمرأة وإهانة لها "،وقد ضل هؤلاء الذين ينسبون إلى الله الظلم وخاب سعيهم،فالله تعالى جعـــل التفضيل بينهما في أمرين :

الأول : الخصائص التي منحها الله تعالى للرجل.

الثاني : مسؤولية الإنفاق على الرجل وحده،وفي هذا تكليف له كافأه الإسلام عليه.

ومن هنا يتبين كذب أدعياء التقدم،وقد كذبهم أيضا العلم الحديث الذي يدعونـــه،حيــث **يقول الكسيس كاريل** : "إن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد فـــي الأشكــال الخاصة بأعضائهما التناسلية والرحم والحمل،وهي لا تتحدد أيضا في اختـــلاف طــرق تعليمها،بل إن هذه الفوارق هي ذات طبيعة أساسية من اختلاف نوع الأنسجة في جســـم كليهما،كما أن المرأة تختلف عن المرء كليا في المادة الكيماوية التي تفرز مـــن مبيــض الرحم داخل جسمها،والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفـــوارق الأساسية،فيدعون أنه لابد أن يكـــون لـــهما نـــوع واحـــد مـــن التعليـــم والمســـؤوليات والوظائف،ولكن المرأة في الواقع تختلف عن الرجل كل الاختلاف ،فكل خلية من جسمها تحمل طابعا أنثويا وهكذا تكون أعضاؤهما المختلفة،بل وأكثر من ذلك هذه حال طابعـــها العصبي،إن قوانين وظائف الأعضاء محدودة ومنضبطة كقوانين الفلك حيـــث لا نملــك

إحداث أي تغيير فيهما بمجرد الأمنيات البشرية،وعلينا أن نسلم بـــها كمـــا هـــي دون أن نسعى إلى ماهو غير طبيعي،وعلى النساء أن يقمن بتنمية مواهبهن بناءً على طبيعتـــهن الفطرية وأن يبتعدن عن تقليد الرجال " [٣٠]

المسألة الثالثة : حجاب المرأة في الإسلام

ليس المراد بالحجاب الإسلامي اللباس فحسب،فاللباس تعبير عن سلامة الظـــاهر مـــن الانحراف،وإنما المراد به سلامة الظاهر مع الباطن وهو الاعتقاد،فلابد أن تسلّم المـــرأة لأوامر الله تعالى راضية بها.

لقد جعل الإسلام هذا القانون الخاص للمرأة،ليحمي عقيدتها من التحريف،وكرامتها من المهانة،وطهارتها من النجاسة،وبدنـــها مـــن التـــهتك والفســـاد،وأنوثتـــها مـــن المســـخ والترجّل،وحقها من الضياع،وهذا القانون هو "الحجاب ومنع الاختلاط بالرجال "

كيف عالج الإسلام قضية الحجاب ؟

اولاً : لقد جاء الأمر بغض البصر في قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصـــارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون،وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها،وليضربن بخمرهن على جيوبهن،ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن..الآية)[٣١]

وعدّ الشرع النظرة نوعاً من أنواع الزنا،كما في حديث أبي هريـــرة عـــن النبـــيﷺ قال:"كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مـــدرك ذلـــك لامحالـــة:العينـــان زناهمـــا النظر،والرجل زناها الخطى،والقلب يهوى ويتمنى،ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه"[٣٢]

ثانيا : جاء الأمر بتحريم الخلوة بالمرأة حتى ولو كان الرجل من أقـــارب الـــزوج أو أقاربها من غير المحارم،فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رســـول اللهﷺ قـــال: " لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم "[٣٣] وعن عقبة بن عامر أن النبيﷺ قال: "إيـــاكم والدخول على النساء "فقال رجل من الأنصار أفرأيت الحمو؟ قالﷺ "الحمو الموت"[٣٤]

ثالثا : إن في تأديب الله تعالى لأمهات المؤمنين وتحديد علاقتهن بالرجال عظة بالغـــة ودرساً عظيماً،فهن أمهات المؤمنين مع خير جيلٍ وهم الصحابة،ومع ذلك وضع الله تعالى

لهم وللأمة هذا التشريع العظيم،قال تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين،وكان الله غفوراً رحيما)[٣٥] وقال تعالى: (يانسآء النبي لستن كأحد من النسآء أن اتقيتن،فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفا،وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله،إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٣٦] وقال تعالى: (وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب،ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)[٣٧]

فلقد حدد القرآن الكريم علاقة أمهات المؤمنين مع أولئك الرجال الأفاضل،فلقد أمرن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ويلزمن بيوتهن، ولايتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وبأن لا يخضعن في القول في مخاطبة الرجال فيطمع الذي في قلبه مرض، بل يتكلمن بمقدار الضرورة،وقد قرن الله تعالى هذا بأمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسولهﷺ ولقد كان ذلك كله،(ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)وأمر المؤمنين إذا أرادوا أن يسألوهن متاعاً أن يسألوهن من وراء حجاب (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)[٣٨]

وفي هذه الأحكام وغيرها من الأحكام الشرعية ردّ على أدعياء الفضيلة والعفة مع وجود الاختلاط المحرم بحجة سلامة القلب والنية،إن الإسلام لم يفرض الحجاب على المرأة إلا ليصونها عن الابتذال والتعرض للريبة والفحش وعن الوقوع في الجريمة.

المطلب الثاني : التبرج والاختلاط وآثاره السيئة على البشرية

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : التبرج أساس سقوط الدول

الذي يتابع أخبار المجتمعات الغربية يعلم أن سعادة المرأة هناك قد انهارت،وأضاعت المرأة هناك أمومتها الحانية،وفقدت إرادتها وشخصيتها،فغدت تحمل على كتفها الطفل اللقيط يسأل عن أبيه في البلاد وأين غاب ؟

يقول د/مصطفى السباعي: " فمن المعلوم تاريخياً أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها في الزينة والاختلاط،ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين،فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة محتشمة،فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح ويوطّدوا أركان إمبراطوريتهم العظيمة،فلما تبرجت المرأة وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة وهي في أتمّ زينة وأبهى حلة، فسدت أخلاق الرجال وضعفت ملكتهم الحربية،وانهارت حضارتهم انهياراً مريعا "

ويقول " إن عقلاء الأوربيين بدءوا يحذرون قومهم من المصير الذي انتهى إليه الرومان نتيجة الإفراط في تبرج المرأة واختلاطها " فنجد العلامة "لويز برول " يقول في مجلة المجلات،مجلد ١١ تحت عنوان: "الفساد السياسي " مايأتي:

" إن فساد الأسس السياسية وجد في كل زمان،ومن الغريب المدهش أن عوامله في الزمن الغابر هي نفس عوامله في الزمن الحاضر،يعني أن المرأة كانت العامل الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة " ثم أخذ هذا العالم يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ماكان في عهد الرومان حتى قال: " لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون صحبة النساء ذوات الطبائع الخفيفة اللائي كان عددهن بالغاً حدّ الكثرة،فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد،ترى الناس اندفعوا في تيار الحب البالغ حدّ الجنون وراء البذخ واللذات " ، وقالت الكاتبة الإنجليزية " اللادي كوك " في جريدة "اللايكو " " إن الاختلاط يألفه الرجال،ولهذا طمعت المرأة فيما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أبناء الزنا وههنا البلاء العظيم على المرأة " ثم قالت : " أما آن لنا أن نبحث عما يخفف،إن لم نقل يزيل ،هذه المصائب العائدة بالعار على الحضارة الغربية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم،بل الذنب على الرجل الذي أغرق المرأة المجبولة على رقة القلب ..يا أيها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ماذكرنا،علموهن الابتعاد عن الرجال،أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد،ولقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط الرجال بالنساء،ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرّضات للأخطار،ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية

للإسقاط لرأينا أضعاف مانرى الآن،لقد أدت بنا هذه الحال إلى حدّ من الدناءة لـــم يكـــن تصورها في الإمكان..وهذا غاية الهبوط بالمدنية " [٣٩]

ويقول " ول ديورانت " الكاتب الأمريكي المتفلسف المشهور،صاحب كتـــاب "قصـــة الحضارة "والمعادي للأديان عامة وللإسلام خاصة في كتابه "مباهج الفلسفة " :

" وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنـــا خطـــرة لأننـــا أغنيـــاء فـــي الآلات فقـــراء فـــي الأغراض،وقد ذهب اتزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الإيمان الدينـــي،وانـــتزع العلم منا الأسس العالية لأخلاقياتنا،ويبدو العالم كله مستغرقاً في فردية مضطربة تعكـــس تجزؤ خلقنا المضطرب .. " وقال "إننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفســـاد المـــاجن مـــن جهة،وبهذا الجنون النووي من جهة أخرى،حين نفقد الفلسفة التي بدونها نفقد هذه الفطـــرة الكلية التي توحّد الأغراض وترتب سلم الرغبـــات،إننـــا نـــهجر فـــي لحظـــة مثاليتنـــا السلمية،ونلقي بأنفسنا في هذا الانتحار الجماعي للحرب،وعندنا مائة ألف سياسي وليـــس عندنا" رجل حكم واحد " إننا نطوف حول الأرض بسرعة لم يسبق لها مثيـــل،ولكننـــا لا نعرف أين نذهب ولم نفكر في ذلك،أو هل نجد السعادة الشافية لأنفسنا المضطربة؟ إننـــا نهلك أنفسنا بمعرفتنا التي أسكرتنا بخمر القوة ولن ننجو منها بغير الحكمة " [٤٠]

ويقول" جورج بالوشي " في كتابه " الثورة الجنسية " : " فـــي عـــام ١٩٦٢م صـــرح كيندي بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقـــدر المسؤولية الملقاة على عاتقه،وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين،لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية "

وصرح "خروشوف "عام ١٩٦٢م "أن مستقبل روسيا في خطر،لأن شبابها لا يؤتمـــن على مستقبلها،لأنه مائع منحل غارق في الشهوات "

وفي إبريل عام ١٩٦٤م أثيرت في السويد ضجة كبرى عندما وجّه " ١٤٠ " طبيباً من الأطباء المرموقين مذكرة إلى الملك والبرلمان يطلبوا فيها اتخاذ إجـــراءات للحـــد مـــن الفوضى الجنسية التي تهدد حقاً حيوية الأمة وصحتها،وطالب الأطباء بسن قوانين ضـــد الانحلال الجنسي " [٤١]

وفي فرنسا أعلن المريشال "بيتان "عقب هزيمة بلاده أمام الألمان في الحرب العالميـــة الثانية " أن سر الكارثة يعود للفجور،وأصدر تشريعا يحدد للمرأة قياس ثوبها وأكمامـــها بشكل يستأصل دابر الفتنة .. [٤٢]

الخلاصة:

بعد هذا البيان لحكم الإسلام في الحجاب وحرمة الاختلاط، وبعد تعريـــف الاختـــلاط وآثاره السيئة على البشرية كلها وأنه سبب في دمار الأمم وإهلاكها، كسنة من ســـنن الله تعالى في الأمم الظالمة الفاجرة،وبعد ذكر بعض شهادات أهل هذه الحضارة البائسة على بؤس وشقاء حضارتهم وأهلها،ومحاولاتهم الدائمـــة للرجـــوع إلـــى الفضيلـــة ومكـــارم الأخلاق،ومع ذلك فهم يدمرون حصوننا الداخلية بنفس هذا السلاح الفتاك حســـداً منـــهم للأمة الإسلامية،حتى قال بعض أقطاب المستعمرين " كأس وغانية تفعلان فـــي تحطيـــم الأمة الإسلامية أكثر مما يفعله ألف مدفع فأغرقوها في حب المادة والشهوات "

ويقول المتنصر الأمريكي "بيارد دودج" في محاضرة له عن الإسلام : " ويلوح لي أن هووليود قد أثرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر من تأثير مدارسهم الدينية "[٤٣]

وفي الحقيقة : لقد أدرك أحفاد التتار والصليبيين والرومان..وغيرهم من الكفار أن مـــن أكبر مالقيه آباؤنا الأولون من العون في فتوحاتهم لفارس والروم،وذلـــك بعـــد الإيمـــان بالله،إنما جاء من انحلال الأخلاق في هاتين الدولتين،فكان الدم الجديد ممثلا فـــي تلاميـــذ مدرسة النبوة ينازل الدم الفاسد المهترئ ممثلا في جنود الإمبراطوريتين،فلم يكن عجيبـــا أن يقهر الإيمان الكفر،وأن تغلب القوة الضعف،وأن تهزم الصلابة الميوعة ..ثم لقد علـــم هؤلاء الموتورون أننا لم نخسر أمجادنا العظيمة إلا عندما فتحنا قلوبنا وعقولنـــا وبيوتنـــا لسموم هذه الأمم تكتسح بميوعتها صلابتنا،وتذيب برذائلها رجولتنا،فكانت هزيمتنـــا يـــوم ذاك هزيمة الخلائق قبل أن تكون هزيمة المعارك [٤٤]

المسألة الثانية: مشاكل الحجاب في مجتمع الأقليات

لقد أصبح حجاب المرأة المسلمة من أكبر المشاكل في مجتمع الأقليات وذلك لعدة أمور منها :

أولا : أنه رمز للمرأة المسلمة في مجتمعات لادينية،وبالتالي فإنها تحــارب أي شعــار ديني كجزء من عقيدتها،أو مجتمعات إباحية تستقبح رؤية الطهر والعفاف، ولذلك تحاربه قولا وفعلا،كمثل قوم لوط عليه السلام كما قص الله تعالى عنهم: (أخرجوا آل لوط مــن قريتكم إنهم أناس يتطهرون)[٤٥]

ثانيا : أن القانون يفرض التعليم على الجميع،ويسجن من يخالف هذا القانون،وبالتــالي لابد من ذهاب البنات إلى المدارس وما فيها من شرور الإباحية بكل صورها،ولذلــك لا يسلم من الانحراف إلا من رحم الله تعالى،وفي نفس الوقت فلقد سنت كثير مــن الــدول القوانين التي تمنع الحجاب بالنسبة للطالبات،وبخاصة في الآونة المتأخرة حينما شعــروا بسقوط حضارتهم أمام معاول الهدم التي صنعوها بأيديهم،غير أنهم يستكبرون طالمــا أن الأمر يخص الإسلام،فالكل يعتبر الإسلام خصما له ولا يريد أن يكون بديلا عنــه يومــا ما،ولقد ثار جدل كبير بين المسلمين هناك حول هذا الموضوع فــي بريطانيــا وفرنســا وألمانيا ..وغيرهم من الدول ..[٤٦]

ثالثا: ظهور جماعات تفرقة عنصرية كثيرة،وبخاصة في الدول الأوربية،والتي تسكت عنها الحكومات لمصلحة عليا لها في كثير من الأحيان،وهذه الجماعات في الغالب مسلحة وتعتدي على المسلمين خاصة،ومن هذه الجماعات مثلا فرق النازية الجدد فــي ألمانيــا والتي أحرقت كثيرا من بيوت الأتراك هناك، على اعتبار أن ألمانيا للألمان،ونفس الشعار في بقية الدول،وبوجه عام أوربا متضايقة من وجود المسلمين فيها،من أي أصــل كــانوا وبخاصة من الشمال الإفريقي والذين يذكرونهم دائما بالفتوحات في الأندلس سابقا

رابعا: ضرورة العمل لبعض المسلمات هناك، سواء لضعف التــأمين الاجتمــاعي، أو لزيادة الأعباء المالية عندهم في الداخل والخارج،وقــد يكــون بدافــع التقليــد الأعمــى للكافرات،وغير ذلك

ولا يخفى ما في من الاختلاط المحرم،ولقد وقع في هذا الأمر كثيرات من المســلمات في ديار الإسلام، وفي ديار الكفر من باب أولى،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الثالث :

أحكام الطعام والشراب

مما يشكو منه المسلمون في سفرهم أو إقامتهم في مناطق الأقليات الإسلامية،مسألة الطعام والشراب،وهي مسألة تسبب حرجا للمسلمين،فللإسلام نظرية متكاملة في الطعام والشراب وآداب تحولت مع الزمن إلى عادات يشعر المسلم بالإثم والحرج عند مخالفتها،ولذا كان من المهم توضيح هذه المسألة المهمة.

وفي هذا المبحث مطلبان :

المطلب الأول : هدي الإسلام في الطعام والشراب

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى: بيان الحلال والحرام فيهما

لقد أمر الإسلام المسلم بأن يأكل من طيبات ما رزقه الله ولا يقرب الخبيث من المأكل والمشرب،قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون،إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله)[٤٧]

وقال تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم)[٤٨]

ففي هذه الآيات أمر الله تعالى بالأكل من الطيبات وحرم علينا الخبائث،وأعلمنا بأنواع هذه الخبائث المحرمة على سبيل الإجمال ثم جاءت السنة بتفصيل كل شئ.

كما حرم الإسلام الخمر وما يقاس عليه،قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)[٤٩]

وكذلك جاء في السنة النبوية تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير،وذلك لصلابة عضلاتها وتلون لحمها وقبح رائحتها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "نهى رسول اللهﷺ عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير"[٥٠]

ويرجع النهي عن الأكل من هذه المذكورات وغيرها مما ورد به الدليل الشرعي،إلى أنها من الخبائث،ثم أنها مضرة جدا بالإنسان،والله سبحانه وتعالى هو الأعلم بما يصلح لخلقه،ويجب علينا اجتنابها وتحريمها سواء أثبت الطب الحديث ضررها أو لم يثبت،لأن الله حرمها،فكيف إذن لو اتفق العلم اتفاقا تاما مع الحقائق الشرعية على ضررها ؟

وإليك بعض شهادات العلم الحديث على إثبات الضرر الشديد لهذه المحرمات.

المسألة الثانية : بيان أضرار تناول هذه المحرمات

ونذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

اضرار اكل الميتة :

الميتة .. هي الحيوان الذي مات ميتة طبيعية،أو بحادثة من الحوادث،فالذي يموت ميتة طبيعية لا يموت إلا لسبب،فإن كان لمرض فمما لاشك فيه أنه يبقى في اللحم أثر لهذا المرض حتى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق النار،فالجسم الميت في هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمر الذي مهما طهر من الجراثيم بالحرارة يظل مضرا بالإنسان،وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة،وإذا كانت الميتة بالشيخوخة،فضررها كضرر الميتة بالمرض،لأن الشيخوخة معناها انحلال أحد الأنسجة قبل الأنسجة الأخرى فتؤدي إلى انحلال الكل،وانحلال أحد الأنسجة لا يأتي إلا لضعف طبيعي فيها أو بمرض تدريجي يحدث تغييرات في لحوم الحيوان تقلل من قيمتها الغذائية وقابليتها للهضم.

اضرار تناول الدم :

حرم الإسلام تناول الدم لأنه أصلح وسط لنمو الجراثيم وتوالدها وانتشارها،ولأنه يحمل إفرازات وسموما يجب التخلص منها،كما يحمل معه محتويا ت البول،أما إذا أخذ دم الحيوان المريض فهنالك الطامة الكبرى،والدم لا يعتبر غذاء مطلقا ،ونوع الزلال الذي فيه يعتبر من أردئه.

أضرار أكل لحم الخنزير:

مذهب جمهور العلماء على أن لحم الخنزير يشمل جميع أجزائه في التحريم،وإنما نص الله تعالى عليه من بين سائر الخبائث من السباع،لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحل لهم ذلك،فأراد الله أن ينص على أنه محرم ومن جملة الخبائث [٥١] وفيه من المضار مالا يحصى.

يقول "بيتي وديكسون" عن الإصابة بدودة لحم الخنزير "إن الإصابة بها تكاد تكون عامة في جهات خاصة من فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا،ولكنها تكاد تكون نادرة الوجود في البلاد الشرقية لتحريم دين أهلها أكل لحم الخنزير،وينقل لحم الخنزير كذلك مرض "التريخينا" للإنسان .[٥٢]

ويقول د/أحمد جواد : "الخنزير حيوان قذر يأكل النجاسات والقمامة ومخلفات المجازر والجيف والجرذان..إلى غير ذلك،ويصاب بعدد كبير من الأمراض -وبائية وغير وبائية -لا تقل عن٤٥٠ مرضا،ويقوم بدور الوسيط لنقل أكثر من ٥٧ مرضا وبائيا للإنسان،غير الأمراض العادية الأخرى التي يسببها أكل لحمه مثل: تليف الكبد وعسر الهضم والحساسية الغذائية وتصلب الشرايين وتساقط شعر الرأس وضعف الذاكرة والعقم وتنشيطه لمرض الربو والروماتيزم وكثرة الأكياس الدهنية،ثم آثاره السيئة على العفة والغيرة في التكوين النفسي،وينقل الخنزير بمفرده ٢٧ مرضا إلى الإنسان وتشاركه بعض الحيوانات الأخرى في بقية الأمراض،على أنه يقوم بدور المخزن والمصدر الأساسي لهذه الأمراض في نقلها إلى الإنسان مباشرة منه أو بنقلها أولا إلى الحيوانات القابلة للعدوى ثم ينقل إلى الإنسان، وأمثلة ذلك "الكلب الكاذب" أو"داء أوجسكي" "وداء وايل" "والحمى اليابانية" "والحمى المتموجة" "والحمى الخنزيرية"..الخ.[٥٣]

الخنزير والتأثير السيئ في العفة والغيرة :

يقول د/الفنجري : "إن الذين يأكلون الحيوانات الكاسرة وآكلة اللحوم عادة ما تكون طباعهم شريرة ويميلون إلى ارتكاب الآثام والجرائم..وإذا تأملنا جيدا تصرفات الخنزير لوجدنا أنه الحيوان الشاذ الوحيد عن بقية الحيوانات،فالخنزير لا يأبه مثلا أن خنزيرته تتزاوج مع غيره أمامه ونصب عينيه وهذه العادة شاذة عن بقية الحيوانات

الأخرى،وتتأثر طباع الإنسان جدا نتيجة أكله لحم الخنزير،ولذلك نجد زيادة في انحطاط الأخلاق وانتشار فواحش اللواط والسحاق والزنى والدعارة كما هو موجود الآن في المجتمعات كما يتصف الخنزير بكثير من الأخلاق الذميمة مثل الحرص واللؤم والتوتر والاكتئاب والجبن والافتراس والكسل والنهم والقذارة والشبق والدياثة والشذوذ الجنسي. "[٥٤]

أضرار تعاطي الخمر:

وللوقاية من كثير من الأمراض حرم الإسلام الخمر،بل والتداوي به كما في حديث طارق بن سويد الجعفي أنه سأل النبيﷺ عن الخمر وكره أن يصنعها،فقال:إنما أصنعها للدواء فقال: " إنه ليس بدواء ولكنه داء "[٥٥]

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: "كل مسكر خمر،وكل خمر حرام " [٥٦]

فهكذا حكم الإسلام بتحريمها وفسادها ورجسيتها .

واتفق الأطباء قديما وحديثا على ضررها البالغ في جميع أجهزة الجسم،حتى قال بعض الإطباء : "اقفلوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبارستانات والسجون "[٥٧]

وقد أشاد بعض الكتاب الغربيين بتشريع الإسلام في مكافحة الخمر،فقال "بتنام" في كتابه" أصول الشرائع" "النبيذ في الأقاليم الشمالية يجعل الإنسان كالأبله،وفي الأقاليم الجنوبية يصير كالمجنون،وقد حرمت ديانة محمد"ﷺ " جميع المشروبات وهذا من محاسنها "[٥٨]

المطلب الثاني : مشاكل الأقليات المسلمة في الطعام والشراب

وفيه ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : مشكلة الذبائح

وتكمن هذه المشكلة في أن الدول الكافرة تعتقد أن طريقة الصعق الكهربائي أو الخنق أرحم بالحيوان من الطريقة الإسلامية،ولذلك تقوم جمعية الرفق بالحيوان بمعارك

مفتعلة تثير بها الشكوك والشبهات حول الطريقة الإسلامية،مما يـــترتب عليــه قيــام الحكومات باعتماد المسالخ التي تقوم على الصعق الكهربائي والخنق والتضييق علـــى المسلمين في طعامهم الحلال.

يقول د/عبد المجيد قطمة "رئيس الجمعية الطبية الإسلامية بلندن " : "إن طريقتنا في الذبح هي أكثر صحية وإنسانية كما أنها أرحم للحيوان،ففي الذبح يجــري قطــع الــدم بصورة سريعة جدا عن المخ ومراكز الإحساس فلا يشعر الحيوان بمـــا يحــدث بعــد ذلك..ولدينا آراء من فقهاء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ترفض الصعق الكهربائي شرعا،والسبب أن هناك وسيلة محددة للذبح نفذها النبيﷺ ،وقد رأى الفقهاء أن هنـــاك إمكانية لموت الذبيحة نتيجة الصعق الكهربائي مما يجعلها من الميتة المحرمة..وأيضا حرمة الدم معروفة بمعنى استهلاكه أكلا أو شربا،وفي الصعق تبقى الدماء في الذبيحة وبكثرة في الأنسجة والخلايا، أي أن الصعق لا يحقق النزف الشامل لأنه يؤثر علـــى القلب ويقلل من نبضاته وقد يوقفه..ومن الملاحظات العلمية الصحية المتفق عليـــها أن الدم يحتوي إفرازات ومواد كيماوية سامة وجراثيم ولهذا أيضا يــؤدي الصعــق إلــى ضرر صحي كبير..والصعق عدة أنواع :

منه الكهربائي،ومنه الخنق الكيماوي بأوكسيد الكربون،فهذا يميت الحيــوان ويبقــي دمه فيه وهذا غير صحي وضار،ومنه تغطيس رؤوس الدواجن في ماء مكهرب وهذه عملية غرق "اختناقا " إلى جانب تأثير الصعق الكهربائي.. "

ومن المفيد القول : أن مسألة الذبح الحلال لم يتأثر بها المسلمون كأقليات فحسب،بل المسلمون في العالم كله خاصة الذين يستوردون اللحوم من الخـــارج،وينصــح بعمــل مزارع ومسالخ خاصة بالمسلمين في الخارج لتفادي هذه المشكلة "[٥٩]

المسألة الثانية : مشكلة الدهون في الأطعمة

يقول د/أحمد حسين صقر-مدير جامعة المشرق والمغرب في شيكـــاغو- : "يواجــه المسلمون الذين يعيشون في مجتمعات غير مسلمة مشاكل كثيرة بسبب وجـــود دهنيــات خنزيرية في معظم الأطعمة الموجودة في الأسواق وقد حرم الله تعالى أكل الخنزير سواء كان لحمه أو دهنه أو بعضا من محتوياته أو مشتقاته،وعلى أية حال فإنه يــترتب علـــى

المسلمين أن يتحققوا دائما من محتويات الأطعمة وأن يتأكدوا من عـدم اشتمالـها علـى الدهون الخنزيرية،وعند شراء الأطعمة يجب على المسلم الإنتباه إلى هذه الكلمات:

١-الدهون shortening

فهذه الكلمة عامة تشمل الدهون النباتية والحيوانية،فإذا كانت حيوانية فهل تشتمل على دهن خنزير أم لا؟

وذلك لأنه أرخص الدهون وفي الغالب يستخدم دون غيره ولذلك هم يطلقـون دائمـا هذه العبارة المبهمة، وكذلك إذا قالوا دهون حيوانية animal shortening

٢-هذه الكلمات معناها لحم خنزير .pork-ham-bacon

٣-هذه الكلمة معناها شحم خنزير lard

٤-كلمة جيلاتين gelatin ويقصد بها مادة الجيلاتين والتي تستخرج من النبـات والحيوان،فيجب التأكد من النوع الحيواني هل من الخنزير أم لا ؟وإن كانت مـن البقـر والأغنام فيجب التأكد من عملية الذبح ، ومن الثابت أن أرخص الحيوانات فـي أمريكـا الشمالية وفي العالم أجمع هو الخنزير،ولذا فعلى المسلم أن يتوقع دائما وجـود مشتقـات خنزيرية في الأطعمة، " في الخبز والحلويات والجاتو والبسكويت والمعلبـات واللحـوم والشوربة " والدجاج المحمر" لأنه يطلى بشحم الخنزير قبل تحميره،والبيـض والسـمك المشوي والجبن والجيلو ..وغير ذلك من الأطعمة،وحتـى فـي الأدويـة والفيتامينـات ..وغيرها "[٦٠]

ومن هنا يظهر مقدار المأساة التي يعيشها في تلك المجتمعات الملوثة في كل شئ .

حرمة التداوي بالخنزير :

عن أبي هريرة قال : " نهى النبيﷺ عن الدواء الخبيث " [٦١]

قال الخطابي: "الدواء الخبيث قد يكون خبثـه مـن وجـهين : أحدهمـا : خبـث النجاسة،وهو أن يدخله المحرم كالخمر ونحوها من لحوم الحيوان غير مأكولة اللحم،وقـد يصف الأطباء بعض الأبوال وعذرة بعض الحيوان لبعض العلل،وكلها نجسـة وتناولـها

محرم إلا ما خصته السنة من أبوال الإبل فقد رخص فيها النبيﷺ لنفر من عرينة وعكل [٦٢] ولقد تقدم حديث طارق بن سويد وفيه تحريم النبي ﷺ التداوي بالخمر.

وعن أبي الدرداء أن النبيﷺ قال : "إن الله أنزل الـداء والـدواء، وجعـل لكـل داء دواء،فتداووا ولا تداووا بحرام "[٦٣]

حرمة التجارة في هذه المحرمات :

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله حرم الخمر وثمنها، وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه "[٦٤]

ولذلك يجب على المسلمين في تلك الديار أن يجتنبوا كل هذه المحرمات امتثالا لأمـر ربهم سبحانه وتعالى.

وإذا كانت الدول الغربية وأمريكا وغير ذلك تأكل الخنزير والميتة..فهناك الكثير مـن الدول الآسيوية كالصين وتايلاند والفلبين ..وغيرهم يأكلون كل شئ خبيث حتى الكـلاب والقطط والحيات والقرود وسائر الحشرات والحيوانات المفترسة ..الخ

والعلاج الوحيد أن يحاول المسلمون تجميع أنفسهم داخل كيانات مستقلة بقدر الإمكـان حتى يستطيعوا مواجهة هذا الواقع المرير.والله المستعان.

المسألة الثالثة : مشكلة الأكل في آنية الكفار

ومن المشاكل التي تعرض للمسلمين في تلك الديار الأكل في آنية الكفار، سـواء مـن أهل الكتاب أو المجوس أو غيرهم،وهذا مما تعم به البلوى ويصعب التحرز منـه،وهـذه الآنية يطبخ فيها الخنزير وغيره من الحيوانات الخبيثة،وكذلك يشرب فيها الخمر.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ماذا يفعل المسلمون حيال هذا الواقع ؟

والجواب :في حديث النبيﷺ لما سأله أبو ثعلبة الخشني : "يا نبي الله إنا بأرض قـوم أهل كتاب، أفنأكل في آنيتهم ؟ قال: أما ماذكرت من أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فـلا تأكلوا فيها،وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها " وفي رواية للإمام أحمد .قال:قلـت: يـا رسول الله إ نا أهل سفر نمر باليهود والنصارى والمجوس ولانجد غير آنيتهم،قال :فإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ثم كلوا فيها واشربوا "[٦٥]

الخلاصة :

في الحقيقة إن مشكلة الطعام والشراب من المشاكل الخطيرة وذلك لعدة أسباب :

أولا :عموم المصيبة بالطعام الحرام والذي تدعمه الحكومات بكل جهدها مع تعذر البديل الحلال في الغالب،وذلك يرجع لضعف إمكانيات الأقليات المسلمة،والتي تعيش في الغالب تحت خط الفقر،فلا تستطيع أن تمتلك مزارع ولامسالخ ولا مصانع خاصة،مع غلاء أثمان المواد الحلال مقارنة بالمواد الحرام،وذلك لأن الأخيرة تدعم من الحكومات،وبالتالي يقع المسلمون تحت وطأة هذا الواقع الأليم.

ثانيا : سياسة الحكومات المتعمدة في إيذاء المسلمين والتضييق بإجبارهم على تناول المحرمات بهدف تذويب شخصيتهم في المجتمع ومحو كيانهم الاجتماعي المتميز مع الأيام.

ثالثا :عموم الجهل الذي انتشر بين المسلمين،حتى أن كثيرا من المسلمين أصبح لا يفرق بين الحلال والحرام،وانتشر بينهم شرب الخمر جدا وفي اعتقادهم أنه لا شيء فيه،وأذكر على سبيل المثال قصة حدثت معي شخصيا حينما كنت في زيارة لجمهورية كازاخستان وبالتحديد مدينة "جيمكنت " في عام ١٩٩٥م وألقيت محاضرة حول "هدي الإسلام في تحريم الخبائث " وفي نهاية المحاضرة سألني أحدهم : هل الخمر حرام ؟

والحقيقة : أن علاج هذه القضايا يحتاج إلى جهد كبير من المسلمين في العالم الإسلامي لمساعدة إخوانهم في دينهم ودنياهم،وكذلك استعداد المسلمين هناك للرجوع إلى منهج الله تعالى والعمل به،ومن هنا تنجح محاولات البناء والإصلاح بينهم .

المبحث الرابع :

الأقليات المسلمة ومشكلات التعليم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : العلم بين منهج الإسلام والمناهج الجاهلية

وفيه ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى : منزلة العلم في الإسلام

تهمة وجوابها :

لقد ذاعت بين الأوربيين في القرن الماضي تهمة خاطئة مؤداها :أن الإسلام كان حرباً على حرية الفكر،وأنه كبت جميع الحركات العلمية وحارب العلم والفلسفة،وكان العالم الفرنسي " أرنست رينان " أبرز دعاة هذه التهمة بما أعلنه في كتابه "الإسلام والعلم "[٦٦]

وهذه تهمة باطلة يكذبها النقل والعقل والتاريخ وبيان ذلك كالتالي :

لقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بالعلم حتى أن أول آية نزلت في القرآن الكريم تأمر بالعلم ،قال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق،اقرأ وربك الأكرم،الذي علم بالقلم،علّم الإنسان مالم يعلم)[٦٧]

وقال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب)[٦٨]

وقال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[٦٩]

وقال تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط)[٧٠]

وغير ذلك كثير من الآيات القرآنية،وكذلك جاءت أحاديث كثيرة في السنة النبوية..منها:قوله ﷺ : "طلب العلم فريضة على كل مسلم " [٧١]

قال الحافظ السخاوي : " قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث : " ومسلمة " وليس لها ذكر في شئ من طرقه وإن كان معناها صحيحاً "[٧٢]

المسألة الثانية : إعجاز القرآن الكريم

القرآن الكريم آية فريدة بين آيات الرسل جميعاً،إذْ هي آية باقية دائمة خالدة لا تـــزول بوفاة من نزلت عليه كما هو الحال بالنسبة للرسل السابقين،وهي آيـــة تخـاطب العقــول والقلوب،كما تخاطب فطرة الإنسان عبر الزمان والمكان،لقــد كـــانت معجــزة الوحـــي المتلو:القرآن الكريم،وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " ما من الأنبياء من نبي إلا قد أ عطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر،وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلـــيّ ،وأرجـــو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "[٧٣]

فلم يشأ الحق سبحانه وتعالى أن يجعل معجزة الرسالة الأخـــيرة حســية تُذهــل مــن يراها،فلو شاء لأنزل معجزة قاهرة تلوي أعناق الذين يشاهدونها،كما قال تعالى : (إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين)[٧٤]

لقد شاء الله أن تكون الرسالة مفتوحة إلى الأمم كلها وللأجيال كلها،وليســـت رســـالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان،فناسب أن تكون معجزتها مفتوحـــة كذلــك للبعيــد والقريب،لكل أمة وكل جيل، والخوارق القاهرة لا تلوي إلا أعناق من يشاهدونها ثم تبقى بعد ذلك قصة تروى لا واقعاً يشاهد،هاهي معجزة نبينا ﷺ بعد أكثر من أربعـــة عشــر قرناً،لا تزال كتاباً مفتوحاً ومنهجاً مرسوماً،يستمد منه أهل هذا الزمان ما يقوّم حياتهم لو هدوا إلى اتخاذه إماما،ويلبي حاجاتهم كاملة ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل وأفق أعلـــى ومصير أمثل "[٧٥]

والناظر في القرآن الكريم يرى أنه سبق العالم قديماً وحديثاً في إثبات حقائق علمية لم يتوصل إليها العلماء إلا بعد جهود مضنية ودراسات طويلة، ولا عجب في ذلك فـــالقرآن الكريم قوله وأمره سبحانه وتعالى، والخلق خلقه،وقال تعالى: (ألا له الخلق والأمر)[٧٦]

والنفوس الإنسانية تخضع خضوعاً عظيماً عندما تعلم أسرار مذهلة لم يكن للبشر علم بها،والأعجب من ذلك أن الذي نقلها نبي أميّ وهو محمد ﷺ ،فلو لم يكن هذا القرآن وحياً من الخالق سبحانه وتعالى لما استطاع النبيﷺ أن يقرر هذه الحقائق المجهولة والأسرار الخفية،قال تعالى : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطـــه بيمينــك إذاً لارتـــاب المبطلون)[٧٧]

شهادات علماء الغرب للإسلام :

شهادة جوستاف لوبون :

يقول جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب " خضع الشرق لكثير من الشعوب كالفرس والإغريق والرومان..الخ،ولكن تأثير هذه الشعوب السياسي إذا كان عظيماً فيه فإن تأثيرها المدني فيه كان ضعيفاً للغاية،وما عجز الإغريق والفرس والرومان عنه في الشرق،قدر عليه العرب بسرعة ومن غير إكراه،وما وفق له العرب في مصر اتفق لهم مثله في كل بلد خفقت فوقه رايتهم كإفريقية وسورية وفارس ..الخ،وقد بلغ نفوذهم بلاد الهند التي لم يدخلوها إلا عابري سبيل،وقد كان لهم تأثير واضح في بلاد الصين التي لم يزوروها إلا تجاراً .. ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بالغ كالعرب،فجميع الأمم التي كان لها صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولو حيناً من الزمان .. ولم يتجلّ تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها،بل كان لهم الأثر البالغ في ثقافته العلمية أيضا،وقد نقل العرب إلى الهند والصين قسماً كبيراً من معارفهم العلمية التي عدّها الأوربيون على غير حق من أصل هندي أو صيني .. ونثبت الآن أيضاً أن تأثير العرب في الغرب عظيم كتأثيرهم في الشرق وأن أوربا مدينة للعرب بحضارتها .. ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوربا حينما أدخل العرب الحضارة إليها،فإذا رجعنا إلى القرن التاسع من الميلاد حين كانت حضارة العرب الأندلسية في أوج نضارتها رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها أمراء إقطاعيون متوحشون يفخرون بعجزهم عن القراءة .. مضت مدة طويلة قبل شعور أوربا بهمجيتها ولم يبد ميلها إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي،فلما ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل عنهم ولّوا وجوههم نحو العرب "

ونقل عن الأستاذ " ليبري "قوله : " لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة عدة قرون "[٧٨]

ومما تقدم يتبين بطلان قول "أرنست رينان " المتقدم،والذي تناسى أن الحرب بين الدين والعلم كانت في أوربا وليست في بلاد المسلمين،وبيان ذلك يتضح في المسألة الثالثة.

المسألة الثالثة : الصراع بين العلم والدين في أوروبا

لقد ظل التدين النصراني "الكنسي المحرف" هو السائد في الغـرب ونصوصه هي المتحكمة في حياة الناس ومصائرهم،وظل الأمر كذلك طيلة القرون السبعة عشر الميلادية بالرغم من الآراء التحررية التي أعلنها بعض المفكرين وطلاب البعثات العربية الذين درسوا في المدارس والجامعات الإسلامية في الأندلس والمغرب، والذين اتصلوا عبر الحروب الصليبية بالشرق الإسلامي،وبالرغم من ظهور تلك الموجه التحررية من أمثال "لوثر وكالفن " في منتصف القرن السادس عشر الميلادي ..وغيرهما والذين كان لهم أكبر الأثر في تحرر الغرب من سلطات الكنيسة المتحكمة،إلا أنه بقي سلطان الكنيسة هو الأقوى يحرّق ويشرّد ويقتل المفكرين،وفي القرن الثامن عشر بدأ سلطانها يتقهقر بتقدم العلم وتنوّر العقول وظهر الاتجاه إلى سيادة العقل أو ما يسمى" بالتنوير" والتحرر من تعاليم الكنيسة المتحجرة،وكثر المؤلفون الذين قادوا الحركة الفكرية أمثال "ولف ولسنج ونيتشه في ألمانيا، وفولتير وبيلي ولاندي في فرنسا،ولوك في انجلترا،فكانت ثورة عقلية عارمة شملت جميع أوجه الحياة ونشاطاتها العلمية والعملية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،وهي حركة مادية إلحادية علمانية رغم ما تحمله من وسائل وعلوم ومخترعات،لأنها لم تهتد بهدي الله تعالى فهوت بالبشرية إلى الشقاء والقلق والانحراف الخلقي والفساد،ولقد اتجه العلم والتقدم إلى تهديد البشرية بالدمار،وكلما زاد التقدم العلمي في الغرب زادت الفجوة بين الدين والحياة الواقعية وبين المادة والروح، فأنشأ هذا الفصام أجيالاً حائرة قلقة لا تعرف للفضيلة قيمة ولا للسعادة معنى تحمل حتفها بعلمها وتقدمها فاعتنقت مذاهب فاسدة تعذ بت بها أ يما عذاب .. والعجيب أن هذه المذاهب الهدّامة جاءت إلى البلاد الإسلامية وأثرت فيه، وأشهرها العلمانية والحداثية،ولا تزال رحى الحرب الفكرية بين الإسلام والمذاهب الجاهلية قائمة،والعاقبة للمتقين.[٧٩]

وفي وسط هذا الواقع الجاهلي في العقيدة والفكر والسياسة والأخلاق والآداب ..الخ يعيش المسلمون غربة حقيقية في مجتمع الأقليات، إذ كيف سيتعايش المغلوب مع الغالب،والذي يريد أن يفرض عليه قوته ولغته وفكره وإلحاده، ويؤخذ الإنسان إلى هذه المؤسسات العلمية بالقوة لكي يتعلم أصول هذه الحضارة الفاسدة،فماذا يفعل المسلمون حيال هذا الواقع الأليم المفروض عليهم ؟

المطلب الثاني : مشكلات التربية والتعليم وطرق حلها

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى: مشكلات التربية والتعليم

لعل من أخطر المشكلات التربوية التي تواجه الأقليات المسلمة هي أن المسلم لا يعيش مجتمعاً إسلامياً،ولا يخفى أن المجتمع هو الوسيط المُربي الأساسي،إذ مهما تعددت وسائل التربية فسوف يظل المجتمع هو" الرحم "الذي تنبت فيه شخصية المواطن،إن خيراً فخير وإن شراً فشر،ومن هنا فإن وجود المسلم جزءاً من أقلية غير مسلمة يجعله يضع أبناءه في "رحم "مختلف تماماً يغذيه آناء الليل وأطراف النهار بالقيم والمبادئ الغير إسلامية.

ولاشك أن هذا الواقع يعيق ماقد يتم من تربية إسلامية لأبناء المسلمين،بالإضافة إلى أنه يدفع الأبناء في صراع حاد بين التربية الإسلامية والتربية الاجتماعية،وهو وإن أخلص لإسلامه خاف أن يبدو في الوسط الأكبر غريباً معزولاً،وإن انغمس في هذا الوسط بما فيه من حرام عاش معذباً بضميره لأنه ترك طريق الإسلام.

وهذه المشكلة تنقلنا إلى مشكلة أخرى وهي مشكلة "الأصالة والمعاصرة " بمعنى كيف يصبح الإنسان مسلماً حقاً ومعاصراً يعيش مطالب العصر الحديث؟

ومن أهم المشكلات أيضاً أن أبناءهم وبناتهم يدرسون على أيدي معلمين غير مسلمين في أغلب الأحيان مما يعرضهم لخطر الذوبان في المجتمع الكبير،بالإضافة إلى الاختلاط بين البنين والبنات في جميع المراحل التعليمية وما يترتب عليه من فساد عظيم،ويترتب على هذا الواقع ظهور جماعات الرفاق والتي تلعب دوراً خطيراً في التأثير على شخصية الطالب لدرجة قد يستحيل معها الإصلاح.

ومن المشكلات المهمة أيضاً غياب اللغة العربية،وبالتالي كيف يتعلم المسلم دينه،وكتب الترجمات لا تؤدي إلا تأثيراً ضعيفاً في الغالب بالنسبة للمسلمين،ولذلك تحرص المجتمعات الكافرة على محاربة اللغة العربية، وفي المقابل تفرض لغتها على المسلمين،وذلك حتى لا يبقى للإسلام أثر ظاهر في مجتمعاتهم،وأما الجاليات من أصول عربية فهم في الغالب ينسون اللغة العربية مع الأيام،بالإضافة إلى قلة معلمي اللغة

العربية والتربية الإسلامية،وكل الجهود المبذولة في هذا المجال قليلة وضعيفة،كما أن التعليم يحتاج دائما إلى قاعدة اقتصادية يقوم عليها،وهذا بطبيعة الحال غير متوفر،بل في كثير من الأوقات قد لا يجدون لقمة العيش فضلا عن غيرها،كما أن تردي الوضع الاقتصادي يترتب عليه تردي الوضع الصحي وهذا وذاك يشكل عقبة أمام التعليم.

ومن ناحية أخرى :ترجع صعوبة إنشاء المدارس الإسلامية إلى غلاء أسعار بنائها جدا في كثير من بلدان العالم،كما أن كثيرا من الجهود التعليمية تذهب سدى بسبب المشكلات المفتعلة داخليا وخارجيا،وقد يرجع ذلك إلى فساد نوايا البعض إلا من رحم الله،كمحبة الظهور والتنافس على المراكز مما يضيع جهد الجميع .

وأما الكتب الدينية والدراسية فهي قليلة جدا ،وقد يرجع هذا أيضا إلى ضغوط داخلية وخارجية مصطنعة للتضييق على المسلمين. [٨٠]

فهذا هو الإطار العام لمشكلة التعليم عند الأقليات المسلمة،ويمكن تلخيص هذه المشكلات في النقاط التالية :

١-التأثير السلبي للمجتمع المنحل والمتعدد الثقافات،وحيث طغت الحياة المادية،وانعدمت الأخلاق والقيم،فكل هذا كان له أثر سيئ في حياة الطفل المسلم.

٢-الصبغة الإلحادية أو الدينية المحرفة والتي تظهر في التعليم بحسب طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه أبناء المسلمين وأثره السيئ في عقيدة الأبناء.

٣-المناهج الإسلامية تقرر من قبل غير المسلمين،وكذلك تدريسها فإنه يتم على أيدي مدرسين غير مسلمين،كما أن الكتب والمراجع غير موثوق بها.

٤-النقص الكبير في المدرسين الأكفاء،حيث أن معظمهم تم إعدادهم بلغتهم القومية وفي مدارس علمانية.

٥-عدم توافر المراجع الإسلامية المترجمة إلى اللغات الأجنبية والتي تشرح الإسلام شرحا وافيا.

٦-غياب الدراسات العربية من المدارس إما بسبب عدم توفر الكتاب أو المدرس أو غير ذلك من أسباب داخلية وخارجية.

٧-الدراسات الإسلامية المقدمة في المساجد والمراكز الإسلامية لا تكفي المسلمين إما بسبب ضحالتها أو بسبب تحيز المحاضر إلى فئة دون أخرى .

٨-انشغال الآباء عن الأبناء وتعليمهم ومراقبتهم بسبب كثرة الانشغال بالأمور الدنيوية

٩-زواج بعض المسلمين من نساء غير مسلمات وأثره السيئ في تربية الأبناء .

١٠-عدم وجود تنظيم قوي للمسلمين يجمعهم ويوحّد شملهم ويمكنهم من المطالبة بحقوقهم التعليمية والدينية من الحكومات المحلية.

١١-نظام الدراسة المختلط يعتبر واحداً من أهم العوائق أمام المسلمين هناك.

١٢-اللباس المدرسي لاسيما للفتيات يتنافى مع التعاليم الإسلامية.

١٣-عدم توفر التسهيلات المطلوبة لأداء الصلاة في المدارس .

١٤-السياسة المعادية التي تتبعها وسائل الإعلام المختلفة، والتي تهدف إلى تشويه الإسلام،والتي يكون لها أثر سيئ على شباب المسلمين تجاه دينهم،ولاشك أن هذا سينعكس على تعليمهم. [٨١]

المسألة الثانية : واجب المسلمين تجاه هذه التحديات

يجب على المسلمين أمرين هامين :

الأول: الاعتزاز بالدين

فيجب أن نزرع في نفوس الأبناء هدف تحويل المجتمع إلى مجتمع إسلامي،لأن هذه هي طبيعة الإسلام،وأما مجرد نقل معرفة سطحية عن الإسلام فحسب فهذا لا يكفي،فإننا بحاجة إلى ثقافة مضادة قادرة على اختراق هذا الواقع الجاهلي وليس العكس.

الثاني : وسائل الانتشار والحماية

وهناك عدة وسائل للقيام لحماية العملية التربوية والتعليمية .. منها:

١-يجب المطالبة بحقوق المسلمين الخاصة في العملية التعليمية عن طريق الدوائر السياسية،ومحاولة إيصال صوت المسلمين للحكومات.

٢-يجب بذل الجهود المكثفة لإقامة مدارس مستقلة وبخاصة للبنات،وإن كان هذا الأمر من الصعوبة بمكان،غير أنه من الممكن حدوثه ولو على نطاق ضيق .

٣-إقامة المدارس المسائية ومدارس عطلة نهاية الاسبوع،وهـي غالبـاً تكـون فـي المساجد،ولكنها في حاجة إلى تطوير وذلك بعمل دورات قصيرة الأجل لتخريج المدرسين الأكفاء القادرين على العمل الشرعي،كما يجب تدريس المنهج الإسلامي بطريقة علميـة منظمة،وليس بطريقة مرتجلة،تفتقر إلى وضـوح الغايـة والـهدف وسـلامة المنـهج والوسيلة،ويجب أن يرتكز هذا المنهج على هذه المرتكزات الآتية..وهي:

أ-وجوب غرس العقيدة الصحيحة بتوحيد الله تعالى والكفر بالطاغوت "وهو كـل مـا يعبد من دون الله تعالى،مع الإيمان ببقية أركان الإيمان،والعمل بالإسلام

ب-إعطاء قدر مناسب من الفقه الإسلامي المعتمد على الكتاب والسنة واجتهاد علماء الأمة،وبخاصة في وقتنا الحاضر والذي يحتاج إلى القياس في كثير من الوقائع.

ج-نشـر الثقافـة الإسـلامية،وتدريـس المسـلمين السـيرة النبويـة والتـاريخ الإسلامي،والتعرف على قضايا العالم الإسلامي المعاصرة،والرد على شبهات الملحدين.

د-الاهتمام بدراسة اللغة العربية،فهي لغة القرآن الكريم ولا يفهم بدونها.

و-مراعاة التدرج بالمنهج بما يناسب أحوال الدارسين،وهذا مـن الحكمـة الشرعيـة بوضع الشيئ في موضعه المناسب.

والخلاصة :

يجب أن يعلم أن التربية الإسلامية لن تؤتي ثمارهـا وأكلـها فـي حيـاة الأقليـات الإسلامية،بغير سلامة المنهج مع وجوب العمل به،وتضـافر جـهود المسـلمين داخليـاً وخارجياً لنصرة هذا المنهج،مع استعداد الأفراد هناك لقبول هذا التغيـير فـي حياتـهم وبخاصة بعد اختلاطهم فترة طويلة بالمجتمعات الجاهلية.

واجب المؤسسات الإسلامية :يجب عليهم ضرورة تزويد إخوانهم بـالكتب الإسـلامية والمدرسين الواعين بحجم المواجهة مع المجتمعات الجاهلية،وبذل الجهد في تجميع كلمـة المسلمين هناك،مع عدم نقل الخلافات المذهبية بين المؤسسات الإسلامية إليهم.

هوامش (الفصل الثاني : التحديات والمشكلات الاجتماعية)

١- سورة الأنفال ٥٣

٢- سورة الفرقان ٥٤

٣- سورة الروم ٢١

٤- سورة الرعد ٣٨

٥- سورة النحل ٧٢

٦- الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٨/٧) وقواه الشيخ الألباني لشواهد في "الصحيحة" رقم : (١٧٨٢) .

٧- رواه البخاري ، انظر فتح الباري ج ٦٧/٩ ، رقم : ٥٠٦٧ ، رواه مسلم .

٨- انظر : عودة الحجاب (القسم الثاني) المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية ، محمد إسماعيل المقدم ، ص ٢٢٧ ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، عمر سليمان الأشقر ، ص ٢١٥.

٩- أخرجه الترمذي ، ج ٣ / ٢٨٥ . رقم : ١٠٨٤ ، وابن ماجه ، برقم : ١٩٦٧ ، والحاكم ، ج ٢ /١٦٤ - ١٦٥ ، وحسنه الألباني بشواهده كما في الإرواء ٢٦٦/٦ برقم : ١٨٦٨ .

١٠- سورة النساء ٤

١١- روح الدين الإسلامي ، عفيف عبد الفتاح طبارة ، ص ٣٦٥ .

١٢- سورة البقرة ٢٢١

١٣- سورة المائدة ٥

١٤- سورة النساء ٣

١٥- روح الدين الإسلامي ، ص ٣٧٢ .

١٦- عودة الحجاب ، ص ٢٤١ . نقلاً عن : أستاذ المرأة ، ص ١٣٢

١٧- سورة النساء ١٩

١٨- سورة النساء ٣٥

١٩- عودة الحجاب ، ص ٤٦٧ ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، ص ٢٣٣ .

٢٠- الأقليات الإسلامية في العالم ، ص ٤٥ .

٢١- روح الدين الإسلامي ، ص ٣٧٧ ، نقلاً عن : المسيويلانيول - أي : القانون المدني الفرنسي -

ج ٣٦٧/١ .

٢٢- المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

٢٣- نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، ص ٢٣٧ . نقلاً عن : عفيف فراج في مجلة الأسبوع العربي ، عدد ٨٣١ بتاريخ : ١٢/٥/١٩٧٥م .

٢٤- سورة النساء ١

٢٥- سورة غافر ٤٠

٢٦- سورة التوبة ٢٧

٢٧- سورة الأحزاب ٥٨

٢٨- سورة البقرة ٢٢٨

٢٩- سورة النساء ٣٤

٣٠- نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، المرأة في الإسلام وما نقله عن كتاب : الإنسان لا يقوم وحده - الكسس كاريل ، ص ٩٣ ، وقد تُرجم إلى العربية ، بعنوان : العلم يدعو إلى الإيمان .

٣١- سورة النور ٣٠

٣٢- فتح الباري ، ج ١١/ ٢٨، برقم : ٦٢٤٣ ، ومسلم ، ج ٤/٢٠٤٦ ، برقم : ٢٦٥٧ ، أحمد ، ج ٢٧٦/٢.

٣٣- فتح الباري ، ج ٩/٢٤٢ ، برقم : ٥٢٣٢ ، ومسلم ، ج ٢/٩٧٥ ، برقم : ١٣٣٨، و أحمد ، ج١/٢٢٢ .

٣٤- متفق عليه .

٣٥- سورة الأحزاب ٥٩

٣٦- سورة الأحزاب ٣٢

٣٧- سورة الأحزاب ٥٣

٣٨- انظر كتاب : تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهر ، محمد لطفي الصباغ ، ص ٢٩.

٣٩- المصدر السابق ، ص ١٦-٢٠ .

٤٠- كتاب : الإسلام ، سعيد حوى ، ص ٦٦٦ ، نقلا عن كتاب : الإسلام ومشكلات الحضارة ، لسيد قطب .

٤١- هامش : كتاب : عودة الحجاب ، القسم الثاني ، ص ٣٦ .

٤٢- المصدر السابق ، ص ٣٧ .

٤٣- المصدر السابق ، ص ١٩ .

٤٤- المصدر السابق ، ص ١٩ .

٤٥- سورة النمل ٥٦

٤٦- الأقليات الإسلامية في العالم ، ص ٧١ - ٨٤ .

٤٧- سورة البقرة ١٧٢

٤٨- المائدة ٣

٤٩- المائدة ٩٠

٥٠- رواه مسلم ، ج ٣ / ٤٣٥١ ، برقم : ٤٣٩١ ، أبوداود ، ج ٤ / ١٥٩ ، برقم : ٣٨٠٣ ، وابن ماجه ، ج ٢ / ١٠٧٧ ، برقم : ٣٢٣٤ .

٥١- تيسير الكريم الرحمان ، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، ج ٢ / ٢٤٠ .

٥٢- روح الدين الإسلامي ، ص ٤٣٧ .

٥٣- الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم ، د. أحمد جوّاد ، ص ٩١ .

٥٤- المصدر السابق ، باختصار ، ص ٨٣ .

٥٥- رواه مسلم ج ١٥٧٣/٣ ، برقم : ١٩٨٤ .

٥٦- المصدر السابق ، ج ٣ / ١٥٨٧ . برقم : ٢٠٠٢ .

٥٧- موقف الإسلام من الخمر ، صالح عبد العزيز آل منصور ، ص ٢٠ ، وانظر ما نقله الشيخ / محمد جمال الدين القاسمي ، في تفسيره للقرآن الكريم ، عن ٥٠ طبيباً في مضار الخمر ، ج٥٣٧/١ .

٥٨- روح الدين الإسلامي ، ص ٤٤٠ .

٥٩- الأقليات الإسلامية في العالم ، ص ٩٥-٩٨ باختصار .

٦٠- الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم ، ص ٢٥٠ .

٦١- رواه أبو داود ، ج ٤ / ٢٠٣ ، برقم : ٣٨٧٠ ، والترمذي ، ج ٤ / ٣٨٧ ، برقم : ٢٠٤٥ ، وابن ماجه ، برقم : ٣٤٥٩ . وفي حديث الترمذي وابن ماجه (كلمة يعني : السم) .

٦٢- معالم السنن للخطابي على هامش سنن أبي داود ، ج ٤ / ٢٠٣ .

٦٣- أخرجه أبوداود ، ج ٤ / ٢٠٧ ، برقم : ٣٨٧٤ . وفي إسناده ، إسماعيل بن عياش ، وفيه مقال ، غير أنه يشهد له " حديث أبي هريرة المتقدم " ، ولقد رواه الحافظ ابن حجر ، في : فتح الباري ، ج ١٠ / ١٤١ وسكت عنه ، وقال الحافظ بعد إيراده بعض الأحاديث " وفيها التقييد بالحلال

فلا يجوز التداوي بالحرام .

٦٤- رواه أبو داود . ج ٣ / ٧٥٦ . برقم : ٣٤٨٦ . وهو حديث صحيح . وانظر : صحيح الجامع ، للألباني ، رقم : ١٧٤٢ .

٦٥- فتح الباري ، ج ٩ / ٥٣٧ ، رقم : ٥٤٩٦ ، مسلم ، ج ٣ / ١٥٣٢ ، برقم : ١٩٣٠ ، وأحمد ، ج٤/ ١٩٥ .

٦٦- روح الدين الإسلامي ، ٢٦٦ .

٦٧- سورة العلق ١

٦٨- سورة الزمر ٩

٦٩- سورة المجادلة ١١

٧٠- سورة آل عمران ١٨

٧١- رواه ابن عدي والبيهقي عن أنس ، والطبراني في الكبير ، عن ابن مسعود ، والأوسط ، عن ابن عباس ، وكذا البيهقي عن أبي سعيد ، وتمام في فوائده عن ابن عمر ، والخطيب في تاريخه عن علي ، والحديث صححه الألباني في "صحيح الجامع" ، برقم : ٣٨٠٨ .

٧٢- المقاصد الحسنة ، ص ٢٧٧ .

٧٣- متفق عليه .

٧٤- سورة الشعراء ٤

٧٥- في ظلال القرآن ، ج ٥ / ٢٥٨٤ .

٧٦- سورة الأعراف ٥٤

٧٧- سورة العنكبوت ٤٨ ، وانظر : كتاب : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، ص ١٢٥ .

٧٨- روح الدين الإسلامي ، ص ٢٧٩ . نقلا عن : الترجمة العربية ، للأستاذ محمد عادل زعيتر ، ص٥٨٥ - ٥٩١ .

٧٩- الجاهلية الجديدة وآثارها النكدة في المسلمين ، ص ٢٣ .

٨٠- الأقليات المسلمة في العالم ، مجلد ١ / ١٣١ .

٨١- المصدر السابق ، مجلد ٣ /١١٣١ باختصار وتصرف .

الفصل الثالث

التحديات والمشكلات الاقتصادية

ويشتمل على ثلاثة مباحث بعد التمهيد العام

المبحـث الأول : خصائـص النظـام الاقتصـادي الإسـلامي.

المبحث الثانـي : حكم تعامل المسلمين بالربـا في دار الحرب.

المبحث الثالث : حكم الشرع في متاجرة المسلمين في دار الحرب.

الفصل الثالث

التحديات والمشكلات الاقتصادية

ويشتمل على ثلاثة مباحث بعد التمهيد :

المطلّع على نظام الاقتصاد في الإسلام يجده نظاماً فريداً بين النظم الاقتصادية ، ولا يمكن أن يوصف بوصف غير الإسلام ، وقد أخطأ الذين حاولوا ربط هذا النظام بواحد من النظم الاقتصادية السائدة كالرأسمالية والاشتراكية ، فالنظام الاقتصادي الإسلامي يختلف عن غيره في الأهداف والوسائل والتشريعات واللقاء بينه وبين غيره من النظم في بعض الجزيئات لا يجعل منه نظاماً اشتراكياً أو رأسمالياً كما يزعم بعض الذين ينظرون إلى ظاهر الأمور نظرة جزئية سطحية .

كما أن الاقتصاد في الإسلام يرتبط مع عقيدة الإسلام وخلق الإسلام وتشريعات الإسلام الأخرى ، ولا يمكن أن نقيم نظام الإسلام الاقتصادي بعيداً عن أنظمة الإسلام الأخرى لأن هذا النظام لا يؤدي دوره الأداء الصحيح في إصلاح الجانب المالي عند الأمة مالم يعمل الإسلام عمله في إصلاح النفوس وغرس القيم الفاضلة فيها، وإحاطة المجتمع بسوره الأخلاقي الذي يحكم مسيرة الفرد والمجتمع، ومن هنا يتبين التباين والاختلاف التام بين النظام الاقتصادي الإسلامي وبين الأنظمة الجاهلية الأخرى .

ولذلك نرى أن المشكلات والتحديات الاقتصادية التي تواجه الأقليات الإسلامية من أعقد المشكلات أيضاً ، حيث إن المسلمين لا يمكنهم الاستغناء عن هذا الواقع الاقتصادي لأن المال شريان الحياة، كما لا يمكنهم المشاركة في معظم مجالاته لأنها حرام في شريعة الإسلام .

فماذا يصنع المسلمون حيال هذا الواقع ؟

وبناء على ذلك أفردت هذا الفصل للحديث عن طبيعة هذه المشكلات، مع

عقد المقارنة بين خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي والأنظمة الجاهلية، وذلك حتى تتجلى حجم هذه المشكلات من جهة، ومن جهة أخرى حتى يعتز المسلمون هناك بدينهم وبمنهج الإسلام في الحلال والحرام، وبخاصة أنهم يقعون دائماً بين مطرقة الأنظمة وسندان الفقر ، كما طرحت في هذا الفصل مشكلة التعامل بالربا دار الحرب ، وكذلك حكم بقية المعاملات المالية المحرمة في الإسلام والواقعة في دار الحرب ، وآخر هذه الأحكام حكم الشرع في متاجرة المسلمين في دار الحرب .

ومباحث هذا الفصل كالتالي :

المبحث الأول : خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي .

المبحث الثاني : حكم تعامل المسلمين بالربا في دار الحرب .

المبحث الثالث : حكم الشرع في متاجرة المسلمين في دار الحرب .

المبحث الأول

خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي
مقارنة بخصائص الأنظمة الجاهلية

١- قيام الاقتصاد على أخلاق الإسلام وقيمه :

لقد قام النظام الإسلامي على إتاحة فرص العمل أمام جميع أفراد المجتمع الإسلامي كما أباح التملك لهم على حد سواء ولكنه لم يترك ذلك فوضى من غير حدود وضوابط . لقد عنى الإسلام بغرس الأخلاق الفاضل والتي تقيم من الإنسان حارساً على نفسه تمنعه من التصرفات الخاطئة ولذلك تجد كثيراً من المسلمين لا يسرقون ولا يغشون ولا يحتكرون ولا يكذبون في التعامل ... مع قدرتهم على هذا كله لخوفهم من الله تبارك وتعالى ولا يكتف الإسلام بغرس التقوى والخلق القويم في النفس الإنسانية ، ولكنه يضع الضوابط الشرعية التي تحكم التصرفات العملية ، ويأمر الدولة الإسلامية أن تقوم على مراعاة هذه الضوابط والأحكام .

فهناك مصادر للمال لا يرضاها الإسلام ولا يجيز لأبنائه التعامل من خلالها كالسرقة والغش والزنا وبيع المحرمات كالخمر والخنزير والميتة وغير ذلك.

ولم يجز للإنسان أن يتصرف في ماله كيف شاء فلا يجوز إهلاك المال وإفساده، كما لا يجوز للمرء أن يسرف في الإنفاق ، وقد عدّ القرآن المبذرين إخوان الشياطين ، وانظر إلى المجتمع الرأسمالي مثلاً البعيد عن هذه القيم كيف يقيم الصروح الضخمة التي تدمر القيم والأخلاق، وتؤدي إلى الظلم والاستبداد فالبنوك الربوية تقوم في كل مدينة وقرية وتستخدم جيوشاً من العمال والموظفين لكي تحقق الكسب الحرام لفريق من البشر ، والعمارات الشاهقة ترتفع في كثير من المدن لتتاجر بالأعراض والأموال وتبذل بسخاء

لإقامة العروض الفاجرة هنا وهناك باسم الفن ، وما أدراك ما الفن ! إنه فن الضياع واغتيال الكرامة والأخلاق والعقل.

وانظر إلى إجرامهم وظلمهم حينما يحرقون المحاصيل ويلقون آلاف الأطنان من الحليب والبيض وغير ذلك من قوت البشرية في المحيطات حتى لا تتعرض أسعارها للهبوط .

وانظر كيف يمتصون دماء الشعوب ويوزعون بينهم مناطق النفوذ.

٢- الوفرة النسبية في الخلق :

الذي تعمق في دراسة الإسلام يعلم أن الأصل هو الوفرة في الخلق الذي يحتاج إليه الناس ، ويزداد وجود الشيء كلما كانت حاجة الإنسان إليه ضرورية ويقل وجوده كلما قلت الحاجة إليه ، فالهواء مثلاً أكثر الأشياء وجوداً لأن الإنسان لا يستغنى عنه لحظة، ثم يأتي بعده الماء ، وكلما قلت الحاجة يقل وجود الشيء، فالجواهر واليواقيت واللآلئ قليلة وحاجة الناس إليها قليلة.

وأما الاقتصاد الغربي : فنظرته قائمة على الندرة النسبية لا على الوفرة، ومن هنا يقوم الصراع بين البشر للحصول على المواد التي يحتاجها الإنسان، وتقوم الدعوة إلى تحديد النسل .

ومن العجب : أن يقوم النظام الاقتصادي الغربي على نظرية الندرة النسبية ثم هم يحرقون مئات الألوف من أطنان القمح أو الأرز أو غيرهما بسبب وفرة الإنتاج حرصاً على عدم هبوط الأسعار في الوقت الذي يموت الإنسان فيه من الجوع في الدول الفقيرة والغنية .

ولقد قدّر الله تعالى أرزاق العباد في الأرض وجعلها سهلة ميسرة لمن طلبها، قال تعالى (وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) [١]، غير أن البشرية ضلت طريق خالقها فتحقق فيها قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)[٢].

٣- توزيع الثروة :

يشبه علماء الاقتصاد المال بالدماء التي تجري في شرايين الجسم، وإذا كانت شرايين الجسم مفتوحة تسمح بوصول الدم إلى كل أجزاء الجسد فإن جسد الإنسان يكون في وضع حسن، ولكن إذا أغلق شريان من الشرايين فإن الجزء الذي يغذيه ذلك الشريان يصاب بالشلل، وهذا ما يحدث عندما يكون المال دُولة بين أيدي فئة قليلة من البشر، والضرر هنا لا يتوقف على الذين ليس في أيديهم المال ، بل يتعداه إلى المجتمع كله حتى أولئك الذين يملكون المصانع والمزارع والمتاجر يصابون بقدر كبير وتصاب المجتمعات بالشلل في اقتصادها، والسبب في ذلك ليس قلة البضائع ولكن المال مكنوز في خزائن المرابين والأثرياء وعامة الناس يريدون شراء حاجاتهم ولكنهم لا يملكون المال الكافي، وعند ذلك تتكدس البضائع في المخازن فتوقف المصانع والشركات أعمالها أو تقلل منها وتستغنى عن عمالها أو بعض منهم، كما هو الحال في وقتنا الحاضر حيث تعلن آلاف الشركات العالمية توقفها عن الإنتاج وتسريح العمال، ولو وضع نظام اقتصادي يوزع الثروة بين أبناء المجتمع ويسمح بوصولها إلى مختلف القطاعات، فإن الحياة تزدهر والمال ينمو وقد علل القرآن توزيع مال الفيء على الفقراء دون الأغنياء بقوله (كي لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم) [٣] .

وليس علاج هذا بحرمان جميع الناس من المال إلا في حدود ضيقة كما هو الحال في المجتمع الشيوعي، بل بوضع تشريعات تمنع من تكدس الثروة عند فئة معنية من فئات المجتمع وتسمح بسريان المال إلى جميع هذه الفئات ، ومن أجل ذلك حرّم الإسلام الربا وفرض الزكاة وشرع نظام الإرث الذي يوع الثروة دائماً وأبداً .

ا- تحقيق التراحم والتعاون :

الإسلام يقيم نظاماً اقتصادياً ينسجم في مساره مع هدف الإسلام في إقامة المجتمع الإسلامي المتراحم المتعاون ، فالتشريعات الاقتصادية الإسلامية

توجه الأغنياء إلى السعي في مصالح الفقراء وتقديم العون لهم وسد خلتهم، وليس لهم في ذلك مِنّة بل هو أمر إلهي رباني يعاقب من حاد عنه .

وأما المجتمع الشيوعي مثلاً : فيقوم على الصراع بين طبقات المجتمع هذا الصراع الذي يؤدي إلى العداوة والبغضاء وسفك الدماء ونهب الأموال، وأما المجتمع الرأسمالي : فلا يخلو من هذا المرض ، فالفارق هناك كبير بين البشر، فئة قليلة هي التي تملك الثروة وبقية الأفراد لا يملكون إلا القليل والأغنياء لا شأن لهم بالفقراء فالمال مالهم ولا شأن لأحد بهم، هذا في ظل المجتمعات التي تدعي " المساواة والحرية والعدالة"!! ولا شيء من ذلك في الحقيقة.

١- الاعتدال والتوازن :

مشكلة الأنظمة الإقتصادية أنها ترى جانباً واحداً من الحقيقة وتخفى عليها بقية الجوانب، وتفرّد الإسلام لأنه تنزيل من العليم الخبير بالرؤية الشاملة لجميع الجوانب، فجاء نظامه الاقتصادي معتدلاً متوازناً .

يتضح هذا عند التأمل في النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي وضع التشريعات الكثيرة لحماية حرية الملكية الفردية ، وحرية العمل ، ولكنه أهمل إهمالاً كبيراً رعاية حق المجتمع ، فنال الأغنياء والأثرياء في تلك المجتمعات أكثر من حقهم ، فنشأت عن ذلك مظالم كثيرة ووقع الضرر بالآخرين ، وإذا أنت نظرت في النظام الشيوعي وجدت واضعيه يهدفون إلى تحقيق مصلحة المجتمع ، ولكنهم في سبيل تحقيق ذلك ظلموا الفرد ومنعوه من حقوقه في الملكية والعمل .

وجاء الإسلام ليضع نظاماً صالحاً لإقامة حياة الأفراد وحياة المجتمع الذي يعيشون فيه لا يظلم فيه الفرد ولا المجتمع وهذا مالا نجده في النظم الأرضية البشرية .

الخلاصة :

أن الإسلام وضع أضبط الأسس والقواعد لحفظ مال الأمة والفرد من الضياع ، والمال أحد القواعد الخمس التي جاءالإسلام بحفظها ، ومع أن الإسلام أقر الملكية الفردية غير أنه وضع القواعد للحدّ من طغيان رأس المال، فوضع نظام الزكاة والمواريث والوصية وأحكام الغنائم والفيء وحرَّم كنز الأموال.

ولحفظ مال الأمة والأفراد شرع الإسلام نظام الحجر على السفهاء وكتابة العقود المالية ، وحرَّم الإسراف والتبذير ، وحرَّم الربا ، وحرَّم أكل أموال الناس بالباطل وحرَّم القمار، وحرَّم التلاعب بالمكاييل والأوزان ، وحرَّم الغش بكل وسائله ، ومن أجل البرّ بالطبقات الفقيرة حث الإسلام على الإنفاق في سبيل الله تعالى ، والإنفاق على ذوي الحاجة ، والإنفاق من الطيبات وغير ذلك من وجوه الخير .

وأخيراً : نقول لقد حدث في عهد عمر بن العزيز رضي الله عنه – خامس الخلفاء الراشدين – أن فاض المال حتى ما قبله أحد ، وهذا ليس لوفرته فحسب بل لعدالة أهل زمانه وهذا هو العدل الذي جاء به الإسلام .

فأين تشريعات اليوم من عدالة الإسلام ؟ !

المبحث الثاني

حكم تعامل المسلمين بالربا في دار الحرب

وفي هذه المسألة المهمة عدة آراء للفقهاء أهمها ثلاثة آراء وهي :

الرأي الأول :

لا ربا بين أهل دار الإسلام وأهل دار الحرب في دار الحرب ؛ فيجوز للمسلم أو الذمي المستأمن أن يتعامل بالربا مع أهل دار الحرب في دار الحرب ، ولو كانوا مسلمين لم يهاجروا إلينا ، وهو رأي الإمام أبوحنيفة و محمد وبعض الحنابلة ، إلا أن محمداً وبعض الحنابلة يخالفون الإمام أبي حنيفة في جواز معاملة الربا بين أهل دار الإسلام والمسلم الذي لم يهاجر في دار الحرب .[٤]

وقد ذكر بعض الحنابلة رواية عن الإمام أحمد : " أنه لا يحرم الربا في دار الحرب " ثم أقرها شيخ الإسلام ابن تيمية على ظاهرها " [٥] .

يعني سواء كان بينهم أمان أو لا وسواء كان بين الحربيين أو بين الحربي والمسلم .

الرأي الثاني :

الربا محرَّم في دار الإسلام ودار الحرب ، إلا بين مسلم وحربي لا أمان بينهما .

وهو رأي الإمام أبو يوسف وسفيان الثوري وبعض الحنابلة وهو ظاهر كلام الإمام الخرقيّ في دار الحرب " ومن دخل إلى أرض العدو بأمان لم يخنهم في مالهم ولا يعاملهم بالربا " [٦] .

الرأي الثالث :

لا يجوز لأهل دار الإسلام من المسلمين والذميين أن يتعاملوا بالربا مع أهل دار الحرب مطلقاً ، سواء كانت المعاملة في دار الإسلام أو في دار الحرب . وهو رأي جمهور الفقهاء وهم الإمام مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وأبويوسف والزيدية والظاهرية [٧] .

" ولا فرق في تحريمه بين دار الإسلام ودار الحرب ، فما كان حراماً في دار الإسلام كان حراماً في دار الحرب ، سواء جرى بين مسلمين أو مسلم وحربي ، سواء دخلها المسلم بأمان أو بغيره ، هذا مذهبنا وبه قال الإمام مالك وأحمد وأبو يوسف والجمهور [٨] .

وحجة الجمهور كالآتي :

الأول : عموم الآيات الدالة على تحريم الربا من غير فرق فيها ، كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون) [٩] ، وغير ذلك من الآيات .

الثاني : عموم الأخبار الدالة على تحريم الربا دون فرق بين مكان دون آخر .

ومنها حديث : جابر رضي الله عنه ، قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء " [١٠] .

الثالث : أن كل ما كان حراماً في دار الإسلام كان حراماً في دار الحرب كسائر الفواحش والمعاصي . [١١] .

الرابع : أن حرمة الربا كما هي ثابتة في حق المسلمين فهي ثابتة في حق الكفار ، لأنهم مخاطبون بالمحرمات في الصحيح من الأقوال [١٢] . لقوله تعالى : (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل) [١٣]،

وقال تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) [١٤]، فأمر الله تعالى بأن يُحكم بينهم وبيننا بشريعته .

الخامس : أجاب الجمهور على حديث مكحول رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا ربا بين المسلمين وأهل الحرب في دار الحرب " .

فإنه إن صح الإسناد إلى مكحول فهو مرسل غريب وعليه يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " وما احتج به أبو يوسف لأبي حنيفة -رحمه الله- ليس بثابت فلا حجة فيه " . [١٥] .

وقال الإمام الزيلعي : حديث غريب [١٦] ، وقال الإمام ابن قدامة في المغني : إن حديث مكحول لو كان مقبولاً يعارضه إطلاق النصوص فلا يجوز ترك ما ورد بتحريمه القرآن وتظاهرت به السنة وانعقد الإجماع على تحريمه بخبر مجهول لم يرد في صحيح ولا مسند ولا كتاب موثوق ، فلا يجوز أن يكون مقيِّداً للمطلقات مثل قوله تعالى : (لا تأكلوا الربا) إذْ لا يزاد بخبر الواحد على الكتاب فضلاً عن كونه مرسلاً محتملاً ، ويحتمل أن المراد بقوله "لا ربا " النهي عن الربا كقوله تعالى (لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) [١٧] .

يكون المقصود به تحريم الربا بين المسلم والحربي كما هو محرم بين المسلمين ، وعليه يقول الإمام النووي رحمه الله : " ولو صح لتأولناه على أن معناه : لا يباح الربا في دار الحرب جمعاً بين الأدلة " [١٨] .

والخلاصة : أن كل ما كان حراماً في دار الإسلام كان حراماً في دار الحرب، فلا يجوز الربا ولا الغش ولا السرقة ولا القمار ولا التجارة في لحم الميتة أو الخنزير أو الخمر .... الخ .

وهو رأي جمهور الفقهاء القائل بأنه لا يجوز لمسلم أو ذمي دخل دار الحرب بأمان أن يتعامل مع أهل دار الحرب بمعاملة لا تجوز في دار الإسلام وإذا فعل شيئاً من ذلك ردّ ما أخذه إلى صاحبه ، وذلك لأسباب أهمها :

أولاً : أن مال المسلم أو الذمي معصوم في حق الحربي بسبب الأمان ، وكذا مال الحربي معصوم بالنسبة للمسلم أو الذمي بمقتضى الأمان أيضاً، وبالتالي : فإن ولاية دار الإسلام وإن لم تكن ثابتة فعلاً وقت إيقاع المعاملة في دار الحرب فإنها تثبت فعلاً في دار الإسلام وعند تقاضي الخصوم أمام القاضي المسلم بسبب معاملاتهم في دار الحرب [١٩] .

ثانياً : أن المعاملة التي لا تجوز شرعاً تعد مفسدة من المفاسد وهي تفضي عادة إلى الضرر على الطرفين ، ولن تؤدي إلى السعادة فالشرع لم ينه عن شيء إلا وفيه ضرر، فعلى المسلم أن يمتنع عن إلحاق أي ضرر أو أذى بغير المسلمين ما دام متمتعاً بأمانهم ، وكذلك عليه أن يلتزم في تعامله مع أهل الحرب بحدود أحكام شريعته فلا يفعل ما حرمته شريعته ، حتى ولو كان ذلك مباحاً بموجب قانون البلد الذي ينزل فيه ، ذلك أن الشرع الإسلامي ملزم للمسلم دون اعتبار للإقليم الذي يعيش فيه وهو أيضاً ملزم بالوفاء بالوعد وبتنفيذ نصوص العقود المباحة حتى بعد عودته إلى دار الإسلام ، وأن الشرع الإسلامي لم يستثن من كان في بلاد الإسلام ولا في بلاد الكفر ولم يضع عن أهله شيئاً من فرائضه ولم يُبْح لهم شيئاً مما حرم عليهم ببلاد الكفر، فالحلال في دار الإسلام حلال في دار الكفر ، والحرام في دار الإسلام حرام أيضاً في دار الكفر إلا ما استثناه الشرع [٢٠].

وهذا الحكم إذا حصل بين المسلم أو الذمي وبين الحربي عقد أمان ، أما إذا لم يكن بين المسلم أو الذمي وبين الحربي أمان فقد تقرر لدى الفقهاء أن يجوز للمسلم أو الذمي أن يأخذ ما بدا له من أموال الحربي بأي وجه كان، لأنها مباحة شرعاً سواء كانت في دار الإسلام أو في دار الحرب [١٥] .

الخلاصة : وبعد ما ذكرنا أقوال السادة العلماء في هذا المبحث من الناحية العلمية النظرية ، تبقى مشكلة كبرى ، وهي مشكلة التمييز بين دار الإسلام ودار الكفر وتطبيق التعريف الحدّى الاصطلاحي للدارين ، وبالتالي

سيبقى البحث مستمراً إلى أن يشاء الله تعالى .

وما يجب ذكره أن الإسلام انتشر في كثير من المناطق عن طريق أخلاق التجار المسلمين الفاضلة مما جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً .

وأما نحن اليوم لو أخذنا بفتوى استحلال أموال الكفار الحربيين وتوسعنا فيها وبخاصة في ديارهم لأعطينا صورة سيئة عن المسلمين مما يترتب عليه ضرر بالغ بالمسلمين في تلك الديار، وبخاصة أن المسلمين قلة مستضعفة في معظم بقاع الأرض ، ومن هنا يتبين أن رأي الجمهور هو الحق . والله أعلم .

المبحث الثالث

حكم الشرع في متاجرة المسلمين في دار الحرب

وهذه المسألة تتعلق بدخول المسلم التاجر دار الحرب للتجارة فقط، فهذه المسألة يختلف الحكم فيها بحسب اختلاف الحالات كالتالي :

الحالة الأولى :

إن كان دخول التاجر المسلم دار الحرب يقتضي الخضوع لأحكام الشرك فحكمه حرام .

كما صرح بذلك الإمام مالك قائلاً : " لا يخرج أي مسلم إلى بلادهم حيث تجرى أحكام الشرك عليه " [٢٢] .

وقال ابن حزم الظاهري :

" وإن كان التجار المسلمون إذا دخلوا أرض الحرب أُذلّوا بها وجرت عليهم أحكام الكفار فالتجارة إلى أرض الحرب حرام ويمنعون من ذلك ، وإلا فنكرهها فقط ، والبيع منهم جائز إلا ما ما يتقوون به على المسلمين من دواب أو سلاح أو حديد أو غير ذلك فلا يحل بيع شيء من ذلك منهم أصلاً ، قال تعالى : (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلْم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) [٢٣] .

فالدخول إليهم – بحيث تجرى على الداخل أحكامهم – وهنٌ وانسفالٌ – ودعاء إلى السِّلم وهذا كله محرم ، قال تعالى : (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) [٢٤] .

فتقويتهم بالبيع وغيره مما يقوون به على المسلمين حرام وينكلّ من فعل ذلك ويبالغ في طول حبسه . [٢٥] .

وبناء على ذلك : فالإسلام يفرض على المسلمين أن يهجروا مثل هذه الدار

فلا يجوز لأحد أن يسافر إليها إلاّ لأمر مشروع كحامل الرسالة ومفاداة الأسير المسلم .. وهكذا .

الحالة الثانية :

إن كان دخوله لا يقتضى الخضوع لأحكام الشرك ولم ينو ذلك إلا للتجارة فقط فإنه مكروه [٢٦] .

لأنه قد يتعرض بذلك للتأثر بالبيئة الفاسدة في دار الحرب وقد يتعرض لأنوا ع من الأذى والاحتجاز للمساومة ، وكل ذلك موجود بكل صوره في وقتنا الحاضر والعياذ بالله من ذلك ، وعليه يقول الحنابلة :

" وكره التجارة والسفر إلى أرض العدو وبلاد الكفر مطلقاً " [٢٧] .

إلا إذا علم بيقين أنه سيسلم من ذلك فإنه يجوز كما يدل عليه حديث تجارة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه – في عهد رسول الله ﷺ إلى أرض الشام ، وهي حينئذ دار حرب ولم ينكر ذلك النبي ﷺ .

ومع ذلك يكره المقام فيها أكثر من مقام السفر لقوله ﷺ أنا برئ من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين ، قالوا يا رسول الله لم ؟ قال : " لا تتراءى ناراهما " [٢٨] .

يقول الإمام البغوي في شرح الحديث :

" وفيه دليل على كراهية المسلم دخول دار الحرب للتجارة والمقام فيها أكثر من مقام السفر ، وقوله ﷺ : " لاتتراءى ناراهما " يعني : لا يُساكن المسلم الكفار في بلادهم بحيث لو أوقدوا ناراً لا ترى كل طائفة نار الأخرى فجعل الرؤية للنار ولا رؤية لها .

ومعناه : أن تدنو هذه من هذه كما يقال : داري تنظر إلى دار فلان .

وقيل : معناه : " لا يستوي حكماهما ، يقول : كيف يُساكنهم في بلادهم وحكم دينهما مختلف ؟! ، وقيل : أراد : نار الحرب ، قال الله سبحانه وتعالى

(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) ، يقول : كيف يجتمعان ونارُ تختلف ، هذا يدعو إلى الرحمن ويحارب عليه ، وهذا يدعو إلى الشيطان ويحارب عليه. وقال ابن الأعرابي : النار ها هنا : الرأي يقول : لا تشاورهم ، ويقال : معنى النار السِّمة والمعنى : لا يتسلم المسلم بسمة المشرك ولا يتشبه به في هديه وشكله ، وخُلقه .

وذكر الإمام الخطابي مثل هذه المعاني [٢٩] .

ويتضح من هذا النهي شدة التأكيد على وجوب مخالفة الكفار وعدم التشبه بهم باطناً وظاهراً ، فكيف بنا اليوم ، وقد صدق فينا قول النبي ﷺ : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم"، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن ؟" [٣٠] .

الحالة الثالثة :

إن كان دخوله دار الحرب لقصد الدعوة إلى الله بجانب الأمور التجارية فلا بأس بذلك ، ولكن بشرط أن يتخذ رفقة صالحة لقوله ﷺ : " الراكب شيطان والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب " [٣١] .

قال الإمام أبو سليمان الخطابي في شرح هذا الحديث : معنا : والله أعلم أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان أو هو شيء يحمله عليه الشيطان فقيل على هذا : إن فاعله شيطان ، قال الإمام البغوي : " معنى الحديث عندي ما رُوي عن سعيد بن المسيب مرسلاً عن رسول الله ﷺ : "الشيطان يهُمّ بالواحد وبالاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهُمم بهم" [٣٢] .

ورُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في رجل سافر وحده : " أرأيتم إن مات من أسأل عنه " [٣٣] .

قال الخطابي : " المنفرد وحده في السفر إن مات لم يكن بحضرته من يقوم بغسله ودفنه وتجهيزه ولا عنده من يوصي إليه في ماله ويحمل تركته إلى أهله ويورد خبره عليهم ولا معه في السفر من يعينه على الحمولة فإذا كانوا ثلاثة

تعاونوا وتناوبوا المهنة والحراسة وصلوا الجماعة وأحرزوا الحظ فيها [٣٤].

والخلاصة :

أن هذه الحالات الثلاث في حكم الشرع في متاجرة المسلمين في دار الحرب تكون في حق من كان في سعة من أمره ، وسافر إلى تلك الديار بالشروط المتقدمة ، أو كان فيها بالأصالة وكان قادراً على السفر إلى دار الإسلام .

وأما في ظل وضعنا الراهن وواقعنا المعاصر والذي أصبح فيه المسلم يُفْتن في داره بالظلم والبغي والاضطهاد والإخراج الإجباري منها إلى ديار الكفر، أو كان المسلم يقيم في دار الأصلية والتي انحسرت عنها السيادة الإسلامية وأصبحت دار كفر ، أو أن المسلم قد دخل في الإسلام وهو في ديار الكفر ولا يجد في الأرض مكاناً للهجرة إلا في حدود ضيقة جداً ونسبية جداً ولا تفي بشيء من حاجة المسلمين المستضعفين في العالم ، فماذا يفعل هؤلاء المسلمون حيال هذا الواقع ؟ وكيف يعيشون ويكسبون ؟!

في الحقيقة لقد أعيا هذا الواقع الأليم المجتهدين والمصلحين عن إيجاد حلول كافية للمسلمين ، ومهما عقدت الندوات والمؤتمرات فهي في الغالب ، وصفيَّة أكثر منها عملية ويكفيك حيرة أنك لا تستطيع أن تطبق التعريف الحدِّي لدار الإسلام ودار الكفر اليوم من ناحية الحكم والحقيقة ، وهذه من الفتن التي أخبر عنها النبي ﷺ أنها تدع الحليم حيران . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

هوامش (**الفصل الثالث** : التحديات والمشكلات الاقتصادية)

١- سورة فصلت ١٠

٢- سورة الروم ٤١

٣- سورة الحشر ٧

٤- انظر حاشية ابن عابدين ، ج ٤ / ١٩٦ ، البحر الرائق ج ٦ / ١٣٥ ، ١٣٦ ، اختلاف الفقهاء للطبري ، ص ٥٨ .

٥- الإنصاف ج ٥ / ٥٣ ، الفروع ج ١٤٧/٣ .

٦- المغني والشرح الكبير ج ٥١٥/١٠ .

٧- المغني والشرح الكبير ٤ / ١٦٢ ، المحلّى ، ج ٥١٤/٨ ، م ١٥٠٦/ .

٨- المجموع للنووي ، ج ٩ /٤٨٨

٩- سورة البقرة / ٢٧٨

١٠- متفق عليه واللفظ لمسلم في صحيحه ج ٣ / ١٢١٨ ، برقم : ١٥٩٧ .

١١- المغني ج ١٦٣/٤ ، المجموع ، للنووي ، ج ٩ / ٤٨٨ ، الأم ، ج ٤ ص ٢٢٧ .

١٢- بدائع الصنائع ، ج ٥ / ١٩٢ .

١٣- سورة النساء / ١٦١ .

١٤- سورة المائدة / ٤٩ .

١٥- الأم ، ج ٧ / ٣٥٩ .

١٦- نصب الراية ، ج ٤٤/٤ .

١٧- المغني ، ج ٤ / ١٦٢ ، الآية رقم : ١٩٧ ، من سورة البقرة .

١٨- المجموع ، للنووي ، ج ٩ / ٤٨٨ .

١٩- شرح السير الكبير ، ج ١٢٧٦/٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٧ ، ١٤١٠ ، بدائع الصنائع ، ج ٧ / ١٣٣.

٢٠- شرح السير الكبير ، ج ٤ / ١٤٩٢ .، المبسوط للسرخسي ، ج ١٤/ ٥٦ .

٢١- أحكام الذميين والمستأمنين ، عبد الكريم زيدان ، ص ٥٦٤ .

٢٢- الأم ، ج ٧ / ٣٥٥ ، اختلاف الدارين وأثره في أحكام المناكحات والمعاملات ، ص ٣٩٥ .

٢٣- شرح السير الكبير ، ج ٤ ، ص ١٢٨٠ ، ١٤٨٦ ، الأم ، ج ٧ / ٣٥٣ ، المحرر ، ج ٢ /١٨١ ، السيل الجرار ، ج ٤ / ٥٥١ .

٢٤- المدونة الكبرى ، ج ٤ / ٢٧٠ .

٢٥- سورة محمد / ٣٥ .

٢٦- سورة المائدة / ٢ .

٢٧- المحلى ، ج ٩٥/٩ ، مسألة رقم : ١٥٦٨ .

٢٨- المصدر السابق ج ٩٥/٩ ، مسألة رقم : ١٥٦٨ .

٢٩- حاشية الروض المربع للعنقري ، ج ٢ /٢٠ .

٣٠- حديث صحيح أخرجه أبو داود في الجهاد رقم : ٢٦٤٥ . ورجاله ثقات لكن ، قال أبو داود عقب إخراجه : رواه هشيم ومعمر وخالد الواسطي وجماعة لم يذكروا جريراً وأخرجه الترمذي برقم : ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، في السير ، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين موصولاً ومرسلاً ، وقال عن المرسل إنه أصح ، وإن أكثر أصحاب إسماعيل بن أبي خالد لم يذكروا جريراً ، وذكر عن البخاري أنه قال : الصحيح مرسل ، وانظر شرح السنة للبغوي ، ج ٢٤٥/١٠ .

٣١- شرح السنة ، ج ١٠ / ٢٤٦ ، سنن أبي داود ، ج ٣ / ١٠٥ .

٣٢- فتح الباري ، ج ٢٥٥/١٣ ، في الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ " لتتبعن سنن من كان قبلكم" برقم : ٧٣٢٠ ، ومسلم ، في العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، برقم : ، شرح السنة ، ج ١٤ ، ٣٩٢ .

٣٣- أخرجه مالك في الموطأ ، في الاستئذان ، باب "ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء" ، ج ٩٧٨/٢ ، أبو داود ، في الجهاد ، باب "الرجل يُسافر وحده" ، برقم : ٢٦٠٧ ، والترمذي في الجهاد ، باب "ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده" ، برقم : ١٦٧٤ .

٣٤- أخرجه مالك في الموطأ ، ج ٢ / ٩٧٨ ، وقال الإمام ابن عبد البر إنه مرسل باتفاق رواة الموطأ ، ووصله قاسم بن أصبغ من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . وانظر : شرح السنة ، ج ١١ / ٢٢ .

الخاتمة

بعدما انتهيت ولله الحمد من أبحاث الرسالة أحب أن أوجز ما فصلته فيها وأن أسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها في أثناء البحث كالتالي :

١- أن الإسلام دين عالمي للناس كافة ومنذ نشأته وقد اتخذ العقيدة أساساً لبناء المجتمع وإقامة دولته على أساس العدل والرحمة والمساواة والحق ورفض أي أساس آخر يقوم عليه كالجنس واللون واللغة ، وبناء على ذلك كان الناس في نظره صنفين : مسلمون وغير مسلمين ، وهذا الصنف الأخير لا يخلو من أحد اثنين : إما حربيون وإما معاهدون .

٢- أن الدار داران : دار إسلام و دار حرب ولا ثالث لهما ، وأن دار الصلح أو دار العهد هي نوع من أنواع دار الإسلام وليست داراً ثالثة علاوة على الدارين ، كما أن دار الموادعة هي أحد نوعي دار الحرب ، إذْ أن أساس تقسيم الدار وتسميتها هو السلطة ونظام الحكم فإن كانت السلطة فيها للحاكم المسلم والحكم للإسلام فهي دار إسلام ولو كان سكانها غير مسلمين والعكس هو دار الحرب، فمن المعلوم أن دار الصلح أو دار العهد تكون تحت سلطة الحاكم المسلم ويخضع أهلها لبعض الأحكام الإسلامية وأن دار الموادعة تكون تحت سلطة الكفر .

٣- أن دار الإسلام لا تصير دار حرب بمجرد استيلاء الكفار عليها أو بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها ما دام المسلمون فيها يصمدون ويدافعون عن دينهم ويطبقون شريعته وأن الجهاد فيها فرض عين بالاتفاق .

٤- أن أنواع الدار ثلاثة :

الأول : دار الإسلام حقيقة وحكما .

الثاني : دار الإسلام حكماً ودار الحرب حقيقة .

الثالث : دار الحرب حقيقة وحكماً .

٥- لا يجوز للمسلمين أن يقيموا في دار الحرب حقيقة وحكماً في حالة استطاعتهم الهجرة منها إلى دار الإسلام ، أما حكم إقامتهم في دار الحرب حقيقة فيرجع ذلك إلى وضع البلاد وحالة المسلمين فيها فقد تكون الهجرة منها واجبة وقد تكون مستحبة كما قد يكون المقام فيها واجباً ، وقد تختلف حالة شخص عن آخر فتجب الهجرة على الأول دون الآخر، وهكذا .

٦- أن مبدأ الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين من أصول الدين وليست من المسائل الفرعية التي تختلف فيها وجهات النظر وأن المعاملة بالحسنى ليست من الولاء للكفار لأن الولاء هو ميل القلب إليهم ومحبتهم وإعانتهم بأي صورة من الصور أو تكثير سوادهم .. وغير ذلك من الصور ، وبالتالي يبطل القول بالتقريب بين الأديان أو بزمالة الأديان ، ومعلوم أن أصل الدين واحد وهو الإسلام ، وينبع من مشكاة واحدة غير أن الله تعالى نسخ بالإسلام سائر الشرائع السابقة وأبطل العمل بها إلا ما أقره شرعنا ، وأصحاب نظرية التقريب بين الأديان لم يريدوا هذا المعنى قطعاً ، بل أرادوا تمييع الحق لحساب الباطل .

٧- أن الأمة الإسلامية تتميز بكمال رسالتها ووضوح عقيدتها وعدل شريعتها وصدق سياستها في نشر رسالتها وذلك بالجهاد في سبيل الله تعالى.

٨- وفي بحث الإسلام وحركة التاريخ خرجت مجموعة من النتائج كالتالي:

أولاً : أن الأمة الإسلامية ذات وضع معين في التاريخ ، إنها ليست مجرد أمة من أمم الأرض إنها أمة الرسالة الخاتمة ، رسالة محمد ﷺ الذي أرسل إلى البشرية وإلى قيام الساعة وهي بهذه الصفة خير أمة أخرجت للناس وهذه الخيرية مستمدة من الرسالة التي أخرجت من أجلها ومن ثمَّ تتحقق لها صفة الخيرية طالما كانت قائمة برسالتها وتزول الصفة عنها كلما فرطت في أداء الرسالة ،

وهذا هو سر اختلاف درجات الإضاءة في صفحات التاريخ الإسلامي وليست الظروف السياسية أو الاقتصادية أو الحربية كما يزعم البعض .

ثانياً : أن مصير البشرية كلها قد ارتبط بأحوال هذه الأمة منذ أخرجها الله تعالى إلى الوجود وكلفها أن تحمل الرسالة الخاتمة بعد نبيها ﷺ وأن قيام هذه الأمة برسالتها أو نكولها عنه هو مفرق طريق في حياة البشرية منذ أربعة عشر قرناً وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. بقدر من الله تعالى .

ثالثاً : أن الأمة الإسلامية تتميز بمنهج حركي دائم لا يعرف التوقف ولا يقف عند حدود ويسعى لعمارة الأرض بشريعة الله تعالى، ويتضح هذا جلياً في فترة المد الإسلامي ابتداءً من عهد النبي ﷺ ثم عهد الخلفاء الراشدين الذين حمى الله بهم الدين ومضوا على سنة سيد المرسلين عليه الصلاة والتسليم .

ثم تلا ذلك عهود إسلامية تحمل راية الإسلام وتتقدم بها كالدولة الأموية والعباسية والعثمانية وغير ذلك من دول الإسلام عبر تاريخ الأمة الطويل وإن كان في بعضها ضعف في بعض عصورها بل وانحطاط وتخلف في بعضها إلا أنها لا تخطئ الهدف المنشود وهو نشر الإسلام في ربوع الأرض كلها ، وليس الأمر كما وصف المستشرقون وأتباعهم هذه الفترات التاريخية من عمر الأمة الإسلامية لأن المستشرقين شككوا في التاريخ الإسلامي كله وأما ما ورد من ثنائهم على بعض العصور فهو من قبيل التلبيس تحت شعار الأمانة العلمية ولكنهم في الحقيقة يدسون السم فيالعسل .

رابعاً : أن انحسار الخلافة الإسلامية من الأرض بسقوط الخلافة العثمانية وسيادة الأحكام العلمانية في العالم لا يعني محو

الإسلام أو عزله عن ساحة التحدي بل سيظل يتحدى كل الأمم والمناهج الجاهلية لأنه دين الله المحفوظ والإسلام يعلو ولا يُعلى.

وفي بحث الأقليات الإسلامية في العالم خرجت بمجموعة من النتائج :

أولاً : أن الراجح في تعريف الأقلية هو أن كل مجموعة من المسلمين مغلوبة على أمرها هي أقلية وإن كانت في بعض المناطق أكثرية عددية ، وهذا التعريف هو الذي يتفق مع تعريف دار الإسلام ودار الحرب .

ثانياً : أن دراسة توزع الأقليات الإسلامية حسب التوزيع الجغرافي أوضح في الدراسة من دراستها حسب التوزيع العقائدي وذلك بسبب سرعة التغيير السياسي العالمي وما يتبع ذلك من تغيير فكري عقائدي وأوضح مثال لذلك انهيار الشيوعية المعاصرة .

ومن ناحية أخرى فالكفر ملة واحدة وفي معاداته للإسلام وشعاره دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله .

وأما اختلاف هامش الحرية من بلد لآخر فيرجع لسياسة مدروسة ، وتبادل أدوار في حربهم على الإسلام وليس عن محبة للعدل مع المسلمين ، كما أن مفهوم الحرية عندهم يختلف تماماً عنه في الإسلام وبالتالي فلا يستطيع المسلمون أن ينتفعوا بهذه الحريات إلا في حدود ضيقة جداً .

ثالثاً : أن الحصول على احصائيات نهائية بالنسبة لأعدادالأقليات الإسلامية يكاد يكون مستحيلاً لوجود عوائق سياسية وعقائدية وعنصرية تحول دون ذلك ولذلك فهي في الغالب تقريبية .

رابعاً : أن الدعوة إلى الله تعالى بين الأقليات الإسلامية واجبة ، ولكن كلٌ بحسبه بحسب درجات المكلفين .

ولابد من معرفة آدابها وأهدافها وطرقها حتى لا تعطى صورة

مشوّهة عن الإسلام وأهله كما حدث في كثير من البلدان .

٩- وفي بحث الأحكام الشرعية بين دار الإسلام ودار الحرب خرجت بمجموعة من النتائج كالتالي :

أولاً : أن الصراع بين الإسلام والكفر بكل مله يبقى إلى قيام الساعة لأنه صراع عقائدي وليس لمرحلة معينة من التاريخ وبالتالي يبطل القول بزمالة الأديان .

ثانياً : أن الإسلام يمتلك النظرية الاجتماعية المتكاملة للحياة بأسرها وهي بمثابة الثوابت للأخلاق والآداب وغيرها وليست مبنية على الذوق الشخصي النسبي وبالتالي تبطل النظرية المسيحية التي تبناها الفكر الغربي ، وهي : أن الدين عبارة عن عبادة فردية وعلاقة مع ضمير الفرد وهذه النظرية الأخيرة أثرت سلباً في أخلاق أبناء الأقليات الإسلامية الذين قلدوا الكفار في أخلاقهم وصفاتهم .

ثالثاً : أن مشكلة التعليم من المشاكل الخطيرة جداً بالنسبة لأبناء الأقليات وذلك لأن التعليم في منعظم البلدان إجباري يعاقب القانون على تركه عقوبة شديدة .

ومن ناحية أخرى : كيف يُربى أبناء المسلمين في محيط علمي لا ديني وإباحي، فيقع الطالب في حيرة شديدة بين منهجين مختلفين كل الاختلاف حتى ولو اجتهد المسلمون في تلك المجتمعات في انشاء بعض المدارس والمعاهد الدينية فستبقى قاصرة جداً عن الإيفاء بحاجة المسلمين هناك في جميع المراحل التربوية والتعليمية ، ويترتب على ذلك أحد أمرين :

غربة حقيقية للمسلم بكل معانيها في تلك الديار يتطلب معها الرحيل عنها ولكن إلى أين يهاجر ؟؟أو اختلاط وانصهار

للشخصية الإسلامية في المجتمع مما يترتب معه ضياع الوجود الإسلامي هناك .

رابعاً : من المشاكل الحقيقية أيضاً مشكلة الأطعمة والأشربة ، وذلك لأنها متعددة الجوانب مع تعذر البدائل في الغالب ، فليست المشكلة في كيفية الذبح فقط ، بل في نوعية المذبوح أيضاً فكما قد يترتب على كيفية الذبح أكل الميتة ، مثلاً ، فكذلك قد يترتب على نوعية المذبوح أكل الخنزير أو بعض مشتقاته والتي دخلت في معظم الصناعات حتى الصناعات الطبية .

كما أن بعض الدول أيضاً وبخاصة الدول البوذية تأكل الحيوانات المفترسة كالكلاب والقطط والقرود وغير ذلك .

وهذا يقلل من فرصة وجود اللحم الحلال بالنسبة للمسلمين .

وكذلك مشكلة الخمر وانتشارها في كل الأماكن ودخولها في كثير من الصناعات وبخاصة الطبية . فهذه المشاكل في مجموعها تشكل عوائق للأقليات الإسلامية في تلك الديار.

خامساً : أن الاقتصاد في الإسلام يرتبط مع عقيدة الإسلام وخلق الإسلام وتشريعات الإسلام الأخرى و لا يمكن أن نقيم نظام الإسلام الاقتصادي بعيداً عن أنظمة الإسلام الأخرى لأن هذا النظام لايؤدي دوره الأداء الصحيح في إصلاح الجانب المالي عند الأمة مالم يعمل الإسلام عمله في إصلاح النفوس وغرس القيم الفاضلة فيها وإحاطة المجتمع بسوره الأخلاقي الذي يحكم مسيرة الفرد والمجتمع ومن هنا يتبين التباين والاختلاف بين النظام الاقتصادي الإسلامي وبين الأنظمة الجاهلية الأخرى ، ولذلك نرى أن المشكلات والتحديات الاقتصادية التي تواجه الأقليات الإسلامية من أعقد المشكلات أيضاً حيث إن المسلمين لا يمكنهم الاستغناء عن هذا الواقع الاقتصادي كما لا يمكنهم المشاركة في معظم مجالاته لأنها مبنية على معاملات محرمة في الإسلام .

سادساً : يحرم على المسلم أن يدخل دار الحرب لغرض التجارة أو نحوه اذا اقتضى ذلك الخضوع لأحكام الشرك ، وإن لم يقتض ذلك فمكروه ، إلاّ إذا نوى بجانب التجارة الدعوة إلى الله تعالى ، شريطة ألا يُسافر وحده .

اعتذار و رجاء :

هذا وقد انتهيت من ذكر خلاصة هذه الرسالة وما استطاعت أن تحققه من نتائج - ولله الحمد والشكر - وإنني لا أعدٌّ الجهد الذي بذلته والتعب الذي تحملته - مدة أربع سنوات قضيتها في إعداد هذه الرسالة - إلا شيئاً قليلاً في حق الشريعة الإسلامية ، كما أنني لم أحقق جميع ما يجب أن أحققه في الارتقاء بهذه الرسالة إلى أعلى مستوى ، وحسبي أنني حاولت أن أحقق ذلك وبذلك قصارى جهدي في فترة محدودة ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

لذا فإني استغفر الله العظيم من أي خطأ وقعت فيه بغير قصد مني وأعتذر إلى القارئ الكريم عما قد يكون في الرسالة من نقص أو خطأ ، راجياً ممن وقف عليه أن يسعى في إصلاحه بكل مسؤولية وإخلاص ، أداءً لحق الأخوة في الإسلام ، وادخاراً لجزيل المثوبة في دار السلام ، فإن الكمال لله وحده والعصمة من شأن الرسل عليهم السلام .

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا من لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) ، (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وأزواجه وذريته والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين .

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) .

١- فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب السور والآيات

٢-فهرس الأحاديث والآثار على حسب الترتيب الهجائي

٣-فهرس مراجع الرسالة

أولاً : القرآن الكريم وتفاسيره

١-القرآن الكريم

٢-أحكام القرآن : للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة/٢٠٤هـ.وقد جمعه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري،المتوفى سنة /٤٥٨هـ (جزءآن)

طبع دهر الكتب العلمية بيروت/لبنان سنة١٣٩٥هـ.

٣-أحكام القرآن : للإمام حجة الإسلام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي المتوفى سنة /٣٧٠هـ (٣مجلدات)

الناشر : دار الكتاب العربي بيروت/لبنان.

٤-أحكام القرآن : للعلاّمة أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة/٥٤٣هـ .تحقيق علي محمد البيجاوي (٤أجزاء)

الناشر :دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي وشركاه

٥-أسباب النزول : للعلاّمة أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة/٤٦٨هـ

الناشر : عالم الكتب/بيروت

٦-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للعلامة محمد أمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى سنة/١٣٩٣هـ (١٠ أجزاء)

الناشر : عالم الكتب بيروت/لبنان

٧-البحر المحيط : للعلامة محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة/٧٥٤هـ (٨أجزاء) ، توزيع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٨-تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العماري المتوفى سنة/٩٥١هـ (٥أجزاء)

مطبعة : محمد علي صبيح وأولاده بمصر

٩-تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل : للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة/٥١٦هـ

مطبوع على هامش تفسير الخازن، دار الفكر/بيروت

١٠-تفسير القرآن الحكيم (المنار) للعلامة محمد رشيد رضا المتوفى سنة /١٣٥٤هـ (١٢مجلدا)

الطبعة الرابعة ،دار المعرفة /بيروت

١١-تفسير القرآن العظيم : للحافظ عماد الدين أبي الفـداء إسمـاعيل بـن كثـير الدمشقـي المتـوفى سنة/٧٧٤هـ (٤أجزاء)

طبع بدار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٢-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للعلامة عبد الرحمـن بـن نـاصر السـعدي المتـوفى سنة/١٣٧٦هـ (٧أجزاء)

طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض/السعودية

١٣-الجامع لأحكام القرآن : للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة/ ٧٦١هـ (٢٠ جزءاً) دار إحياء التراث العربي بيروت/لبنان

١٤-الدر المنثور : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة /٩١١هـ (٦أجزاء) دار المعرفة بيروت لبنان

١٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لشيخ الإسلام محمد بن علي بن محمـد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ (٥أجزاء)

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/لبنان

١٦-في ظلال القرآن : للأستاذ سيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٧هـ (٦مجلدات)

دار العلم للطباعة والنشر جدة/ السعودية

١٧-محاسن التأويل : للعلامة محمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ (٧مجلدات) تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي / طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت

١٨- مختصر تفسير ابن كثير : للشيخ محمد علي الصابوني (٣مجلدات)

دار القرآن الكريم بيروت/لبنان

١٩-معاني القرآن وإعرابه : للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السّري المتوفى سنة ٣١١هـ شرح وتحقيق د/عبد الجليل عبده شلبي (٥مجلدات) طبع دار الحديث/ القاهرة

٢٠-مناهل العرفان في علوم القرآن : للشيخ عبد العظيم الزرقاني (جزءآن) دار إحياء الكتب العربيـة، عيسى البابي الحلبي .

٢١-مباحث في علوم القرآن : د/صبحي الصالح (جزء واحد) ،دار العلم للملايين بيروت

٢٢-مباحث في علوم القرآن : للشيخ مناع القطان (جزء واحد)،مؤسسة الرسالة بيروت

٢٣-الناسخ والمنسوخ في القرآن : للعلامة أبي جعفر النحاس المتوفى سنة / ٣٢٨هـ مطبعة السعادة/مصر

ثانياً : الحديث الشريف وشروحه ومصطلحه

٢٤- إرشاد الساري : للعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة/٩٢٣هـ (١٠ أجزاء) وهو شرح صحيح البخارى ،الطبعة السابعة،دار الكتاب العربي بيروت /لبنان

٢٥-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : للعلامة محمد ناصر الدين الألباني بإشراف محمد زهير الشاويش (٨أجزاء) المكتب الإسلامي بيروت

٢٦-الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث : للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة/٧٧٤هـ اختصار علوم الحديث لابي عمرو ابن الصلاح،شرح الأستاذ أحمد محمد شاكر.
دار الكتب العلمية بيروت /لبنان

٢٧-بذل المجهود في حل أبي داود : للمحدث خليل أحمد السهارنفوري المتوفى سنة /١٣٤٦هـ (٢٠جزءاً)،تعليق العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي.
دار اللواء للنشر والتوزيع /الرياض

٢٨-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : للعلامة الحافظ أبي العلي محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ تحقيق وتعليق: عبد الرحمن محمد عثمان
دار الفكر بيروت /لبنان

٢٩-الترغيب والترهيب : للمحدث زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٦٥هـ (٤ أجزاء)

٣٠-تلخيص الحبير : للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ (٤أجزاء)
توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/الرياض

٣١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي المتوفى سنة /٤٦٣هـ (١٠ أجزاء) ،تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ،والأستاذ محمد عبد الكبير البكري ،وزارة الأوقاف والشوون الإسلامية / المغرب

٣٢-تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث : للإمام العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الشافعي المتوفى سنة /٩٤٤هـ
الناشر دار الكتاب العربي بيروت /لبنان

٣٣-جامع الأصول في أحاديث الرسول : للإمام العلامة أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة /٦٠٦هـ (١١جزءاً)،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط،الناشر مطبعة الملاح

٣٤- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة /٩١١هـ (جزءآن)،دار الكتب العلمية بيروت

٣٥- الدراية في تخريج أحاديث الهداية : للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة /٨٥٢هـ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة

٣٦-سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام : للعلامة محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني المتوفى سنة/١١٨٢هـ .(٤أجزاء)،بتعليق فؤاد أحمد زمرلي ،طبعة دار الكتاب العربي بيروت /لبنان

٣٧-سلسلة الأحاديث الصحيحة : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني،طبع المكتب الإسلامي بيروت

٣٨-سلسلة الأحاديث الضعيفة : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،طبع المكتب الإسلامي بيروت

٣٩-سنن ابن ماجة : للحافظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه ،المتوفى سنة/٢٧٥هـ (جزءان) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

٤٠-السنة قبل التدوين : د/محمد عجاج الخطيب ،طبع دار الفكر بيروت

٤١-السنن الكبرى : للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة /٤٥٨هـ (١٠أجزاء)،طبع دار المعرفة بيروت /لبنان

٤٢-سنن النسائي : للحافظ الحجة،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي المتوفى سنة/٣٠٣هـ (٤مجلدات)،بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة/٩١١هـ ،وحاشية الإمام محمد بن عبد الهادي السندي المتوفى سنة /١١٣٨هـ ،دار الكتب العلمية بيروت

٤٣-شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك : للعلامة سيدي محمد بن عبد الباقي الزرقاني المتوفى سنة /١١٢٢هـ (٤مجلدات) دار المعرفة بيروت

٤٤-شرح السنة : للإمام المحدث الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة/٥١٦هـ (١٦جزءاً) تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ،المكتب الإسلامي بيروت

٤٥-صحيح البخاري : للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفى سنة /٢٥٦هـ (٨أجزاء) المكتب الإسلامي استانبول /تركيا

٤٥-صحيح مسلم : للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ (٥مجلدات) تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي،طبع المكتبة الإسلامية استانبول/تركيا

٤٦-صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي المتوفى سنة/٦٨٦هـ (١١جزءاً) تحقيق عصام الصبابطي،دار الحديث /القاهرة

٤٦-عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي : للعلامة أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة/٥٤٣هـ (١٣جزءاً) ،دار الكتاب العربي بيروت

٤٧-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : للعلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة /٨٥٥هـ (٢٥جزءاً) ،إدارة الطباعة المنيرية بمصر

٤٨-عون المعبود شرح سنن أبي داود : للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي،مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ،تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (١٤جزءاً)،الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

٤٩-فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ الحجة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة/٨٥٢هـ (١٤جزءاً مع المقدمة)،ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،وإخراج محب الدين الخطيب.

دار الريان للتراث/القاهرة

٥٠-الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد : للعلامة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي المتوفى سنة/١٣٧١هـ (١٥جزءاً) ،مطبعة الإخوان المسلمين بمصر

٥١-فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي : للعلامة المحدث محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة/١٠٣١هـ (٦أجزاء) ،دار المعرفة بيروت لبنان

٥٢-الكامل في ضعفاء الرجال : للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة/٣٦٥هـ (٧مجلدات)،دار الفكر بيروت

٥٣-كتاب السنن : للحافظ سعيد بن منصور الخراساني المتوفى سنة /٢٢٧هـ تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي،الدار السلفية بومباي /الهند

٥٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : للمحدث الشيخ : إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة /١١٦٢هـ (جزءان)،دار الكتب بيروت/لبنان

٥٥-كنز العمال ومنتخبه : للعلامة علاء الدين على المنتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى سنة/٩٧٥هـ (١٦جزءاً)،مؤسسة الرسالة بيروت

٥٦-اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة/٩١١هـ (جزءان)،دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

٥٧-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة/٨٠٧هـ بتحرير الحافظين الجليلين: ابن حجر والعراقي (١٠ أجزاء)دار الكتاب العربي بيروت

٥٨-المستدرك على الصحيحين في الحديث : للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعـــروف بالحـــاكم النيسابوري الحافظ المتوفى سنة/٤٠٥هـــ (٤مجلدات) وفي ذيله : تلخيص المستدرك للإمام الحافظ شمـــس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة/٨٤٨هـــ ،دار الكتاب العربي بيروت

٥٩-المسند : للإمام الجليل أحمد بن حنبل المتوفى سنة/٢٤١هـــ،وبهامشه منتخب كنز العمـــال في ســـنن الأقوال والأفعال، دار صادر بيروت

٦٠-المصنف : للحافظ عبد الرزاق الصنعاني المتوفى سنة/٢١١هـــ (١١جزءاً) تحقيق :حبيـــب الرحمـــن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت

٦١-الموطأ : للإمام مالك برواية يحي بن يحي الليثي المتوفى سنة/٢٣٤هـــ إعداد: أحمد راتب عرموش. دار النفائس بيروت

٦٢-نصب الراية لأحاديث الهداية : للإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي المتوفى سنة/٧٦٢هـــ مع حاشيته النفيسة المهمة : بغية الألمعي في تخريج الزيلعي (٤أجزاء).
دار المأمون /القاهرة

٦٣-نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار : للشيخ الإمام المجتهد الرباني قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة /١٢٥٥هـــ،دار الجيل بيروت

ثالثا : كتب الفقه وأصوله وقواعده

٦٤-آثار الحرب في الفقه الإسلامي : د/ وهبة الزحيلي،أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق طبعة دار الفكر بيروت/ لبنان

٦٥-أحكام أهل الذمة : للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن قيـــم الجوزيـــة المتـــوفى سنة/٧٥١هـــ (جزءان)،تحقيق د/صبحي الصالح،طبع دار العلم للملايين بيروت

٦٦-أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام : د/عبد الكريم زيدان،الناشر موسسة الرسالة،عمان

٦٧-الأحكام السلطانية : للعلامة أبي الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي المتوفى سنة/٤٥٠هـــ طبع دار الفكر بيروت

٦٨-الأحكام السلطانية : للقاضي أبي يعلى محمد بن حسين الفراء الحنبلي المتوفى سنة/٤٥٨هـــ

٦٩-الإحكام في أصول الأحكام : للعلامة سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمـــد الآمـــدي المتوفى سنة/٦٣١هـــ (٤أجزاء) ،دار الكتب العلمية بيروت

٧٠-اختلاف الفقهاء : للعلامة أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي المتوفى سنة/٣٢١هـ تحقيق د/محمد صغير المعصومي ،مكتبة البحوث الإسلامية

٧١-الاختيارات الفقهية : من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،اختارها العلامة الشيخ/علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي المتوفى سنة/٨٠٣هـ ،نشر المؤسسة السعدية بالرياض

٧٢-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الإصول : لشيخ الإسلام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة/١٢٥٥هـ ،طبع الدار المنيرية بمصر

٧٣-الأشباه والنظائر على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان: للعلامة زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي المتوفى سنة/٩٧٠هـ ،دار الكتب العلمية بيروت

٧٤-إعلاء السنن : للعلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي المتوفى سنة/١٣٩٤هـ ،إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي /باكستان

٧٥-اعلام الموقعين عن رب العالمين : للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة/٧٥١هـ،تحقيق الأستاذ/محي الدين عبد الحميد

٧٦-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : للإمام العلامة ابن قيم الجوزية،تحقيق محمد حامد الفقي (مجلدان) الناشر دار المعرفة بيروت

٧٧-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية المتوفى سنة/٧٢٨هـ (مجلدان)،تحقيق د/ناصر بن عبد الكريم العقل .
توزيع شركة العبيكان للطباعة والنشر /السعودية

٧٨-الأم : للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة/٢٠٤هـ (٨أجزاء)،دار المعرفة بيروت

٧٩-الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل : للشيخ علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي المتوفى سنة/٨٨٥هـ (١٢ جزءا)،تحقيق محمد حامد الفقي .
مطبعة السنة المحمدية القاهرة

٨٠-البحر الرائق شرح كنز الرقائق : للعلامة زين العابدين بن نجيم الحنفي المتوفى سنة/٩٧٠هـ ،دار المعرفة بيروت

٨١-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : للإمام العلامة علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء المتوفى سنة/٥٨٧هـ (٧أجزاء) ،دار الكتاب العربي بيروت

٨٢-بداية المجتهد ونهاية المقتصد : للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي الشهير بـابن رشد الحفيد المتوفى سنة/٥٩٥هـ (جزءان)،مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

٨٣-التاج والإكليل لمختصر خليل : لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الشهير بالموّاق المتوفى سنة/٨٩٧هـ،طبع على هامش كتاب مواهب الجليل (٦أجزاء) ،دار الفكر

٨٤-تحفة الفقهاء : للعلامة علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي المتوفى سنة/٥٤٠هـ (٣أجزاء) دار الفكر /دمشق

٨٥-تحفة المحتاج بشرح المنهاج : للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي المتوفى سنة/٩٧٤هـ ،والمنهاج للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة/٦٧٦هـ ،وحواشيهما للعلامة الشيخ/عبد الحميد الشرواني ،وللعلامة أحمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة/٩٩٢هـ (١٠أجزاء)،دار صادر بيروت

٨٦-التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي : للأستاذ عبد القادر عودة، المتوفى سنة/١٣٧٤هـ (جزءان)،دار الكتاب العربي بيروت

٨٧-التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجا : للأستاذ الشيخ/مناع القطان،موسسة الرسالة بيروت

٨٨-جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود : للعلامة شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي الشافعي المتوفى سنة/٨٠٠هـ ،مطبعة السنة المحمدية

٨٩-الجوهرة اللطيفة في فقه الإمام أبي حنيفة : للشيخ عبد الرحمن خلف ،مطبعة السعادة بصر

٩٠-حاشية الباجوري : على شرح ابن القاسم الغزي على مختصر أبي شجاع للعلامة إبراهيم بن محمد الباجوري المتوفى سنة/١٢٧٧هـ مطبعة بولاق القاهرة

٩١-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : للعلامة شمس الدين الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي المتوفى سنة/١٢٣٠هـ ،والشرح الكبير للدردير (٤مجلدات) المطبعة الأزهرية بمصر

٩٢-حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع : للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي المتوفى سنة/١٣٩٢هـ (٧مجلدات) المطابع الأهلية للأوفست/ الرياض

٩٣-حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع : للعلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي وحاشية الروض المربع،تأليف العلامة عبد الله بن عبد العزيز العنقري المتوفى سنة /١٣٧٣هـ (٣مجلدات) الناشر مكتبة الرياض الحديثة

٩٤-حاشية سعدي حلبي (الحنفي) للشيخ المحقق سعد الله بن عيسى المغني الشهير بسعدي حلبي وبسعد أفندي المتوفى سنة/٩٤٥هـ،مطبوعة بهامش شرح فتح القدير لابن الهمام

٩٥-حاشية الصاوي على الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك : للعلامة أحمد بن محمد الصاوي المتوفى سنة/١٢٤١هـ،خرج أحاديثه د/مصطفى كمال وصفي،طبعت بهامش الشرح الصغير للدردير (٤مجلدات) ،دار المعارف بمصر

٩٦-درر الحكام شرح مجلة الأحكام : للشيخ علي حيدر ،تعريب المحامي فهمي الحسيني (٤مجلدات) مكتبة النهضة بيروت

٩٧-الدر المختار وحاشيته رد المحتار : والدر المختار للحصكفي المتوفى سنة/١٠٨٨هـ ،وحاشية رد المحتار على الدر المختار للإمام محمد أمين الشهير بابن عابدين المتوفى سنة/١٢٥٢هـ (٨مجلدات)،المطبعة العثمانية

٩٨-الرد على سير الأوزاعي : للإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المتوفى سنة/١٨٢هـ ،عني بتصحيحه والتعليق عليه أبو الوفاء الأفغاني

٩٩-الرسالة : للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة/٢٠٤هـ شرح وتحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر ،دار التراث بالقاهرة

١٠٠-روضة الطالبين : للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي المتوفى سنة/٦٧٦هـ (١٢جزءاً) المكتب الإسلامي بيروت/لبنان

١٠١-روضة الناظر وجنة المناظر : في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ،للإمام ابن قدامه المقدسي المتوفى سنة/٦٢٠هـ ،راجعه:سيف الدين الكاتب،الناشر دار الكتاب العربي بيروت

١٠٢-الروضة الندية شرح الدرر البهية : للعلامة الملك المؤيد أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري المتوفى سنة/١٣٠٧هـ (مجلدان)،الناشر دار المعرفة للطباعة بيروت

١٠٣-زاد المعاد في هدي خير العباد : للإمام الفقيه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية،تحقيق:شعيب الأرناؤوط ،الناشر مؤسسة الرسالة بيروت

١٠٤-السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار : لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة/١٢٥٠هـ ،والأزهار للإمام أحمد بن يحي المرتضى المتوفى سنة/٨٤٠هـ

تحقيق :محمود ابراهيم زايد (٤أجزاء)،دار الكتب العلمية بيروت

١٠٥-السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية : لشيخ الإسلام بن تيمية المتوفى سنة/٧٢٨هـ دار الكتاب العربي بيروت

١٠٦-شرح السير الكبير : للإمام شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي المتوفى سنة/٤٩٠هـ تحقيق :د/صلاح الدين المنجد وعبد العزيز أحمد (٥مجلدات) ،وكتاب السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة/١٨٩هـ مطبعة شركة الإعلانات الشرقية

١٠٧-شرح فتح القدير على الهداية : للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام المتوفى سنة/٦٨١هـ مع تكملته نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار للشيخ شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زارة المتوفى سنة/٩٨٨هـ (٩أجزاء) دار إحياء التراث العربي بيروت

١٠٨-شرح الكفاية على الهداية : للإمام جلال الدين الخوارزمي الكرلاني الحنفي،مطبوع بهامش شرح فتح القدير لابن الهمام.

١٠٩-شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى للشيخ العلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي المتوفى سنة/١٠٥١هـ (٣أجزاء)توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء /السعودية ومنتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات للشيخ :تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المصري الشهير بابن النجار المتوفى سنة/٩٧٢هـ (جزءان)،مكتبة دار العروبة القاهرة

١١٠-الشرع الدولي في الإسلام : للأستاذ محمد نجيب الأرمنازي المتوفى سنة/١٣٨٧هـ (رسالة دكتوراة من باريس) مطبعة ابن زيدون بدمشق

١١١-العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون، أ د/بدران أبو العينين بدران المتوفى سنة/١٤٠٤هـ ،دار النهضة العربية بيروت

١١٢-العلاقات الدولية في الإسلام : الشيخ محمد أبو زهرة المتوفى سنة/١٢٩٤هـ ،دار الفكر العربي القاهرة.

١١٣-العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث: د/وهبة الزحيلي،مؤسسة الرسالة بيروت.

١١٤-فتاوى الإمام محمد رشيد رضا : حققها د/صلاح الدين المنجد ويوسف خوري ،(٦مجلدات) دار الكتاب الجديد بيروت

١١٥-الفتاوى السعدية : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الحنبلي المتوفى سنة/١٣٧٦هـ، مطبعة دار الحياة بدمشق.

١١٦-الفتاوى الكبرى الفقهية : للعلامة أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي الشافعي المتوفى سنة/٩٠٩هـ (٤أجزاء)،وبهامشها فتاوى العلامة محمد بن أحمد الرملي الشافعي المتوفى سنة/١٠٠٤هـ ،المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

١١٧-الفتاوى الهندية : لجماعة علماء الهند الأعلام في القرن الحادي عشر للهجرة،حوالي سنة/١٠٧٠هـ.

١١٨-فتح العزيز شرح الوجيز : للعلامة ابن القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم المشهور بالرافعي الشافعي المتوفى سنة/٦٢٣هـ،مطبوع بهامش كتاب المجموع للنووي ،المكتبة السلفية.

١١٩-فقه السنة : للشيخ سيد سابق (٣مجلدات) دار الكتاب العربي بيروت

١٢٠-القانون الدولي العام : د/حامد سلطان ،دار النهضة العربية

١٢١-القواعد النورانية الفقهية :لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ تحقيق الشيخ/محمد حامد الفقي،مكتبة المعارف بالرياض.

١٢٢-الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل : لشيخ الإسلام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي المتوفى سنة/٦٢٠هـ تحقيق: زهير الشاويش (٤أجزاء) ،المكتب الإسلامي بيروت

١٢٣-أحكام الأسرة في الإسلام : د/محمد مصطفى شلبي ،دار النهضة العربية بيروت

١٢٤-اختلاف الفقهاء : للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة/٣١٠هـ

١٢٥-الإفصاح عن معاني الصحاح : للوزير بن هبيرة المتوفى سنة/٥٦٠هـ ،وهو شرح للجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله الحميدي الأندلسي المتوفى سنة/٤٨٨هـ تحقيق د/فؤاد عبد المنعم أحمد ،إصدار إدارة الشؤون الإسلامية،دولة قطر

١٢٦-الفقه على المذاهب الأربعة : للشيخ عبد الرحمن الجزيري (٥أجزاء)،دار المعرفة بيروت

١٢٧-الكافي في فقه أهل المدينة المالكي : لشيخ الإسلام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري المتوفى سنة/٤٦٣هـ تحقيق د/محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني ،(قسمان)،مكتبة الرياض الحديثة.

١٣٨-كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار : للإمام تقي الدين أبي بكر محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي المتوفى سنة/٨٢٩هـ،وغاية الاختصار للأصفهاني ،مطبعة مصطفى البابي بمصر.

١٣٩-المبسوط : للعلامة شمس الأئمة أبي بكر محمد السرخسي المتوفى سنة/٤٩٠هـ،وهو شرح لكتاب الكافي لحاكم الشهيد الذي جمع فيه كتب ظاهر الرواية في الفقه الحنفي (٣٠جزءا)،دار المعرفة بيروت

١٤٠-مجلة الأحكام العدلية وشرحها : للشيخ سليم رستم باز اللبناني، دار إحياء التراث العربي بيروت

١٤١-المجموع شرح مهذب الشيرازي : للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة/٦٧٦هـ،تحقيق:الشيخ محمد نجيب المطيعي (٩أجزاء) ،توزيع المكتبة العالمية بالفجالة /مصر

١٤٢-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي المتوفى سنة/١٣٩٢هـ (٣٧مجلداً)،مطابع الدار العربية بيروت

١٤٣-المحلى : للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة/٤٥٦هـ،تحيق : الشيخ أحمد محمد شاكر (١١جزءاً)،دار التراث القاهرة

١٤٤-المدونة الكبرى : لإمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة/١٧٩هـ ،(٦مجلدات) طبع مطبعة السعادة بمصر

١٤٥-مدى حرية الزوجين في الطلاق في الشريعة الإسلامية،دراسة مقارنة : د/عبد الرحمن الصابوني،تقديم: الشيخ محمد أبو زهرة ومصطفى السباعي،(مجلدان)،دار الفكر بيروت

١٤٦-المستصفى : للإمام أبي حامد محمد الغزالي المتوفى سنة/٥٠٥هـ (جزءان)

١٤٧-المشروعية الإسلامية العليا : د/محمد علي جريشة ،الناشر مكتبة وهبة بصر

١٤٨-مصادر الحق في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بالفقه الغربي : د/عبد الرزاق السنهوري، (٦مجلدات)،معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية

١٤٩-معالم الدولة الإسلامية : د/محمد سلام مدكور ،مكتبة الفلاح بالكويت

١٥٠-المعاملات : للسيد علي فكري (٣أجزاء)،مطبعة مصطفى البابي بمصر

١٥١-معجم فقه ابن حزم الظاهري (مجلدان)،لجنة موسوعة الفقه الإسلامي بجامعة دمشق،دار الفكر للطباعة والنشر بيروت

١٥٢-المغني على مختصر الخرقي : للعلامة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المتوفى سنة/٦٢٠هـ،ومختصر الخرقي للعلامة :أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله الخرقي الحنبلي المتوفى سنة/٣٣٤هـ،(١٤جزءاً)مع الفهارس ،مكتبة الفكر العربي بيروت

١٥٣-منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: للشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان الحنبلي المتوفى سنة/١٢٥٣هـ،تحقيق الشيخ/زهير الشاويش (جزءان)،المكتب الإسلامي بيروت

١٥٤-المهذب في فقه المذهب الشافعي : للعلامة أبي إسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي الفيروزآبادي المتوفى سنة/٤٧٦هـ ،مطبوع مع شرحه المجموع والتكملة للنووي والسبكي والمطيعي.

١٥٥-نظرة الإسلام إلى الربا (المشكلة وحلها) : د/محمد بن محمد أبو شهبة ،طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

١٥٦-الوجيز في فقه الإمام الشافعي : للعلامة أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة/٥٠٥هـ (جزءان)،مطبعة محمد مصطفى/ بمصر

رابعاً : كتب العقائد والأديان والأدب والسيرة والتاريخ والفكر الإسلامي

١٥٧-الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي:د/محمد محمد حسين (جزءآن)،طبعة مؤسسة الرسالة

١٥٨-الإسلام : للأستاذ سعيد حوى،دار السلام للنشر والتوزيع

١٥٩-الإسلام وصراع الحضارات : د/أحمد القديدي ،كتاب الأمة ،الصادر عن وزارة الأوقاف،دولة قطر

١٦٠-الإسلام والحضارة الغربية : د/محمد محمد حسين، نشر المكتب الإسلامي

١٦١-الإسلام والوعي الحضاري :د/أكرم ضياء العمري، دار المنارة للنشر والتوزيع،جدة/السعودية

١٦٢-الإسلام والعلاقات الدولية : د/محمد صادق العفيفي، دار الرائد العربي بيروت/لبنان

١٦٣-أضواء على معالم في الطريق : سالم البهنساوي، دار البحوث العلمية/الكويت

١٦٤-الأقليات الإسلامية في العالم : د/محمد علي ضناوي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر

١٦٥-الأقليات الإسلامية في العالم اليوم : د/علي المنتصر الكتاني، مكتبة المنارة جدة

١٦٦-الأقليات المسلمة في العالم : (٣مجلدات)،وهي موسوعة عن الأقليات صادرة عن المؤتمر الإسلامي العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في جمادى الأولى عام/١٤٠٦هـ

١٧٦-أوهام المادية الجدلية : للشيخ د/محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر بيروت

١٧٧-أيعيد التاريخ نفسه ؟ : للشيخ /محمد العبدة،صادر عن المنتدى الإسلامي/لندن

١٧٨-البداية والنهاية : للحافظ أبي الفداء ابن كثير،المتوفى سنة/٧٧٤هـ،(٨مجلدات)،تحقيق: د/أحمد أبو ملحم وجماعة ،دار الكتب العلمية بيروت

١٧٩-تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري،المتوفى سنة/٣١٠هـ (١١مجلدا)،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان بيروت /لبنان

١٨٠-التاريخ الإسلامي :للأستاذ المؤرخ محمود شاكر، (٢٢جزءاً) ، طبع المكتب الإسلامي بيروت

١٨١-تاريخ الدولة العثمانية : د/علي حسون، طبع المكتب الإسلامي بيروت

١٨٢-تحليل للتاريخ الإسلامي : للأستاذ/عماد الدين خليل، دار الثقافة/الدوحة

١٨٣-تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام : للإمام بدر الدين بن جماعة،تحقيق: د/فؤاد عبد المنعم أحمد ،صادر عن رئاسة المحاكم الشرعية/قطر

١٨٤-تاريخ العرب المعاصر : د/رأفت الشيخ،الناشر موسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية

١٨٥-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : د/حسن إبراهيم حسن (٤مجلدات)،دار إحياء التراث العربي.

١٨٦-حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة : د/جميل عبد الله محمد المصري،مكتبة العبيكان/الرياض

١٨٧-حكم الجاهلية : للشيخ أحمد محمد شاكر ،المكتب العلمي للنشر والتوزيع/القاهرة

١٨٨-خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان : للملك محمد صديق حسن خان المتوفى سنة/١٣٠٧هـ،دار الكتب العلمية بيروت

١٨٩-الخلفاء الراشدون : عبد الوهاب النجار، دار الكتب العلمية بيروت

١٩٠-الدين الخالص : للملك محمد صديق حسن خان المتوفى سنة/١٣٠٧هـ،(٤مجلدات)

١٩١-دعوة الرسل إلى الله تعالى : للشيخ : محمد أحمد العدوي، الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة

١٩٢-درء تعارض العقل والنقل : لشيخ الإسلام ابن تيمية،تحقيق د/محمد رشاد سالم ،دار الكنوز الأدبية

١٩٣-الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها : تأليف : عبد الحميد العبادي،محمد مصطفى زيادة ،إبراهيم أحمد العدوي، مطبعة نهضة مصر /الفجالة القاهرة

١٩٤-الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : تأليف عبد القادر شيبة الحمد،طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٩٥-دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية : للشيخ عدنان علي رضا النحوي،المكتب الإسلامي

١٩٦-الرحيق المختوم في سيرة الرسولﷺ : للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ،دار الوفاء بالمنصورة/مصر

١٩٧-روح الدين الإسلامي : للأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة، نشر دار العلم للملايين بيروت

١٩٨-السيرة النبوية : لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة/٢١٨هـ ،(مجلدان)،دار الكتب العلمية بيروت

١٩٩-السيرة النبوية الصحيحة : د/أكرم ضياء العمري (جزءآن)،مكتبة العلوم والحكم/المدينة المنورة

٢٠٠-السيرة النبوية دروس وعبر : د/مصطفى السباعي،المكتب الإسلامي

٢٠١-السلام العالمي والإسلام : للأستاذ سيد قطب، دار الشروق بيروت

٢٠٢-شرح العقيدة الطحاوية : للعلامة ابن أبي العز الحنفي،خرج أحاديثها الشيخ /محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت

٢٠٣-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للإمام أبي القاسم هبة الدين بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي المتوفى سنة/٤١٨هـ (٤أجزاء) تحقيق: د/أحمد سعد حمدان،دار طيبة للنشر/الرياض

٢٠٤-صفحات من حاضر العالم الإسلامي،للأستاذ محي الدين حسن القضماني،نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٢٠٥-صراع مع الملاحدة حتى العظم : للأستاذ عبد الرحمن حسن الميداني،نشر دار القلم/ دمشق

٢٠٦-العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة : للعلامة أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري،تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول،توزيع دار الكتب العربية بيروت

٢٠٧-العلاقات الخارجية في دولة الخلافة : د/عارف خليل أبو عيد،توزيع دار الأرقم/الكويت

٢٠٨-العلمانية : د/سفر بن عبد الرحمن الحوالي،دار مكة للطباعة والنشر/مكة المكرمة

٢٠٩-فتوح البلدان : للعلامة أبي الحسن البلاذري المتوفى سنة/٢٧٩هـ ،مكتبة الهلال بيروت

٢١٠-الفصل في الملل والأهواء والنحل : للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفى سنة/٤٥٦هـ(٥أجزاء)،المطبعة الأدبية بمصر

٢١١-الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس وأثره في الحضارة الأوربية : د/خليفة حسين العسال،مطبعة الفجر الجديد/القاهرة

٢١٢-فلسفة التشريع في الإسلام : د/صبحي محمصاني،دار العلم للملايين بيروت

٢١٣-الكامل في التاريخ : لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفى سنة/٦٣٠هـ (٩مجلدات)،دار الكتاب العربي بيروت

٢١٤-كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟ : للأستاذ محمد قطب،دار الوطن للنشر /الرياض

٢١٥-كتاب دول الإسلام : لمؤرخ الإسلام الحافظ شمس الدين الذهبي،المتوفى سنة/٧٤٨هـ، (مجلد كبير)

٢١٦-لماذا يزيفون التاريخ الإسلامي ويعبثون بالحقائق ؟ : للأستاذ إسماعيل الكيلاني،المكتب الإسلامي .

٢١٧-المستقبل لهذا الدين : للأستاذ سيد قطب، دار الشروق بيروت

٢١٨-المستقبل للإسلام : د/أحمد علي الإمام،كتاب الأمة، وزارة الأوقاف/دولة قطر

٢١٩-المسيرة الإسلامية للتارخ : الأستاذ منير محمد غضبان،دار الفرقان للنشر/عمّان

٢٢٠-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : للعلامة أبي الحسن الندوي، دار الكتاب العربي بيروت

٢٢١-المسلمون تحت السيطرة الشيوعية : الأستاذ محمود شاكر، من منشورات المكتب الإسلامي
٢٢٢-المبين في بعض أحوال الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفياتي،للشيخ عبد الحميد جعفر الداغستاني
٢٢٣-مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (جزءآن)،صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،مكتب التربية العربي لدول الخليج
٢٢٤-من فقه الأقليات المسلمة : خالد محمد عبد القادر،كتاب الأمة،وزارة الأوقاف،دولة قطر
٢٢٥-المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي : للأستاذ محمود شاكر،المكتب الإسلامي بيروت
٢٢٦-المنهج النبوي والتغيير الحضاري، برغوث عبد العزيز بن مبارك،وزارة الأوقاف،دولة قطر.
٢٢٧-المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب،د/سالم أحمد محل،كتاب الأمة،وزارة الأوقاف
٢٢٨-مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، مناقشة بين مجموعة من رجال فكر الديانتين، نشر وتوزيع الرئاسة العامة للإفتاء/الرياض
٢٢٩-موجز تاريخ الإسلام : لأبي محمد ابن حزم المتوفى سنة/٤٥٦هـ ،تعليق :بديع السيد اللحام،توزيع دار الإيمان
٢٣٠-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : صادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض
٢٣١-نحو ثقافة إسلامية أصيلة : د/عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح/الكويت
٢٣٢-النظام السياسي في الإسلام : د/محمد عبد القادر أبو فارس/دار الفرقان، عمان
٢٣٣-الولاء والبراء في الإسلام : للأستاذ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني،دار طيبة الرياض

خامسا : الطبقات والتراجم والقواميس والمعاجم

٢٣٤-الإصابة في تمييز الصحابة : للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة٨٥٢هـ (٤مجلدات)،دار الكتاب العربي بيروت
٢٣٥-الأعلام : للأستاذ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي المتوفى سنة/١٣٩٦هـ (٨مجلدات)،دار العلم للملايين بيروت
٢٣٦-تاريخ بغداد : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة/٤٦٣هـ (١٤مجلدا) دار الكتاب العربي بيروت
٢٣٧-تاريخ التراث العربي : للشيخ فؤاد سزكين،ترجمة د/محمود مهشمي حجازي،الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود /الرياض

٢٣٨-تذكرة الحفاظ : للحافظ أبي عبد الله شمس الدين بن محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة/٧٤٨هـ (٤أجزاء)،دار إحياء التراث العربي بيروت

٢٣٩-تقريب التهذيب : للحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة/٨٥٢هـ ،دار نشر الكتب الإسلامية/باكستان

٢٤٠-تهذيب التهذيب : للحافظ ابن حجر العسقلاني،(١٢جزءاً)،مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند.

٢٤١-الجرح والتعديل : للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي المتوفى سنة/٣٢٧هـ (٩أجزاء)،دار إحياء التراث العربي بيروت

٢٤٢-الجواهر المضية في طبقات الحنفية : للعلامة محي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن محمد القرشي الحنفي المصري المتوفى سنة/٧٧٥هـ،(مجلدان)،مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند

٢٤٣-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : لمحمد بن مخلوف (جزءآن)،المطبعة السلفية بالقاهرة

٢٤٤-طبقات الحنابلة : للعلامة أبي الحسين محمد بن أبي يعلى المتوفى سنة/٥٢٦هـ ،مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

٢٤٥-طبقات الشافعية الكبرى : لشيخ الإسلام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المتوفى سنة/٧٧١هـ (٦مجلدات)،دار المعرفة بيروت

٢٤٦-الطبقات الكبرى : للعلامة محمد بن سعد المتوفى سنة/٢٣٠هـ (٨مجلدات)،دار صادر بيروت

٢٤٧-لسان العرب : للعلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري المتوفى سنة/٧١١هـ (١٥مجلداً) دار صادر بيروت

٢٤٨-لسان الميزان : للحافظ ابن حجر العسقلاني،المتوفى سنة/٨٥٢هـ (٧أجزاء)،موسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت

٢٤٩-المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين،(٧أجزاء) مكتبة بريل في مدينة ليدن.

٢٥٠-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الكتب المصرية

٢٥١-المعجم الوسيط : للأستاذ إبراهيم مصطفى وزملائه (جزءآن) مجمع اللغة العربية

٢٥٢-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: للعلامة أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي المتوفى سنة/٦٨١هـ(٨مجلدات)،دار صادر بيروت.

محتويات الرسالة

IN THE NAME OF ALLAH, THE BENEFICENT THE MERCIFUL

MUSLIMS IN NON-MUSLIMS COUNTRIES

AN IDEOLOGICAL, JURISTICAL AND HISTORICAL STUDY



PRESENTED BY

MUHAMMAD ZAKARIA EL-SHAFIE

for a Doctor's Degree

Under Supervision of

Prof. Allama Ghulam Mustafa Qasmi

Faculty of Islamic Studies
Department of Comperative Religion
& Islamic Culture
University of Sindh, Jamshoro
PAKISTAN

1998

Objectives Of The Research

First: To project a clear idea of some basic concepts of Islam :

1-Islam a universal relegion .

2-Islam ,Idiology and Constitution .

3- Islam as a complete religion,valid for all times,all places .

4-The concept of"Jehad"in Islam,and was Islam spread through peace or contention?

5-The concept of Islamic Country and Non-Islamic one.

6- The concept of Association and Disassociation in Islam.

7- Showing the relation between Islamic nation and other nations.

Second: Showing how did muslims practise these concepts through out history.

Third: Showing that many countries changed from Islamic Countries to Non-Islamic ones.

Forth: Showing the conditions and challenges of muslims in Non -Islamic Countries,and the solutions:

1- Juristical conditions and challenges ,and the solutions.

2- Ideological conditions and challenges, and the solutions.

3- Economical conditions and challenges, and the solutions.

4- Moral and social conditions and challenges, and the solutions.

5- Educational conditions and challenges, and the solutions.

6- Political conditions and challenges, and the solutions.

Fifth: Showing the stand of Islam visa vis Muslims in residence in Non-Islamic Countries.

Sixth: Showing the ways of Islamic call in minority-muslim societies.

Seventh: Showing how muslims can face these universal challenges.

(1) INTRODUCTION

Reasons why this thesis was chosen

Many writers have written about the condition of muslims in muslim countries, as many others have written about the conditions, rights and obligations of non muslims while they live in muslim societies. Yet, non has done so about muslims, in pertaining to their ideology and practices while they live in non Islamic areas and societies. All that has been put forward in this relation is more or less explaining only the situation of muslims in these areas, and what there relation is, to their non muslim neighbors and country-men.

Moreover, these books that are available on this subject have not given enough attention to the historical development of muslims in other lands - especially to the period of the Islamic expansion: Starting from the time of the Holy Prophet (P.B.U.H.) and the Khalifates that followed, on to the fall of the Othman Khalifate in Turkey, marking the end to the expansion that had been going on, and leading to a change in the condition of muslims from a ruling majority to a ruled minority. Muslims nowadays have become either minorities in some areas, or majorities in terms of number but ruled by non muslims or non Islamic principles in other areas.

Here lies the importance of this research, as it will be explaining the condition of muslims in non-muslim societies from the Islamic point of view of faith, jurisprudence and history.

Plan of the thesis

The thesis will be comprising of an Introduction, four parts and a conclusion.

The Introduction: In it I have mentioned the significance of the research and explained the reasons why it was chosen.

(2) PARTS AND CHAPTERS OF THE THESIS

Part One: Basic Concepts

Chapter One: Universality of the Islamic Call

We have seen that after the collapse of the Islamic Othman Khalifate in our present time, many nationalist thinkings have emerged, threatening to divide the Islamic World into conflicting petit states and eventually stopping the muslims from moving with their belief of conveying Islam to all parts of the globe. This is why it is necessary to stress the universality of the Islamic Call and the necessity of the

Khalifate, as a confirmation to the statement of Allah: "It is He who has sent his messenger with guidance and the religion of truth. That He makes it prevail over all religion, even though the pagans may detest it". and "We have not sent thee but as messenger to all mankind, giving them glad tidings, and warning them against sin, but most men know not".

The Holy Prophet (P.B.U.H) also said: "I have been given five things which none of the Prophets who preceeded me was not given". Among them he says: "every Prophet was sent to a special people, but I am sent to mankind as a whole".

In the light of the universality of Islam, how to indicate an Islamic land or state from a non-Islamic one.

Chapter Two: The Islamic Country "Dar-ul-Islam" and the non Muslim Country "Dar-ul-Harb".

Probably the best definition given by scholars for these two terms is that: 'Islamic land is a land where muslims are in power, and the rules and laws of Islam are enforced". And a non Islamic one is "A land where the rulers are non-muslims and the laws are non-Islamic.

The non-Islamic land or state is the subject of discussion in this research, with due consideration to the legality of the stay of muslims in these lands - whether they are immigrants or indigenous minorities, or so

because of certain political reasons, such as the muslims of central Asia, after the formation of the previous Soviet Union.

Another thing which worths discussing is how to put into practices, the Islamic principles of Association and Disassociation in these non-Islamic lands and states.

Chapter Three: Association and Disassociation

Imitating of non muslims by muslims nowadays has led to a call to the bringing close, or so called hamonisation of religion. An example of such call is the writing of Dr. Wahbat-ul-Zuheili, in his book (Aathaar-ul-harb, fil fiqhil Iislami, page 65: "It is not the motive of Islam to impose itself forcefully on people, so that it becomes the only religion on Earth. Since, that will be a non successful move, and a challenge to the laws of nature and the will of Allah!"

Many more people have said this incorrect saying. One may therefore ask them: What do they say about the following declarations of the Qur'an:

"The religion before Allah is Islam (submission to his will). (Aal Imran 19)

"If any one desires a religion other than Islam (submission to Allah) it will not be accepted of him...."

This is why it is necessary to make clear what Association and Disassociation mean, in the light of the Quranic verse that says:

"They but wish that ye should reject faith, as they do, and thus be on the same footing (as they)" (AN-NISSA 89).

Part Two: Historical development of Islamic Universality movement in the early and present times.

Chapter One: The Islamic expansion period.

This period starts from the days of the Holy Prophet (P.B.U.H) and extends through the fall of the Othman Caliphate

Although a big change occurred in the form of rule after the era of the four righteous Caliphs the succeeding Caliphate remained a bond that tied all muslims every where together, and the flag of Islam remained waving high in the world.

The muslim poet Allama Iqbal has once said in this effect.

China and India are Ours
And all Arab lands are ours
Islam remains a religion for Us
And the whole Universe a home for Us

Muslim soldiers and traders moved around the world with the sense of their prophet's mission of bringing peoples out, from pressure to liberty of this world and from oppression to the justice of Islam.

Thus, Islam spread around the world though successful fights and dynamic effect of the good moral conduct of muslims. This led to the change of people and lands once non muslims and minorities into muslim majorities.

History bears a lot of witness of the just dealing of muslims - even with non-muslims. Here is one instance which occurred during the reign of Oumar Bin Abdul Aziz:

"The people of Samarkand, in the area of Turkistan went once to the Khalif Oumar Bin Abdul Aziz, and complained to him that his force commander Qatiba Bin Muslim, had entered their town by a way of trick and inhabited muslims in it, there by breaking a truce between the two parties. Oumar ordered that a judge was to see into the case. The judge, Amr Bin Amir, a muslim, concluded that the muslims were to quit the land". (Futuhaul Buldaan: Al Balazri-411).

Due to this impartial judgment, the people of Samarkand poured into Islam. And Oumar later wrote to the kings of the area inviting them to Islam, and a number of them accepted his call, thereby paving the way for the fast spread of the just religion. This area produced prominent muslim scholars such as Imam Bukhari, Abu Hanifa and Tirmuzi.

Muslims have ever been productive, though some weakness has befallen them after the fall of the Othman Khalifate and the usurping of its possessions.

However, imitating of non muslims by muslims nowadays has spread and led to a political and ideological misguidance of many muslims of the world.

Chapter Two: The contemporary period of weakness.

Non believers have always worked hard to crush the muslim world, especially in the last three centuries, during which they have brought it under the influence of Zionist crusade.

Yet again, a new method of crusade is being witnessed, which has not come with fire weapons a lone.

Lewis VIX, who was captured by muslims during the first crusade battles and imprisoned at Al-Mansoorah in Egypt till he was later redeemed by his people, had advised crusaders not to face muslims with fire arms alone. He directed them that muslims could only be conquired through their faith and change of mentality. Crusaders have ever since tried to implement this new method of fighting against the muslims, being tempted by the lack of true practice of the religion amongst muslims themselves.

The enemies of Islam know well how were the victorious muslims who swept the Roman Empire from their way and extended their territory from the ocean in the West to India in the East and even beyond. These non muslim crusaders have also not forgotten how were the muslims who defeated them in the crusade battles; and how was the commander of the muslims, Salahuddeen. The crusaders nevertheless know how among the muslims nowadays, ignorance, weakness, dependence and superstitious beliefs have taken the place of knowledge, strength, positive will-power and reality. So they come to us with their mental crusade, but we face them with total failure. The identity of our territories therefore changed from Islamic to un-Islamic. And we in turn have become dormant in the groups of nations.

Part Three: Condition of Muslim Minorities in the World.

Chapter One: Definition of "Muslim minority"

"Muslim Minority" is best defined as: Those muslims who are dominated by way of rule, even if they make majority in terms of number.

This definition marches the definition of the "Islamic State" and the "non Islamic States". Consequent to this, the muslim majorities who lived in the former Soviet Union can be considered minorities, due to their condition of being dominated in number in one hand and in power in the other. The same thing can be said about the Muslims of Fatani in

Thailand, Moro in South of the Philippines, muslims of Ethiopia, Ireteria, Albania and Lebanon.

By deeply observing the world political, one can see that in this 15th century A.H (20th century A.D.), nations of the world are mainly centralizing around what is called The Liberal World: consisting of a Christian majority; the socialist and communist organizations: consisting of a mixture of religions and races - mainly Buddhists and heathens; there is also the Jewish race and religion. Among these, the Islamic pivot also stands, trying to bring together its forces, at a time when all the other blocks are conspiring against it.

It is no exagaration if we therefore say that the world's scattered muslim population is a minority today. This is correct also in the point of view that muslims make only one-fifth of the world's population. But in the past, during the Islamic Caliphate they were in majority, as the Caliphate was the most extending block and their states were ruled according to Islam. The chain-work of this research will be in light of this view point by the will of Allah.

Chapter Two: A short description of the state of Muslim minorities in the world.

This chapter will be talking about the condition of the muslim minorities in the world with reference to the ideological set-up of their societies. And it will go as follows:

1. Muslim majorities and minorities in Socialist countries.
2. Muslim majorities and minorities in Capitalist democratic counties.
3. Muslims in Buddhist and Hindu dominated countries.
4. Majorities and minorities under the rule of Israel.

Part Four: Islamic laws in "The Islamic State" and "The non-Islamic State", and the stand of Islam in Muslims partaking in governments of non-muslims... and the solution.

Chapter One: Taking part in the Judiciary.

It's clear that all un-Islamic governmental organizations - with their different ideologies - neither rule nor judge according to Islam. Their bases are man-made and they adjoin the worship of man by man. The definition of Democracy for instance suffices to clarify this. There is no consideration for the sovereignty of Allah. Therefore these governments are un-Islamic and incorrect. So how can it be permitted for a muslim to partake in them.

Furthermore, most of these governments are clearly hostile to Islam and muslims, and fighting an ideological war against it.

Chapter Two: Taking part in social organizations.

Islam has its complete social theory with a perfect plan of execution that makes recommended behaviours a strong part of society that is hard to be out-rooted. For in Islam, good behaviour and character are duties, so they are not left with individuals to treat them with their personal feelings and tastes.

This is why the muslims could endure different attacks - starting from the crusade on, till the invasion of Palestine and Afghanistan, and what went on in the period between; such as: the usurping of Andalusia, Russian's invasion of the territories of muslims of central Asia, and the European counties' invasion and colonization of a big portion of the muslim world - whether before or after World War I - and the westernization of Turkey.

The cultural, mental and social, invasion through which the enemies want to crush the Islamic identity, has been the worst so far, many muslims have been influenced by new habits, Christian views and ideas. They see religion as a personal affair of the religious individual, which he or she has to practice alone.

Other serious challenges that have been faced by Islamic ideals, are:

- 'Hijab' and mingling of the opposite sexes.
- Foods and Drinks

- Rituals of burial
- Official institutions and organizations
- The phenomenon of assemblies

Chapter Three: Taking part in Economic Institutions.

Economic affairs are the most complicated problems facing muslim minorities. The capitalist states for example rely on interest in most of their economic operations. Muslims find themselves giving excuses and decrease to the effect.

According to the Hanafi School of Thought for instance, implementation of rules are relative to the society. The Imam Abu Hanifa therefore allows a muslim to take interest from a non muslim, as long no trick is involved. (Rad-ul-Mukhtar: Hashiyat Ibn Abideen Alal-Durrul Mukhtar V4.P. 196).

At the same time, the other schools of thought consider interest as totally illegal, since the Prophet (P.B.U.H) canceled the interest that were going on during 'Jahiliyaah' times (before Islam).

No doubt, this is a problem that needs solution for the minorities, just as many other problems.